جامعة تلمسان

معهد اللغة و الادب العربي

دراسات سانتكسية للهجات العربية القديمة

اعداد الطالب

عبد الجليل مرتاض

اشراف :

الاستاذ الدكتور

رضوان محمد حسين النجار

« اطروحة جامعية علمية للحصول على درجة دكتوراه الدولة »
في اللسانيات

1414 هـ - 1994 م



بسم الله الرحمن الرحيم

((ومن آياته خلق السموات والأرض

واختلاف ألسنتكم))

سورة الروم : من آية : 22

اهــــداء

الى من علمني حروفا لا حرفا

فعشت، وسأعيش ما حييت، له عبدا

طائعا مخلصا، بعد الاله، شاكرا ممجدا،

الى العلامة الجليل عبدالقادر بن أحمد

ابن أبي طالب بن أبي طالب الذي

نشر لغة الضاد في القرى و الحواضر، ودرس

كتاب الله و تلاوته وتفسيره، وعلم علوم العربية،

فخرج على يده خطباء مصاقع، وأدباء فطاحل،

... الى والدي، رحمه الله.

بعض الرموز والاشارات العادية التي قد تتردد في الهوامش :

ج = جزء

س = سفر

ص = صفحة

ص . ع = الصفحة عينها

ص. ن = الصفحة نفسها

ط = طبعة

ق = قسم

م.س.ع = المصدر السابق عينه

م.س.ن = المصدر السابق نفسه

مط = مطبعة

المقدمة :

1-) اشكاليات الموضوع :

ليست لي أية فائدة من اخفاء سر على المتتبع لهذا البحث أو العمل، اذا أفضيت له بجلية الأمر معترفا بأن هذا الموضوع ظل يراودني منذ سنوات طويلة، وكلما حاولت أن أبتعد عنه وأنساه نهائيا، وجدت نفسي منهمكا بغير قصد فيه، وحتى أحاول أن أتخلص منه بشكل لا رجعة فيه، اتجهت شرقا ومغربا، لأبحث في موضوعين لا صلة للواحد منهما به، ولكن حين اتجهت غربا (الى فرنسا) وجدت نفسي مرة أخرى أسجل فيه بتوازي مع تسجيل في جامعة قسنطينة، ثم أخيرا في جامعة تلمسان.

وعليه، فيمكن القول بأن هذا الموضوع قد فرض نفسه علي أكثر مما فرضت أنا نفسي عليه، وهذا يؤدي الى المقول الذي غدا مكشوفا بأن هذا البحث هو نتيجة قراءات تراثية لهجية ولغوية في لغات سامية ولهجات أخرى أركية أو عتيقة الى جانب قراءة موازية لها ومتقاطعة معها في الآن ذاته، هي القراءة اللسانية الحديثة والمعاصرة، مما جعلني أفكر في مغامرة الجمع بين القراءتين : التاريخية والوصفية،

أما السر الآخر ، والذي يعرفه العلماء والمهتمون بهذا الموضوع أفضل مني ، فيظهر في الموضوع نفسه ، حيث ان هذا الميدان ــ أي الدراسات اللهجية ــ قد طرق منذ عهد طويل من باحثين عرب ضليعين ، وربما كان الأستاذ حفني ناصف أول من حاول أن يبحث الموضوع بحثا مستقلا (مميزات لغات العرب) ، لكن دراسته الصغيرة تلك كانت دراسة ((تقليدية خالية من تحقيق النصوص ومقابلاتها وتمحيصها ، وموازنة الآراء والمذاهب والتحليل والنقد ، كما أنه (صاحب الدراسة) يستخف برد الروايات الى مصادرها ومظانها ، فأهمل المصادر الأصلية اهمالا تاما في هامش الكتاب ، ومع صغر حجمه ، الا أنه يعتبر أول باكورة أطلت على الحقل اللهجي)) (1) .

وظهرت دراسات أخرى في نفس الموضوع ، الا أنها كانت متفاوتة في جديتها واهتمامها أو تخصصها ... وهذه الدراسات بعضها ما اتصل باللهجات العربية القبلية مباشرة ، وبعضها الآخر لم يحفل بهذه اللهجات الا من باب اتخاذها حجة في القراءات القرآنية ، وهذا الموضوع قديم اهتم به فطاحل من القراء والنحاة واللغويين والمفسرين وخاصة علماء القراءات القرآنية ، وليس جديدا

---

1) من مقدمة ((اللهجات العربية في التراث)) د . أحمد علم الدين الجندي (هـ : 1 / ص : أ) ((سيذكر المرجع معرفا تعريفا كاملا لاحقا))

بأي شكل من الأشكال ، لا عند العرب المحدثين ولا عند المستشرقين ،على الرغم من أن هؤلاء الأخيرين فاقونا بمنهجيتهم الدقيقة المستوحاة لبعدهم من التحرر العلمي العاطفي أو الديني ،ولكنها لم تخل تماما من بعض الشوائب والمغالطات ،وخاصة حين يتعرضون الى الحديث عن العربية التاريخية أو الفصحى وعلاقتها باللهجات العربية ،حيث يريدون أن يطبقوا عليها نظريات مستوردة وغريبة عن طبيعة العربية ومتكلميها في تلك الحقبة المجهولة والبعيدة في الزمن .

وعلى الرغم من هذه الدراسات الغزيرة والثرية التي سبقت اليها من باحثين مشكورين ،فاني لم أر فضاء أو باب هذا الحقل قد أغلق بشكل رادع لمن يريد أن يدلي بدلوه فيه ، بل وجدت هذا الفضاء أرحب من أي وقت مضى ،وهذا تماشيا مع ماجد في حقل الدراسات اللغوية المقارنة والوصفية من الناحية المنهجية الى غيرهما من الطرق المنهجية الأخرى ، وتماشيا مع ما ظهر في ميدان اللسانيات الحديثة والمعاصرة من نظريات ،ليست

اللغة العربية ولهجاتها، بما فيها اللغات السامية واللهجات العربية البائدة، بدعاً منها.

ومما لاحظته في كتب فقه اللغة العربية، وبدون استثناء، أن هذه الكتب تهتم بالجوانب التاريخية والاجتماعية والانتروبولوجية،... كلما تناولت موضوع اللغات السامية أو اللهجات العربية البائدة، فهي تختصر وتستفيض في الحديث عن شعوبها وأحداثها العظيمة أو الصغيرة، ولكنها لا تكاد تخصص أو تشير إلا بكلمات مختلطة ويتيمة في هذه الصفحة أو تلك، وإنك لا تكاد تظفر بأكثر من بضع صفحات متباعدة، حتى اني لم أجد أي فرق بين ما تقوله الكتب التاريخية وهذه الكتب اللغوية، بل من العدل أن نقول ان بعض الكتب التاريخية كانت أكثر اهتماماً وإحاطة بالموضوع من كتب الأبحاث اللغوية.

٤ـ مادة ومنهج :

3/17 و 9/16

طبقاً لما أشير في اشكالية هذا الموضوع أعلاه، فاني لم أجده موصداً أمام امكانية اضافة ما يمكن اضافته، لكن بأي تفكير أو بأية قراءة؟ وبعبارة أخرى :

بأي منهج ؟ بقراءة استقرائية ؟ استنباطية ؟ تاريخية أو خارجية ؟ وصفية أو داخلية ؟ موازنة ؟ مقارنة ؟ تقابلية ؟ ...

ان موضوعنا ،كما سيلاحظ المتتبع له ، يحتمل أن يكون طرحا وميدانا تطبيقيا لغير قراءة واحدة من هذه القراءات ،فهو لساني تاريخي باعتباره يتعرض لقضايا تاريخية من أجل تحديد المدونة أو الفضاء الزماني والحيز المكاني ، وهو يتطلب هنا عوامل خارجية من هذا الجانب أو ذاك أو لأجل هذا السبب أو غيره ،ولساني وصفي صرف ، وهو هنا يتطلب التمسك بالعامل الداخلي المتصل باللغة أو التراكيب اللهجية المدروسة في ذاتها ولذاتها دون السماح لأية قراءة خارجية متطفلة عليه .

والذي اتجهنا اليه واقتنعنا به بعد تردد ربما كان أكثر طولا من انجاز هذا البحث نفسه ، أنه لا مفر من محاولة التآلف والتعامل مع ما يتصل بالعوامل الخارجية حينا ، وهذا في القسم الأول من هذا البحث ، ومع ما يتصل بالعوامل الداخلية حينا آخر ،وهذا بشكل خاص في القسم الثاني .

ومن أجل الخضوع الى هذه الرؤية المنهجية للتعامل

مع مادتنا ، سيلاحظ المتتبع لهذا العمل أننا أدرجنا في الباب الأول بعض المواضيع التي كان يجب وفق التسلسل الزمني والتاريخي والطبيعة التقليدية للتعامل مع عناصر الأشياء والظواهر ، أن نسدرجها ليس فقط في أحد الأبواب الثلاثة من القسم الأول بل في صدر القسم الثاني ،لكننا عاملناها من حيث هي ظواهر ومواضيع تخضع لمنهج تاريخي أودياكروني أكثر مما تتآلف مع منهج وصفي أوسانكروني ،اذ لا يمكن أن نوفق في بحث أوتناول مواضيع خارجية مثل التقاطعات الفضائية للقبائل العربية ،أو اشارة اشكالية فصاحة لهجة من اللهجات أو المغامرة في تحديد ما يسمى باللغة النموذجية أو المشتركة ،الى غير ذلك من الأسماء والمسميات ، من خلال التعسف لاخضاعها عنوة الى منهج سانكروني أوبنيوي يستبعد ويعادي سلفا كل ما هوخارجي .

وبالعكس ،سيلاحظ المتتبع لهذا العمل تقديم ما كان يجب تأخيره عما مضت الاشارة اليه ، لكننا انتهجنا هذا النهج ليقيننا بأن الدراسات السانكسية أشدما تكون اتصالا وارتباطا

4 - بعض الصعوبات التي اعترضت هذا البحث: 183، 259،

لا يمكن هنا أن نستعرض كل الصعوبات والقساوات التي اعترضت هذا البحث، لأننا نرى أن البحث الذي لا تعترضه صعوبات قاسية وعنيدة لا طائل من ضياع الوقت والجهد والصحة في بحثه، إذ نرى أن ألذ بحث وأكثره فائدة للمتلقي هو ذلك البحث الذي تعترضه صعوبات، وكلما كثرت هذه الصعوبات وحزنت إلا وكان هذا البحث في تقديرنا، أفضل وأجدى للمتلقي .

والواقع أن الصعوبات التي اعترضتنا منذ البداية حتى النهاية هي طريقة التناول على الرغم من أننا حاولنا أن نقدم علاجا لهذه المسألة ببعض الطرق المنهجية المتعددة المناسبة لكل محور من محاور هذا البحث، وهذه الصعوبة قد لا يتفق معنا فيها المتلقي لهذا العمل، لأنها من أولى أولويات الباحث، وهو مسؤول عنها في سلبياتها وإيجابياتها .

لكن هناك صعوبة أخرى تتعلق بالمادة وما أحاط بها من أبحاث ودراسات، فالمادة اللهجية غزيرة وثرية في حد ذاتها، لكن المراجع التي تناولتها تناولا معاصرا قليلة، وخاصة من وجهة نظر البنية السانتكسية، وحسب علمي واطلاعي به وقد

مع مادتنا ، سيلاحظ المتتبع لهذا العمل أننا أدرجنا في الباب الأول بعض المواضيع التي كان يجب وفق التسلسل الزمني والتاريخي والطبيعة التقليدية للتعامل مع عناصر الأشياء والظواهر ، أن نسدرجها ليس فقط في أحد الأبواب الثلاثة من القسم الأول بل في صدر القسم الثاني ،لكننا عاملناها من حيث هي ظواهر ومواضيع تخضع لمنهج تاريخي أودياكروني أكثر مما تتآلف مع منهج وصفي أوسانكروني ،اذ لا يمكن أن نوفق في بحث أوتناول مواضيع خارجية مثل التقاطعات الفضائية للقبائل العربية ،أو اشارة اشكالية فصاحة لهجة من اللهجات أو المغامرة في تحديد ما يسمى باللغة النموذجية أو المشتركة ،الى غير ذلك من الأسماء والمسميات ، من خلال التعسف لا خضاعها عنوة الى منهج سانكروني أوبنيوي يستبعد ويعادي سلفا كل ما هو خارجي .

وبالعكس ،سيلاحظ المتتبع لهذا العمل تقديم ما كان يجب تأخيره عما مضت الاشارة اليه ، لكننا انتهجنا هذا النهج ليقيننا بأن الدراسات السانكسية أشد ما تكون اتصالا وارتباطا

بالمنهج الوصفي منها بأي منهج تاريخي ،ولذا تناولنا الدراسات التركيبية لبعض اللغات السامية ثم اللهجات العربية البائدة في البابين الثاني والثالث على التوالي في القسم الأول .

ووفق ما أشير اليه في صدر هذه المقدمة ،فان الدراسات اللهجية التي وقفت عليها لم تتناول هذا الموضوع بهذا الشكل من الدرس والبناء ،ولذلك حاولنا أن نوسع نظرتنا السانتكسية بالنسبة لبعض اللغات السامية وفي اللهجات العربية البائدة لتشمل مختلف التراكيب والعناصر ،وليس فقط الجملة ،أما في القسم الثاني ،وخاصة في الباب الثاني منه ، فاننا حاولنا أن ندرس بعض التراكيب اللهجية الفصيحة طبقا للحقل السانتكسي ،بطريقة تقوم على النماذج الاسمية والفعلية والحرفية ،وبمنهجية مخالفة لما أنجزناه في البابين : الثاني والثالث من القسم الأول ،وتجنبنا الوقوع في فخ العمليات الاحصائية المطلقة للهجات العربية القديمة ،وخاصة حين أضفنا اليها التراكيب في بعض الساميات وفي اللهجات العربية البائدة ،وكان هذا المنهج الاحصائي ممكنا لو اقتصر البحث على لهجات معينة لا كل اللهجات أو بحث عنصرا وعنصرين على الأكثر منها .

3 ـ توزيع المواد على مسار البحث :

وبناء على ما حاولنا أن نلمح اليه آنفا ، فان المنهجية اقتضت منا أن نوزع مواد هذا الموضوع على النحو التالي :

1) القسم الأول ، مسبوقا بتمهيد ، يتناول الدراسات التركيبية في الساميات واللهجات العربية البائدة ، وهو مفصل الى ثلاثة أبواب :

الباب الأول ، يتناول القبائل العربية واشكالية اللهجة النموذجية ، وهو مركب من ثلاثة فصول : الفصل الأول خصص لدراسة التقاطعات الفضائية للقبائل العربية ، والفصل الثاني خصص للوقوف على فصاحة قبيلة قريش وعلاقتها باللهجات العربية الأخرى ومواقف الباحثين والعلماء من هذه الاشكالية ، والفصل الثالث تعرض بشيء من التفصيل الى ما يعرف بين الباحثين باللغة النموذجية أو المشتركة ومواقعها بين القبائل وعلاقة اللهجات بالقراءات القرآنية وصلة هذه القراءات واللهجات بالحديث النبوي الشريف : ((أنزل القرآن على سبعة أحرف)) ، ومواقف وآراء العلماء في هذه المسألة .

الباب الثاني ، يتناول الدراسات التركيبية في اللغات السامية ، ورأينا أن توزع المواد فيه على ثلاثة فصول : الفصل الأول أنشئ

خصيصا للحديث عن اللغة السامية وأصحابها الساميين تمهيدا للأرضية السانتكسية في هذا الباب وفي الباب الذي يليه ،بل وحتى في باقي الأعمال الأخرى ،ولو بشكل غير مباشر ، الفصل الثاني ،وقد تناول العلاقات اللغوية بين اللغات السامية بشيء من المقارنة ، الفصل الثالث ،ويعد أساسيا في هذا الباب ،لأنه يتعرض الى التراكيب اللسانية مباشرة في اللغات السامية .

<u>الباب الثالث</u> ، أنجز خصيصا لدراسة التراكيب اللسانية في اللهجات العربية البائدة ،ورأينا أن نوزع المواد فيه وفق أربعة فصول : الفصل الأول ،خصص للبنية السانتكسية ،الفصل الثاني تناول هذه البنية في شكلها المورفولوجي ،الفصل الثالث تكفل بدراسة البنيتين : المعجمية والدلالية ،بينما تكفل الفصل الرابع من نفس الباب بدراسة البنية الصوتية وعلاقتها بين الملفوظ والمكتوب .

2) <u>القسم الثاني</u> ، الذي نيطت به مهمة الدراسات التركيبية في اللهجات العربية الباقية ،اقتضت المنهجية الوصفية أن نقسمه الى بابين رئيسيين :

<u>الباب الأول</u> ، أسندت له مهمة البحث في مدونة اللهجات العربية الباقية ، ورأينا أن نوزع عليه المواد المتصلة بعنوانه الى ثلاثة فصول :

الفصل الأول ، وقد تناول المدونة بشكل لساني عام ، الفصل الثاني
تكرس الى الحديث عن التقاط المدونة وسماعها على ضوء النظريات
اللسانية التواصلية الحديثة ، الفصل الثالث ، وقد كان مكملا ومعمقا
لما جاء قبله في الفصل الثاني .

الباب الثاني ، وقد اضطلع بمهمة شاقة وعويصة ، ألا وهو البحث
عن البنية السانتكسية في اللهجات العربية الباقية تكملة لما
اضطلعت به الأبواب السابقة ، وخاصة الباب الثاني والباب الثالث
من القسم الأول ، ورأينا ، حسب ما تقتضيه البنية السانتكسية أو بعبارة
أخرى تماشيا مع الدراسات السانتكسية المعاصرة ، أن نوزع عليه
الأعمال في أربعة فصول مذيلا بخاتمة ، الفصل الاول تناول الدراسات
اللسانية العامة حول البنيات السانتكسية لدى العرب والأجانب ،
الفصل الثاني ، تناول التركيب الاسمي ، الفصل الثالث تعرض الى
الحديث عن التركيب الفعلي ، وأما الفصل الرابع فقد حاول أن
يبحث في التركيبين : الحرفي والظرفي ، ثم ختم هذا الباب وهذا
البحث ، قبل الفهارس العامة ، بخاتمة حاولت أن تلخص ما توصل
اليه هذا البحث من صعوبات وبعض النتائج .

يكون هذا الاطلاع وهذا العلم قاصرين مني — فاني لم أقف على مرجع عربي أو أجنبي قد شمل هذه التراكيب السامية والعربية البائدة، والعربية الباقية أوتنا ولها، على الأقل مجتمعة بهذه المنهجية وبهذه الدراسة على هذا النحو الذي حاولنا أن نكون فيه جادين ومخلصين.

والصعوبة التي يعرفها الدارسون والمختصون — أفضل مني — في هذا الميدان أن المراجع والوثائق الأجنبية مع وفرتها وأهميتها وافادتها لمثل هذا الموضوع لاتتفق بالضرورة روحا وخصائص مع التراكيب في العربية قد يمها وحديثها، بما فيها الساميات، والنظريات التي أسست فيها وضعت خصيصا للغة أولغات تنفق عائليا، ولا يمكن أن تطبق شكلاوروحا على العربية ولهجاتها، ولذا، فيمكن القول بأن النظرية اللسانية أواللسانيات العربية المعاصرة لم تظهر بعد ناضجة في الوجود اللساني المعاصر، خلافا للسانيات العربية العديمة التي لا تبرح صالحة ومفيدة في كثير من قضايانا اللغوية المعاصرة، ولا أخفي المتلقي لهذا العمل سرا آخر بأني حيمن تصفحت كتاب ((المفصل في علم العربية)) للزمخشري وأنا في هذا العمل، قدسرى في نفسي خجل، وزادني التمسك بالتراث

العربي الاسلامي شقة وملجأ لا مفر منه ، ذلك أني ألفيت الرجل - مثلا - يقسم العناصر النحوية أو اللسانية التي درسها وفق ما تذهب اليه النظريات السانتكسية الحديثة التي تقسم التركيب الى اسمي وفعلي وحرفي .

وفي نهاية هذه المقدمة لا يسعني الآن أشكر كل من قدم لي يد العون والمساعدة لاخراج هذا البحث على هذا النحو ، أشكر الأستاذ الدكتور أحمد الحموالذي كان ممن بدأ معي التدرب في هذا الموضوع منذ نهاية الثمانينات في جامعة قسنطينة التي أحييها وأحيي معهدها للغة العربية وآدابها على ثقتها في احتواء هذا الموضوع وتشجيعها لي فيه ، دون أن أنسى بإسداء الشكر الى الأستاذ كريستيا نتوراتي في كلية الآداب بجامعة (راكس أن بروفانس) الذي قطع معي شوطا لا بأس به فيه ، ثم أوجه تحياتي وتقديري للأستاذ الدكتور رضوان محمد حسين النجار الذي قبل مخلصا لله وللبحث العلمي النزيه أن يشترك في هذا الاشراف الى جانب الأستاذ السابق ثم متابعة الاشراف فرديا على اتمام هذا البحث على الرغم من المشاكل والصعوبات التي تلقاها معي في هذا البحث .

وأخيرا، وليس آخرا، أرجو أن يساهم هذا العمل في إثراء المكتبة العربية وخدمة الثقافة العربية الاسلامية وإحياء الدراسات التراثية الأصيلة التي لا تتعارض كلية مع ما جد في حقول اللسانية المعاصرة.

ومع ذلك، فإنني لا أدعي السمو والعلا في هذا البحث الذي لا أضمن له السلامة من الأخطاء والزلل التي نتمنى لها أن تصحح من قراءات باحثين آخرين قد يوفقون فيما فاتني من صواب.

والباحث الحق من تعد سقطاته فيتقبلها سعيدا راضيا، وتكمل نقائصه بمساهمات القراء الآخرين، وتسدد وتثرى صواباته بشهادات المتلقين.

حسبي الله، هو المولى، ونعم الوكيل.

15 ذو الحجة 1414 هـ

تلمسان : ———————— عبد الجليل مرتاض

الموافق 26 ماي 1994 م

دراسات تركيبية

في

اللهجات العربية القديمة

القسم الأول : دراسات تركيبية في الساميات واللهجات العربية البائدة

تمهيد :

الباب الأول : القبائل العربية وإشكالية اللهجة النموذجية

الفصل الأول : التقاطعات الفضائية للقبائل العربية

الفصل الثاني : فصاحة قبيلة قريش ؟

الفصل الثالث : اللغة النموذجية ومواقعها بين القبائل

الباب الثاني : دراسات تركيبية في اللغات السامية

الفصل الأول : السامية والساميون

الفصل الثاني : العلاقات اللغوية بين اللغات السامية

الفصل الثالث : التراكيب اللسانية في اللغات السامية

الباب الثالث : دراسات تركيبية في اللهجات العربية البائدة

الفصل الأول : في البنية السانتكسية

الفصل الثاني : في البنية المورفولوجية

الفصل الثالث : في البنيتين : المعجمية والدلالية

الفصل الرابع : في البنية الصوتية بين الملفوظ والمكتوب

تمهيد

ان الدراسات التركيبية للهجات العربية القديمة من بائدة وباقية تلزم الباحث فيها أن يحضر لها تمهيدا يشمل رؤى متعددة، وبدا لنا أن مباحث أو عناصر هذا التمهيد بقدر ما لها ارتباط أرضي وفضائي بالموضوع بقدر ما هي متعارضة معه لو أقدمنا على إدماجها ضمن فصل من فصول القسم الأول.

وهذه النقاط تتجلى لنا في ثلاثة عناصر:

1) مواقع بلاد العرب

2) طبقات العرب

3) اللهجات بين المواقع والطبقات

أما فيما يخص الساميين أو الشعب السامية، ولا سيما فيما يخص المهد الأصلي لها والذي يعتبر المنطلق الأكثر احتمالا لتحديد اللغة الأصلية لهذه الشعوب من جهة، وترجيح اللغة الأم أو اللغة السامية الأولى التي اشتقت منها باقي اللغات السامية الأخرى، بما فيها اللغة العربية الباقية ولهجاتها البائدة، فإننا ارتأينا أن نؤخره الى صدر الباب الثاني حين الحديث عن التراكيب في هذه اللغات.

أولا : مواقع بلاد العرب (أو المناطق اللغوية)

سأحاول ، بادئ ذي بدء ، الحديث في هذا العنصر وفق الفقرات المتتابعة الآتية :

أ) حدود بلاد العرب :

المقصود ببلاد العرب وحدودها هنا تلك المساحة الواسعة التي سكنها العرب القحاح قديما ، والتي كانت شبه الجزيرة العربية الحالية ،مع سيناء ، وفلسطين ،وسورية .وتشير بعض الأحداث (1) الى أن بلادهم كانت أوسع من هذا الجزء الجغرافي ، ولذا فان هناك أنواعا من التقسيمات ((قد تكون جغرافية ،واجتماعية ، أو سياسية)) (2) ،فقديما ـ مثلا ـ كانوا يقسمون أرض العرب تبعا لطبائع أهلها ، وأسلوب حياتهم ،فيقسمونها الى البادية في الشمال ، وتشمل شبه الجزيرة العربية من مشارف الشام الى نجد والحجاز ، والى الحاضرة في الجنوب ،وتشمل سائر شبه الجزيرة العربية وتضم نجدا والحجاز واليمن (3) .

وأما الحدود التقليدية لشبه الجزيرة العربية ،فيحدها شرقا الخليج العربي ،وغربها بحر القلزم ،وجنوبها البحر العربي والمحيط الهندي ،وشمالا بادية الشام ،وهذه هي المنطقة التي جاء الاسلام

---

1) سنقف على جزء من هذه الأحداث حين الحديث على العرب البائدة (انظر العنصر الثاني)

2) العرب والحضارة ص : 9 . د .علي حسن الخربوطلي

3) م. س : ص: 10

والعرب بهـا مقيمـون ،حيث نمت العربية بها وشبت واكتهلت .

ب) تقسيم الأجانب القدماء :

قسم الجغرافي اليوناني (بطليموس) قديما بلاد العرب الى ثلاث مناطق شاسعة ،تتعدى حدودها السياسية والطبيعية المعروفة : (1)

1) بلاد العرب الصخرية

2) بلاد العرب الصحراوية

3) بلاد العرب السعيدة

ويقصد بطليموس بالبلاد الصخرية أو الحجرية المنطقة الشمالية الشاسعة الممتدة نحو جهة الغرب حتى تشمل سيناء وبلاد النبط ، وهي أرض جبلية ومرتفعات تصدق عليها هذه التسمية ويعني بالصحراوية ما أصبح يعرف فيما بعد ببادية الشام ،وهي المناطق التي كانت قديما مأهولة بالقبائل البدوية ، وأما بلاد العرب السعيدة فيعني بها الأقسام الكبرى لشبه الجزيرة العربية أي وسطها ، وشمالها ،وجنوبها .

ج) تقسيمات جغرافيي العرب :

وقع بين العرب تفاوت خلافي بشأن تقسيم بلاد العرب

---

1) م.س.ن : ص.ع

فالمدائني قسمها خمسة أقسام ، وهي :

1) اليمن . 2) العروض . 3) الحجاز . 4) نجد . 5) تهامة (1)

وزاد ابن حوقل عليه ببادية العراق ، وبادية الجزيرة الفراتية ، وبادية الشام ، وهذه الزيادة سليمة وصحيحة لكون العرب حقا كانوا منتشرين في هذه البوادي ، ولكن رغم صحة هذا التقسيم لابن حوقل ، الا أنه أدنى الى التقسيم السياسي والاجتماعي منه الى التقسيم الجغرافي . وأما تقسيم الاصطخري لها فلا يكاد يختلف كثيرا عن تقسيم المدائني (2) .

وعد بعض القدماء بلاد العرب أربعة أقسام :

1) المدينة (يثرب) . 2) مكة . 3) اليمامة . 4) اليمن

أو هي : مكة ، والمدينة ، واليمن وقرياتها (3) .

ولبعض اللغويين الذين جابوها ورووا عن أهلها مثل الأصمعي وأبي عبيدة ، .... تقسيمات لا تكاد تضاهي تقسيم الجغرافيين العرب (4) ، ولعل نظرتهم إليها لغويا كانت أكثر منها جغرافيا . أما البكري ، وهو من القدماء ، فقد قسمها الى خمس مناطق :

1) تهامة . 2) الحجاز . 3) نجد . 4) العروض . 5) اليمن

---

1) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص: 16 القلقشندي . ط1/ 1959م . مطبعة مصر

2) المسالك والممالك ص: 20 الاصطخري . ط: 1969 . دار القلم ـ القاهرة

3) معجم ما استعجم : ج 1 ص: 5 . البكري . مطبعة لجنة التأليف ـ القاهرة

4) م . س ص: 6

وهذا مما هو عليه المدائني ، والاصطخري ، وأثبت القلقشندي تقسيمات هؤلاء العلماء الثلاثة (1) .

جغرافية المناطق الخمس :

1) الحجاز : هي المنطقة التي تحجز فيما بين اليمامة والعروض ، وفيما بين اليمن ونجد (2) أو هي المنطقة المحصورة ما بين تهامة ونجد (3) . وسمت العرب الحجاز حجازا لأنه يحجب جبل السراة الحاد بين تهامة ونجد والمقبل من قصرة اليمن ، وهو أعظم جبال العرب (4) . وقال ابن دريد : ((سمي حجازا لأنه حجز بين نجد والسراة)) (5) . بينما قال الخليل بن أحمد : ((سمي حجازا لأنه يفصل بين الغور وبين تهامة الشام ، وبين تهامة ونجد)) (6) . والحجاز كمنطقة تقع شمالي بلاد اليمن أي شرقي تهامة ، ولم يكن ببلاد الحجاز ما يسمى بالدولة العربية قبل الاسلام ، وانما كان لها مدن لكل منها نظام سياسي (7) .

---

1) نهاية الأرب ص: 16
2) معجم ما استعجم 1/ص: 10
3) نهاية الأرب ص: 16
4) معجم ما استعجم 1/ص: 8 وكذلك 3/ص: 710
5) معجم ما استعجم 1/ص: 11
6) م.س.ص: 12
7) قيام الدولة العربية الاسلامية ص: 40 . د . محمد جمال الدين . ط: 5/ 1969 دار الفكر العربي

ومن مدن وقرى الحجاز مكة ، وعلى بعض الأقوال قطنهـــما أول من قطنهـــا العمالقــة، ثم جرهم من بعدهم (1) حتى كان الا الأزد بعد سيل العرم، ثم حلت بهــا بعــد هؤلاء خـزاعة التــي كــان لهــا شأن عظيم مع قريش، ثم كنانة ، وأخيرا قريش حتى مجيء الاســلام .

وتعتبر مكة من أهــم حواضر الحجاز قديما (قبل الاسلام على الاقل) وكان المجتمع الذي يتألف من احدى قبائل كنانة ، وهي قريش البطاح ، وقريش الظواهــر (2) ، وقــد تجمعت الثروة والزعامة في يد هؤلاء حتى ظهور الاســلام ، ومن جرهم اليمنية تزوج اسماعيل الذي كانت منه العرب المستعربة فيما بعد ، وهم العدنانيون.

ومـن مدنــه وقــراه أيضـــا يثرب، وأول من سكنها العماليق ثم تتابعـت القبائل العربية اليمنية من أوس وخزرج ، والتــــي هــاجرت الى الشــمال اثر فاجعة سيل العرم (3) ، وتدفق هؤلاء على يثرب لأنها كانت ذات نخيل كثيرة ، ومياه عذبة (4) .

ومنه ايضا الحجر، وخيبر ، وجدة ، والطائف ، فأما الحجر فـهي قــرية صغيرة ، يحيط بها رمل لا يكاد يرتقي ((الى ذروة كل

1) مروج الذهب: 2/ص: 18 ، المسعودي ، دار الاندلس، بيروت
2) نهاية الارب ص: 397
3) ينظر في مروج الذهب: 2/ ص: 173
4) المسالك والممالك ص: 23

قسطعة منها أحد الا بمشقة شديدة)) (1) ،وكانت بها ديار ثمود ،ووصف المسعودي ملك هؤلاء بأنه كان بين ((الشام والحجاز الى ساحل البحر الحبشي .... وبيوتهم الى وقتنا هذا أبنية منحوتة في الجبال ،ورسومهم باقية ،وآثارهم بادية)) (2)

وأما الطائف فهي مدينة صغيرة ، وهي طيبة الهواء ،وهي على ظهر جبل غزوان الذي توجد به ديار بني سعد ،وسائر قبائل هذيل ،ووصفها الاصطخري بأنه ليس مكان هوف أبرد من رأس هذا الجبل ،وليس بالحجاز أيضا مكان يجمد فيه الماء سوى هذا الموضوع (3) . ولذلك يوصف الطائف باعتدال هوائه ،وتقع شرقي مكة ،وكانت تسمى وجار قديما (4) نسبة الى وج بن عبدالحي أحد العمالقة الذين سكنوها (5) ،وكانت الطائف قبل الاسلام مركزا تجاريا هاما ،حيث كانت طريق القوافل الممتد من ((جنوب بلاد العرب الى شمالها ،ومن العراق الى اليمن ،وكان هناك هد صلات قوية بين أهالي الطائف ومكة)) (6) .

وأما خيبر فهي حصن يشتمل على نخيل وزروع ،ومياه كثيرة ،وأشجار ،وعرفت في أول الاسلام أحداثا عظيمة)) (7) .

---

1) المسالك والممالك ص: 24
2) مروج الذهب 2/ ص: 14
3) المسالك والممالك ص: 24
4) معجم ما استعجم 3/ ص : 786
5) قيام الدولة العربية الاسلامية ص : 51
6) م. س .ص: 52
7) ينظر هذا في : معجم ما استعجم 2/ ص: 521 ـ 524 وغيره .

وأما القبائل التي استوطنت الحجاز أو ظعنت منها ، فسأشير اليها بين الفينة والأخرى حين حديثي المفصل على اقليم تهامة العظيم ،وستظهر القبائل التي استوطنت الحجاز أكثر وضوحا كلما تقدم البحث .

2) تهامة : هي الأراضي المبسوطة على شاطئ بحر القلزم الى سلسلة جبل السراة ،وهي عبارة عن جبل مقبل من اليمن حتى يتصل بالشام (1) ،مما يدل على شساعتها واحتوائها على عدة مجتمعات سكانية تربطهم تضاريس طبيعية واحدة منذ القدم ،وطرفها من قبل قبل الحجاز مدارج العرج ،وأولها من قبل نجد مدارج ذات عرق ، وسميت تهامة لتغير هوائها ،من قولهم : ((تهم الدهن ،وتمه ،: اذا تغيرت رائحته)) (2) ،ويعدها بعض جغرافيي العرب القدماء قطعة من اليمن (3) ،ويفهم من تحديد البكري لها أن مكة فعلا تدخل فيها (4) ،وبحكم قربها من البحر وسعتها فانها كانت تحتوي على قرى ومزارع ومياه معمورة بأهلها (5) . ويستفاد من الأخبار القديمة أن قضاعة كلها ظعنت عن غور تهامة ثم انتشرت في سائر البلاد طلبا لمتسع المعاش (6) .

---

1) نهاية الأرب ص : 17
2) معجم ما استعجم 1/ص : 322
3) المسالك والممالك ص : 26
4) معجم ما استعجم 1/ ص : 13
5) يراجع المسالك والممالك ص: 26
6) معجم ما استعجم 1/ ص : 25

وبعد مدة رجعت بعض القبائل القضاعية الى بلادهم من تهامة والحجاز (1) .

ويظهر أن بني نزار هم من كانوا أخرجوا قبائل قضاعة وشردوهم في سائر البلاد ، لأن بعض الأخبار تشير الى أن قبائل بني نزار لما كثروا خرجوا من تهامة الى ما اليها من نجد والحجاز، فأزالوا من كانوا بها أيضا من أشاب كلب بن وبرة وابن ربان ، وعصية (2) ، ووقع لهذه القبائل الأخيرة نفس ما حدث للقبائل القضاعية من ذي قبل ، بل هناك رواية تصرح بوضوح أن ولد معد بن عدنان ومن كان معهم ، أقاموا في منازل قضاعة من تهامة بعد خروج هؤلاء منها (3) ، الشيء الذي يوحي بوجود قبائل قضاعة قبل قبائل عدنان في هذه المنطقة .

ومع تماشي الزمن ودنوه من العصر الجاهلي ، أصبحنا لانعرف من كان يسكن هذه المنطقة وما يليها من ظواهر نجد غير أحفاد أبناء نزار الأربعة : من مضريين وربعيين وايا ديين وأنماريين ، الا أن بني مضر وربيعة ما لبثوا أن تظاهروا على اياد فهزموهم ، وظهروا عليهم فخرجوا الى سواد الكوفة التي أقاموا بها دهرا ، ثم ما لبثوا أن خالطوا أهل أرض الجزيرة هناك حتى

---

1) م.س . ن . ص: 27

2) م.س.ن . ص: 45

3) م.س. ن.ص: 52

صاروا كالملح كثرة (1) ،بل نافسوا الملك الفارسي حتى انهم قد هزموهم على شاطئ الفرات (دير الجماجم) (2) .

وبعد خروج اياد من تهامة لم يبق بها .. وبغورها من ولد عدنان غير مضر وربيعة ومن كان معهم أو دخيلا فيهم أو مجاورا لهم (2) ،وبدا أن بني ربيعة انتشروا في أهم مناطق تهامة (3) لما كثروا وتضايقوا ،ثم في بلاد نجد والحجاز (4) و بعد اقتتال بين ربيعة (5) وضعفهم ، خلا الجو عند ئذ الى قبائل مضر التي أقامت في منازل ربيعة من تهامة وما والاها بعد خروج هؤلاء منها ، بيد أن بني مضر، هم الآخرون ،بغوا على بعضهم بعضا ،حتى ظهرت خندف على قيس (6) .

والى هذا الحين فتحت أبواب هذه المنطقة من جميع جهاتها أمام جميع القبائل العربية العدنانية ،اذ أصبحنا نلاحظ أن هوازن تنزل ما بين غور تهامة الى ما والاها ، وحركة تظهر على طابخة ، فتستقر بها الأولى ،وتهجر منها الثانية الى ظواهر نجد والحجاز (7) .
وهنا يستفحل التداخل القبلي ،ويزيد التداني بين قبائل ،والتنائي بين قبائل أخرى .

---

1) م.س. ن.ص: 69
2) م.س. ص: 76 و 79
3) م.س. ص: 79
4) م.س. ص: 82
5) م.س. ص: 85
6) م.س. ص: 87
7) م.س. ص: 87

3) نجد : قطر واسع ، ومركزها من الجزيرة العربية كمركز القلب من الجسد ، ونجد هي المنطقة المحصورة ما بين الحجاز الى الشام الى العذيب ، وقد يضم اليها الطائف والمدينة (1) ، والأصح أنهما من الحجاز ، ولكن هذا الاختلاف بين جغرافيي العرب يدل على شساعة هذه المساحة من وسط الجزيرة الى حديها الغربي والشرقي معاً ، وحددها البكري بأنها ما بين جرش الى سواد الكوفة ، وآخر حدودها مما يلي المغرب الحجازان : حجاز الاسود ، وهو سراة شنوءة ، وحجاز المدينة المعروف الذي تقدم ، ومن قبل الشرق بحر فارس ، ويذكر أن نجداً كلها من عمل اليمامة (2) .

وتشير بعض الأخبار الى أن أول من ورد على نجد فأصحر في صحرائها قبائل من قضاعة (3) ، وقد يكون هؤلاء من كان بنو نزار طردوهم من تهامة وما والاها فطلعوا الى نجد ، ولعل هذا البلد كان أقل الأقاليم الأخرى أناساً لقساوة مناخه الصحراوي من جهة جهة ، وبعده عن الشرق والغرب ذوي المناخين من جهة ثانية ، في حين أنه كان قنطرة شاقة يجتابها المتجهون شطر الحجاز ، أو صوب فارس .

وبعد ظهور خندف على قيس ، هجر المغلوبون من تهامة

1) م.س. ص : 10 ونهاية الارب ص : 17
2) معجم ما استعجم 1/ ص : 13
3) م. س . ص : 30

طعينا لعين الى بلاد نجد والا قبائل منهم انحازت الى أطراف الغور من تهامة (1) ،ولذلك رأينا أن طابخة بن الياس بعد هزيمتها أمام مدركة بن الياس في تهامة ظعنت من هذه الأخيرة الى ظواهر نجد والحجاز ،ولما جاء الاسلام كان بهذا البلد عدة قبائل عربية مشهورة ،سنذكرها ، بمشيئة الله، أثناء الكلام على طبقات العرب .

4) العروض : هي ما بين تهامة الى البحرين ،وقد عرفت باليمامة ،وتشمل ناحيتين : اليمامة والبحرين (2).

أ) اليمامة : وقيل انها من الحجاز[3] ،وهذا بعيد ،لأن بعض الناس يقولون اليمامة ،ويريدون العروض لا الحجاز ،وكانت مدينة اليمامة أقل من مدينة يثرب حتى زمن النبي (ص) (4) ،وهي أكثر ثمرا ونخلا من سائر مدن الحجاز (5) ،وبها كان مسيلمة الكذاب، وفيها قتل من قتل من حفظة القرآن من المسلمين .

ب) البحرين : تدخل البحرين في منطقة العروض ،وأشهر مدنها هجر ذات النخل والتمر الكثيرين ،والتي خربها القرامطة فيما بعد (6) ،وتوجد البحرين شط الخليج العربي ،ولها قرى كثيرة قد احتفتها قبائل من مضر (7) ،وهي تحتل المنزلة

1) م.س. ص: 87
2) م.س. ص: 9 ونهاية الأرب ص: 17
3) نهاية الارب ص: 17
4) المسالك والممالك ص: 23
5) نهاية الارب ص: 17 . 6) م.س. ص: 17
7) المسالك والممالك ص: 23

الشا لئة كبرا بعد مكة ويثرب (1) .

ولعل أول الاخبار التي تطالعنا عمن سكن البحرين من القوم ـ بالنسبة للعرب الباقية ـ أن ناسا من الأشعريين وآخرين من قضاعة قصدوها حتى وردوا هجر ،وبها يومئذ قوم من النبط فأجلوهم (2).

وكان بنو عبد القيس (من ربيعة) ممن آثروا البحرين وهجر موطنا لهم ، ثم أجلوا ايادا التي كانت سبقتهم منذ مدة ، ولما غلبت عبد القيس على البحرين وزعها أبناؤها فيما بينهم (3).

وأما اليمامة فقد كانت كل عشيرة طارئة تباغت النازلة بها فتهزمها وتجليها ،ثم تمكن في ديارها ، حتى كان بنو حنيفة الذين سكنوها وتحصنوا فيها منتشرين في نواحيها ،ومن بينهم بنوبكر ابن وائل ،وعنزة (بفتح العين والنون) ،وضبيعة الذين انتشروا فيما بين اليمامة والبحرين الى اطراف سواد العراق وناحية الابلة.

5) اليمن ،وهو بلد عظيم ،ساحته واسعة ، وأطرافه متعددة ومتباعدة ،ومنه قبائل كثيرة هاجرت نحو الشمال ، وتداخلت مع القبائل العدنانية وتشابكت معها نسبا ودما ،وتنافست

---

1) م.س .ص : 23

2) معجم ما استعجم 1/ص : 21

3) م.س . ص : 80 ـ 81

معها موطنا ، حتى فرضت نفسها عليها بالقوة ،وأضحت من أولات
الأمور الهامة في النواحي الشمالية ، حتى انها كونت بها ممالك
وأحلافا ومعاهدات مع الدول الأجنبية المجاورة ،حتى أصبح عسيرا
على النسابين فيما بعد فرزها من بين ار القبائل الشمالية فرزا خالصا .

وباليمن مدن كثيرة من مشاهيرها زبيد ،ونجران ،وهذه
الأخيرة ذات نخيل وأشجار ،وهي غير بعيدة عن قاعدتها القديمة
(صنعاء) ، وهي بين عدن وحضرموت في جبال ،وهي من بلاد همدان
بين قرى ومدائن وعمائر ومياه ،ومن أشهر بلادها ايضا ظفار (1).

ومهاجرة قبائل يمنية صوب الشمال أو مهاجرة أخرى
شمالية أو عدنانية (2) نحو الجنوب عدت من الأمور التي
تجاوزتها البحوث ،وزالت عنها الشكوك ،ولهذا فانني مقتنع بهذه
التبادلات الهجرية ،وبهذه الاختلاطات النسبية والدموية ،
فضلا عن الأحداث السياسية والعلاقات التجارية المحكمة والتجارية ...

وكان لهذا التداخل القبلي والجغرافي ... شأن عظيم
على التداخل اللهجي والتواصل الثقافي والعلا والمعرفي بين سائر
القبائل العربية في هذه الأقاليم الخمسة وما صاقبها

1) ينظر هذا في نهاية الأرب ص: 17 - 18
2) قلت: (شمالية أو عدنانية) تحفظا ولان كلمة العدنانية او حتى الشمالية تصدق على هذه القبائل وحدها قبل مهاجرة اليمنية اليها ،أما بعد مهاجرة هذه الأخيرة نحو الشمال ،فأصبحت كلمة العرب الشمالية تعني سائر القبائل العربية من عدنانية وشمالية

ووالاها من أطراف ،

لكن لو قدر لي أن أتحدث عن هذا التداخل اللهجي تبعا للتداخل القبلي في نهاية هذا العنصر لكان حديثي قاصرا ، لكوني لم أتحدث بعد لا تلميحا ولا تصريحا ، عن طبقات العرب من الناحية النسبية ، ولهذا فقد آثرت الكلام أولا عن هذه الطبقات في مرحلتيها الأخيرتين (البائدة ، الباقية) ، حتى يظهر التداخل القبلي أكثر وضوحا من جهة ، وحتى يكون هناك صلة وربط بين أصل هذه الطبقات وبين لهجاتها التي سيلمح اليها من خلال هذه التداخلات خلال حديثنا عن اللهجات بين المواقع والطبقات في العنصر الثالث وفي غيره مما سيلي أثناء البحث .

ثـانيـا : طبقات العـرب

عرف الجوهري العرب بقوله : ((العرب : جيل من الناس والنسبة اليهم عربي بين العروبة ،وهم أهل الأمصار . والأعراب منهم سكان البادية خاصة . وجاء في الشعر الفصيح : الأعاريب ،والنسبة الى الأعراب أعرابي ،لأنه لا واحد له ،وليس الاعراب جمعا لعرب ،كما كان الأنباط جمعا لنبط . وانما العرب اسم جنس .والعرب العاربة هم الخلص منهم ،وأخذ من لفظه فأكد به ،كقوله : ليل لائل ،وربما قالوا : العرب العرباء . والعرب المستعربة هم الذين ليسوا بخلص ،وكذلك المتعربة . والعرب وال العرب واحد مثل العجم والعجم)) (1) .

يفهم مما أورده اسماعيل بن حماد الجوهري أن العرب نوعان : عاربة ومستعربة أو متعربة ،والعاربة في نظر القدماء هم أول من تكلموا العربية ((والعربية هي هذه اللغة ، ويعرب بن قحطان أول من تكلم بالعربية ،وهو أبو اليمن كلهم)) (2) ،وأما العرب المستعربة أو المتعربة فهم الداخلون في العربية بعد العجمة ، وهناك تقسيم آخر لا يبتعد عن تقسيم الجوهري :

1) الصحاح :1/ ص: 178 - 179 (مادة : عرب) لاسماعيل بن حماد الجوهري - ط:3/ 1984 . دار العلم للملايين . بيروت
2) م. س ، ص : 179

1) عرب عاربة

2) عرب متعربة ،وهم الذين ليسوا بخلص ٠

3) عرب مستعربة ،وهم الذين ليسوا بخلص أيضا (1) ٠

ثم قسم المؤرخون العرب الى بائدة وغيرها ،فالبائدة من بادوا وليس على أديم الأرض أحد يصح أنه منهم ،الا أن يدعي أحد ما لا يثبت(2) ومن العرب البائدة الذين درست آثارهم : عاد ،وثمود ،وطسم ، وجديس ،خ٠٠٠٠ ومن غير البائدة ،وهم الباقون ، في القرون المتأخرة بعد ذلك من القحطانية ، كطيء ،ولخم ،وجدام ،ومن كان في نسبهم، ومن العدنانية كفزارة ،وسليم ،وقريش ،ومن في معناهم ٠

والذي أميل اليه ،تقسيم أحد المحدثين العرب الى ثلاثة أقسام أو ثلاث طبقات : (3)

1) العرب البائدة أو عرب الشمال ٠

2) العرب القحطانية أو عرب الجنوب (أو دون الجنوب) ٠

3) العدنانية أو عرب الشمال في الطور الثاني ٠

وهذا أقوم تقسيم ـ في نظري ـ لأنه قائم على دلائل تاريخية وطبيعية ،منها أن العرب البائدة كانوا في الشمال ،وهم مجن

---

1) ينظر ملخص هذا التقسيم في المزهر: 1/ص : 31 للسيوطي (مطبعة عيسى البابي الحلبي)
2) يستقصى هذا في جمهرة أنساب العرب ص: 8 ٠ ابن حزم (دار المعارف ٠ مصر)
3) العرب قبل الاسلام ص : 38 جرجي زيدان (منشورات المكتبة الاهلية)

ورد ذكر بعضهم في القرآن الكريم الذي ... صرّح بالكثير من أحداثهم وأخبارهم وأوصافهم ،ولا سيما ما يتعلق بعاد وثمود ،حيث ورد ذكر الأولى فيه في أربع وعشرين آية موزعة على أ تسعة عشرة سورة ، كقوله تعالى :

- ((وأنه أهلك عاداً الأولى ، وثموداً فما أبقى)) (1)

- ((كذبت ثمود وعاد بالقارعة ، فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية ،وأما عاد فأهلكوا بريح صرصرٍ عاتية ،سخرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخلٍ خاوية ، فهل ترى لهم من باقية)) (2)

- ((وعاداً وثمود وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً)) (3)

- ((ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعادٍ وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله ...الآية)) (4)

- ((واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عادٍ وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً ... الآية)) (5)

- ((وعاداً وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم .....الآية)) (6)

- ((ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، إرم ذات العماد ، التي لم يخلق مثلها في البلاد ، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد)) (7) .

---

1) سورة النجم من آية : 50 الى آية : 51

2) سورة الحاقة من آية : 4 الى آية : 8

3) سورة الفرقان آية : 38

4) سورة ابراهيم آية : 9 . 5) سورة الأعراف آية : 74

6) سورة العنكبوت آية : 38 . 7) سورة الفجر من آية : 6 الى آية : 9

بينما جاء ذكر الثانية فيه - أي ثمود - في ثلاث وعشرين آية موزعة على اثنتين وعشرين سورة ،ولذلك فان القرآن الكريم يعد المصدر الأوثق لتتبع أحوال وتاريخ العرب البائدة ،ولذا فان معظم ماورد في غير القرآن ينبغي الحيطة من صحته أو زيفه ، ولربما بث هذه الشكوى غير واحد من المهتمين والمسجلين للثقافة العربية القديمة ، فهذا ابن سلام ينتقد محمد بن اسحاق : ((فكتب في السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرا قط ،وأشعار النساء فضلا عن الرجال ،ثم جاوز ذلك الى عاد وثمود ، فكتب لهم أشعارا كثيرة ،وليس بشعر ،انما هو كلام مؤلف معقود بقواف . أفلا يرجع الى نفسه فيقول : من حمل هذا الشعر ؟ ومن أداه منذ آلاف من السنين ؟)) (1) . ثم أردف قائلا : ((فنحن لا نقيم ... في النسب ما فوق عدنان ،ولا نجد لأولية العرب المعروفين شعرا ،فكيف بعاد وثمود ؟ فهذا الكلام الواهن الخبيث ،ولم يروقط عربي منها بيتا واحدا ،ولا راوية للشعر)) (2) مستشهدا بقول أبي عمرو بن العلاء المشهور : ((ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا ،ولا عربيتهم بعربيتنا ،فكيف بها على عهد عاد وثمود ، مع تداعيه ووهيه ؟)) (3) .

ومنها أي العرب القحطانية من نزلوا بجوار اسماعيل الذي أصهر فيهم ،أي كانوا سابقين عليه وجودا داخل شبه الجزيرة العربية ، واخيرا كان العدنانيون منه وهم عرب الشمال في الطور الثاني أي العرب المستعربة .

---

1) طبقات فحول الشعراء ص: 8 ج محمد بن سلام الجمحي (السفر الاول ،مطبعة المدني القاهرة)

2) م.س.ص : 11

3) م.س : ص.ن

وقيل : ان هؤلاء العرب مروا بثلاثة أدوار قبل الاسلام :

- الدور الأول : وهم العرب البائدة ، من أمثال عاد وثمود ، وسيأتي التلميح الى بعض آثارهم اللهجية التي وجدت مكتوبة بالمسند .

- الدور الثاني أو الدور المتوسط ، وقد كانت السيادة فيه لعرب القسم الجنوبي وأكثرهم قحطانيون ، باعتبار الدول الجنوبية المتتابعة الكبرى التي كانت في هذا الدور .

- الدور الثالث : هو الأحدث ، وقد رجعت فيه السيادة الى القبائل الشمالية ، وأكثرهم من العدنانيين ، وتنتهي هذه السيادة بظهور الاسلام .

1) العرب البائدة أو عرب الشمال :

كان لهؤلاء العرب في دورهم الأول مركز خطير في شمال شبه الجزيرة العربية ، وملك واسع حتى بلغ الشام ومصر ، وكان لهم قصور وآطام الى ان غلب عليهم بنو يعرب بن قحطان ، وبين العرب البائدة والبائدة قصة يجعل ابن خلدون هذا التسلسل التاريخي لوجودهم وملكهم قائلا : ((واعتبر هذا بما وقع في العرب لما انقرض ملك عاد قام به من بعدهم اخوانهم من ثمود ، ومن بعدهم اخوانهم العمالقة ، ومن بعدهم اخوانهم من حمير أيضا ، ومن بعدهم اخوانهم التبابعة من حمير أيضا ، ومن بعدهم الأذواء ، كذلك ثم جاءت الدولة لمضر)) (1)

المقدمة ص : 146 ابن خلدون (ط. مصطفى محمد - القاهرة)

وعادة ما يطلق العرب لفظ العماليق على هؤلاء العرب البائدين والذين كانوا يسكنون في حقب غابرة شمالي الحجاز، وما يلي جزيرة سيناء، ويذهب العرب الى أن العمالقة وغيرهم من العرب البائدة جاؤوا من بابل حين زوحموا من لدن بني حام الى جزيرة العرب... وباختصار، فان العرب الموثوق بوجودهم (أي العرب البائدة) هم ثماني قبائل :

1) عاد ، وكانت منازلهم بالأحقاف . قال الله تعالى : ((وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ ....الآية)) (1). والأحقاف توجد بين اليمن وعمان : من البحرين الى حضرموت والشجر (2) ،وهؤلاء من بعث فيهم النبي هود - عليه السلام - فلم يؤمنوا ،فأهلكهم الله بريح صرصر عاتية في سبع ليال وثمانية أيام (3) .

2) ثمود ، وكانت ديارهم بالحجر ووادي القرى بين الحجاز والشام(4)، قال الله تعالى : ((وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ،وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ،وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ،فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ،فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ)) (5) ، وفيهم بعث النبي صالح ،فلم يؤمنوا به ،وعقروا ناقته ، فأهلكهم الله بصيحة من السماء .

---

1) سورة الأحقاف : آية : 21

2) صبح الأعشى 1/ص: 313 . القلقشندي (المؤسسة المصرية العامة).

3) راجع هـ: 2 من ص : 20

4) صبح الأعشى 1/ ص : 313

5) سورة الحجر : من آية : 80 الى آية : 84

وفي هذا يقول ابن الأثير : "((وكانت مساكن ثمود بالحجر بين الحجاز والشام ،وكانوا بعد عاد قد كثروا وكفروا وعتوا فبعث الله اليهم صالح بن عبيد ... وكان الله قد أطال أعمارهم حتى ان كان احدهم يبني البيت من المدر فينهدم وهو حي ، فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا فارهين فنحتوها وكانوا في سعة من معايشهم)) (1) .

3) العمالقة : ذكر أن أمما منهم تفرقت في البلاد ،فكان منهم أهل البحرين وعمان والحجاز ،وملوك العراق ،والجزيرة ،وجبابرة الشام ، وفراعنة مصر (2).

4) طسم ،وذكر الجوهري أنهم من عاد ، وكانت منازلهم بالأحقاف باليمن ،وذكر غيره أن ديارهم كانت باليمامة ،وكان هلاكهم بسبب الحرب بينهم وبين اخوانهم جديس (3)

5) جديس ،وكانت منازلهم بجوار اخوانهم طسم ،وكان هلاكهم بسبب الحرب أيضا بينهم وبين طسم (4)

6) عبد ضخم ،وكانوا يسكنون الطائف ،ويقال : ان هؤلاء أول من كتب بالخط بالخط العربي (5) ،وليس بعيدا أن يكون هؤلاء أصحاب الخط

1) الكامل في التاريخ :1/ص: 50 لابن الأثير (ط2/ 1980 .دار الكتاب العربي،بيروت)
2) صبح الأعشى 1/ص: 313
3) م.س.ص : 313 ـ 314
4) م.س .ص : 314
5) م. س. ص : ن. ص

المسند الذي اكتشفت به نقوش بعض البائدين من اخوانهم ، ثم لما كان الدور الثاني الذي انتقلت فيه السيادة للقحطانية وأنشأت حضارة زاهية في الجنوب اتخذت هذا الخط ،فعرفت به لكونها صاحبة حضارة مادية تاريخية ،وذات عهد قريب من الجاهلية .

7) جسرهم الأولى ، وكانوا على عهد فبادوا .

8) مدين ، وكانت ديارهم من أطراف الشام ،مما يلي الحجاز قريبا (1) .

وفيهم بعث شعيب ـ عليه السلام ـ كما جاء في غير موضع من القرآن :

— ((وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً ،فَقَالَ : يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَرْجُوا الْيَوْمَ الآخِرَ ، وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ)) (2) .

— ((وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبا قَالَ : يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ،قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ،وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ،ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)) (3) .

وقد يكنى أصحاب مدين بأهل الأيكة (4) ،وكانوا ((أهل كفر بالله ،وبخس للناس في المكاييل والموازين وافساد أموالهم)) (5) .وقيل : ((بعث الله شعيبا الى أمتين الى قومه : أهل مدين ،والى أصحاب الأيكة ، وكانت الأيكة من شجر ملتف ،فلما أراد الله أن يعذبهم بعث عليهم حرا شديدا،

---

1) م.س.ن : ن.ص

2) سورة العنكبوت : آية : 36

3) سورة الأعراف : آية : 85

4) الأيكة : شجر ملتف،ولذلك حين أراد الله اهلاكهم محقهم بنقيض مناخهم

5) الكامل في التاريخ 1/ص : 89

ورفع لهم العذاب كأنه سحابة ،فلما دنت منهم خرجوا اليها رجاء بردها ،فلما كانوا تحتها أمطرت عليهم نارا)، (1) ،وذلك مصداقا لقوله تعالى :

((فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ . إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)) (2)

غير أن البعض روى عن ابن عباس أنه قال : ((من حدثك ما عذاب يوم الظلة فكذبه)) (3) ،في حين أن مجاهدا قال : ((عذاب يوم الظلة هو اظلال العذاب على قوم شعيب)) ،(4) .

2) القحطانية أو دول الجنوب :

يرجع عرب اليمن هؤلاء الى يعرب بن قحطان (5) ، وهؤلاء اقتبسوا اللغة العربية من العرب العاربة ،وهي البائدة . لكن الناس يختلفون اختلافا كبيرا في شأن القحطانيين ونسبهم وعلاقتهم باسماعيل وكذا لغتهم ، ونلخص هنا ما جاء عند المسعودي ،حيث ان قحطان ، انما هو يقظ يقطن ثم عرب فقيل له : قحطان ،وكان البعض ينكر أن يكون قحطان من ولد اسماعيل،ذاهبين الى ان اسماعيل انما تكلم بلغة جرهم ، باعتباره كان سرياني اللسان على لغة أبيه سيدنا ابراهيم ،وذلك بعد أن صاهرجرهم . هذا في الوقت الذي تنكر فيه نزار أن يكون اسماعيل نشأ على لغة جرهم ،قائلين : ان الله عزوجل

1) الكامل في التاريخ :1/ص : 89
2) سورة الشعراء : آية : 189
3) الكامل في التاريخ :1/ص: 89
4) م. س : ن. ص
5) العرب قبل الاسلام ،ص: 109

أعطاه هذه اللغة مردفين ومحتجين : ((ولغة جرهم غير هذه اللغة ،ووجدنا لغة ولد قحطان بخلاف لغة ولد نزار بن معد ،فهذا يقضي بابطال قول من قال : ان اسماعيل اعرب بلغة جرهم ،ولو وجب أن يكون اسماعيل انما كان عربي اللسان لأجل جرهم ونشئه فيها لوجب أن تكون لغته موافقة للغة جرهم أو لغيرها ممن نزل مكة ،وقد وجدنا قحطان سرياني اللسان ، وولده يعرب بخلاف لسانه ،....)) (1) .

على أي حال ،فان الأشهر من هؤلاء شعبان :

آ) جرهم : وهي غير جرهم البائدة ، وكانت تسكن باليمن ثم انتقلت الى الحجاز ،حيث نزلت بمكة بعد قليل من نزول اسماعيل وأمه (2).

ب- يعرب : وهم بنو يعرب بن قحطان ،ويقال : ان العرب سميت به عربا ،ومرجع المشهور الى هذا الشعب قبيلتان :

1) حمير : ومنه غالب قبائل قضاعة (3) التي وجدناها تسكن تهامة قبل حلول العدنانيين بها ،ومن قضاعة سبعة أحياء :

آ- بلي ، ب- جهينة، ج- كلب، د- عذرة ،هـ- بهرا ، و- بنو نهد ، ز- جرم .

2) كهلان : وهم أحياء كثيرة ،والمشهور منهم احد عشر حيا :

آ- الأزد ،وقسمها الجوهري ثلاثة أقسام : (4)

---

1) مروج الذهب 2/ص: 46 وقبلها ص: 44و45 . المسعودي (ط/1 1965/ دار الأندلس - بيروت)

2) صبح الاعشى 1/ص: 315

3) م،س ،ع : ن،ص

4) م،س،ن،ص: 318 - 319

1) أزد شنوءة ،وهم بنو نصر بن الأزد .

2) أزد السراة ،وهم موضع بأطراف اليمن ،نزل بها قوم منهم فعرفوا بها

3) أزد عمان ،وهي مدينة بالبحرين ،نزلها قوم منهم فعرفوا بها ،ومن الأزد بطون كثيرة ،ومن أشهرها غسان ، والأوس والخزرج .

ب ـ طيء : وخرجوا من اليمن على اثر خروج الأزد عند تشتتهم بسيل العرم ،فحطوا بنجد والحجاز على مقربة من بني أسد ،حتى غلبوا على جبليها ؛ أجا وسلمى من بلاد نجد فاحتلوهما .

ج ـ مذحج : ومن هذا الحي بطون كثيرة منها ؛ بنو خلان الذين كانوا مقيمين في شرقي بلاد اليمن ،وجنب وسعد العشيرة ،ومن بطون سعد العشيرة زبيد الاكبر ،وهم زبيد الحجاز ،ومنها النخع ،وبنو الحارث بن كعب ،وكانت ديار بلحارث بنواحي نجران من اليمن (1).

د ـ كندة : وكان لهم ملك باليمن ثم أصبح لهم بالحجاز .

هـ ـ همدان : وكانت ديارهم شرقي اليمن (2).

و ـ مراد .

ز ـ أنمار ،ولها بطنان ؛

1) بجيلة ،وكانت منازلهم في سروات اليمن والحجاز الى تهالة (3)

2) خثعم ؛ وكانت ديارهم مع اخوتهم بجيلة ،ومن خثعم هؤلاء بنو كلب

1) صبح الاعشى 1/ص ؛ 327.
2) م.س ،ن م،ص ؛ 328
3) م.س ج ، ص ؛ 329

وهم بطون كثيرة ،ومنازلهم بيشة في شرقي مكة (1)،والذي وقفت عليه أن النسابين متعارضون في نسبة بجيلة وخثعم الى القحطانية أو العدنانية .

ح - جـذام .

ط - لخم ،وكان لهم ملك بالحيرة .

ي - الأشعريون ،وهم رهط ابي موسى الأشعري .

اي -عاملة .

3) العدنانية أوعرب الشمال في الطورالثاني :

أقول : عرب الشمال ،ولا أقول العدنانية ،لأنه قبل حلول هذا الطورالثالث ،أصبحنا نعرف قبائل عدة هاجرت من اليمن الى أعلى الشمال واختلطت بهم نسبا فتعدننت ا وبقيت محافظة على نسبها ،أوظعنت قبائل من الشمال الى الجنوب فتقحطنت أوتيامنت ، واذا ما قلت العدنانية فاني أعني بهم في هذه المدة من يرجعون الى معد وحده ، واذا ما عممت عرب الشمال ،فاني اعني بهم هنا وفي هذه المدة أيضا كل القبائل التي استوطنت هذه المناطق الشمالية من قبائل قحطانية وعدنانية .

والمقصود بعرب الشمال العرب الباقون ،وهم العرب المستعربة الذين تعلموا العربية من العرب المتعربين السابقين ،كما أن

1) صبح الاعشى 1/ص : 330

هؤلاء الأخيرين أخذوا منطق اللغة عن العرب العاربة الأولين الذين كانوا عربا صرحاء خلصا ، وقد يقال : المستعربة المتعربة أيضا ،وكان عرب الشمال منتشرين في شمالي اليمن من بلاد نجد والحجاز وتهامة والعروض حتى مشارف الشام والعراق ،كما سبق التلميح الى ذلك .

ومرجع أشهر وأهم القبائل العدنانية الى :

آ ـ نزار بن معد بن عدنان ،وتتفرع عنه ثلاث قبائل :

1) اياد ، وهم من تقدم ذكرهم .

2) أنمار ،وفي هذا لبس بين كونه عدنانيا داخلا في اليمانية، أوهم أنمار بن أراش من بنت أنمار بن نزار ،وسيشار الى هذا في مكان مناسب ،ونحن نتحدث عن تقاطعات الفضاء الجغرافي لقبائل اللهجات الفصحى .

3) ربيعة،ولها بطنان : أسد ،وضبيعة .

فمن أسد بنو عنزة ،وكانت منازلهم خيبر من ضواحي المدينة ،وجديلة ، ومن هؤلاء عبد القيس ،وكانت دار هؤلاء بتهامة حتى خرجوا الى البحرين ،وزاحموا من بها ،ومن جديلة أيضا بنو النمر بن قاسط ومنها كذلك بنو وائل ،ومن وائل ظهر بكر وتغلب ،ومن بكر بن وائل بنو حنيفة ،ومنهم أيضا بنو عجل الذين كانت منازلهم من اليمامة حتى البصرة (1) .

1) صبح الأعشى 1/ص : 336 ـ 339

وأما ضبيعة فهي قبيلة أقل بطونا وأفخاذا من أسد ،حتى انه لم يشتهر منها بطن ، على عكس أختها أسد التي اشتهر منها بطون كثيرة .

ب - مضر : وهي الأكثر عددا وقوة وانتشارا ، حتى انه لكثرة قبائلها وبطونها غلبت على سائر العدنانية (1) .
ومن أهم وأشهر قبائلها :

1) هوازن : ومن هؤلاء بنو سعد الذين دخلوا التاريخ العربي الاسلامي من بابه الواسع بفضل رضاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ونشأته النشأة الأولى بين أحضانهم ، واكتسابه السلامة اللغوية من ملكتهم اللسانية الفطرية ،وتواصلاتهم الشفوية السليقية ،الى جانب فصاحة قومه قريش .

ومن هوازن بنو عامر بن صعصعة ، ومن هؤلاء بنو كلاب الذين كانت ديارهم حمى ضرية وحمى كليب ، وحمى الربذ الربذة في جهات المدينة ،وفدك ،والعوالي ،ومن بني عامر كذلك بنو هلال ،وبنو عقيل بن كعب ، وكانت مساكن هؤلاء الأخيرين بالبحرين في كثير من قبائل العرب مع بني تغلب وبني سليم ،الا أن بني تغلب كانوا أظهرهم في الكثرة والغلب (2) .

---

1) م.س.ن.ص: 338

2) م.س.ع.ص: 341 - 342

ومن بطون هؤلاء - أي هوازن - بنو جشم ، وكانت مساكنهم بالسروات ، وهي تلال تفصل بين تهامة ونجد ، وسروات جشم متصلة بسراة هذيل ، ومن بطونها أيضا ثقيف ، وكانت منازلهم بالطائف ، ويعزوها البعض الى مقاطعة نجد (1).

2) باهلة :

3) بنو مازن

4) بنو غطفان ، وكانت منازلهم مما يلي وادي القرى وجبلي طي ، ومن بطون غطفان بنو عبس وذبيان ، ومن ذبيان بنو فزارة الذين كانوا بنجد ووادي القرى ، ثم نزل دیارهم جيرانهم طي (2)

5) بنو سليم ، وهم أكبر قبائل قيس (3) ، وكانت منازلهم في عالية نجد قرب خيبر ، ولكثرتهم نزح منهم جماعة الى البحرين حتى غلب عليهم بنو عقيل وبنو تغلب .

6) بنو عدوان ، ومنازلهم بالطائف من أرض نجد ، ثم غلبهم عليها ثقيف ، فخرجوا الى تهامة .

ج - الياس أو خندف : كان تحت الياس بن مضر خندف القضاعية الأصل ، فعرف بنوه بها ، ومن خندف فرعان :

---

1) م.س.ص: 343

2) م.س.ن.ص: 345

3) م.س.ع: ن.ص

1) طـابخـة، ومنها قبائل كثيـرة وعـظيمـة :

أ- تـمـيـم ، وكانوا مستوطنين مقاطعـة نجـد من هنالك على البصرة واليمامـة حتى العذيب من أرض الكوفـة ،ولما تفرقـوا، على عادة العرب البدو ، ورث منازلهم بعض من طي، ،وخفاجـة فيها بنو عقيل بن كعب (1) ،ومن بطونها الشهيرة : بنو العنبر ، وبنـو حنظلـة ،وهؤلاء (بنو حنظلة) أكبر قبيلـة في تميـم (2) ،ومـن حنظلـة بنـو يربـوع ،الذين منهم بنو العنبر بن يربوع .

ب- بنـو ضبة ،وكانت ديار هؤلاء بالناحية الشماليـة من أرض نجد بجوار اخوانهم بني تميم (3) .

ج - مـزينـة ،وهي مزينة بنت كلب بن وبرة ،فعرفوا بأمهم .

2) قمعـة ،ولم يشتهر عقبه كأخيه طابخـة .

د- مـدركـة ،وهم بنو مدركة بن الياس بن مضر ، ولم يشتهر منها غير هـذيـل ،وحسبها بهم شهرة .

هـ خـزيمـة ،وهو ابن السابق (مدركـة) ،ومنه بنو أسـد المشهـورون الذين كانوا يسكنون معا على الكرخ من أرض نجد في مجـاورة طـي،.

---

1) م.س.ن.ص : 347

2) م.س.ج.ن.ص :

3) م.س.ن.ص : 348

و- كنانة ، وهو ابن خزيمة ، وهي قبيلة عظيمة ، ولها خمسة فروع :

1) ملكان بن كنانة

2) عبد مناة بن كنانة ، ومنهم عدة بطون مثل غفار ، وبنو بكر بن مناة ، ومن هؤلاء الدئل ، ومن عبد مناة أيضا بنو الحارث ، وبنو مدلج .

3) عمرو بن كنانة .

4) عامر بن كنانة .

5) مالك بن كنانة .

ز - قريش ، والنسابون مختلفون في تسميتها بهذا الاسم (1) ، وهم بنو النضر بن كنانة ، ومقامهم بمكة معروف ، وتفرق من هذه قبائل كثيرة مثل بني الحارث بن فهر ، وبني محارب بن فهر ، ولؤي بن غالب ، وخزيمة بن لؤي ، وبني عامر بن لؤي ، وكعب بن لؤي بن غالب ، وبني جمح ، وبني عدي بن كعب ، ومرة بن كعب ، وكلاب بن مرة ، وقصي بن كلاب ، وهذا الأخير من جمع قريشا بعد التفرق مرتجعا مفاتيح الكعبة التي كانت في يد خزاعة (2) .

---

1) صبح الأعشى 1/ص : 351 - 360

2) يستقصى هذه المسألة في جمهرة ابن حزم ص : 12 - 14 ، وفي كتاب حذف من نسب قريش ص : 3 وما بعدها لمؤرج بن عمرو السدوسي ، وكذا الاشتقاق لابن دريد 1/ ص : 107 الى غاية ص : 167

ثانيا : اللهجات بين المواقع والطبقات :

فـي النقطـة الثالثـة من هذا التمهيد ، سأكتفي بذكر التقاطعات الجغرافية واللهجية التي كانت تربط مختلف الفضاءات المتقاطعة بين لك القبائل العربية ذات اللهجات الفصحى ، والتي ستكون تكلماتها وتواصلاتها المحلية والجهوية احدى العدونات القواعدية أو السانتكسية لعملنا حول التراكيب اللهجية في موضوع لاحق .

أما ما يتصل بالفضاء الجغرافي العام على ضوء اللغة واللهجة بمعظم تعاريفها وأشكالها ، فاننا سنعود اليه مع مرور البحث في احد الفصول الذي سيكون دراسة لغوية ولهجية عامة وفق نظريات لسانية معاصرة ، ووفق لغات ولهجات أخرى لا تتصل بالعربية ولهجاتها كظاهرة مستقلة عما قد يحدث لأية لغة انسانية أخرى .

وان كان لا بد من ابداء ملاحظة اولية وفق قراءة مقيدة ، فان التقسيم الجغرافي والتاريخي يتفق نوعا ما والتقسيم اللغوي ، لأن العربية بائدة وباقية ، وكلتاهما في الشمال ، وجنوبية في اليمن ، وهذه الميزات اللغوية كانت ذات ارتباط لا ينكر بمميزات كل طبقة حسب زمانها وموطنها .

واذا كنا قد تعودنا لفظ كلمة ((بائدة)) فهذا في نظرنا لا يعني في الآن ذاته بسود لغة من يبيدون ، فهذا رأي لم يعد

اليوم مقبولا ، لأن لغة من اللغات ليس بالضرورة أن تهلك وتزول كلية بهلاك وزوال دولة أو مجتمع لغوي ، لأن اللغة لا يمكن بأي حال من الأحوال أن ترتبط بزمن وهمي الا تقديرا ، وهي قبل أي شيء - كما سيجيء - أداة استعمال قبل أن تكون أداة اختزان في وعي جمعي ، كما يزعم البعض . فالسامية الأم المجهولة حتى الآن من حيث التحديد لم تبد أبدا ، حتى ولو فرضنا أن الساميين الأولين قد بادوا ولم يتناسلوا في مجتمعات وأجناس لاحقة ، لأنها من غير شك موزعة بنظام ما في العربية والعبرية والحبشية ،... واللاتينية لم تمت أبدا ، فهي حية تسعى من خلال الفرنسية والايطالية والبرتغالية ،... ومثل هذا السلافية ، والجرمانية ،... بل مثل هذا اللغة الهندية - الأوروبية .

على أي حال ، يرى بعض المحدثين أن الفرق بين لغتي العدنانيين والقحطانيين ((يدل على تباعد أصحابها في العادات والأخلاق)) (1) ، وقد يؤيد هذا القول مدى ما بلغته كل طبقة من التقدم والعمران والاختلاف في الشعور والوجدان ومناحي التفكير ، ذلك أن من كان يسقي البساتين ويشيد القصور والعمارات ويجلب المياه الى القرى والمدن ... يختلف اهتمامه وانشغاله وتفكيره - وبالتالي تعبيره - عمن يصف الصيد ، والفرس ، والصحراء ، والناقة ،... والاختلاف في مناحي التفكير الناتج عن

---

1) العرب قبل الاسلام ص : 171

تفاوت كل طبقة في موقعها وزمانها وتحضرها أو تقهقرها وانتصارها أوانهزامها .... له أثره المباشر على الابداع في اللغة وتطويرها واتجاهاتها ، ولما كانت البداوة غذاء الحضارة فان من كانوا يسكنون القرى والمدن لم يكونوا مستغنيين استغناء تاما عن لغة البدو التي كانت تحافظ على نصاعتها وأصولها ، بل فاتت اللغة العدنانية اللغة الجنوبية في أشياء كثيرة لعوامل تاريخية وأحداث عظيمة .

ومما أشير اليه في النقطتين السابقتين مع ما سيلمح اليه من خلال هذه النقطة الثالثة ، يستطيع الباحث ، ولو بصورة سطحية ، أن يخطو بعض الخطوات لتحديد المهد اللغوي ، والوقوف على مدى تحضر هذه القبيلة واستقرارها من تلك التي كان دأبها الترحال والتنجاع ، والتي ظعنت فامتزجت من التي استقلت فتأثرت أوأثرت ، وهذا الوقوف ربما ينير بعض الجوانب الغامضة أو التي لا تزال معلقة بغية معرفة بعض الحقائق اللغوية لأصول الكلمات من فروعها ، والقبيلة التي تأثرت فاقترضت من التي أثرت فبذرت لهجتها ولو فيمن دخلت عليهم مستجيرة بهم ، لان القوة البشرية تكون أحيانا بمعزل كلي عن لغتها اذا كانت أضعف من لغة المغزوين ، مع اعترافنا بوجود عامل ما قوي أوشير ينوب عن هذا الانعزال الخارجي ، ولهذا فليس غريبا أن تكون الطبقة الثانية من عرب الجنوب ودولها قد اتخذوا

لـغة العـرب السائدة ،حتى وان كانت الموازنـة هنا غير لائقة باعتبارها تـدور بين طبقتيـن من أصـل واحـد لا يفصـل بينهما الا الـزمـن وصعوبـة المكـان .

بيد أن المـلاحظ تاريخيا أن ظاهرة التأثر والتأثيـر بين شعـب غـاز وآخر مغزو ليست ظاهرة مطردة ولا شاذة ،لأن ((مجرى التغيير في حقل اللغة يكـون أكثر اندفاعا وسرعة أثناء سيطرة أمـة علـى أمـة ،ذلك أن لغة الغالبين ،على قلة عددهم ، قـد تقضي على لغة الشعوب المغلوبة ،أوعلى لغاتها ولهجاتها ،وهذا ما حدث عقب الفتح الروماني اذ قضت اللغة اللاتينيـة ،خلال بضعة قرون ،على لغـة الغاليين السلتيـة ،وعلى سائر اللغات التي تتداولها شعوب بـلاد بـلاد الغال جميعا .

بيـد أنـه لا يتأتى للفاتحين اجمالا أن يبسطوا سلطان لغتهم على الشعوب التي تقع تحت سيطرتهم ،فحينما استطاع الفاتحون ذوو اللسان الجرمانـي من الفرنجة والبورغوند والويزيغوت أن يستقروا في البلدان التي تملكت فيها اللغة الرومانيـة فانهم فقدوا لغتهم الجرمانيـة عوضـا عـن أن يفرضوها علـى شعوب تلك البلدان المفتتحـة .

واللغة التي تتداولها شعوب كانت تستعمل لغة أخرى من قبل ، هـي عرضـة لتغيير سريـع وعميق ،وذلك لأنها تقع الى هذا الحد أوذاك ،

تحت تأثير اللغة السابقة للشعوب التي أصبحت تتداولها ،ومن هنا نستطيع أن نفسر أسباب كون اللغة الفرنسية أبعد عن اللغة اللاتينية من اللغة الايطالية التي تطورت في مكانها ،وهذا دليل على أن ثمت تأثيرا متبادلا بين اللغة الطارئة واللغة المتوارية)) (1) .

وكذلك القبائل التوتونية التي استوطنت اسبانيا في القرن الخامس الميلادي كانوا يتكلمون لغة جرمانية ،بينما كان السكان الأصليون (المحليون) يلهجون بلغة رومانية أو لاتينية عامية ،وبعد مائة وعشرين عاما صارت اللغة اللاتينية لغة رسمية في البلاد ،وكذا لغة الثقافة (2) .

ومن هاتين النقطتين ،اتضح لنا بشكل عام التداخل القبلي العظيم حدثا ونسبا وموطنا ،فضلا عن العلاقات الاجتماعية الوطيدة أو المنبثقة عن القطيعة ، على توالي العصور والأجيال ، وهو ما انعكس فيما بعد على التداخل اللغوي في العربية الفصحى حينا والتباين فيها حينا آخر ،حيث صرنا نجد للكلمة الواحدة مفردات عدة ، وأي من هذه الدوال يعبر عن مدلول واحد ، وللمسمى الواحد عشرات الأسماء ،ولربما المئات ، وللفعل الواحد مصادر مختلفة ،وللاسم الواحد المجموع مكسرا عدة جموع ... واذا أراد

---

1) دراسات لغوية في ضوء الماركسية ص : 82 . ترجمة د . ميشال عاصي (ط : 1/ 1979 . دار ابن خلدون . بيروت)

2) الحركة اللغوية في الأندلس ص: 17 - 18

الباحث اليوم أن يحلل أسباب هذه الظواهر فلا يكاد يجد لها مخرجا أوضح من عزوها لهذا التداخل القبلي العظيم موطنا ونسبا واجتماعا.

والعرب البائدة التي عثر لها على نقوش وآثار في رمال شبه الجزيرة العربية كان لها ملك واسع حتى بلغ الشام ومصر .... وعاد كانت منازلها في الاحقاف بين اليمن وعمان ، من البحرين الى حضرموت والشحر ، وثمود كانت منازلها بعدة قرى وأماكن بين الحجاز والشام ، وطسم وجديس كانت ديارهم مع أهل عاد - اما قبلهم واما بعدهم - بالأحقاف ، وعبد ضخم كانوا يسكنون الطائف ، ومدين كانوا على أطراف الشام مما يلي الحجاز تقريبا ، واذا صح أنه كان لهؤلاء ملك واسع ، كما ذكر غير واحد من المؤرخين العرب القدماء ، بمن فيهم ابن خلدون ، فمن البديهي انه كانت لديهم لهجات وتواصلات متقاربة يتعاملون بها لكونهم في أماكن متدانية ومن أصل واحد جنسا ولغة .

ثم كانت المرحلة الثانية التي وجدت فيها أغلب القبائل العربية الجنوبية تزحف صوب الشمال بعلومها وآدابها ولهجاتها وطبائعها ... لتزاحم العدنانية في موطنها وخبزها ومائها ، وهنا غدا التداخل الجنوبي الشمالي يعظم يوما بعد يوم الى أن فرضت بعض القبائل الجنوبية نفسها على العدنانية ، ولكنها انصهرت فيها لغويا وفكريا

ـ أو قل : تصاهرتا ـ ،وأضحى اليمني حين ينظم شعرا أو يتفوه بخطابة أو يعقد صفقة ... فلا يصنع ذلك جميعا الا باللسان العدناني ،وهنا أتيح لهذا الأخير ألا يزيد الا انتشارا وسلطانا مع اقتناشه لكلمات معدومة في لسانه أو قاموسه التخاطبي من لهجات الوافدين عليهم من ابناء اليمن ،وظل كذلك هذا الاقتناء مستمرا حتى مجيء االاسلام ليتحول هذا التداخل الى توحد ،لأن الفرد المتكلم باللسان المضري لم يفهم بعض الكلمات التي وردت في القرآن الكريم على لغة اليمن الا بمساءلة أصحابها (1) ،وعلى هذا يكون القرآن الكريم ،كلسان عربي مبين ،قد عمل على ترسيخ مظاهر عدة من اللهجات العربية قاصيها ودانيها في لغة تولا تواصلية واحدة أو مشتركة هي هذه اللغة العربية الفصحى .

ولم يكن هذا التداخل ظاهرا بين كتلة جنوبية وأخرى شمالية ،لان كل اللهجات التي نزحت (أعني الجنوبية) ـ بنزوح أصحابها ـ نحو الشمال ذابت في اللهجات الفصحى الواحدة بمعجمها وقواعدها وأنظمتها ،حتى بعض الفصحاء لا يتورع في اصطناع بعض هذه العناصر اللغوية ،بل ظل قائما بين الكتل الشمالية نفسها وما بين منطقة واحدة ،ومنطقة غربية وأخرى شرقية .

---

1) على سبيل المثال لا الحصر ينظر :
معترك الأقران في اعجاز القرآن القسم الاول ص : 199 ـ 206 للسيوطي
(دار الفكر ـ القاهرة)

واختلاف لهجات أو لهجة في منطقة واحدة بين أسر ترجع الى قبيلة واحدة يظهر في لهجات بطون وفروع تخالف لهجة القبيلة الأم ، وهذا يوحي بعدم الاهتمام الكبير وصولا الى تقسيم اللهجات العربية الفصحى الى شرقية وأخرى غربية ،حتى وان كانت هناك فعلا ظواهر لهجية في مختلف المستويات تدعم هذا التقسيم اللهجي الجغرافي ،كما سيتضح لنا هذا خلال التراكيب السانتكسية للهجات العربية . لكن المقصود أكثر هنا هو أنه لا يمكن أن نتصور بأن هذه الفوارق اللهجية كانت حاجزا أو سدا مانعا بين متكلم غربي ومتلق شرقي في عدم التفاهم بينهما بدعوى ثبوت هذه الفوارق اللهجية التي لا تدحض .

ومما أريد أن ألمح اليه هنا أن بعض اللغويين العرب — ان لم أقل أكثرهم اذا عمنا نظرتهم الكلية للغة — كانوا ينظرون أحيانا ،وفي مواقف عدة ومتنوعة ، نظرة جغرافية ،فمن ذلك أن هذيلا لما سألت رسول الله (ص) أن يحل لها الزنا (1) . أجابهم حسان بن ثابت : (2)

سالت هذيل رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما سالت ولم تصب

---

1) الكامل 2/ ص : 101 . . . . . المبرد (مطبعة نهضة مصر)

2) م.س ،ن. ص : 100 ،والقصد أن الشاعر وظف (سال) على لغة التسهيل

بينما علق المبرد : ((وأما قول حسان :

سالت هذيل رسول الله فاحشة

فليس من لغته ((سلت أسال)) مثل : ((خفت أخاف)) و ((هما يتساولان)) ، وهذا من لغة غيره)) (1)

وقد ----- ل في قوله تعالى : ((فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ)) ، (2) ، بأن الفعل (أسرى) الموظف أمرا في الآية ، هي لغة قرشية ، لأن سواهم من العرب يقول : سريت ، وحتى هذه اللغة الثانية جاءت أيضا في القرآن ، إذ قال الله عز وجل : ((وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ)) (3) ، لأن هذه اللغة من سرى ، وليست من أسرى ، وتبعا لهذا ، فإن شعراء التوحيد اللغوي في الخطاب العربي القديم كانوا يوظفون اللغتين معا ، فقال لبيد مستعملا اللغة القرشية : (4)

فبات وأسرى القوم آخر ليلهم   وما كان وقافا بغير معقر

في حين استخدم الأخطل اللغة الأخرى : (5)

نازعتهم طيب الراح الشمول وقد   صاح الدجاج وحانت وقعة الساري

---

1) م . س ، ن . ص : 101

2) سورة الحجر : آية : 65

3) سورة الفجر . آية : 4

4) الكامل 1/ ص : 104

5) م . س : ع : ن . ص

وفي حديث عمر بن الخطاب ،وقد بلغه أن أبا موسى الأشعري يقرأ حرفا بلغته ،فقال : ((ان أبا موسى لم يكن من أهل البهش)) ، يريد أن يقول : ليس من أهل الحجاز ،لان المقل ينبت بأرض الحجاز ، ويسمى مقلا ما دام رطبا ،فاذا فاذا يبس فهو خشل (1) ،حيث عبر عمر بن الخطاب هنا عن المنطقة الجغرافية باللغة .

والخلاف اللهجي بين المنطقتين الشرقية والغربية على جميع المستويات طابع بارز كالادغام أو الاظهار ، التحقيق أو التسهيل ، الامالة أو الفتح ،النصب أو الرفع ،التذكير أو التأنيث .... ولهذه الخلافات علاقات بأسباب خارجية مثل العوامل العوامل الجغرافية والاجتماعية والتاريخية ... المشار اليها من قبل ، وبأسباب داخلية تتصل باللغة ذاتها ولذاتها والتجلية في التطورات الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية ،ولهذه العوامل الداخلية التي لا تقل أهمية في الفالدراسات اللسانية المعاصرة تفسيرات سيتضح قسم هام منها ونحن نتحدث بوجه خاص عن الاكتساب والاستعمال اللغويين وعن الفضاء الجغرافي للغات واللهجات بوجه عام .

وقد تتقلص المنطقة الجغرافية حتى يظهر الخلاف اللهجي على مستوى منطقة واحدة ،وذلك نتيجة للتداخل القبلي أو العكس أي ما قد يوازيه من انعزال أو انزواء اجتماعي .

---

1) الصحاح :3/ ص : 996 (باب الشين ،فصل الباء)

ومن هذا أن ابن كثير وغيره قرأوا :

- ((وَآخَرُونَ مرْجئونَ لِأَمْرِ اللَّهِ)) (1)

- ((تُرْجِي مَنْ تشاءُ)) (2)

بالهمز (3) ، وغيرهم قرأوا بغير همز ، فأما الهمز فلتميم ، وأما غيره فهي لغة قيس وأسد (4) . وصرعه صرعا من باب (قطع) لغة تميم ، وفي لغة قيس صرعا (بالكسر) (5) ، وتميم تقول : المغزل ، والمصحف ، والمطرق ، بكسر الحرف الأول ، وقيس تضم الحرف الاول فيها (6) .

واختلف القراء في قوله تعالى :

- ((وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنُحْ لَهَا)) (7) ، حيث قرأ أحدهم بضم النون في الفعل (اجنح) ، وهي لغة قيس ، بينما قرأ الجمهور بفتح النون ، وهي لغة تميم (8) ، وقيس تقول : لسق بالسين ، وتميم بالصاد (9) .

1) سورة التوبة : آية : 106

2) سورة الاحزاب : آية : 51

3) اللجات للباـ اللهجات العربية في التراث ص: 46 . د . أحمد علم الدين الجندي (الهيئة المصرية للكتاب)

4) م . س : ن . ص

5) الصحاح : 3/ ص : 1242 . أبي الفتح في المصدر (صرعا) لتميم ، والكسر لقيس.

6) اصلاح المنطق ص: 120 ابن السكيت. (دار المعارف ـ مصر)

7) سورة الانفال : آية : 61

8) البحر المحيط : 4/ص: 516 . أبو حيان الغرناطي (مطبعة السعادة ـ مصر)

9) اللسان : 12/ 205 . ابن منظور (الدار المصرية للتأليف والترجمة)

وقال أبوزيد : قيس تقول : زأى العود يذأى ذأيا ، وتميم تقول : ذوى ، والأولى علوية (علوية نجد) والثانية تميمية (1) .

ويسند الى أبي زيد أنه قال : السدفة في لغة قيس : الضوء ، وفي لغة تميم : الظلمة (2) ، وأنشد الاصمعي :

وألقيت الزمام لها فنامت لعادتها من السدف المبين

وأنشد أيضا :

((وأطعن الليل اذا ما أسدفا)) (3)

ومن الواضح أن الكلمة (السدف) وظفت في التركيب الاول بمعنى ((الضوء)) وفي التركيب الثاني بمعنى ((الظلمة (أظلم)) . والكلمة من الأضداد ، حتى كأن الاضداد في العربية ظاهرة ناتجة عن توظيف كلمة واحدة لمدلولين متعارضين من قبيلتين عربيتين أو أكثر ، ومنه دائما : ((الألفت في كلام بني تميم الأعسر)) (4) ، وفي كلام قيس : الأحمق (5) .

وعلى غرار ملاحظة عمر بن الخطاب على أبي موسى الأشعري ، نجد الأصمعي هو الآخر يقف موقفا مماثلا حين عاب على أبي عبيدة في تفسيره قول حباب بن زرارة : (6)

شتان هذا والعناق والنوم والمشرب البارد في ظل الدوم

1) التنبيهات ص: 177 — 178 . علي بن حمزة (دار المعارف ـ مصر)
2) الامالي : 2/ ص : 125 . القالي . (دار الفكر العربي للطباعة والنشر)
3) النوادر في اللغة ص: 177 . ابوزيد الانصاري (ط 1894 مط الكاثوليكية بيروت)
4) م. س. ص : 170
5) المزهر : 1/ ص: 381
6) التنبيهات ص : 85

اذ قال الاصمعي : ((ما ابن الصباغ وهذا ؟ وأنى لأهل

نجد السدوم ؟ وانما الدوم بالحجاز ،وحاجب نجدي

فأنى له السدوم ؟)) (1) ثم فسّر الظل الدوم بأنه الظل

الدائم ،وذهب ابن دريد مذهب الاصمعي في التفسير ،وخالفهم في

ذلك صاحب التنبيهات (2).

وفي القرآن الكريم :

((قُلْ : إِنْ ضَلَلْتُ ،فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي)) (3) .

بفتح العين في (ضل) ماضيا ومضارعا ، وجاء في الصحاح :

((فهذه لغة نجد ،وهي الفصيحة ،. وأهل العالية

يقولون : ضللت بالكسر أضل)) (4) .

ولربما انفرد بطن في بعض ظاهرة اللهجية عن منطقته

وقبيلته معا ،ومن ذلك مثلا أن بني سعد بن زيد بن مناة بن

تميم (بطن من تميم) (5) ،يبدلون من الحاء هاء لقرب المخرج

فيقولون في ((مدحته)) : مدهته ،وكذلك تقول لخم

ومن قاربها (6) ،ومن المحتمل جدا أن يكون بنو سعد

هؤلاء قد تأثروا باللهجة اللخمية بدليل أنها كانت منتشرة قربها .

---

1) التنبيهات ص: 85

2) م س ،ع : ن ، ص

3) سورة سبأ: آية : 50

4) الصحاح :5/ ص: 1748 (باب اللام ،فصل الضاد)

5) جمهرة ابن حزم ،ص: 207

6) الكامل :3/ ص: 146

وبعد ليسل أن النعمان بن المنذر قال لأحد العرب : ((أردت أن تذ يمه فدهته)) (1) .

وحدث أبو عثمان المازني المبرد أن كل العرب يقولون : فاضت نفسه (بالضاد المعجمة) الا بني ضبة فانهم يقولون : فاظت نفسه (بالظاء المعجمة) (2) اذا مات . وبنو ضبة بطن من تميم ، وكانت ديارهم بالناحية الشمالية من أرض نجد بجوار اخوانهم بني تميم ، والماء العد بلغة تميم الكثير، وهو بلغة بكر بن وائل الماء القليل (3) ، وبكر حتى وان لم تكن بطنا من تميم ، على أنها بطن من جديلة الذين يرجعون الى ربيعة فانها من قبائل المنطقة الشرقية .

وهذه القبائل من تميم وأسد وقيس وبكر بن وائل كلها تنتمي الى المنطقة الشرقية ، وهي تختلف في بعض المظاهر اللهجية التي تدخل في حدود اللهجات العربية الفصحى نفسها ، : مما يوحي بعدم الاهتمام في كل حال على الا العوامل الجغرافية وحدها دون الأخذ بعين الاعتبار باقي العوامل الأخرى من خارجية وداخلية .

ومن مظاهر الاختلاف اللهجي الفصيح بين الكلمة العربية الواحدة كسر حرف المضارعة ، وهو من خصائص اللهجات

---

1) الكامل : 3/ص : 146

2) السابق : 1/ ص : 268

3) اللسان : 4/ ص : 276

الشـــرقيــة ـ كمـا سنرى ـ غيرأنــه نسب هذا الكسـر كذلك الى هذيل فــي الفعــل ((اخـــا ل)) (1) ،ويجمع اللغد اللغــويون مـع ذلك علــى أ ن الأفصـح كسر همـزة هذا الفعـــل ،وا ن كـا ن القيا س يقتضي الفــتح ، حيث جا ء في الصحـــا ح :((وتقول في مستقبلــه : اخـا ل بكسر الألف ، وهوالأ فصـح ، وبنوأ سـد تقول : أ خـال بالفتـــح وهـــو القيـا س ٠)) (2) ،وأهل المدينة يقولون فـي ((بد أ نـا)) : بـد يـنـا (3) ،وهذيـل تقـول أ يضا : أ توتــه آ توه بمعنـى آتيته آ تيـه (4) ،وبنـو كـلا ب ،كما روى أ بو زيـد ، يقولون : ا مضحـــل بتقـد يم الميــم ،في (اضمحـل الشي ء: أي ذ هب او السحاب : زا ل) (5) ، وبنو كلا ب من بني عـا مربن صعصعة من هوا ز ن ،وكا نت د يارهم حمـى ضـر يـة ،وحمى كليب ،وحمى الربذ ة ،وفدك والعوالي في جهات المدينة٠

---

1) البحــر 1/ 23ـ 24

2) الصحــا ح :4/ 1692 ،وما ضي هذا الفعل هو :(خـا ل))،مـن: خلت الشي ء خيلا وخيلـة ومخيلة وخيلولة أ ي ظـننتـه٠ وفي المثل :((مـن يسمـع يخـل)) وهومن با ب ظننت وأ خوا تها ، التي تد خل على المبتدأ والخبر ،فا ن ابتدئ بها أ عملت ، وا ن وسطت أوأ خرت فالخيار بيـن الاعما ل والا هما ل،وقال جرير في الا لغا ء:

أ بالأرا جيزيا ابن اللؤ م توعدني وفي الأرا جيزخلت اللؤم والخـور

3) مختار الصحـا ح ص: 54 الرازي

4) الأ مـا لي : 2/ 208

5) الصحــا ح : 5/ ص: . . . : 1748

ولربما انفردت قبيلة واحدة بدلالة كلمة دون سائر العرب، مثال ذلك أن كلمة الساجد في لغة طيء المنتصب، وفي سائر لغة العرب المنحني (1)، ولعل هذا أثر من آثار لهجة طيء القديمة التي كانت تتكلم بها في الجنوب قبل ظعنها الى الشمال.

وهذه العوامل برمتها كانت مقدمة طبيعية لكل ما ظهر بعد من فوارق لسانية في اللهجات العربية الفصيحة، والتي بقيت مشوشة في آثار العرب من شعر، ومثل، وحكمة، ونادرة، وموعظة ... ثم ما لبثت أن سطعت بذرة بارزة في القراءات القرآنية التي تعد مدونة ناصعة تنعكس عليها كل هذه الظواهر اللهجية سواء أكانت صوتية أم مورفولوجية أم فونولوجية أم سانتكسية، وذلك باعتبار القرآن الكريم أعظم مصدر ((محيط بجميع اللغات الفصيحة)) (2).

---

1) التنبيهات؛ ص : 294

2) الكامل : 3 / ص؛ 97

الباب الأول : القبائل العربية واشكالية اللهجة النموذجية

الفصل الأول : التقاطعات الفضائية للقبائل العربية

ليس خفيا على أحد ما لتداخل القبائل العربية وارتحالهم واقتتالها واقامة بعض منها مكان بعضها الآخر من تأثيرات على اللهجات العربية نفسها وتداخلها من خلال تلك التقاطعات المحتومة فيما بينهم حربا كانت أم سلما ، مما كان يقودها الى صراعات أو تحالفات ،ولا يلبث أن ينتهي كل هذا طوعا أو قسرا باقرار كل فريق لهجة الآخر ، واقتراض كل قبيلة قبيلة من الأخريات ما ينقص لهجتهم من سمات أو مستجدات ثقافية وعلمية وحضارية .... ليست لها دوال بعد في لغتهم تارة ، وبالتواضع أو الاصطلاح جميعا على تسمية اسم واحد بلفظين أكثر من مرة ، ولعل النقطة الثالثة أعلاه من التمهيد تؤكد لنا بعضا من هذه النماذج اللهجية القبلية في تقاطعها أو توازيها ،غير أن ما نجهله من هذه الاشكالية لم نعلم بكثير مما نعلمه ،والا فما الذي عبر عن ((التراب)) بعشرة دوال متعارضة صوتيا لمدلول واحد ؟ (1) ،وهل فريق لغوي واحد جعل مداليل متباينة دلالة لدال واحد متجانس صوتيا ؟ (2)

---

1) جاء في الصحاح مثلا : (ج 1/ ص : 90) : تراب ،وتوراب ،وتورب ، وتيرب ،وترب ،وتربة ،وترباء ،وتيراب ،وتيريب .

2) مثال ذلك : الفعل استلأب الذي يدل على ثلاثة معان دون تغيير صوتيا

وان ما يسميه اللغويون العرب القدما ء بـ ((المشترك اللفظي))

لم يعد مسوغا للارتياح لمثل هذه التفسيرات التي لا تتماشى وطبيعة

اللغة في كل حال ، ولا سيما بالنسبة للغة كالعربية التي يعكس لطاقتها

في البث والتلقي بين المتكلمين أن تتفلد دون مثل هذه التعسفات

في اجبار اللغة الى الاضطرار الا بعد نفاد هذه الطاقة الفونولوجية

الهائلة ، والا فما الذي اضطر الشاعر أو المتكلم العربي أن يعسر

بدال واحد (جلس) من ستة مداليل مختلفة دون أي تعارض في

الحركات أو الاصوات : (1) ؟

لقد رأيت هذ ربا جلسا — يقود من بطن قديد جلسا

ثم رقى بعد ذلك جلسا — يشرب فيه لبنا و جلسا

مع رفقة لا يشربون جلسا — ولا يؤتون لهم جلسا

مع أننا لو عدنا الى منهج التقليبات الصوتية التي قال بها الخليل ،

وعارضنا بين الأصوات الثلاثة الساكنة أو الصوامت : ((ج ، ل ، س))

لنتج عندنا ستة أبنية مختلفة وثلاثة منها مستعملة ، وهي :

ج ، ل ، س

س ، ل ، ج

س ، ج ، ل

---

1) جلس الأولى معناها : رجل طويل ، والثانية : جبل عال والثالثة : جبل ، والرابعة : عسل ، والخامسة : خمر ، والسادسة : نجد (هذه الأبيات وشرحها أخذت من المزهر 1/ص : 376)

وثلاثة منها مهملة ، وهي :

ل ،س،ج

ل،ج ،س

ج ،س،ل

أي كان المفروض ألا تضطر العربية الى ما يسمى بالاشتراك اللفظي على الاكثر في أزيد من 50 ٪ في هذا الجذر ، ما دامت طاقتها الفونولوجية تزخر بدوال مهمشة ،والذي نميل اليه أن هذه الدوال الستة المعبر عنها بدال صواتي فونولوجي واحد في نفس النسق والنطق ،انما هي كلمات نشأت من التقاطعات الجغرافية بفضل التداخلات الفضائية للمجتمع اللغوي العربي خلال فترات بداية التوحيد اللغوي بين المتكلمين العرب هنا وهناك ، وذلك بعدما كانت متوازية في أول أمرها بين هذه القبيلة أو تلك ،ولم يكن صعبا على العربي بفضل جبلته أن يعرف متى يوظف نفس الشكل الصواتي بهذا المعنى أو ذاك خلافا للمتأخرين .

وتشابه اللهجات الفصحى في بنياتها المختلفة لم يكن لها عائقا لأن تجد سبيلا مهيئا لتتآلف و تتغذى الواحدة من الأخرى الوافدة منهما كالسابقة في موقعها ،غير أن لكل هذا أوصافا وسمات معينة سننتنا ولها في موضعها .

وحيث ان لكل من هذه التداخلات اللهجية واللغوية الفصيحة يعني بالدرجة الأولى دراسة القبائل ذات اللهجات الفصحى دراسة

القبائل نزلات اللهجات الفصحى دراسة تاريخية وفنية جغرافية لما لها من علاقة وطيدة . بعزو الفوارق اللهجية الى كل قوم بأعيانهم،لان تداخل اللهجات الفصحى - في نظري - مرهون بتتبع الا الحركات القبلية داخل شبه الجزيرة العربية ، كالحل والترحال والا والتطاحن ، وانضمام الذليل الى العزيز ، والضعيف الى القوي ،وقحطنة عدناني أو عدننة قحطاني ...

1) منازل أبناء نزار :

آ- منازل مضر : كانت منازل مضر حيز الحرم الى السروات وما دونها من الغسور غور تهامة وما جاورها من البلاد البلاد (1) ، وتهامة من قبل الحجاز ومدارج العرج ،وأولها من قبل نجد نسجد مدارج ذات عرق (2) ، والسروات تقدمت الا شارة اليها ، وهي أعظم جبال العرب (3) ،وجبل السراة هوالحد بين تهامة ونجد ، وينطلق من قعرة اليمن حتى يدخل أطراف بوادي الشام ،ويضم جبالا أخرى كثيرة (4) ،ولفصله بين تهامة ونجد سمته العرب حجازا .

ب - منازل ربيعة : كانت منازل هؤلاء مهبط الجبل من غمر ذي كندة،وبطن ذات عرق وما صاقبها من بلاد نجد الى غور تهامة (5) ،

---

1) معجم ما استعجم 1/ ص: 18

2) م.س. ص: 322

3) م.س :3/ص : 730

4) م.س :1/ ص : 8

5) م.س . ص : 18

وغمر ذي كندة كان لجنادة بن معد أيضا ،ويقال ان كندة كانت بها دهرها الأول (1) ،وأما الغمر فهو جبل أحمر طويل أصبح لحي من بني أسد فيما بعد (2) ،وبينه وبين فيد عشرون ميلا ، وفيد يصفها بعض الجغرافيين بالكبر ود وام العمارة (3) . وفيد جاءت في أشعار العرب ،وهي التي ينسب اليها حمى فيد (4). ومثلها الغور وقد جاء مضافا الى كندة ،كقول عمر بن أبي ربيعة: (5)

ا ذ اسلكت غمر ذي كندة مع الركب قصد ا لهما الفرقد

وأما بطن ذات عرق فقد تقدم أنه يوجد من قبل نجد به

ج ـ منازل أنمار وإياد ، وأما سكن هؤلاء فكانت مما بين حد أرض مضر الى حد نجران ، وما والاها وما صاقبها من البلاد (6). وأما نجران فحدها الغربي طرف تهامة الشرقي ،وهي مثل جرش مدينة كبيرة تحتوي على أحياء كثيرة من اليمن (7).

د ـ أعمام هؤلاء من معد جدهم ، وأما سائر ولد معد فصارت أرضهم فيما بعد مكة ،وأوديتها وشعابها وجبالها ، وما صاقبها من البلاد . وأما مواقع السابقين عليهم بها فمن بقايا جرهم (8).

---

1) م.س : ن.ص

2) م.س ؛ 3/ ص ؛ 1034

3) المسالك والممالك ص: 24

4) معجم ما استعجم ؛3/ص ؛ 1052

5) م.س.ص ؛ 1003

6) م.س :1/ ص ؛ 8

7) المسالك والممالك ص ؛ 26

8) معجم ما استعجم 1/ ص ؛ 18

2) تـقـاتـل ولـد معـد :

اقتتلت مضر وربيعة ابنا نزار بن معد فأجلوهم عن مواطنهم بعد ما غلبوا عليهم، وتفرقت طوائف من المغلوب عليهم، من أولاد قنص بن معد في سائر بلاد العرب، بيد أن أكثرهم ظعن نحو البحرين، ثم استقر أخيرا بالحيرة، وملك العرب الذي كان بها يرجع الى أحد أحفاد معد (1).

وغير خفي ما لهذا الاقتتال والحل والترحال من أثر على لغة الاخوة الواحدة، فتباين أولاد قنص بن معد عن أرض مكة وشعابها وأوديتها، ونزولهم بالبحرين مع القبائل السابقة عليهم بها، ثم شد هم الرحال الى الأنبار والحيرة يجعل لغتهم تحل أينما حلوا، وترحل معهم متى رحلوا، ولكنها تتأثر وتؤثر بمن وفيمن عليهم عنوة أو رضى، وتخلف في ذات الحين وراءها آثارا ومعالم خاصة في العادات التواصلية للهجات من أن أقصوهم من هذا الفضاء الى ذاك، لأن أولاد قنص بن معد مثلا لم يرحلوا كلهم عن مكة فضلا عن الجرهميين الذين كانوا قد امتزجوا بهم في دمهم ولغتهم.

3) تـداخـل القبـائل العربيـة :

لما اختلطت القبائل العربية لكثرتها ونموها الديموغرافي

---

1) معجم ما استعجم 1/ ص: 52 - 53

حقبة بعد حقبة ،وتنافسهم في الماء والكلأ و المنتجع ،
وبعبارة أخرى في الفضاء البدوي الاجتماعي ،استضعف القوي
الضعيف ،وانضم الذليل الى العزيز ،وحالف القليل منهم الكثير ،ومن
لم يرض منهم بالذل والهوان تباين عن قومه ،فكان منهم من
تمدن ،ومنهم من تيامن أو تقحطن ،وكان منهم من تمرد على
المجتمع القبلي بأكمله ،فوجد ما يعرف بالصعاليك الذين اتخذوا
لهم منهجا وسلوكا متميزين عن الحياة العربية العامة التي تخضع الفرد
الى الجماعة مقابل حمايته ونصره ظالما ظالما أو مظلوما ،لكن
الفضاء الجغرافي المتضاد في تلك الصحراء القاسية أفرز
هذه الفئات الاجتماعية الشاذة التي انتشرت في البادية
تقطع الطرق ،وتنهب وتسلب ،وتثير في أنحائها الرعب والفزع ،
فتغير على المناطق الخصيبة مهددة أهلها في أملاكهم وأعراضهم
وأنفسهم ، متخذة من هذا الفضاء الجغرافي المتضاد مبررا نفسيا
واقتصاديا للاغارة والشذوذ الاجتماعي ،فضلا عن كون هذه الفئات
الثائرة المتمردة على سلطان الفضاء الجغرافي الأحادي تحمل
في ذاتها أخصب ما تحمله نفس بدوية أنوفة وعزيزة ،حتى أن
الدارسين ليرون أن كل جانب من جوانب الحياة البشرية في مثل
تلك الصحراء العربية ذات الفضاء الجغرافي المتضاد يحمل طابع الحركة (1)

---

1) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ص: 73 . د. يوسف خليف
(ط:2 دار المعارف - مصر)

ولعل ... أمير شعراء الصعاليك الشاعر الازدي الشنفرى أحد من يمثل التضاد النفسي تحت وطأة وضوح ذلك الفضاء الجغرافي القاسي الذي كلما عرف تقاطعا الا وصحبه تناقض وتعارض اجتماعيان صارخان ،وربما تمثل بعض أبيات لاميته المشهورة بوضوح هذا الفضاء الجغرافي المتناقض في تقاطعه ،مما يجعل هذا الفرد يتمرد ويثور كلية على المجتمع والوضع : (1)

أقيموا بني أمي صدور مطيكم ... فاني الى قوم سواكم لأميل

فقد حمت الحاجات والليل مقمر ... وشدت لطيات مطايا وأرحل

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى ... وفيها لمن خاف القلى متعزل

لعمرك ما في الأرض ضيق على امرئ ... سرى راغبا أو راهبا وهو يعقل

ولي دونكم أهلون سيد عملس ... وأرقط زهلول وعرفاء جيأل

هم الرهط لا مستودع السر ذائع ... لديهم ولا الجاني بما جر يخذل

أديم مطال الجوع حتى أميته ... وأضرب عنه الذكر صفحا فأذهل

وأستف ترب الارض كيلا يرى له ... علي من الطول امرؤ متطول

1) لامية العرب ص : 27 ـ 30 وص: 39 الشنفرى (ط: 1964 مكتبة الحياة ،بيروت)

ـ مطيكم : ج مطية ،وهي الناقة

ـ حمت : أصله حمم ،ومعناه تهيأ الشيء وحضر

ـ الطية : الحاجة وتعني أيضا المكان المنوي المقصود .

ـ المنأى والمنتأى : الموضع البعيد

ـ القلى بالالف المقصورة : البغض

ـ متعزل : الموضع الذي يعتزل فيه

ـ لعمرك : فيه ثلاث لغات ضم العين وسكون الميم وفتح العين وسكون الميم وضمهما معا ، وهو قسم أي : وحياتك

وقريبا من هذا الفضاء الجغرافي المتضاد الذي كان لصه تأثير مباشر على نشوء هذه الفوارق اللهجية القليلة التي نعلم واللغوية الكثيرة التي لا نعلم والمبثوثة في مختلف المدونات المحكية والمكتوبة ،جاء بعض الآراء : ((اتفقت اللغة العربية الشمالية منذ العصر الجاهلي في الصفات والظواهر العامة التي كانت تكفل الاتصال بين القبائل العربية المختلفة ،والتي كانت في الوقت نفسه نتيجة لهذا الاتصال ، ولكن هذه القبائل جميعها لم تتح لها في حياتها ظروف متماثلة أو ملابسات متشابهة ، بل أحاطت بها في حياتها : الاجتماعية ،والاقتصادية، وفي بيئتها : الطبيعية المادية ،والمعنوية الأدبية ظروف مختلفة ، فقد كان بعضها يحيا حياة بدوية كلها شدة وخشونة ،وبعضها الآخر يحيا حياة حضرية فيها شيء من الدعة .

كما أن هذه القبائل كانت تختلف فيما بينها - تبعا لذلك - من حيث التنقل والاستقرار ،والانعزال والاختلاط ....،وقد أدى ذلك الى أن يكون لكل قبيل من العرب لهجة تميزه عن غيره ،فكان أن اختلفت هذه اللهجات في بعض المظاهر الصوتية ،وفي بنية ألفاظها ،وفي دلالة بعض كلماتها ... الى غير ذلك من خصائص وسمات)) (1)

- سيد : السيد في لغة هذيل الاسد ،وعنى به هنا الذئب (المبرد)
- العملس : الخفيف السريع
- ارقط : الرقطة كل لونين مختلفين ويراد به النمر
- الزهلول : الأملس - العرفاء : الضبع الطويلة العرف ،وهي هنا نعت

1) لغة هذيل ص: 25 .د .عبد الجواد الطيب (مجهول الزمان والمكان في طبعه)

ومن هذه التقاطعات الفضائية أن عكا التي وصفها الهمداني بالفصاحة هي عدنانية ، لكنها صارت الى فورتها سة اليمن فنزلوا فيما بين جبال السروات وما يليها من جبال اليمن ، والأشعريون الذين وصفهم الهمداني أيضا بالفصاحة في أحد المواضع هم عدنانيون ، وانتسبوا الى كهلان (1) ، وأما علك فقد بقي جلهم على عدنانيتهم ، وطائفة منهم تيامنت الى قحطان (2) ، وقال عباس بن مرداس في علك : (3)

وعلك بن عدنان الذين تلقبوا بغسان حتى طردوا كل مطرد

وبنو مجيد الذين عدهم الهمداني من حمير نعتهم بالفصاحة .

ذكر البكري أنهم يرجعون الى معد ثم صاروا في الأشعريين (4) ، وهو المرجح عندي . والا فمن أين جاءتهم هذه الفصاحة؟ حتى وان كنا واعين بطبيعة الوضع المرحلي للعربية ولهجاتها عبر أحداثها التاريخية المتأخرة بالنسبة لانتشارها وتعاطيها .

ومما يذكره البكري أن بجيلة وخثعما من أبناء أنمار بن نزار وظعنوا الى جبل السروات فنزلوها وانتسبوا فيهم ، وفي الوقت الذي كانت خثعم مقيمة في جبلي شي وبارق وجبال معها ، اذ مرت بهم الأزد في مسيرها من أرض سبأ فقاتلوهم وأنزلوهم من جبالهم وأجلوهم عن منازلهم ، ونزلتها أزد شنوءة وبقيت بها حتى ظهر الاسلام (5) ، ونزلت خثعم ما بين بيشة وتربة وما صاقب تلك البلاد وما

---

1) معجم ما استعجم 1/ ص: 53-54 . 2) م.س.ص: 60

3) م.س.ص: 54 4) م.س.ص: 55 . 5) م.س.ص: 63

وما والاها الى أن ظهر الاسلام وهم بها ، وتيامنت القبيلتان

كلتاهما (1) .

وأما ابن دريد فيضعها ضمن القبائل اليمنية ،ويقول

فيها : ((ابنا أنمار بن اراش بن عمرو بن الغوث)) (2) ،وفي

نهاية الأرب أن بجيلة قبيلة من أنمار بن أراش (بفتح الهمزة والسابقة

بكسرها) من كهلان وبجيلة أمهم غلب عليهم اسمها (3) ،وفيها أيضا

أن خثعما بطن من انمار من أراش ،من القحطانية ،وأم ولد خثعم

عاتكة بنت ربيعة بن نزار (4).

وسواء أكانتا عدنانيتين أم يمنيتين فان صلة الرحم بينهما

كانت قائمة ، اذ حلف بن خثعم أمه عدنانية ، وأكلب بن ربيعة

ابن نزار دخلوا في خثعم (5) ،وكان بين أحد بطون

خثعم وسادة قريش مصاهرة حيث تزوج امرأة (أسماء) منهم

جعفر بن أبي طالب ،ثم أبوبكر الصديق ،ثم علي بن أبي طالب ،

وتزوج احدى أخواتها (سلمى) حمزة بن عبد المطلب ،وكان البعض

من بني قحافة أهلا في خثعم (6) ،وهذا مثلما يدل على التداخل

الفضائي بين القبائل العربية ذات اللهجات الفصحى يدعم في الوقت

نفسه ظاهرتي التداخل العام والخاص (بين العرب من جهة وقريش من جهة اخرى) .

---

1) معجم ما استعجم 1/ص: 63 . 2) الاشتقاق ص: 516 و 520

3) نهاية الارب ص : 171 . 4) م.س.ن.ص: 243

5) جمهرة ابن حزم ص: 391 . 6) م.س.ص : 390

وينبه الهمداني الى أن سكان أعالي جبال السروات كانوا أفصح ممن كانوا مقيمين في سفوحها ، وخثعم كانت مع أخواتها بجيلة بسروات اليمن والحجاز الى تبالة (1) ،ومربنا أن بجيلة كانت تسكن السراة الوسطى ،فضلا عن الاختلاط الدموي مع الربعيين والقرشيين ،والذي كان يجمعهم مع خثعم ،...

وأما النخع فيرجعون أصلا الى اياد بن نزار ،فنزلت ناحية بيشة وما والاها فصار وامع مذحج في ديارهم منتسبين اليهم ،وقال لقيط بن يعمر الايادي : (2)

ولا يدع بعضكم بعضا لنائبة كما تركتم بأعلى بيشة النخعا

4) قبائل عدنان ومواطنها وتداخلها وظعنها :

آ- ذكر أنه لم يبق بتهامة وغورها من ولد عدنان الا مضر وربيعة ومن كان معهم أودخيلا فيهم من قبائل أخرى أومجاورالهم (3).

ب- عامربن صعصعة : نزلت عامربن صعصعة ناحية من الطائف بمجاورة عدوان أصهارهم (4) ،وبنوعامر هؤلاء هم بنوربيعة بن عامربن صعصعة ،وهم مضريون ،ولهم بطون عدة ،أشهرها :

بنو البكاء ، بنو ذي السهمين ، بنو ذي المحجن ،بنوفارس الضحيا (5) ،

1) نهاية الارب ص: 245

2) معجم ما استعجم 1/ ص: 63 - 64

3) م.س.ص : 76 .

4) م.س. ص : 77 .   5) جمهرة ابن حزم ص: 468

ولما وقعت حروب بين أصهارهم بني عدوان ،وتفرقت جماعتهم ،

وشتت أمورهم ، طمعت فيهم بنو عامر فأخرجتهم من الطائف ،

ونفوهم عنها ،وكان بنو عامر يتصيفون الطائف ،ويشتون بلاد هم من

أرض نجد التي اختاروها ،وفضلوا الرجوع اليها ، ودفعوا الطائف الى

ثقيف مقابل أخذ نصف غلاتها ،وأخيرا وقعت حرب بين ثقيف

وبني عامر لكنهم لم يقدروا عليهم،واستقل الثقفيون بالطائف (1)

ج ـ ربيعة في نجد وتهامة واليمن والحجاز :

تفرقت قبائل ربيعة في بلاد نجد وتهامة بقرن المنازل ،

وحضن ،وعكابة ،وركبه ،وحنين ،وغمرة أوطاس ،وذات عرق ،

والعقيق وما والاها من نجد (2).

وكان بين ربيعة ... اقتتال فتفرق ،حيث ظعنت

عبد القيس الى البحرين وهجر ،ثم تغلبت عليها وفرقتها بين بطونها (3).

ودخلت قبائل ربيعة ظواهر بلاد نجد والحجاز وأطراف

تهامة وما والاها من البلاد ،وتيامنت منها قبائل أخرى كقبيلة أكلب

التي جاورت خثعما وحالفتهم (4)، وتيامنت عنز أيضا وحالفت

خثعما (5).

---

1) معجم ما استعجم 1/ ص: 77ـ78

2) م،س،ص: 79ـ 80

3) م،س،ص: 80 ـ 81

4) م،س ،ص: 82

5) م،س،ص: 83

وبقيت سائر قبائل ربيعة من بكر ،وتغلب ،وغفيلة ،وضبيعة في ظواهر بلاد نجد والحجاز وأطراف تهامة حتى اقتتلوا فلحقت غفيلة والنمر بني تغلب ،وانضمت عنزة وضبيعة الى بكر بن وائل ،وت وبعد تغلب بكر على تغلب انتشرت بكر وعنزة وضبيعة باليمامة والبحرين وأطراف سواد العراق وناحية الابلة الى هيت وما والاها من البلاد (1)ه

د ـ تفرق قبائل مضر : ((لم تزل مضر بن نزار بعد خروج ربيعة مقيمة في منازلها))، (2) ،من براري تهامة وما والاها حتى اكتظوا وتباينوا ،وضاقت بهم بلادهم بما رحبت ،فتنافسوا في المحال والمساكن ،فاقتتلوا وظهرت خندف على قيس (3)ه

1 ـ قيس وخندف ومنازلهما : بعد اقتتال قيس وخندف ظاهرت هذه الأخيرة على الأولى التي ظعنت من تهامة طالعة نحو نجد ، الا قبائل منها انحازت الى غورتهامة ،وقال فراس بن غنم الكناني الخندفي :

أقمنا على قيس عشية بارق ببيض حديثات الصقال بواتك

ضربناهم حتى تولوا وخليت منازل حيزت يوم ذالك لمالك

---

1) معجم ما استعجم 1/ ص : 85 ـ 86

2) م.س . ص : 87

3) م.س.ع.ن.ص

وعلى هذا فقد صارت منازل قيس بتهامة وغورها وما صاقبهما وولاها ، وفي ملك قبائل خندف ، على حين ظعنت اتجاه نجد .

2) منازل هوازن : كانت ما بين غورتهامة الى ما والى بيشة وبركا وناحية السراة والطائف وذا المجاز وحنين وأوطاس وما صاقبها من البلاد (1) .

بيشة مثل تربة والعقيق أودية تنصب من جبال تهامة مشرقية في نجد (2) ، وبرك اسم لعدة مواضع ، وهو برك الغماد (بضم الغين وكسرها) . وذكر المحقق لمعجم البكري أنه برك الغماد الذي يوجد على مقربة من مكة (3) ، وحنين واد قريب من الطائف بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا ، وأوطاس هو واد في ديار هوازن حيث هزمهم الرسول عليه السلام ، فقال سلمة (4) :

ان حنينا ما ؤها فخلوه ان تنهلوا منه فلن تعلوه

هذا رسول الله لن تغلوه

3) منازل تميم وعكل وضبة : بعد تطاحن أبناء الآخوين : طابخة ومدركة ابني الياس بن مضر ، ظهر في بلاد نجد وصحاريها قبائل تميم وعكل وشبة ، ثم مضوا فحلوا منازل بكر وتغلب التي كانوا يحلونها في الحرب التي كانت بينهم ، ثم توسعوا

---

1) م.س: ن.ص

2) م.س.ص: 78

3) م.س.ص: 293 - 294

4) السابق ص : 87- 88

حتى اختالطوا أطراف هجر ،ونزلوا ما بين اليمامة وهجر () (1) ،وانتشرت بعد ذلك قبائل تميم في بادية البصرة حتى اتصلوا بالبحرين واليمامة ،ثم من ورائهم عبد القيس (2).

4 ـ منازل بني سعد بن زيد مناة: هؤلاء بطن من تميم ،وكانوا يقيمون في يبرين والرمال حتى خالطوا بني عامر من بني عبد القيس في بلادهم قطر ،ووقعت طائفة منهم الى عمان ،وأصبحت قبائل منهم بين أطراف البحرين الى ما يلي البصرة (3).

5ـ منازل مدركة بن الياس: قبائل مدركة بن الياس بن مضر أقامت بأراضي تهامة وما والاها من البلاد وما قبها ، وأضحت منتشرة بناحية عرفات وعلا وعرنة وبطن نعمان ... وغيرها ،وكانوا مجاورين لأعجاز هوازن (4).

6 ـ منازل هذيل: توجد لهؤلاء جبال من جبال السراة ، ((ولهم صدور أوديتها وشعابها الغربية ،وسايل تلك الشعاب والاودية على قبائل خزيمة بن مدركة في منازلها ، وجيران هذيل في جبالهم فهم وعدوان ابنا عمرو بن قيس عيلان)) (5) .

7 ـ منازل خزيمة: نزل هؤلاء أسفل هذيل بن مدركة في جبل السراة (6).

---

1) المسالك والممالك ص: 25
2) معجم ما استعجم 1/ص: 88
3) م.س.ع: ن.ص
4) م.س : ن.ص
5) م.س : ن.ص
6) م.س : ن.ص

8 ـ منازل ولد النضر بن كنانة : سكن هؤلاء حول مكة وما والاها (1) وفي النهاية أن بني النضر هم قريش على المذهب الراجح (2)، وذهب آخرون الى أن قريشا هو فهر بن مالك بن النضر ، فلا يقال لاحد قريش الا من كان من ولد فهر (3) ،وفي الجمهرة لابن حزم أن قريشا ولد النضر بن كنانة بن مدركة بن الياس ابن مضر (4) ،وفي الاشتقاق لابن دريد أن فهرا هو ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر (5) ،والارجح عندي أن قريشا هو فهر بن مالك بن النضر بدليل أنه لا يقال لأحد قرشي الا من كان من ولد فهر ،ولقريش قبائل كثيرة ، مثل بني الحارث بن فهر ،وبني جذيمة ،وبني أسد بن عبد العزى ،... وغيرها (6)، وأقام أولاد فهر حول مكة حتى أنزلهم أخيرا قصي بن كلاب الحرم (7).

9 ـ من كان بنجد والحجاز عند مجيء الاسلام :

آ ـ من كان بالحجاز : لما جاء الاسلام كان بالحجاز قبائل كثيرة مثل عبس ،وأسد ،وغطفان ،وفزارة ،ومزينة ،وفهم ،وعدوان ،وهذيل ،

1) نهاية الارب ص: 76
2) م،س،ص: 397
3) جمهرة ابن حزم ص : 479
4) الاشتقاق ص : 25 ـ 30
5) نهاية الارب ص : 398
6) معجم ما استعجم 1/ص : 89
7) م،س،ص: 90

وخثعم ،وهلال ،وكلاب بن ربيعة ،وطي" . ـ وطي" وأسد حليفان ـ
وأما ثقيف وبجيلة فنزلتا حضرة الطائف . وممن بقي بالحجاز من عجاز
جشم ونصر بن معاوية ومن ولد خصفة بن قيس ، وكانوا يقيمون
بحرة بني سليم ،وحرة بني هلال ، وحضرة الربذة الى قرن تربة،
وهم مخالطون لكلاب بن ربيعة (1) .

وقبائل قيس هي : عبس وغطفان وفزارة وفهم وعدوان
وهلال وكلاب بن ربيعة ،وثقيف وجشم ونصر بن معاوية .
وأما مزينة وأسد فهما خندفيتان ،وطي" وسنحيج قحطانيتان (2)
وكذا خثعم على بعض الاقوال ـ كما مربنا ـ وهذا الاختلاط لمختلف
القبائل حتى مجيء الاسلام يكشف لنا عن تجمهر ضخم للقبائل
القيسية من جهة ،وعن التداخل الفاعل القبلي من جهة ثانية ،
مما يجعل اللهجات القبلية النموذجية تتداخل تداخلا متكاثفا ،
وتتفاعل تفاعلا عظيما ، تحت تأثيرات هذا التجمهر الهائل الذي
تلاقى من مختلف اصقاع شبه الجزيرة العربية منذ زمن موغل
في العصر الجاهلي ،أوبعبارة ادق قبل الاسلام بعهد سحيق.
ب ـ نجد : وأما نجد فوجد بها ،والاسلام مشرق ، بنو كعب بن

---

1) جمهرة ابن حزم ص: 479 ـ 483

2) معجم ما استعجم 1/ ص: 90

ربيعة بن عامر، وديارهم الفلج وما أحاط به من البادية
ونمير بن عامر، وباهلة بن يعصر، وتميم كلها بأسرها باليمامة،
وبها ديارهم ما عدا حاضرتها فانها كانت لربيعة بن نزار وأخواتهم (1)،
وهذا التجمع ينبي كذلك عن تداخلات قبلية كثيرة من قيسية
وخندفية وربعية.

ولم يفت الأخنس بن شهاب التغلبي أن يصف هذا الفضاء
التداخلي والتنابذي بين قبائل عربية : (2)

لكل أناس من معد عمارة عروض اليها يلجأون وجانب

لكيز لها البحران والسيف كله وان يغشها بأس من الهند كارب

تطاير على أعجاز حوش كأنها جهام أراق ماءه فهو ذاهب

وبكر لها البر العراق وان تشأ يحل دونها من اليمامة حاجب

وصارت تميم بين قف ورملة لها من جبال منتأى ومذاهب

وكلب لها خبت ورملة عالج الى الرجلاء حيث تحارب

وبهراء حي قد علمنا مكانهم لها شرك حول الرصافة لاحب

وغارت اياد بالسوداء ودونها برازيق عجم تبتغي من تضارب

ونحن أناس لا حجاز بأرضنا مع الغيث ما نلقى ومن هو غارب

---

1) معجم ما استعجم 1/ ص: 91

2) القصيدة مشروحة لغويا في المفضليات ص: 204 - 206 . وأما لكيز الوارد في البيت الثاني فهم ولد عبد القيس بن أفصى بن دعمي بن أسد ابن ربيعة بن نزار، وبنو عجل من لكيز، ومثلهم بنو لخم، والد يبل ومازن، وهذان الاخيران بطنان ضخمان.

التداخلات القطرية واللهجات :

نحن لا نريد أن نتحدث هنا بشكل عام مباشر عن الاشكالية المطروحة حول الحدود أو الفروق بين اللغة واللهجة وخصائصها أو صفات كل مستوى منها ،لان هذا سيطرح لا حقا في ضوء الطرح اللساني العام للغة وما يتصل بها ، لكن رأينا في الوقت نفسه أنه لا مانع من استغلال الدراسة السابقة في هذا البحث والتي تناولت بشيء من التفصيل التداخلات الفضائية للقبائل العربية ذات اللهجات الفصحى للوقوف على حقائق من غير شك أنها كانت احدى نتائجها ،وأعني بها تلك الافرازات اللهجية القطرية وما يحيط بها من رؤى ودراسات وتأويلات .

ان فرديناند دي سوسور يرى أنه ((بقدر ما يوجد من أمكنة توجد لهجات)) (1) ،والفضاء الجغرافي للقبائل العربية ولا سيما تداخلها الفضائي من أحداث تاريخية وسياسية واجتماعية غالبا وتوازيها أحيانا ، لا يصون اللغة المشتركة من أن تطفو على سطح خريطتها مظاهر لهجية اقليمية هنا وهناك ، لأن حركة القبائل البدوية غير المستقرة تنقل معها لغتها وأسلوب خطابها الى كل موقع تغلب عليه أو تحل فيه مثلما

---

1) محاضرات في الالسنية العامة ص : 244 فرديناند دي سوسور ترجمة : يوسف غازي ومجيد النصر ط: 1984 . دار نعمان للثقافة - لبنان

كانت تصنع القبائل العربية المتطاحنة عبر تاريخها المجهول والمعلوم .

ويرى بعض المختصين في اللهجات العربية القديمة أو ممن درسوها وألموا بقواعدها أن ((سعة الجزيرة العربية لم تكن كافية لاستقلال المجموعات الكبرى ، من قبائل الشمال أو الجنوب بلهجاتها ، كي تتمكن هذه اللهجات من التعدد والاستقلال والتطور والنمو ثم تكوين لهجة لها خصائص اللغة المستقلة)) ، (1) ، ونحن لا نرى أن هذا كان سببا وحده في عدم وجود كل لهجة مستقلة عن نظيرتها ، أي لا يعود الى انحسار الفضاء والتنافس القبلي حوله بل يرجع الى كون هذه اللهجات قد انطلقت أو ما انطلقت من عائلة لغوية واحدة ، كما أن النزعة العرقية كانت تحل محلها العصبية القبلية ، وهذا لم يكن ليسير تلك اللغة الأصلية في شيء ما دام العرب ، مهما اختلفوا عصبيا ، فهم جنس واحد عرقيا ، وهذا يخدم الوحدة اللغوية أكثر مما يعمل على تشتيتها الى خصائص لهجية محلية مستقلة ، ويظهر أن تعدد هذه المستويات النحوية والصوتية والمورفولوجية والدلالية هو يشبه الى حد ما تعدد المفردات القاموسية فيها .

أما تلك التداخلات الفضائية بين القبائل العربية وبطونها وأفخاذها بسبب الصفات النفسية التي كانت مفروضة عليها من الداخل والخارج ، فقد

---

1) دراسة اللهجات العربية القديمة ص: 8 ـ 10 . د . داود سلوم
(ط: 1/ 1986 مكتبة النهضة العربية ـ بيروت)

كما نت ا يجا بية ،لا ن ذلك الا ختلا ط بسبب الحر و ب و التحا ملا ت المختلفة

((كسر قيود العزلة أما م اللهجـا ت ،التي كا ن يتوقع لها الا نسا ن

النمـو ،فكا نت تصطد م بعضها ببعض ، فتضطـر اللهجتا ن المتصا د متا ن

الى الأ خـذ والعطا ء ،... ولذ لك فا للهجا ت قـد تهجـر بعض المفردا ت،

أ و تتبنـى بعضها الآخر ،وهذا يؤ د ي الى تقار ب تد ريجـي .... يضا ف

الى ذلك أ ن أرض الجزيرة لا تفصلها موا نع جغرا فيـة ،كالجبا ل الشا هقة ،

والأ نها ر الكـبيرة ،مما يمنع الهجـرة ،أ و يد عو الى الا ستقرا ر ،وينطبق

هذا على كـل الجزيرة العربيـة ،ما عدا بعض منا طق اليمـن حيث تمكنت

بعض القبا ئل من العزلة الا جتماعية ،فا حتفظت بلهجا تها نقيـة ،وسا عد ت

على تطورها ونمـوها بعيدا عـن اللهجـا ت الا خرى)) (1) وذلك كلهجة

مهرة بن حيذا ن ذا ت الاصل الحميري المحلي ،وذ كر ابن دريد أ ن مهرة

بقيت لغتهم الى عهد ه كلغة خطا ب فيما بينهم بسبب ا نعزا لها بالشحر (2).

ومن غير شك أ ن هذ ه القبيلة أ و تلك لم تكن تعي بما تتميز بها بـه

لهجتها عن الا خرى المتقا طعة معها أ و المتبا ينة عنها الا بحس المقارنـة

وعا مل الا فتخا ر ،لأ ن القرويين ((مولعـو ن بمقـا رنـة لهجتهم المحلية

بلهجا ت القرى المجـا ورة)) (3).

---

1) درا سا ت في اللهجا ت العربية القديمة ص: 10

2) الا شتقـا ق ص: 553

3) محا ضرا ت في الالسنيـة العا مة ص: 232

ومما هو قريب من هذا ما حكاه الجاحظ من أن أهل ((الأمصار انما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب ،ولذلك تجد الاختلاف في ألفاظ من ألفاظ أهل الكوفة والبصرة ،والشام ومصر))، (1) وهذا ما بعد مجيء الاسلام فكيف فيما قبله ؟ صحيح هناك فرق بين عصر ما بعد الاسلام وقبله بالنسبة للعربية ولهجاتها ، باعتبار القبائل العربية النازلة على الاخرى من أخواتها للاسباب المبينة آنفا ، هي من ذات جنس لغتها وأساليب وعادات خطابها ، ولكن ظاهرة الشعور بالتفوق اللساني والتباهي به كانت ما بعد مجيء الاسلام أوضح منها ما قبله ،من ذلك أن أهل مكة قالوا لاحد الشعراء من البصرة : ((ليست لكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحة ،انما الفصاحة لنا أهل مكة)) (2).

قد تفرض لهجة واحدة سلطانها بعوامل شيرة كالعامل الديني أو السياسي ذي طابع الزعامة والتوحيد المركزي للسلطة ، الى جانب ما قد تتميز به هذه اللهجة عن نظيراتها من مميزات في الانتاج الأدبي والفني والحضاري او الثقافي بشكل عام .

---

1) البيان والتبيين 1/ ص: 18

2) م.س.ن.ص: 18 - 19

ويعتبر دي سوسور الزمن عاملا أساسيا في أي تنوع جغرافي لهجي اثر كل تداخل فضائي ،(1) بعد أنه يجب ألا نغتر بعامل الزمن بالنسبة لا دراك اللغة عن وعي تاريخي وتطوري أو تغيري ... فاللغة ،كما سنرى في الباب القادم ، لا تدرك ولا يحكم لها أو عليها الا بالاستعمال الملموس محكيا لنا عبر الاجيال والتراث كان أم كتابيا مثل ثابتا فيمسي نصوص . ان العامل الزمني بالنسبة للتنوع اللهجي في أي تداخل فضائي ما هو الا عنصر وهمي لا علاقة له بأي ظاهرة لغتنا الانسانية ،لكن الشيء الذي نتفق فيه مع دي سوسور وغيره في هذا المجال أن اللهجات المتداخلة تتبادل في تأثر الواحد بالأخرى ،حتى ولو كانت هذه غازية وأخرى مغزوة ،لكننا لا نذهب معه بأن التفريق بين التبدلات اللهجية ينبثق عن الزمن ((ومن هنا يجب ترجمة التنوع الجغرافي بالتنوع الزمني)) (2) ،بل يرد كل شيء الى العنصر الزمني ((وبكلمة واحدة ان لا ثبوتية اللغة انما تعود الى الزمن وحده ،ان التنوع الجغرافي هو اذا ، مظهر ثانوي للظاهرة العامة ،ووحدة اللغات ذات القربى لا توجد

---

1) محاضرات في الالسنية العامة ص؛ 239

2) م.س. ص؛ 240

الا زمنيا ،وهذا مبدأ لابد للألسني من تعمقه)) (1) . وكذلك نجد ((أن نموذج الاختلاف الجغرافي لا يكون تاما الا مأخوذا في الزمن)) (2) . هذا موقف لا يخلو من غرابة بالنسبة للساني مثل دي سوسور ،والا فأي شيء هو الزمن ؟ هل هناك فرق بين كمية زمنية وهمية تتمثل في لحظة مضت وإخرى أتيت ؟.

وبالنظر الى هذه التداخلات الفضائية من جهة والى بعض القبائل العربية وبطونها وأفخاذها والى التوزعات اللهجية عبر فضائها ،فانه ليمكن الجزم مسبقا بأنه لم يكن يفصل بين هذه اللهجة القطلية أو تلك الا أحداث هي في مجملها ذات سمات شابهة لحدود اعتباطية أو انتقالية وهمية . وهذا يصدق على كل ما يشبه الحركات القطلية العربية التي تم بيانها ،والتي تمتلك تراثا حيا في الاستعمال من التواصلات اللهجية المضاهية للتراث اللهجي العربي القديم ،ولا يمكن أن نحكم بارتياح ثابت ; هنا تبدأ اللهجة التميمية ،وهنا تنتهي اللهجة الحجازية .... في الوقت الذي نجد شعراء التوحيد اللغوي منذ العصر الجاهلي يكادون يجمعون على استعمال لغة نموذجية أو مشتركة واحدة .

---

1) م.س،ص: 241

2) م.س،ص: 240

المدخل الشاني و فصاحة قبيلة قريش

لا شك أن اللهجة القرشية كانت أكثر تداولا وتواصلا بين المتكلمين من قرشيين وغير قرشيين لعوامل معروفة عند العام والخاص ،وتتجلى بوجه خاص في العامل الروحي ، والاقتصادي و والتجمعات العربية للحج ـ من كل فج عميق من أرض الجزيرة ، وتنظيم مواسم أدبية وثقافية ورياضية ،ونظرة العرب اليهم نظرة موحدة مشوبة بالوقار والتقديس ورغبة كل القبائل العربية قاصيها ودانيها في التقرب اليهم والتبرك بهم عن طريق التصاهر والتعاملات المختلفة التي تدخل في الحياة والحدث والاجتماع الانساني .

ان هذه النظرة أو الرؤية على هذا النحو وغيره جعلت غير واحد من الباحثين اللغويين قدمائهم ومحدثيهم لا يتردد طويلا في تصور اللهجة القرشية لهجة نموذجية لسائر العرب وبرهم وبدوهم ، بحيث ذابت فيها كثير من اللهجات البدوية الأخرى لتتشكل في النهاية لغة أدبية واحدة هي لغة الحكمة ،ولغة الخطابة ،ولغة المثل ، ولغة السجع ،ولغة الشعر ،ولغة الحكاية والآداب الشعبية ، ثم لغة القرآن الكريم .

واني هنا ـ كما في المواضيع الاخرى ـ لا ألتزم قطعا بالترتيب بين قدم الآراء وحداثتها ،وفي البداية يرى الاستاذ عباس حسن

أن ((قبيلة قريش منذ نهضت في أرض الحجاز وبدأت تسود غيرها من القبائل وتتزعمها في الدين والسياسية والاقتصاد وأخذت لهجتها كذلك تسود اللهجات الأخرى ،وتتغلب عليها ،فقد استمرت هذه اللهجة في طريقها من الرقي بواسطة عدة عوامل اجتماعية وسياسية واقتصادية حتى كادت تهمل في جانبها لهجات القبائل الأخرى ،وهي التي أورثتنا هذه الآثار الدينية والادبية والعلمية ،وهي أيضا لغة القرآن والحديث والأدب العربي))(1)،

وبناء على هذه العوامل السابقة وغيرها من المبررات ذات العلاقات العامة الاخرى التي لا يمكن حصرها كلها ، فان اللهجة القرشية ،كما يرى الباحث السابق ، كانت في أغلب الأحيان ((هدفا لأن تطعم من اللهجات الأخرى ، ولكن مهما كثر الدخيل في تلك اللهجة القرشية فلن يرقى ، فيما يظن ، الى أن ينمحي أمامه الأصل ، أي اللهجة القرشية ، ليتأصل ذلك الدخيل ،والذي ينبغي أن نتصوره ونطمئن اليه هو أن لقريش لهجة خاصة ممتازة ،وكانت مع مالها من صلات دائمة باللهجات الاخرى تستطيع وتهضم ما يفد اليها من تلك اللهجات ، وليس أدل على ذلك من هذه الفروق في اللهجات الأخرى)) (2) .

---

1) اللغة والنحو بين القديم والحديث ص: 42 . عباس حسن
(ط: 1966 دار المعارف ـ مصر)

2) م.س.ع: ن.ص

وقال الدكتور أحمد سليمان ياقوت معلقا على قول الاستاذ عباس حسن : ((وما دام الامر كذلك ،أي ما دامت لغة قريش قد سادت واستطاعت أن تبتلع ما عداها من تلك اللهجات ،وأصبحت هي اللغة النموذجية الادبية ، فقد كان حريا بالنحاة أن يضعوا القواعد طبقا لما سمع من هذه اللغة دون غيرها من اللهجات ، وألا يحاولوا أن يطبقوا هذه القواعد على تلك اللهجات مما أحوجهم الى التقدير والتخريج حتى يخضعوها لقواعدهم)) (1) ستدل مرة أخرى بأحد نصوص الباحث المحدثين آخر من أن ((تعدد صور الاعراب في حالة تعدد اللهجات يعني الخلط بين المستويات اللغوية وهذا الخلط أمر ترفضه الدراسات اللغوية الحديثة ،لاصرار هذه الدراسات على وجوب تحديد مستوى الكلام المدروس وبيئته منذ بداية الأمر)) (2) .

ويفهم من بعض دراسات الدكتور ابراهيم أنيس ،وهو يدرس الافعال التي لامها أوعينها من حروف الحلق مثل : نكح ،نزع، رجع، ... والتي خرجت عن القاعدة العامة ،أن لغة القرآن أسست في معظم ظواهرها اللغوية على اللهجة القرشية ،لكن مثل هذه الافعال ((يظهر أنها تنتمي في صيغتها للهجة أخرى غير

---

1) ظاهرة الاعراب في النحو العربي ص: 122 د .احمد سليمان ياقوت (ديوان المطبوعات الجامعية ط: 1983 الجزائر)

2) م.س.ص: 122

اللهجة القرشية)) (1) .

أما الدكتور عبده الراجحي فيرى أن لغة النصوص المحددة بالعصر الجاهلي لم تكن لغة متوحدة توحدا كاملا ، بل كانت لها لهجات كثيرة تختلف ((فيما بينها اختلافا يكبر أو يصغر حسبما يكون بينها من تقارب أو تباعد ، لكن هذه اللهجات المختلفة لم تكن تمنع من وجود لغة مشتركة عامة يصطنعها أصحابها ... اذا كان الأمر كذلك ، فكيف تكونت هذه اللغة العامة ؟ أمن كل هذه اللهجات المختلفة أم من لهجة واحدة تهيأ لها من أسباب القوة والسلطان ما حقق لها السيادة على ما عداها من اللهجات ؟)) (2) ثم يخلص الى القول بأن القدماء يكادون يتفقون ((على أن لهجة قريش هي أعلى اللهجات العربية وأفصحها ، وهي التي سادت شبه الجزيرة العلا العربية قبل الاسلام)) (3) .

وهناك نص قديم لابن فارس يفهم منه فهما جليا أن قريشا : (4)

1) أفصح العرب ألسنة

2) أصفاهم لغة

---

1) من أسرار اللغة ص: 36 د. ابراهيم أنيس، (ط: 3/ 1966 الانجلو مصرية)

2) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص: 40 د. عبده الراجحي (ط: 1969 دار المعارف ـ مصر)

3) م.س : ن.ص

4) فقه اللغة ص: 52 ـ 53 ابن فارس، (ط: 1964 . بيروت) .

3) مفضلون عند الله ، لان النبوة منهم ،ولانهم كانوا قطان حرمه ، وجيران بيته الحرام .

4) تحاكمت العرب اليها في أمورهما،وعظمتهم اياهم مناسكهم.

5) تخيرت أرق وأصفى ما في لغات العرب الوافدين عليها في كل موسم .

6) خالية لغتها من بعض العيوب الكائنة في بعض اللهجات الأخرى .

ان قريشا كانت تسكن مكة ،والمدينة تفسد اللغة،وخاصة حين تكون هذه اللغة قائمة على الطبع والسليقة ،فضلا عن أن القرشيين كانوا تجارا ،والتجارة فيها اختلاط اجتماعي من مختلف الطبقات والأعمار والأقطار أو الامصار ، قائم على المصلحة الاقتصادية المتبادلة أو المشتركة ،ثم ان الرسول ،وهوصبي ، قد نشأ فيهم في بني سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ، وكان هؤلاء أهل وبر ،ولم يكونوا تجارا بالشكل الذي عرفت عليه قريش ، ثم ان قريشا كانت تبعث بغلمانها الى هذه القبيلة المجاورة لتعلُّم أو اكتسابِ اللغة والفصاحة (1) ، ومهما يكن من شأن المتعلم فهو مدين لمعلمه .

---

1) ضحى الاسلام : 2/ص: 247 .أحمد أمين (ط: 10 .دار الكتاب العربي بيروت)

ت

وتمييز الأستاذ أحمد أمين بين الفصاحة من جهة ،وسلامة اللغة من جهة ثانية ـ من دخيل الدخيل فيها ـ أمر في غاية الادراك وأعمق التحاليل ، لأن قريشا لما خالطت غيرها من الأمم عن طريق التبادل التجاري (رحلة الشتاء والصيف) ، فان لغتها من حيث سلامتها من دخول الدخيل فيها ، ينطبق عليها نفس ما انطبق على سواها من اللهجات العربية الأخرى والأجنبية التي خالط أصحابها أمما غريبة ، وان كانت الاختلاطات الدائمة كالمجاورة أكثر تأثيرا وعملا على تحويل لغة وفسادها من تلك الاختلاطات العارضة أو القصيرة كصفقات البيع والشراء ،وعلى هذا الأساس فلان لهجة قريش تكون قد سلمت مما اعترى سواها من اللهجات التي كانت متاخمة للأحباش ،أو الأقباط أو البيزنطيين ...

وعلى هذا ، فان القبائل العربية متفاوتة في فصاحتها ، مثلما هي متباعدة في سلامة لغاتها ،وبعضها اشتهر بالفصاحة كقريش ،وبعضها الآخر اشتهر بسلامة اللغة من دخول الدخيل فيها كلغة هوازن وسواها من اللهجات الجبلية البعيدة عن الاختلاط الجنسي ، وكان تفضيل العلماء والرواة في صدر الاسلام قائما على هذا الاعتبار في جمع اللغات وتدوينها .

أما فيما يخص النقطة الثالثة فان قريشا لم تكن أول من تكلف بولاية البيت أومجاورته ، اذ جرهم أول من ولي البيت ،وكان أول من عشّر من يدخلون مكة بتجارة ، ثم صارت ولاية البيت الى العماليق ثم عادت لجرهم ، ولما كثر ولد اسماعيل غلبوا على أخوالهم جرهم وأخرجوهم من مكة فلحقوا بجهينة (1) ، فانتقلت الولاية من مضر الى خزاعة حتى أصبحت في قصي بن كلاب بن مرة (2) الذي جعل قريشا أورتبها على منازلها في النسبة بمكة ، فجعلهم أباطح ة وظواهر (3) ، بمعنى أن هذا الشرف كان متوا ثر متوارثا ومتنقلا بين قبائل علا عربية شتى ولم يكن وقفا على قبيلة قريش وحدها حتي يكون هذا أحد العوامل في فصاحة قريش وصفائها دون سائر لهجات القبائل الأخرى.

أما تحاكم العرب لقريش ،فليس بين يديّ مايؤيده ،ذلك أن :

1) حكم العرب في الشعر لم يكن قرشيا ،بل لم ينبغ فيها شاعر قبل الاسلام على الاطلاق ، أي الى أن كان عمربن أبي ربيعة.

2) حكم العرب في أمورهم لم حتى آخر العصر الجاهلي هوعامربن الضرب ،وكان حكم العرب بعكاظ ،وهوأول من قرعت له العصا وتحاكمت العرب اليه حتى خرف ،وهو عدواني الأصل .(4) .

---

1) مروج الذهب :2/ص : 22

2) م٠س٠ع٠ص: 32

3) م٠س : ن٠ص

4) جمهرة ابن حزم ص: 243 وص: 264

3) الاسواق في الجاهلية والمواسم كان يحضرها سائر العرب القاصي منهم والداني ، وكانت تقام في دومة الجندل من البحرين ثم في عمان بالبحرين ، ثم في ارم وقرى الشجر وعدن وحضرموت ، وأخيرا ينزلون عكاظ (1) ، وكان الذي يقوم بأمر الحكومة في هذه السوق الاخيرة رجل من تميم ، وكان آخر من قام بها الأقرع حابس التميمي (2) ، وان كانت هذه الوظيفة الاخيرة قد تفسر بتقديس العرب لمنزلة قريش أكثر مما تفسر بأنها وظيفة لم يكونوا أهلا لها ، وهم سدنة البيت الحرام وخدام الحجيج والساهرون على سلامتهم ورعايتهم من أول يوم يحلون فيها بمكة الى آخر يوم يرحلون فيه ، وهذه الظاهرة لا تزال منتشرة في كثير من قرانا الجزائرية حيث نجد قبائل أو شيوخ قبائل هم الذين يقومون بخدمة عشائر وقبائل أخرى مجاورة يقال فيها أو يظن عنها أنها ((شريفة)) ، وذلك من خلال اقامة مأدبات موسمية على بعض أضرحة هذه القبائل ((الشريفة)) ، وهم لا يقبلون بالمرة حتى مساهمة أثرياء هذه العشائر ((الشريفة)) ماديا فقط معهم .

أما المظاهر اللهجية التي خلت منها لهجة قريش فهي لا تعد وأن تكون ظواهر لغوية قبلية محلية ، وليست ذات تأثير

---

1) نهاية الارب ص: 464

2) م س ص: نفس ص

يذكر على الفصاحة ولا على سلامة اللغة ،فمن شاء من شاء من المتكلمين استعملها ، كبيت ذي الرمة :

أعن توسمت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم

حيث أبدل الشاعر الهمزة عينا ،و، ومن شاء هجرها ،بل الظاهر من شعراء التوحيد اللغوي أنهم كانوا يدبرون عنها أزهد من الاقبال عليها ، فعنعنة تميم السابقة ليست بأكثر من تبادل صوتي .

ويحلو لبعض المستشرقين ،ومنهم (لا ن) أن يرتاب في فصاحة لهجة قريش ،معولين على نشأة النبي (ص) في بني سعد واسترضاعه فيهم ، ومن أجل هذا نسبت الفصاحة الى قريش فقط لاعلاء شأنها على أن الرسول منهم (1) .

والظاهر أن أهل المدن لم يكونوا يرسلون أبناءهم الى البوادي من أجل تعلم اللغة وحدها فقط ،وانما كان من أجل اكتساب صفات نفسية كالقساوة والشهامة واعتياد العيش الشظف ،واتقان الفروسية ،وركوب الخيل ،ومعرفة أماكن الكلأ وعيون المياه من مواضيع القحط والجفاف ،... الى جانب اقتناء صفات أخرى أخلاقية كالكرم وقرى الضيف واغاثة المستغيث واجارة المستجير وحماية الجار ، وتعلم الصبر ،... بالاضافة

---

1) ضحى الاسلام :2/ص: 247

الى محاسن قومهم الموروثة .

والناظر في أقدم كتاب في النسب وصلنا ، يستطيع أن يلاحظ أنه كذلك تجمع قريشا وأغلب سائر القبائل العربية رابطة دموية . ومن خلال هذه الرابطة يظهر أن هذه القبائل كانت تتعمد التودد الى القرشيين والتداني منهم في مصاهرتهم ، اذ ان جل نساء أشراف قريش وسادتها في الجاهلية وصدر الاسلام هن من قبائل عربية متنوعة ، وهذا لا يمكن اعتباره صدفة أو اتفاقا . ومثالا على ذلك فان :

1) عاتكة أم هاشم والمطلب وعبد شمس من بني سليم .

2) أم نوفل من بني مازن بن صعصعة .

3) أم عبد المطلب من بني النجار من الأنصار .

4) أم العباس بن عبد المطلب ترجع الى النمر بن قاسط .

5) زوجة العباس بن عبد المطلب التي ولدت الفضل وعبدالله من بني عامر بن صعصعة .

6) عبد الله بن عباس تزوج بامرأة من كندة .

7) زوجة عبد شمس بن عبد مناف من ابن كلاب ، وله زوجة ثانية من مناة بن تميم .

8) أم أبي العاص جد عثمان بن عفان ترجع الى عامر بن صعصعة .

حتى قال النابغة الجعدي :

فتاركنا قريشا في تقاها ... وفي أحسابها شرك العنان

بما ولدت نساء بني هلال ... وما ولدت نساء بني أبان

9) أم قصي بن كلاب ترجع الى بطن من الأزد.

ومن خلفاء قريش (بني هاشم) :

آ- زيد بن حارثة حالا حارثة بن قضاعة.

ب- بنو جعونة بن شعوب من بني ليث بن بكر.

ج- بنو الهادي من بني ليث بن بكر.

د- بنو شيبان من بني سليم بن منصور .... الخ (1).

ومن هذا الحبل الدموي المختلط الضاربة جذوره في القدم والذي بقي مفتولا فتلا ثابتا ومطردا حتى ما بعد بعد الاسلام يتجلى بشكل ظاهر أن القبائل العربية من كل مواقعها كما كانت ترغب في مصاهرتها والعيش تحت كنف حمايتها والتقرب منها ،كانت تندفع اندفاعا يصل الى أخذ أطفالها للاسترضاع فيهم رمزا لهذه العلاقة الروحية والدموية والتاريخية . وليس فقط من أجل تمليك تعليمهم الفصاحة أو سلامة اللغة أو من أجل الاكتساب في حر ذاته من خلال مهنة الرضاعة.

---

1) كتاب حذف من نسب قريش من ص: 3 الى ص: 6

واختلاط اللهجة القرشية بغيرها لا يضع فتيلا من قيمتها اللغوية ما دام الدخيل فيها كان يصقل صقلا جديدا تبعا لقوانين اللغة المستوردة ، وشأن الدخيل فيها أنه اذا قبل على شروطه شأن سائر الألفاظ التي عربت منذ العهد العصر الجاهلي ، والواردة في أشعار الفحول كامرئ القيس والاعشى والنابغة وغيرهم ، ولربما من هنا طرحت اشكالية وجود أو عدم وجود ألفاظ أعجمية في القرآن بين اللغويين والفقهاء المسلمين ، اذ اختلف الأئمة ((في وقوع المعرب في القرآن ، فالأكثرون ، ومنهم : الامام الشافعي ، وابن جرير ، وأبو عبيدة ، والقاضي أبوبكر ، وابن فارس على عدم وقوعه فيه لقوليه تعالى : ((قرآنا عربيا)) ، وقوله تعالى : ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي)) ، وقد شدد الشافعي النكير على القائل بذلك ، وقال أبو عبيدة : انما أنزل القرآن بلسان عربي مبين ، فمن زعم أن فيه غير العربية ، فقد أعظم القول ، ومن زعم أن كذا بالنبطية ، فقد أكبر القول ، ويقابل هذا القول ما جاء عن بعضهم بجواز وقوع ذلك ، وان هناك ألفاظا غير عربية استعملها العرب وجرت مجرى الفصيح فوقع بها البيان ونزل القرآن .

وقال آخرون : كل هذه الالفاظ عربية صرفة ، ولكن لغة العرب متسعة جدا ، ولا يبعد أن تخفى على الأكابر الجلة ، وقد خفي على ابن عباس

معنى ((فاطر)) و((فاتح)) .... وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: والصواب عندي أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء، لكنها وقعت للعرب، فعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم الى ألفاظها، فصارت عربية ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال: انها عربية فهو صادق، ومن قال: أعجمية فصادق، ومال الى هذا القول الجواليقي وابن الجوزي وآخرون)) (1).

ونحن نورد هذا النص لاثارة اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، أنزل بلغة قريش وحدها باعتبارها كانت أو من الممكن أنها كانت اللغة المشتركة التي ذابت فيها معظم أو كل اللهجات العربية الباقية فصارت ذلك العصر الادبي الجاهلي ثم الوحي أم أنه نزل بكل لغات العرب التي اشتركت جميعها في تكوين العصر الادبي وبالتالي كانت مهيأة للتنزيل ؟. ان هذا ما سنحاول أن نثيره في المبحث الثالث التالي من هذا الفصل.

---

1) زبدة الاتقان في علوم القرآن ص: 46 ـ 47. محمد بن علوي بن عباس المالكي (ط:1/ 1981، دار الانسان ـ القاهرة)

الفصل الثالث : اللغة النموذجية ومواقعها بين القبائل

(الفصل الثالث)

خلال التطرق إلى التفكير في انجاز المبحث الثاني من هذا الفصل (الباب) حول درجة أو فصاحة قبيلة قريش، كنت أحسب أنني قادر على بحث هذه المسألة بمعزل عن باقي اللهجات العربية العربية الأخرى التي أحاطت بها خارجيا أو انصهرت في بوتقتها داخليا، غير أنه بعد قراءات متكررة في هذه المسألة، اتضح لي أنه من غير الممكن استقصاؤها بل أخذ نظرة شبه مقنعة عنها دون تناولها مع الكل أي مع اللهجات العربية الأخرى من جهة، ومع الاشارة الى اللغة القرآنية من جهة ثانية، لأنه اذا اقتنعنا بأن اللغة القرآنية هي كلها أو أغلبها تعود الى اللهجة القرشية، فانه يصير من العبث بمكان أن نتناقش في مسألة فصاحة أو درجة لهجة قريش مادام القرآن الكريم منزلا بها.

ذلك أن كل اللغويين العرب القدماء والباحثين في علوم القرآن وقراءاته لا ينكرون أن العربية جمعت من أكثر من قبيلة واحدة، كما أنهم لا يدحضون أن هناك مناطق جغرافية لغوية توصف بأنها فصيحة أو أفصح من غيرها، وخاصة حين يتعرضون الى الحديث الشريف المشهور: ((أنزل القرآن على سبعة أحرف)) (1)

---

1) سيوثق الحديث بعد قليل، ونحن نتحدث عن اللغة القرآنية التي نزل بها وتقاطعها مع لهجات عربية فصيحة عديدة.

مما لا شك فيه أن الحديث عن اللغة القرآنية أو تقويم اللهجة القرشية ، يقودنا حتما الى الحديث عما يسمى باللغة ((النموذجية))، التي كانت متبناة كلغة أدبية منذ العصر الجاهلي ، لكن هذا الحديث لن يكون غاية في حد ذاته بل من خلال القبائل التي أخذ عنها من القبائل التي لم يؤخذ عنها ، ومن خلال التعرض - كما أشرنا - الى اللغة القرآنية .

لكن ما هي الفصاحة ؟ ربما يكون من الهذر والبعد عن المقام هنا لو حاولنا أن نطنب في تفصيل هذه النقطة لأنها تتباين من غرض الى غرض ، ومن عالم يشتغل في حقل الى مختص مهتم بحقل آخر ، اذ مفهومها في وجهة نظر المستعمل أو الباث هي ليست ذاتها في وجهة نظر المستمع أو المتقبل للرسالة ، زد على ذلك أن الفصاحة بالنسبة للغة فى حد ذاتها ليست مستوية الرؤية ولا التقدير ما بين شكلها ومضمونها ، وهي في مجازها شيء آخر بالنسبة لحقيقتها ، ولمستعملها الأكثر شيوعا ليس هو عينه بالنسبة للأقل أو الأندر استعمالا وتداولا بين القوم منها ، ولذا فاننا كلما اضطررنا الى لمس هذا الموضوع أو الجانب ، فسنقتصر على ربطه بالمتكلم أو تحديد المنطقة اللغوية أو القبيلة (1) .

---

(1) لا يخفى على المختصين الكتب والابحاث والاعمال التي تناولت هذا هذا الموضوع بالنسبة للقدماء ، وأما بالنسبة للمحدثين فيبدو أن :
((علم الفصاحة العربية)) للدكتور محمد علي رزق الخفاجي (ط: 2/ 1982

ومما ذهب اليه الدكتور شوقي ضيف أن لهجة قريش هي

عين الفصحى التي سادت وعمت في العصر الجاهلي لا في الحجاز

ونجد فحسب ،بل اقتحمت أبواب القبائل الجنوبية من حميريين

ويمنيين ،ولأن القرآن نزل بلغة قريش لقوله تعالى :

- ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ)) (1)،

ثم يردف : ((أما ما يردده اللغويون من أن القرآن الكريم

نزل على سبع لغات منها خمس بلغة العجز من هوازن ، ... فذلك

في رأيي انما هو تفسير منهم للحديث النبوي : ((أنزل

القرآن على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه)) ،فقد فسروا الحروف

باللغة أو اللهجة ونظروا فوجدوا لهجات العرب ولغاتها كثيرة ،

فاختاروا منها سبعا هي أفصحها ،وهي التي كان يرحل اليها اللغويون

لجمع مادتهم اللغوية الصحيحة)) (2) .

ان قول الدكتور شوقي ضيف أعلاه لا يخلو من غرابة وتناقض ،

لأنه لا يميز بين نزول القرآن كنص هو وحي ، وبين هذا النص كقراءة

متواترة بأكثر من وجه ، وكلها (القراءات المتواترة) تحمل على

قارئ واحد هو الرسول عليه السلام ،لانه من غير المقبول

-- دار المعارف -القاهرة) يعد كتابا قيما محيطا بالمسألة .

1) سورة ابراهيم : آية : 4

2) تاريخ الأدب العربي : 1/ص: 134 - 135

حسب علمنا أن قارئا يقرأ حسب هواه أو ما يراه هو أفصح من الوجه الآخر دون أخذ القراءة المتواترة مرجعا أساسيا لقراءته مثلما نجد في القراءات الصحيحة .

وانما قد يفهم من الحديث النبوي السابق أن الله أراد أن يخفف على الأمة وييسّر عليها تهوين مشقة انتقال اللسان من لهجة الى لهجة ، لان الرسول لم تكن تعوزه اللغة ولا الفصاحة في فهم كل قوم أو تفهيمهم ، ولذلك لما وردت عليه الوفود أقرأ الأخماس - أي العالية ، وبكر بن وائل ، وتميما ، وعبد القيس ، والأزد - كل خمس على لغته ، ولوحظ أن أعراب القوم عندئذ تميم (1)

ولربما كان الاستاذ مصطفى صادق الرافعي ممن أدرك الاشكالية في الصميم ، وهو يتحدث عن أفصح القبائل قائلا : ((وهذا فصل لا يؤخذ فيه الا بأقوال الرواة الذين جمعوا اللغة وتلقوها عن أهلها ، وذلك لتقادم العهد بزمان العرب ، ولان لغاتهم غير مميزة في التدوين حتى يعارض بعضها ببعض ويفصّل بينها بطبقات ، ... والفصيح عندهم ما كثر استعماله في ألسنة العرب ودار في أكثر لغاتهم)) (2) .

وكما لمحنا أعلاه ، لا يمكن معرفة هذه المسألة والإحاطة بها

1) الفاضل ص: 13 ، المبرد ، (ط : 1956 دار الكتب العربية) .
2) تاريخ آداب العرب : 1/ص : 131 - مصطفى صادق الرافعي (ط : 4/ 1974 دار الكتاب العربي - بيروت)

دون أن نتناولها ضمن علاقات لغوية تهلية شاملة وفق ما قال به الرواة المتشددون أو النقلة المعتدلون ، من ذلك ما يفهم من أمرين واردين في نص للفارابي : (1)

1) القبائل التي أخذ عنهما ،وعليها اتكل :

آ ـ في الغريب

ب) في التصريف .

ج ـ في الاعراب

2) القبائل التي لم يؤخذ عنها .

أما القبائل التي أخذ عنها جماع اللغة فهي :

1) تميم

2) قيس

3) أسد

4) بعض كنانة

5) بعض طيء

أما القبائل التي لم يؤخذ عنها ـ باختصار ـ فهي كل القبائل التي كانت متاخمة لأمم أجنبية على طول حدود شبه الجزيرة العربية من فرس وأنباط وبيزنطيين وأحباش ... وكذلك لم يؤخذ من بني حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف وأهل الطائف .

---

1) المزهر : 1/ ص : 211 ـ 212

نظرا لمخالطة هؤلاء تجار اليمن المقيمين عندهم ،ولا من حاضرة الحجاز ،لان جماع اللغة وجدوهم خالطوا غيرهم من الأمم الاجنبية ،ففسدت ألسنتهم .

والذي يبدو لأول وهلة أو نظرة للنص أعلاه أنه كيف ترفض اللغة من ثقيف ،وأن عمر بن الخطاب صرح أو أمر ((ألا يملي في مصاحفنا الا غلمان قريش أو ثقيف)) (1) .

كما أن النص ينظر الى المخالطة على الاطلاق ،حتى كأنه لا فرق بين مخالطة أهل الطائف وثقيف لليمنيين الذين هم عرب أقحاح وللأعاجم الاجانب عن العربية كلية ،الا من نشأ بين العرب صغيرا أو بينهم وقتا طويلا .

وأما الدكتور طه حسين فقال :((فلم يكن التميمي أو القيسي حين يقول الشعر في الاسلام يقوله بلغة تميم أو قيس ولهجتها ،انما كان يقوله بلغة قريش ولهجتها)) (2) لأن القرآن ((الذي تلي بلغة واحدة ولهجة واحدة هي لغة قريش ولهجتها ،لم يكد يتناوله القراء من القبائل المختلفة حتى كثرت قراءاته وتعددت اللهجات فيه ،وتباينت تباينا كثيرا)) (3)

---

1) فضائل القرآن ص: 34 لابن كثير (ط: 1966 دار الاندلس، بيروت)

2) في الادب الجاهلي ص: 103 .د .طه حسين (ط: 1964 دار المعارف ،مصر)

3) م.س.ص: 93

والواقع أن العلماء لما شدوا الرحال لأخذ اللغة عمن مثل هذه القبائل التي ذكرها طه حسين ،انما صنعوا ذلك والاسلام قائم ،وجدوا اللهجات مختلفة في قواعدها ،ثم استشهدوا على وضع القواعد وتأييد كل مذهب بأشعار فحول القبائل ذات اللهجات الفصيحة خاصة ،لشعراء مقلين ومكثرين ، معلومين ومجهولين ،والاسلام قائم أيضا .

وبشأن السبعة أحرف أن هذا الحديث موثق عند الامام البخاري وغيره ،وهو يروى مسندا بروايات طويلة ،ولكن الروايات تتفق في النهاية على أن القرآن أنزل بسبعة أحرف (1) ، لكنهم يختلفون في تفسيره اختلافا شديدا ، لا سيما حين نجمع تفسير الفقهاء بتفسير اللغويين (2) ،الا أن هناك أقوالا مشرقة حول الحديث النبوي يمكن للعقل أن يطمئن اليها ، ومنها قول أبي عبيد : ((ولا نرى المحفوظ الا السبعة لانها المشهورة ،وليس معنى تلك السبعة أن يكون الحرف الواحد يقرأ على سبعة أوجه ،وهذا شيء غير موجود ،ولكنه عندنا أنه نزل سبع لغات متفرقة في جميع القرآن من لغات العرب ، فيكون الحرف الواحد منها بلغة قبيلة ، والثاني بلغة أخرى سوى الاولى ،والثالث بلغة أخرى سواهما

---

1) راجع مثلا : فضائل القرآن ص : 28

2) لمن أراد التوسع في هذا المسألة فليعد مثلا الى المرجع أعلاه من ص : 28 الى ص : 33 ثم الى ما بعدهما .

كنذلك الى السبعة ،وبعض الاحياء أسعد بها وأكثر حظا فيها من بعض)) (1) .

بينما يسند الى ابن عباس أنه قال : ((نزل القرآن على سبع لغات منها خمس بلغة العجز من هوازن)) (2) حيث فسر أبو عبيد العجز بأنهم هم بنو أسعد بن بكر ،وخيثم بن بكر ، ونصر بن معاوية ،وثقيف وهم عليا هوازن الذين قال فيهم أبو عمرو بن العلاء : ((أفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم يعني بني دارم)) (3) .

ومما هو عليه أهل العلم والتفسير أن المراد بسبعة أحرف هي سبعة أوجه من المعاني المتقاربة بألفاظ مختلفة نحو : أقبل وهلم وتعال . وقال القاضي الباقلاني : ((ومعنى قول عثمان انه نزل بلسان قريش أي معظمه ،ولم يقم دليل على أن جميعه بلغة قريش كله ، قال الله تعالى : ((قرآنا عربيا)) ولم يقل : قرشيا ، قال : واسم العرب يتناول جميع القبائل تناولا واحدا ، يعني حجازها ويمنها)) (4) .

ويذهب الرازي الى أن الكلام لايخرج عن سبعة أحرف في الاختلاف :(5)

1) اختلاف الاسماء من افراد وتثنية وجمع ،وتذكير وتأنيث .

2) اختلاف تصريف الافعال من : ماض ، مضارع ، وأمر

---

1) فضائل القرآن ص : 33

2) م.س.ص : ن.ص (3 م.س.ص: 34 . 4) م.س.ص: 38

5) معجم القراءات القرآنية :1/ص :71 الدكتوران : عبد العال سالم واحمد مختار (ط:1/1982 ذات السلاسل ـ الكويت)

3) اختلاف وجوه الاعراب

4) الاختلاف بالنقص و الزيادة

5) الاختلاف بالتقديم والتأخير

6) الاختلاف بالابدال

7) اختلاف اللغات

ومما يدل على استبعادنا لقبول قول أو تقدير الشيخ أبي الفضل الرازي أن الاختلاف الأول في حد ذاته يتكون على الأقل من مستويين مختلفين : الجنس والعدد ، فيملا غير أنني أعترف مع ذلك وفق ما نجد في التصنيفات اللسانية الحديثة لبنية أقسام الخطاب في لغة أخرى غير العربية كالفرنسية مثلا ، أن هذه البنية لا تعدو أن تكون ثماني فئات للخطاب ، وهذه الفئات الثماني ليست حجة على العربية عدديا ، لان مصنفي أقسام البنية الخطابية في هذه اللغة يفرقون بين فئات الحروف من جهة و(la classe des prépositions) وفئات الروابط من جهة ثانية ، وهي المسماة : ((la classe des conjonctions))

وهذه الفئات اللسانية التي تكون بنية الخطاب تتشكل كما يلي : (1)

1) الفئات الاسمية .

---

1) voir : Guide pratique de Grammaire Française P: 51 , 54 Charles Guedert EDITION Hachette 1978

1.1 : الا سم

1.2 : الفئا ت الفرعية

1.3 : الجنس

1.4 : تحديد الا سماء

1.5 : تكوين الجمع

1.6 : اسم العلم

1.7 : صنف أسماء عرضية

2) <u>الفئات الفعلية</u> :

2.1 : تركيب الفعل في الجملة

2.3 : تكوين الفعل

2.4 : الزمن

2.5 : التحويل من الا سلوب المباشر الى الا سلوب غير المباشر

2.6 : هيئة الفعل

2.7 : التصريف

3) <u>الفئات التعريفية</u> :

3.1 : أدوات التعريف

3.2 : أسماء الا شارة

3.3 : ما دل على الملكية

3.4 : الا عداد

4) فئات الصفات :

4.1 : مختلف الفئات النعتية

4.2 : وظائف النعت

4.3 : درجات المقارنة بين الصفات

5) فئات الظروف والاحوال :

5.1 : التعابير الظرفية والحالية

6) فئات الحروف :

6.1 : التعبير بالحروف

6.2 : أهم الحروف

7) فئات الضمائر :

7.1 : الضمائر الشخصية

7.2 : الضمائر المتصلة

8) فئات الروابط :

8.1 : وظائف هذه الفئات

وعليه ، فان تقسيم الشيخ الرازي على الرغم من ابتعاده عن هذا التقسيم جملة وتفصيلا ، الا أنه يظل مع ذلك متلاقيا معه .

ولعل من تعمق المسألة وفهمها فهما عميقا ، حيث جمع بين تفسير الفقهاء وتحليل اللغويين ، هو ابن قتيبة ، ونظرا لا همية هذا التحليل فانا سنورده مطولا حتى لا نخل بوجه من وجوهه .

قال ابن قتيبة : ((أما ما اعتلوا به في وجوه القراءات من الاختلاف ،فانا نحتج عليهم بقول النبي (ص) : ((نزل القرآن على سبعة أحرف ، كلها شاف كاف ، فاقرؤوا كيف شئتم)) .

وقد غلط في تأويل هذا الحديث قوم فقالوا : السبعة الأحرف : وعد ، ووعيد ، وحلال ، وحرام ، ومواعظ ، وأمثال ، واحتجاج .

وقال آخرون : هي سبع لغات في الكلمة .

وقال قوم : حلال ، وحرام ، وأمر ، ونهي ، وخبر ما كان قبل ، وخبر ما كا . هو كائن بعد ، وأمثال .

وليس شيء من هذه المذاهب لهذا الحديث بتأويل .

ومن قال : فلان يقرأ بحرف ((أبي عمرو)) أو بحرف ((عاصم)) ، فانه لا يريد شيئا مما ذكروا ، وليس يوجد في كتاب الله تعالى حرف قرئ على سبعة أوجه يصح ،فيما أعلم .

وانما تأويل قوله ، صلى الله عليه وسلم : ((نزل القرآن على سبعة أحرف)) : على سبعة أوجه من اللغات متفرقة في

في القرآن ....و ((الحرف)) ، يقع على المثال المقطوع من حروف المعجم ،وعلى الكلمة الواحدة ،ويقع الحرف على الكلمة بأسرها ،والخطبة كلها ، والقصيدة بكمالها .

وقد تدبرت وجوه الخلاف في القراءات فوجدتها سبعة أوجه :

أولها : الاختلاف في اعراب الكلمة ،أو في حركة بنائها ، بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب ولا يغير معناها ، نحو قوله تعالى :

((هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ)) (1) ،وأطهر لكم ...

والوجه الثاني : أن يكون الاختلاف في اعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب ، نحو قوله تعالى :

((رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا)) (2) ، وربنا باعد بين أسفارنا ..

والوجه الثالث : أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة دون اعرابها ، بما يغير معناها ولا يزيل صورتها ،نحو قوله :

((وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا)) (3) ،وننشرها ...

والوجه الرابع : أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتاب ،ولا يغير معناها ، نحو قوله :

((إِنْ كَانَتْ إِلَّا زقية)) و ((صَيْحَةً)) .... (4)

---

1) سورة هود : آية : 78 . 2) سورة سبأ : آية : 19
3) سورة البقرة : 259 . 4) سورة يس : 29

والوجه الخامس : أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها نحو قراءة :

((وَطَلْعٍ مَنْضُودٍ)) في موضع ((وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ)) (1)

والوجه السادس : أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير ، نحو قوله :

((وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ)) (2) ،وفي موضع آخر :

((وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الحق بالموت)) .

والوجه السابع : أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان ،نحو قوله تعالى :

((وما عملت أيديهم)) ، ((وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ)) (3) ...

فكان من تيسيره (الله سبحانه) : أن أمره (النبي عليه السلام) بأن يقرئ كل قوم بلغتهم وما جرت عليه عادتهم :

فالهذلي يقرأ : ((عتى حين)) ، يريد : ((حَتَّى حِينٍ)) (4) ،لانه هكذا يلفظ بها ويستعملها .

والاسدي يقرأ : ((تعلمون وتعلم)) و ((تَسْوَدُّ وُجُوهٌ)) (5) و ((أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ)) (6).

والتميمي يهمز ،والقرشي لا يهمز .

---

1) سورة الواقعة : 29

2) سورة ق : 19

3) سورة يس : 35

4) سورة المؤمنون : 54 ، 5) سورة آل عمران : 106

6) سورة يس : 60

والآخر يقرأ ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ)) (1) ((وَغِيضَ الْمَاءُ)) (2) باشمام الضم مع الكسر ،و ((هذِهِ بِضاعَتنا رُدَّتْ إِلَيْنا)) (3) باشمام الكسر مع الضم ،و ((مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا)) (4) باشمام الضم مع الادغام ، وهذا مالا يطوع به كل لسان .

ولو أن كل فريق من هؤلاء ، أمر أن يزول عن لغته ، وما جرى عليه اعتياده طفلا و ناشئا وكهلا ، لاشتد ذلك عليه ،وعظمت المحنة فيه ، ولم يمكنه الا بعد رياضة للنفس طويلة ، وتذليل للسان ، وقطع للعادة ، فأراد الله برحمته ولطفه ،أن يجعل لهم متسعا في اللغات ،ومتصرفا في الحركات ، كتيسيره عليهم في الدين حين أجاز لهم على لسان رسوله ، صلى الله عليه وسلم ،أن يأخذوا باختلاف العلماء من صحابته في قراءتهم وأحكامهم ،....)) (5) .

---

1) سورة البقرة : 11

2) سورة هود : 44

3) سورة يوسف : 65

4) سورة يوسف : 11

5) تأويل مشكل القرآن ص: 33 - 40 (بتصرف في الاختصار) ط: ابن قتيبة (ط: 1973/2 ، دار التراث ، القاهرة)

لا شك أن اختلاف القراء والعلماء أعم منه بين العرب ، لان العرب كانت تتكلم عن سجيتها لتعبر عن وجدانها وأغراضها بخطابات مباشرة وغير مباشرة دون مراعاة للصنعة والتكلف ودون تقدير لأي تفسير من المتقين لكلامها .

غير أن الذي نراه ونميل اليه بقوة ، مع تقديرنا لكل الآراء والتفسيرات التي نسجت حول الحديث النبوي ، أن هذا الحديث ينبغي ان يفسر وفق علم التركيب أو السانتكس لا علم اللهجات أو القراءات السبع أو العشر ... أو بعض القراءات الشواذ ، ثم ان القرآن الكريم معجز بتركيبه أو بنيته أو نظمه علاوة عن المعجزات الأخرى الواردة فيه ، وهو حين تحدى العرب الأقحاح أصحاب لغته لم يتحدهم بما فوق عقولهم بما وراء علومهم ليأتوا بمعجزات ماضية أو حاضرة أو غيبية بل تحداهم ليأتوا هم والانس والجن معهم ، بمثل هذا القرآن أو سورة منه أو أدنى شيء من تركيبه .

ولهذا فان مفهوم السبعة أحرف عندنا مفهوم لساني تركيبي أو سانتكسي ، وبالنظر الى أقسام الخطاب التي تتركب منها اللغات الانسانية الناضجة عموما ، فان السبعة أحرف لا تكاد تبتعد عن هذه القاعدة اللسانية العامة ، والا تعذر ترجمة

القرآن الكريم الى لغات الشعوب الاسلامية التي لم تتعرب حتى الآن ، وهذه معجزة لسانية في هذا الحديث النبوي الشريف لم أعرف أحدا من اللغويين أو المفسرين قدمائهم ومحدثيهم قال به حتى الآن.

وعليه ،فان مفهوم السبعة أحرف بالنسبة لنا لها دلالتان :

أولاهما معجزة لسانية عامة تتعلق ببنية أقسام الخطاب ومراتبه ،والتي لم تبحث في اللغة العربية بشكل عام ولا في اللغة القرآنية بشكل خاص حتى الآن، على الرغم من الجهود التي بذلت من باحثين عرب قدماء ومحدثين في خصائص وأشكال اللغة القرآنية بما في ذلك ماسمي بـ ((النحو القرآني)) (1). وثانيتهما أنها خاصة بكل لغة لغة خصوصا باللغة العربية باعتبارها اللغة الاولى التي سجلت كلام الله بواسطة الوحي ، ثم انها آخر لغة انسانية تسجل الكلام الالهي بواسطة وحي أيضا . ويظهر لي من حيث المبدأ أنها محصورة في سبعة نماذج عامة ،يمكن تصنيفها وفق تراكيب سانتكسية ،مثلا يمكن أن تشل الجمل السبع التي لها محل من الاعراب هذه التراكيب تعارضا بالجمل السبع التي ليس لها محل من الاعراب ، حسب منطق النحاة العرب .

واذا قلنا بالجمل السبع التي لها محل من الاعراب بالتعارض مع الجمل السبع التي ليس لها محل من الاعراب ، فلأنّ التعبير عن

---

1) لايمكن هنا أن نحصر كل الأبحاث والكتب التي تعرضت الى اللغة القرآنية تحليلا وتركيبا ، ومن هذه الكتب ((نظرية النحو القرآني)) للدكتور أحمد مكي الانصاري الذي حاول أن يبحث نشأة النحو القرآني وتطوره (نظريته) ، منهيا بحثه بنماذج تطبيقية .

جملة واحدة كالتعبير عن اثنتين ، والتعبير عن السبع منها كالتعبير عن أربع عشرة منها ،لانه يستحيل على المتكلم الفرد أن يستعمل حتى جملتين متآلفتين في آن واحد فضلا عن أن يستعمل في هذا الآن ذاته جملتين متعارضتين من تركيبين مختلفتين . وتمثل الواحدة في وعي المتكلم اللغوي لا يعني الا وجود الآخرى .

لان ما يسمى بالجمل السبع التي لها محل من الاعراب فانها مفهومة على أنها محولة من بنيات جمل أخرى أصلية أو نواتية وهي اما بسيطة واما مركبة أو متعددة ،أي ما يسمى بالجمل التي لها محل من الاعراب هي جمل تقوم مقام عناصر أصلية . لكن النحاة حصروها في سبعة نماذج عامة بحيث يستطيع نموذج واحد منها أن يقوم مقام نموذج آخر أو أكثر مما يناسبه في نوع التركيب ،كالجملة الواقعة فاعلا أو نائب فاعل .

ومما يدل على أن ما يسمى بالجمل التي لها محل من الاعراب ، وهي كلها جمل معقدة او مركبة ، ما هي الا تراكيب سانتكسية موسعة لجمل أصلية أونواتية ، ويمكن في الآن ذاته أن تحول الى أكثر من تركيب ،أننا كمتقبلين لها لا نفهمها من خلال كونها جملا معقدة أو موسعة بل من خلال تمثلنا لجملها الاصلية التي ولدتها :

1) في الجمل التي لها محل من الاعراب :

آ) الناس قلوبهم قاسية

ب) ظننت الولد لا يصدق

ج) عاد المسافر وهو فرح

د) غدا العامل الى عمله رغم أنه مريض

هـ) من يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه

و) للأمة العربية تاريخ ماضيه مجيد

ز) الظالم يمهل ولا يهمل

ان هذه التراكيب السبعة هي تراكيب أساسية أو نموذجية ، وتوليدها لا يمكن أن يكون نهائيا ،وكل منها يمكن أن تكتب على الشكل التالي تبعا لفهم المتقبل لها من خلال جمل أو تراكيب أخرى مشتقة منها أو أن هذه مشتقة أو موسعة من جمل أصلية متماثلة في وعي المتكلم اللغوي ذي الملكة اللسانية في لغة معينة :

آ ـ تكتب :

1) قلوب الناس قاسية

2) الناس قساة القلوب

واذا ما حولت الى الاستفهام ،فانها تكتب أيضا :

1) أقاسية الناس قلوبهم ؟

2) أقاسية قلوب الناس ؟

3) أقلوب الناس قاسية ؟

ب) - تكتب :

1) ظننت الولد غير صادق

ج) - تكتب :

1) عاد المسافر فرحا

د) تكتب :

1) غدا العامل الى عمله رغم مرضه

هـ) تكتب :

1) تعدي حدود الله ظلم

و) تكتب :

1) للامة العربية تاريخ مجيد الماضي

2) تاريخ الامة العربية مجيد الماضي

ز) تكتب :

1) الظالم ممهل ولا مهمل (باعتبار : مهمل وممهل كليهما اسم مفعول)

أما الجمل التي يزعم النحاة أنها لا محل لها من الاعراب فان بعضها على الاقل لا يخلو من تساؤل وغموض ، من ذلك الجلة الجملة الابتدائية .

ولنكتب التركيبين أو الجملتين :

1) الجزائر مساحتها واسعة

2) كانت الجزائر تصدر القمح الى فرنسا

أليست الجملتان كلتاهما في صدر الكلام أو التركيب ؟ ألا يمكن لأي نموذج على نحوهما أن يرد في نص منقطعا عما قبله مثل :

هطل المطر ، عصفت الريح ؟ .

لماذا تكون (1) أعلاه ذات محل من الاعراب باعتبارها محولة أو مشتقة من جملة أصلية أو نواتية أخرى (مساحة الجزائر واسعة ...) ولا تكون الثانية بعدها لا محل لها من الاعراب على أنها ابتدائية ؟ و (1) أليست ابتدائية ؟ وكيف يعقل أن تكون جملة :

كانت الجزائر..الخ لا محل لها من الاعراب لانها ابتدائية وجملة :

تصدر القمح..الخ ذات محل من الاعراب على أنها خبر ((كان)) ؟ ؟

ان ما يسمى بالجمل التي ليس لها محل من الاعراب هي تراكيب بالدرجة الاولى . ليست متعلقة باللغة في حد ذاتها بقدر ما هي تابعة للاختيار الحر للفرد المتكلم حسب ما يحضره من بنية سانتكسية لغوية ، وليس فقط أو بالضرورة حسب المقام ، فبينما يمكن

لمتكلم عربي - مثلا - أن يعبر عن غرض بجملة موصولة :

حضر الذي يستحق الجائزة

يمكن لمتكلم آخر من نفس اللغة - ليس بالضرورة ان يكون عربيا -

أن يعبر عن الغرض ذاته متجنبا الجملة الموصولة :

مستحق الجائزة حضر ، على الرغم من أن النتيجة - حسب منطق النحاة -

واحدة ، أي أن الجملتين كلتيهما لا محل لهما من الاعراب ، على أن

الاولى موصولة ، والثانية ابتدائية .

ان النحاة العرب في مثل هذه التواكيب قد التزموا

بتفسيرات ماورائية أو خارجية ، وابتعدوا عن التفسيرات الطبيعية

الداخلية الداخلية للغة العربية . فاذا قلنا مثلا :

الولد أصغر من الاب (تلازم منطقي وبديهي)

الشمس أكبر من الارض ، الشمس تكبر الارض ، الارض أصغر من الشمس ،

الشمس دون الارض ... (تلازم علمي)

وحياتك لأخلصن الى الوطن (تلازم في الدال لا في المدلول)

ان تجتهد تنجح (غير متلازمة في الدال ولا في المدلول ، لكن

التلازم حاصل ما بين الشرط وجوابه أي هو تلازم مشروط بتركيب

لساني رياضي لا بتركيب دلالي) ... الخ

ان . . اختيارنا لتفسير الاحرف السبعة تفسيرا لسانيا

مرتبطا بالتركيب السانتكسي المتعدد في نحو سبعة تراكيب أساسية

جميعا من اقتناعنا بأن العلماء الذين تناولوا هذه المسألة في وضعها الفقهي أو وضعها اللساني أو التفسيري أو القرائي ...
لم يتفقوا على وجه واحد أو حتى متقارب الا قليلا ،على الرغم من أن بعض التحاليل ،كتحليل ابن قتيبة ، هي تحاليل داخلية ،لكنه حين ربطها بقراءة هذا القارئ أو ذاك ابتعدت نوعا ما عن طبيعة التحليل الداخلي للغة ،وكأن هذه التراكيب منتهية ،ولوكان الامر كذلك لكانت لكانت القراءات القرآنية موحدة ،وليس معنى هذا أن قارئا يركب بدل أن يقرأ أو يولد جملة أو جملا أخرى حسب هواه عوض أن يتبع القراءات أو واحد من القراءات المتواترة ،ولكن القصد أن هناك سبعة أقسام للخطاب في العربية ،بحيث كل قسم منها يقابل حرفا،وهكذا دواليك ، وهي أقسام أو أحرف نموذجية أو أساسية صيغ بها النص القرآني على سنة أو سنن اللغة العربية باعتبار القرآن الكريم صرح عن نفسه بأنه قرآن أو لسان عربي مبين في أكثر من مرة :

- ((قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)) (1)
- ((بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)) (2)
- ((وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ)) (3)

---

1) سورة الزمر : 28
2) سورة الشعراء : 195
3) سورة النحل : 103

- ((فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا)) (1)

- ((فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون)) (2)

- ((وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا)) (3)

((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ)) (4)

((كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)) (5)

الى غير ذلك من الآيات الدالـة على ذلك .

وأما قول البخاري : ((نزل القرآن بلسان قريش والعرب قرآنا عربيا بلسان عربي مبين)) (6) ففيه من الصدق ما فيه طبعا للآيات القرآنية نفسها ،على الرغم من أن آية واحدة منه لم تصرح بقرشيته بل كلها تعمم بعروبته ،لكن باعتبار النبي عليه السلام من قريش ،فان التخصيص الى جانب التعميم مقبول ،وهو شيء واحد مادام النبي عربيا صليبة ولسانا ،لكن لا يمكن أن يدخل التعميم هنا مع ذلك تحت التخصيص ،والا كنا نتقول شيئا على القرآن الكريم لم يقل هو به .

وأما قوله الآخر (البخاري) : ((فأمر عثمان بن عفان زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن

---

1) سورة مريم : 97

2) سورة الدخان : 58

3) سورة الاحقاف : 12

4)سورة ابراهيم : 4

5) سورة فصلت : 3

6) فضائل القرآن ص : 12

الحارث بن هشام أن ينسخوها في المصاحف ،وقال لهم ؛ اذا اختلفتم أنتم وزيد في عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش ، فان القرآن نزل بلسانهم ،ففعلوا)) (1) فانه غير مسوّغ لدينا ، فعمر بن الخطاب مثلا قد اختلف مع هشام بن حكيم في قراءة سورة الفرقان ، مع أنه كليهما قرشي (2) ، وانما سمع كل واحد منهما في غياب الآخر الرسول (ص) يقرأها بتركيبين مختلفين على ضوء نموذجيين أساسيين أو على لهجة قبيلتين مختلفتين .

ومما يجب التنبيه اليه هنا أن قراءات الائمة السبعة متفق عليها اجماعا ،لان لكل منهم سنداً صحيحاً في روايته ، لكن ينبغي في الوقت نفسه ألا تعد هذه القراءات السبع هي تفسير جامع مانع للاحرف السبعة ، وقد نبه على هذه المغالطة ابن الجزري بقوله ؛ ((لا يجوز أن يكون المراد من الاحرف السبعة هؤلاء السبعة القراء المشهورين وان كان يظن بعض ، لان هؤلاء السبعة لم يكونوا خلقوا ولا وجدوا)) (3) ، ومن أجل هذا وجه العلماء نقدا شديدا لابن مجاهد مسبّع السبعة المشهورين دون الآخرين ، ولهذا قال أبوحيان الاندلسي ؛ ((وليس في

---

1) فضائل القرآن ص ؛ 12

2) م.س.ص ؛ 35 ـ 36

3) النشر في القراءات العشر 1/ص : 24 ابن الجزري (الطبعة التجارية ـ القاهرة)

كتاب ابن مجاهد ومن تبعه من القراءات المشهورة الا النزر اليسير ، فهذا أبو عمرو بن العلاء اشتهر عنه سبعة عشر راويا)) (1) .

وأما اسماعيل بن ابراهيم المعروف بالقرّاب فقد قال : ((التمسك بقراءات سبعة من القراء دون غيرهم ليس فيه أثر ولا سنة ، وانما هو من جمع بعض المتأخرين ، فانتشر ، وأوهم أنه لا يجوز الزيادة على ذلك ، وذلك لم يقل به أحد)) (2) .

والذي يظهر أن القراءات السبع فضلا عن كونها متواترة بسند صحيح لا يتطرق اليه الا ارتياب المرتابين بغير دليل ولا برهان مثلما تورط في ذلك طه حسين (3) ، فهي لا تعني الا حرف السبعة في قليل ولا كثير الا عند قصار النظر ، ولذا فقد اشتد ((انكار الأئمة في هذا الشأن على من ظن انحصار القراءات المشهورة في مثل ما في التيسير والشاطبية)) (4) . وانما اعتمدت السبع اجتهادا من ابن مجاهد ، ثم ارتاح لها بعض النبهاء من أهل النظر البعيد من أجل العامة اتقاء للفتنة وصيانة للنص القرآني من قراءة كل من دب وهب له .

---

1) معترك الأقران في اعجاز القرآن ص: 164 . السيوطي (ط: 1968 دار الكتب المصرية)

2) م.س.ص : 166

3) راجع الأدب الجاهلي ص: 95 ، حيث يزعم ان القراءات السبع ليست من الوحي في قليل ولاكثير ، وانما هي قراءات مصدرها اللهجات واختلافها ...

4) معترك الاقران في اعجاز القرآن : القسم الاول ص: 166

ويرى بعض الباحثين المعاصرين ممن درس اللهجات العربية في مختلف مستوياتها أن الاسلام لم يجئ ((ضيبز/تميزا ، فهو اللهجات قد وحد لهم أسلوب التعبير ،ورغم أنه لم يحرم استعمال اللهجات المختلفة في الكلام أو المعاملة ،ولكن الاسلام لم يشجع قراءة القرآن حسب اللهجات التي لم تسرد فيه ،ولم يجز التعبد بلغة غير اللغة التي نطق بها الرسول الكريم ، وباللهجة التي اختارها .)) (1)

ثم يضيف نفس الباحث قائلا : ((لا شك أن لهجة القرآن كانت ... لغة الادب ، ولهجة المحافل الراقية ، وهي في حد ذاتها لم تكن لهجة قريش خالصة ،وانما كانت أمشاجا من اللهجات المختلفة ، التي اشتق منها الشعراء والخطباء وأهل الفكر ، لمخاطبة جميع قبائل العرب ،فهي لهجة مختلطة ،بدليل الالفاظ المختلفة التي تعود لمختلف القبائل في القرآن ،فالقرآن الكريم ارتضى لهجة منتخبة ،وهذا جعل أمر تطور اللهجات الاخرى واستقلالها أمرا مستحيلا منذ يوم دخول العرب في الاسلام)) (2).

والذي يظهر غريبا في قوله : ان الاسلام منع تطور اللهجات واستقلالها ،مع أن العربية ذاتها ـ كما اعترف الباحث نفسه ـ هي أمشاج من اللهجات ، ذلك أن اللهجات العربية

---

1) دراسة اللهجات العربية القديمة ص : 12 ـ 13

2) م.س.ص 13

الفصيحة المسجلة للرسم أو النص القرآني ظلت تتطور داخل مدونة واحدة سواء داخل النص القرآني من خلال القراءات المتعددة منها المتواترة والشاذ أو خارجة في نصوص فصيحة أخرى ، هذه المدونة هي مدونة حقل لساني واحد هو حقل التوحيد اللغوي العام .

لكن ما يبدو ـ ربما ـ أغرب هو بعض النصوص الاخرى التي يرى صاحبها من خلالها أن ((تعدد صور الاعراب في حالة تعدد اللهجات يعني الخلط بين المستويات اللغوية ، وهذا الخلط أمر ترفضه الدراسات اللغوية الحديثة)) (1) ، غير مفرق ولا واع بالقدرة أو الطاقة اللسانية لكل لغة على حدة ،وسنرى في عمل لاحق كيف أن اللغة العربية لها من الطاقة التواصلية ما يسمح لها بالفرز بين المستويات اللغوية فيها على مستوى تركيب واحد ، ولما ولما ننتظر الى غاية حينونة هذا العمل اللاحق دون أن نشير الى القراءات القرآنية المتعددة التي لاتؤدي بالقارئ الى هذا الخلط ولا الى الرفض اللذين أشار اليهما الدكتور كمال بشر أعلاه ، ولنشر بالمناسبة فقط الى التركيب القرآني المشهور في قوله تعالى :

((إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ)) (2) ،

لتفنيد واستبعاد هذه الوجهة اللسانية العامة حين تحاول أن

---

1) ظاهرة الاعراب في النحو العربي ص : 122

2) سورة طه من آية : 63 ، وسندرس هذا التركيب مفصلا في حينه .

تطبق على أية لغة ، وانما تميز بين لغة أثبتت جدارتها
عبر تاريخ أدبي حافل وطويل وبين لغة لا تزال تخطو خطوات
أولية في تطورها وحداثتها .

وحسبنا اشارة أيضا لاستبعاد القول السابق أن القرآن
الكريم بالنسبة لمستوى واحد هو المستوى المعجمي يحتوي على أكثر
من خمسمائة جذر يعود الى قبائل مختلفة ومتناثرة ((مما يؤكد
بأن القرآن لم يكن بلهجة قريش خالصا وانما كان بلهجة أدبية
راقية)) (1) .

أما أبو بكر الواسطي فقال في كتابه : ((الارشاد في
القراءات العشر)) ان في القرآن خمسين لغة من اللغات (2) .
عددها ، وهي القبائل التي ذكرناها سابقا في موطنها . وأما ابن
عبد البر فقال من جهته : ((نزل القرآن بلغة قريش معناه عندي
الأغلب ، لأن غير لغة قريش موجودة في جميع القراءات)) (3) .
وأما جمال الدين بن مالك فقد صرح بان الله أنزل القرآن
بلغة الحجازيين الا قليلا (4) .

ان الواقع اللهجي الوارد في القرآن الكريم والموزع على
على عدة قبائل وعشائر وبطون وأفخاذ ... عربية لا يدع شكا

---

1) دراسة اللهجات العربية القديمة ص : 14 - 15
2) معترك الأقران في اعجاز القرآن القسم الأول ص : 204
3) م . س . ص : 205 . 4) م . س . ص : 205 - 206

لسان بأن القرآن نزل بغير لغة واحدة ،بما فيها لغة قريش ،
لكن هذه اللهجات التي ارتضى القرآن الكريم النزول بها لم تكن
تتعدى جميعها نماذج لسانية تمواصلية ذات عادة قواعدية
موحدة في اجمالها بين العرب جميعا ،وفي حالة تباين بنياتها
التركيبية السطحية فانها كانت تنوب عن بعضها بعضا في التعبير
عن القصد الواحد دونما تناقض بحيث لا يصير ما أحله الله حراما ،
ولا ما حرمه حلالا ،وهذا التعدد اللهجي في العربية هو الذي
زودها بتلك الطاقة اللسانية المذهلة ، واذا كان لا بد من تباين
فان ذلك لم يكن يتجاوز المستوى المعجمي أحيانا بين القبائل ،ولا
سيما فيما يعرف في العربية بـ ((الاضداد)) ،مثل الساجد في
اللغة العامة معروف الدلالة ،لكنه في لغة طيء يعني المنتصب (1) ،
وكلمة ((المقور)) في اللغة العامة هو المهزول ، وفي لغة
الهلاليين تعني السمين (2) ، ومن ذلك قال الاصمعي : ((يقال
قد وثب الرجل اذا استوى قائما أو قفز ،ووثب الرجل اذا قعد)) (3)
وفي هذا الباب يحكى أن رجلا دخل على ملك حمير فقال له : ثب
أي اقعد ،لكن الرجل وثب أي قفز حتى تكسر ، فقال له الحميري :

1) ثلاثة كتب في الاضداد ص : 43 (دار الكتب العلمية - بيروت)

2) م.س. ص : 44

3) م.س.ص : 45

ليس عندنا عربيت ، من دخل ظفار حمّر ... أي تكلم بالحميرية)) (1) .

لكن علماء لغات القرآن يروون كلمات حميرية في القرآن الكريم من عشرات القبائل والعشائر العربية الاخرى مثل اليمن ، وهوازن ، وهذيل ، وكنانة ، وجرهم ، وأزد شنوءة ، ومدلج ، وخثعم ، وقيس عيلان ، وسعد العشيرة ، وكندة ، وعذرة ، وحضرموت ، وغسان ، ومزينة ، ولخم ، وجذام ، وبني حنيفة ، واليمامة ، وسبأ ، وسليم ، وعمارة ، وطيء ، وخزاعة ، وعمان ، وتميم ، وأنمار ، والاشعريين ، والاوس ، والخزرج ، ومدين ، وهمدان ، ونصر بن معاوية ، وعامر ابن صعصعة ، وثقيف ، وعك ... (2) .

ولذلك لا يمكن الوصول الى أية نتيجة ملموسة لادراك الحديث النبوي الشريف اذا ما حاولنا أن نفسر حروفه السبعة الواردة فيه بعدد لهجات قبائل معينة دون باقي اللهجات القبلية الاخرى ، ولذلك اخترنا منهجا مستقلا عما سبق لادراك أو محاولة تحليل الحديث النبوي الشريف من خلال ربط هذا التحليل بعدد من النماذج التركيبية في العربية والتي تتوافق ترجمة للنص القرآني مع لغات اسلامية أخرى بواسطة أقسام الخطاب في كل لغة .

---

1) م.س.ص : 45

2) راجع ((معترك الاقران في اعجاز القرآن)) ، ص ص : 189 الى : 205

أما القراءات السبع فلا يمكن هي الأخرى أن تمثل بشكل منطقي ولساني هذه السبعة الاحرف على نحو شامل وجامع ، وذلك على الرغم من اشتمالها على أرقى النماذج التركيبية في اللغة العربية ولهجاتها ، لكن هذه القراءات نفسها لم تسلم من الطعن والتجريح ، فهذا الشيخ عظيمة يضع مبحثا بعنوان : ((القراء السبعة ونصيب كل منهم في تلحين قراءته)) ، ثم طفق يشير الى كل قارئ من القراء السبعة محصيا عدد الهفوات التي وقع فيها كل قارئ :

1) قراءة ابن عامر (ت : 118هـ) ، وجه اليه التلحين 18 مرة

2) قراءة حمزة (ت : 150 هـ) وجه اليه التلحين 15 مرة

3) قراءة نافع (ت: 169 هـ) وجه اليه التلحين 12 مرة

4) قراءة الكسائي (ت: 180 هـ) وجه اليها التلحين 11مرة

5) قراءة ابن كثير (ت : 120 هـ) وجه اليها التلحين 9 مرات

6) قراءة أبي عمرو (ت: 154 هـ) وجه اليها التلحين 7 مرات

7) قراءة عاصم (ت : 127 هـ) وجه اليها التلحين 7 مرات (1) .

غير أنه مما يجب التنبيه عليه هنا أن ثمت بونا شاسعا بين هذه الهفوة اللسانية أو تلك والتي قد يقع فيها قارئ أو يرى لها وجها في العربية الصحيحة لا يراه غيره فيها من جهة ، وبين العربية كقواعد مستقلة لا تضيق طاقتها بين استعمال وآخر من جهة ثانية .

---

1) نظرية النحو القرآني ص: 144 ـ 145 . د . أحمد مكي الانصاري (ط : 1/ 1405هـ ، طبع بمطابع أبو الفتوح)

وحسب نص الفارابي المشار اليه آنفا فان القبائل التي أخذ عنها كانت تتجمع متجمهرة وسط الجزيرة العربية ، وبعضها كان متجاورا مع اهل القبائل الاخرى ،كمجاورة طيء لأسد ،ومجاورة هاتين لقبائل قيس وتميم ،وهذا التجاور في الارض والدم كان له أثر لا ينكر على تأثر اللهجات بعضها ببعض ،كما سنأكد بعد حين ، وقد ينفرد بطن في قبيلة بعينها بظاهرة لغوية مخالفة اللهجة الأم للقبيلة ، وهذه القبائل الشمالية التي قصدها جماع اللغة في جملتها كانت بعيدة عن الاطراف الأربع لبلاد العرب مما جعل لغاتها تبقى سليمة .

وحسب دراستنا السابقة للاحرف السبعة واشارتنا لعشرات اللغات القبلية المتناثرة عبر شبه الجزيرة العربية كلها والتي وردت بالنص في القرآن الكريم ،فانه من غير الممكن الاطمئنان الى نص الفارابي وزعمه بأن جماع اللغة لم يأخذوا العربية الا من القبائل التي ذكرها،وسنرى بعد حين ،ونحن نتحدث عن جماع اللغة بأن هذه المقولة مستبعدة ، بل لوكان الامركما زعم الفارابي لبقيت جملة من الكلمات في القرآن غير مفهومة على لغات هذه القبائل وحدها . لان الاحالة على هذه المناطق اللغوية وحدها لم يكن كافيا لفهم وشرح كل الدلالات المتعلقة بغير قليل من الالفاظ القرآنية .

وحسبنا أمثلة على ذلك أن ابن عباس فسر : ((سامدون))

في قوله تعالى :

((وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ)) ، (1)

بأنه : الغناء ، وهي لغة يمانية ، بينما يسند الى عكرمة أنه قال :

هي بالحميرية ، (2) . لكن الأهم أنها ليست من المناطق التي

حددها الفارابي .

واخرج أبو عبيد عن الحسن أنه قال : ((كنا لا ندري

ما الأرائك حتى لقينا رجل من أهل اليمن فأخبرنا أن الأريكة

عندهم هي الحجلة فيها السرير .

وأخرج عن الضحاك في قوله : ((وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ)) (3) .

قال : ستوره بلغة أهل اليمن .

واخرج عن عكرمة في قوله : ((وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ)) (4) .

قال : هي لغة يمانية ، وذلك أن أهل اليمن يقولون : زوجنا فلانا

بفلانة)) (5) .

ان اللغة العربية منها ما كان يدل على كلمات بدوية

ومنها ما كان يدل على كلمات حضرية ، ومنها ما كان يدل على

دلالات انتقالية من البداوة الى الحضارة ، ولما جاء القرآن الكريم

راعى هذه الجوانب الثلاثة التي كانت يتميز بها المجتمع العربي ،

---

1) سورة النجم : 61

2) معترك الاقران في اعجاز القرآن ص : 198

3) سورة القيامة : 15 . 4) سورة الدخان : 54

5) معترك الاقران ص : 199

بحيث وجدت فيه كل طبقة من هذه الطبقات ما يناسبها من دلالات عليها وعلى أحوال معاشها وسلوكها واجتماعها.

مواقع الفصاحة :

وللتأكد من ضعف نص ابن فارس السابق، ارتأينا أن نتطرق الى مناطق عدة لتتبع ما أمكن مواقع الفصاحة بين قبائل وعشائر عربية محظوظة لا تدخل ضمن المناطق التي حددها.

وكان الهمداني رائدا اذ صور العلاقات اللغوية في جنوبي الجزيرة العربية الى نهاية القرن الثالث الهجري، فذكر أن مناطق العروض فصيحة ما عدا قراها، وأن الحجاز ونجدا السفلى فالى الشام والى ديار مصر وربيعة فيها الفصاحة، ولكن قرى هذه المناطق غير فصيحة شأنها في ذلك شأن قرى العروض (1).

ومن خلال تصويره للعلاقة اللغوية في جنوبي الجزيرة العربية حتى هذه الفترة من الزمن، يتبين أن سكان حضرموت ليسوا فصحاء، وربما كان فيهم الفصيح، وأفصحهم كندة، وهمدان، وبعض الصدف (2).

وأما لهجات أهل سرو مذحج، ومأرب، وبيحان، وحريب، فيعدها فصيحة (3)، ثم يعد فيمن يتكلمون بالفصاحة أقساما من منطقة همدان التي تمتد الى الشمال الشرقي من صنعاء، ومأرب حتى نجران وإجاور هذه الاقسام أيضا

---

1) العربية ص: 159 يوهان فوك (ط: 1951 دار الكتاب العربي. القاهرة)

2) م.س.ص: 155

3) م.س.ص: 155

حيث يسكن قبائل بلحارث بن كعب في منطقة الرحبة الرحيبة ،الا أن صناف بالجوف الاعلى دون ذلك في الفصاحة (1) .

وشعب سفيان بن ارحب ـ وهم همدانيون ـ يعده من الفصحاء على الرغم من أداة التعريف عنده هي ((ام)) بدلا من ((ال)) ،وأصحابه يلزمون المثنى الالف مطلقا في جميع حالات الاعراب (2) .

وبنو حرب وهم فخذ من همدان ،يسكنون في بلد وادعة ،وهم أهل امالة في جميع كلامهم ،وبنو أسعد أفصح منهم (3) .

وتغلب الفصاحة على المنطقة العظمى التي تبدأ من حدود اليمن عند وادعة ،وتمتد عبر سلسلة السروات على الساحل العربي من شبه الجزيرة ، ومن القبائل التي تسكن هذه المنطقة العظمى بعض أفخاذ من مذحج (جنب وزبيد) ،وقضاعة (سنحان ونهد) وأزد شنوءة (بني أسامة وعنز) ،ثم من خثعم وهلال وعامر بن ربيعة ،ثم بعد هذا قبائل من الازد (الحجر ،ودوس ،وغامد ، ويشكر) ثم من فهم وثقيف ، ويضم الهمداني الى هؤلاء طائفة يسميهم بني علي (4) ،وينبه بوجه خاص الى أن المجموعات التي التي تقطن سفوح الجبال الغربية من هذه القبائل ـ تجاه تهامة ـ

---

1) م.س.ص : 156

2) م.س.ص : ن.ص

3) م.س : ن.ص

4) م.س : ن.ص

هي أقل فصاحة ممن تعيش في أعالي هذه الجبال ،ورأى أن اللهجة التهامية قد أثرت تأثيرا سيئا في فصاحة اللغة في هذه المناطق المجاورة لها (1) ،لان أهل تهامة ينطقون لغة رديئة ، (2) ،وبلد الأشعر وعك وحكم (من بني سعد العشيرة) من بطن تهامة ـ يقول ـ لابأس بلغتهم ،الا من سكن منهم القرى (3) ، وذكر أن قبيلتين أخريين توجدان في جوار الاشعريين ، وهم بنو واقد من ثقيف ،وبنو مجيد من حمير في الاصل ،وكلتا هما فصيحة ايضا (4) .

وفي ناحية صعدة توجد العربية الفصيحة عند بني خولان الذين كانوا يخيمون في السهل ،بيد أن بني قبيلتهم الساكنين بالموبالمنخفض (الغور) فهم غير فصحاء (5) .

ويصف لهجات أخرى بأنها غير فصيحة كاللهجات الجارية بين ذمار وصنعا ولهجة السكاسك التابعين لكندة ،ويعد لهجات سكان غربي ذمار أقرب الى اللكنة منها الى الفصاحة ، في حين يصف قوم طاهر همدان النجدي بالفصاحة .

أما اللهجات التي هي خارج اليمن فيجنزئ بملاحظات عامة حولها ،ولعل الهمداني اكتفى بتصوير وتتبع لهجات الجنوب دون

---

1) م.س ،ص: 157

2) م.س : ن.ص . 3) م.س.ع : ن.ص . 4) م.س.ع : ن.ص

5) م.س.ع : ن.ص

الشمال ، ماعدا التلميح لها على مستوى المناطق الاقليمية ،
يرجع لأمرين :

1) كونه همدانيا ،وهوأدرى من سواه بهذه اللهجات .

2) كونه لاحظ العلماء وجماع اللغة لم يحفلوا بغير اللهجات الشمالية الفصيحة أي لغة القرآن والآداب ثم لغة القواعد والتدوين والتأليف .

وأيما كان هذا السبب أوذاك فهو قد سبق علماء الاجتماع اللغويين المعاصرين بقرون ،لان دراسته المنهجية على هذا النحو الميداني والدقيق لا نجد اليوم مثيلا لها عند الغربيين الا فيما يسمى بعلم الاجتماع اللساني ،وهولم يكتف بهذا الوصف وحسب بل شمل عمله الميداني بدراسة متداخلة ، تاريخية ونسبية وجغرافية واجتماعية ،على نحو متدرس به اللهجات في الوقت الحاضر ، من غير النظر الى رداءة مستوى اللهجات الملفوظة في المناطق او فصاحتها ،حتى وان كان قد أضاف شيئا أكثر من هذا حيث فصل بين مستويات الفصحى وما يسمى عند العرب بالتكلمات المذمومة فصلا يقوم أحيانا على أضيق مساحة سكانية .

والمنطقة الموصوفة لديه بالفصاحة ،والتي تنطلق من حدود اليمن عند وادعة ، تأخذ امتدادها عبر سلسلة السروات على الساحل الغربي من شبه الجزيرة العربية حتى تتصل بالناحية الشمالية العليا ، توصف من لدن غيرالهمداني بالفصاحة أيضا ، فهذا الخليل بن أحمد

يقول : ((أفصح الناس أزد السراة)) (1) ،وقال المبرد ،
عن علي بن القاسم الهاشمي :، ((رأيت قوما من أزد السراة لم
أر أفصح منهم)) (2) . وقبائل بلحارث بن كعب التي كانت تسكن
الرحبة والذين وصفهم بالفصاحة قال حولهم ابو قلابة (ت:104 هـ) :
((رأيت قوما من بني الحارث بن كعب لم أر أفصح منهم)) (3) ،
وهذا الوصف للهجة بلحارث ، وان جاء عن راو منذ القرن الاول
الهجري ، الا أنه لا يضير بوصف هذه اللهجة نفسها في نهاية
القرن الثالث الهجري ،اذ بقيت حتى هذا العهد سليمة على مذهب
سليقة قومها ،وهذا ما يراه المبرد كذلك : ((وكل عربي لم
تتغير لغته فصيح على مذهب قومه ،وانما يقال : بنو فلان
أفصح من بني فلان ،أي أشبه لغة بلغة القرآن ولغة
قريش ، على أن القرآن نزل بكل لغات العرب ...)) (4).

ثم ان الاصمعي ذكر أن أبا عمرو قال :((أفصح
الشعراء لسانا وأعذبهم أهل السروات)) (5) ، وهي ثلاث:
1) الجبال المطلة على تهامة ،مما يلي اليمن ، وأولها هذيل ،
وهي تلي السهل من تهامة .

---

1) الفاضل ص : 113
2) م.س : ن.ص
3) م.س.ص : 115
4) م.س.ص : 113
5) العمدة ج:1/ص:88 ابن رشيق (ط:3/1963 مط: السعادة ـ مصر)

2) بجيلة ،وهي في السراة الوسطى ،وقد شاركتهم ثقيف في ناحية منها

3) ثم سراة الازد (أزد شنوءة) ،وهم بنو الحارث بن كعب بن

الحارث بن نصر بن الازد (1) .

ان شهادة هؤلاء العلماء الافذاذ تتضارب الى حد كبير

مع ما زعمه الفارابي بأنه لم يؤخذ عن ثقيف أوغيرها من البلدان

التي شهد لها غيرعالم لساني وجغرافي بالفصاحة ، ومن عاشر الأعراب

البدو في عيش أماكنهم ،وآكلهم ،وشاربهم ، وشافههم ،واخذ عنهم

ليس كمن أخبر عنهم ،أوعاش بعيدا في مدينة أو قرية عنهم موطنا

وزمنا (وليس الخبر كالعيان) ،ثم ان اقامة تجار أو مار

مرورهم ببلدة لايؤثر على لغة المقام عندهم أو التعريض عليهم ،بل

خلوص اللغة لا يرتبط حتى بالدم والنسب ،فضلا عن أن يتأثر بالاختلاط

الاجنبي العارض والسريع مادام الدخيل خاضعا دائما لقوانين المواطنين

الاصليين ،والا سبقت القواعد رقتها ، ثم ان اقليم كومان المتاخم لجبل

اسبيل من شماله الشرقي مكانه حميريون في الاصل ،وان تمذحجوا

على عهد الهمداني ،ومع ذلك فان لهجتهم كانت فصيحة (2) ،وأمية

ابن أبي الصلت يرجع الى ثقيف (3) ،رهوممن استشهد سيبويه المعروف

بتحفظه الشديد ومحافظته المطلقة بشعره ،وبغيره من بني حنيفة ،

كما استشهد بشعر أبي دؤاد الايادي وعدي بن زيد ...

---

1) العمدة :1/ص: 38-88 . 2) العربية ص: 185

3) الاشتقاق ص: 304 ابن دريد .

العربية النموذجية في منظور بعض الأجانب :

ان آراء الاجانب من مستشرقين ومهتمين باللهجة النموذجية للعرب ومرفعها من الفصاحة وانتسابها الى هذه المنطقة أو القبيلة أخذت حيزا واسعا من اهتماماتهم وجهودهم كلما تعرضوا الى الخطاب العربي القديم .

ان آراء هؤلاء مختلفة باختلاف مصادرهم واتجاهاتهم المرتبطة بمنهجيتهم من جهة ، وبتصورهم المتشاكل أو ذي البعد الأحادي للظاهرة اللغوية بشكل عام ، وأعني بهذا أنهم غالبا ما يقارنون الأحكام التي تنطبق على اللغات الأوروبية بالأحكام ذاتها . التي لا تنطبق بالضرورة على لغة كالعربية لها تاريخ وظروف وخصائص تختلف كل الاختلاف عن اللغات الأوروبية التي تعد جد حديثة بالنسبة للغة ذات تراث بعيد وعريق ولا يزال حيا ومجسدا في نصوص مادية ، واقصد بها العربية .

ولهذا ، فاننا لا نتفق ، من حيث المبدأ ، مع أية منهجية تتخذ قد حكمها وبعدها من وسط مسيرة ثقافية لا من بدايتها .

على أي حال ، تضاربت مواقف هؤلاء إزاء اللهجة النموذجية التي كانت معينا واحدا لشعراء التوحيد اللغوي والخطاب اللساني لمختلف القبائل العربية .

من هؤلاء الاستاذة أوديت بوتي (ODETTE - PETIT)

التي حاولت أن تبحث المسألة تحت عنوان ((اللغة العربية المشتركة)) ،

حيث تعترف في البداية بأن الاسلام قد لعب دورا حاسما في

تنمية وتطور اللغة العربية ، وأن القرآن الكريم كان محور الدراسات

اللسانية التي توصلت الى تناول اللغة العربية من الناحية النظرية .

وترى بأن لغة الوحي هي لغة قريش التي كانت لدى

مختلف القبائل العربية وخاصة في الشعر ،ولكن هذه اللغة سبق أن

كانت تحتوي على طابعها الكلاسيكي قبل محمد (ص) ،كما يذكر

جاك بيرك (JACques BERQUE) ، مضيفة بأن العربية قبل

الاسلام كانت تمتلك ، الى جانب تكاملاتها النوعية ، لغة مشتركة

منها ما كان يستعمل في أحوال متعددة ، التبادلات التجارية بين

البدو والحضر ،التقابلات التي كانت تغلب على القبائل المنتجعة

بحثا عن المراعي ، التجمعات المنتظمة للسكان خلال الحج ، ...

هذه العوامل كلها أعطت ميلاد ظهور المناظرات الادبية والشعرية ،

وأخيرا التبادلات اللسانية بين السجناء أثناء الحروب وأيام العرب

القبلية . وهذه المعطيات ذات الطابع الاقتصادي ،والادبي ،

والاجتماعي مكنت من فرض لغة مشتركة ،ينضاف الى هذا المبررات

ذات الطبيعة الدينية .

وتضيف الاستاذة أوديت بوتي : ((وبالنظر الى عدة معطيات لا تزال غامضة ، فان الوجود الحقيقي لهذه العربية المشتركة بقيت منذ مدة طويلة محل تساؤل ، حاولنا أن نحدد المشابهات التي يمكنها أن تقدم من جهةٍ شعرَ ونثرَ لغةِ ما قبل الاسلام ، ومن جهةٍ أخرى العربيةَ الكلاسيكيةَ كما كانت محددة ، منذ القرون الأولى التي تبعت لغة التنزيل ، من قبل المعجميين والنحويين التي تمثل أعمالهم مع ذلك تفاوتات عديدة)) (1) منتهيةً إلى أن هناك لغة أدبية موحدة مشتركة ، ولغات جهوية أخرى ، وخاصة بالنسبة للأمة العربية في العصر الحديث أي أن العربية لم تخل مما آعترى اللغات الأُخرى من ذلك التفرع الثنائي في عملية التواصل .

وأما نولدكة فقد ذهب الى أن الاختلافات بين اللهجات القبلية الأساسية مثل نجد والحجاز وإقليم الفرات كانت قليلة ، وقد تركبت منها جميعا هذه اللهجة الادبية العامة (2) ، وتبعه في هذا الرأي جويدي الذي قال : ((انها ليست لهجة معينة لقبيلة بعينها ، انما هي مزيج من لهجات أهل نجد ومن جاورهم)) (3) .

---

1) RIVAGES ET DESERTS P: 64 (ENSEMBLE d'auteurs) EDITION SINDBAD 1988

2) تاريخ الادب العربي 1/ص : 131 . د . شوقي ضيف

3) م.س.ع : ن.ص

أما كارلو نالينو فيرد وحدة اللغة الادبية ،مع اختلاف شعوب القبائل العربية ولهجاتها ، الى الشعر الذي نشأ قبل الاسلام (1) وأن هذه اللهجة الفصحى تولدت من احدى اللهجات النجدية وصارت مهذبة في زمن مملكة كندة ،وان الفصحى لغة القبائل التي اشتهرت بنظم الشعر ،والتي جمع النحاة واللغويون منها مادتهم اللغوية .

نورد معنى هذا القول ، وكأن نالينو يلمح تصريحا الى امرئ القيس الذي تهذب واستوى الشعر على يده ، كما يجمع النقاد ومؤرخو الادب العربي ، الا أن الشعر طبع وموهبة قبل أن يكون فقط حرفة تكتسب اكتسابا ، مع عدم استبعار هذه الحرفة لتصبح في ظرف ما عادة ، اذ قد تكون قبيلة مشهورة بالفصاحة ولا ينبع فيها شعرا " كقبيلة قريش ،وأخرى غير فصيحة بدرجة فصاحة قريش كطي" أوكندة أ والاوس أوالخزرج ... ومع ذلك ينبع فيها شعر" فطاحل . ثم ان الاشكال ليس مطروحا في عهد مملكة كندة ولا في وقت استواء " الشعر على يد امرئ القيس ، بل هو مطروح قبل هذه الفترة ،بل مطروح حتى بالنسبة للغة شعر هذا الشاعر نفسه ، والذي لايخفى عن الذهن أن كون هذه اللهجة النموذجية قد

---

1) تاريخ الآداب العربية ص : 84 كارلو نالينو
(ط :2/ 1970 دار المعارف مصر)

تولدت من احدى اللهجات النجدية الى أن نضجت في عهد مملكة كندة يقودنا الى الاعتقاد بتجريد لغة قريش من أي فضل أو دور تاريخي وحاسم للعمل على مداناة اللهجات العربية وبين التقارب المتداخل بشتى أنواعه ،كما سبق أن بينا ، بين القرشيين من جهة ومعظم القبائل العربية من جهة ثانية سواء قبل الاسلام أو ما بعده .

أما بروكلمان فزعم أن الفصحى كانت لغة فنية قائمة فوق اللهجات ،وان غذتها جميعا (1) ،وأما بلاشير فذهب الى ان ((اللغة العربية الفصحى ... تولدت عن لهجة أعدت لتكون لغة أدبية)) (2). ولكنه لم يعين هذه اللهجة التي أعدت وتسامت حتى غدت لغة أدبية .

وأما المستشرق فولرز فبين حدود اللهجات الفصحى بمساحة محصورة بين خطين يمتد أحدهما من مسافة عدة كيلومترات جنوبي مكة الى خليج البحرين على الخليج العربي ،ويمتد شمالا من ضواحي يثرب حتى شمال الجزيرة (3).

وواضح من هذه الخريطة اللغوية التي رسمها فولرز بين هذين الخطين أنها تشتمل قبائل عظيمة ،بما في ذلك القبائل التي أجمع العلماء العرب على الاخذ منها .

---

1) الشعر الجاهلي ص: 21 . السيد حنفي حسنين (الهيئة المصرية)

2) تاريخ الادب العربي :1/ ص : 77 بلاشير (طبعة الجامعة السورية)

3) السابق ص: 81

ومنذ حوالي قرن ذهب برجيه الى أن العربية كأنها لهجة محددة جدا ((بل لغة قبيلة صغيرة وصلت في وقت من الاوقات بفضل ظروف محلية الى درجة من الكمال خارقة للعادة ، فهي مدينة بانتشارها للاسلام)) (1) ، وبرجيه مثله مثل بلاشير لم يعين موقع هذه القبيلة الصغيرة التي كانت مصدرا لهذه العربية الفصحى فيما بعد ، ولا ذكر اسمها .

وهذه الآراء لاترسم للباحث منطقة محلية ضيقة أو واسعة كانت موردا واضحا أخذ منه الرواة والنحاة مادتهم اللغوية الا اذا مططها شرقا وغربا ولاقى الشمال بالجنوب أحيانا ، والشرق بالغرب غالبا .

غير أن تركيز الاجانب الذين يتصدون لدراسة اللغة العربية النموذجية أو المشتركة هو غالبا ما يتصورون ، كما لمحنا أعلاه ، هذه العربية المشتركة على نحو تاريخ وظروف اللغات الاوروبية الاخرى التي غالبا ما نجدها تنطلق أو تبرز فعلا من منطقة ضيقة لتتخذ بعد ذلك لغة رسمية للبلاد كما هو الشأن بالنسبة للغة الفرنسية وغيرها ، وغالبا ما تفرض بمراسيم وقرارات لكن العربية المشتركة الاولى تختلف عن هذه اللغات اختلافا بينا .

---

1) السابق ص : 86

الباب الثاني : ملامح تركيبية في اللغات السامية

الفصل الأول : السامية والساميون

إنني حين عمدت إلى جرد ما أمكن من النقوش والنصوص التي تشكل المدونة اللغوية للهجات العربية البائدة وجدت نفسي في كل مرة محالا على ظاهرة تركيبية مماثلة أو قريبة في بعض اللغات السامية أو فيها جميعها، فترددت طويلا ثم اقتنعت أخيرا بأنه من غير الممكن أن نلج مجالا من غير بابه، لأن هذا المجال السامي يشكل حقا البداية الطبيعية لدراسة أي تركيب في اللهجات العربية البائدة، بل وحتى في اللهجات العربية الباقية.

إلا أن محاولة الولوج إلى المجال السامي للوقوف على الظواهر التركيبية يقتضي - فيما رأينا - المرور بنقطتين أساسيتين:

1) السامية والساميون 2) العلاقات اللغوية بين الساميات،

وهو الأمر الذي جعلنا نخصص لكل نقطة منهما فصلا مستقلا، لأن الأولى أقرب إلى علاقاتهم التاريخية وحيزهم الفضائي الشاسع هنا وهناك، ومهدهم الأصلي، وبعض فروعهم اللغوية، واللغة الأم لهذه اللغات، ... ونحو هذا، والثانية تتعلق بالتداخلات اللغوية السامية وعلاقتها بالعربية والدارسين العرب القدماء، وعلاقة هذه الدراسات بالدرس اللغوي المقارن عند الغربيين ...

إن الصلات العرقية والتاريخية ثابتة بين الساميين عبر تاريخ كل الشعوب

السامية وما يتصل بها من أحداث محلية وجهوية ودولية .

وأهم ما في المسألة بالنسبة لنا هو الحيز الفضائي لهذه الدول أو الشعوب ، وأعني به هنا المهد الاول لهم وما يتصل بها من تنقلات وهجرات من منطقة الى أخرى .

والاصعب في هذه النقطة بالذات يتجلى في ذلك الحيز الفضائي الشاسع لهذه الشعوب ، لان هذا المهد غير قار في منطقة واحدة أو حتى قارة واحدة ، لان بعض الدارسين لا يتردد في ترجيح هذا المهد خارج الشرق الأدنى .

ومصطلح ((السامية)) تسمية ظهر في مسرح الابحاث للمرة الأولى عام 1781 في دراسات المستشرقين ، حيث قال المستشرق شلوزر : ((من المتوسط الى الفرات ، ومن بلاد بين النهرين الى شبه الجزيرة العربية تسود ، كما هو معروف ، لغة واحدة . وعليه فالسوريون والبابليون والعبريون والعرب كانوا أمة واحدة . والفينيقيون الحاميون أيضا يتكلمون بهذه اللغة التي أود أن أدعوها ((سامية)))) (1) .

أما الحيز الفضائي لهذه الشعوب فقد حدده العلماء ((بجبال آسيا الصغرى وجبال ايران والخليج الفارسي والمحيط

---

1) من الساميين الى العرب ص : 9 نسيب وهيبة (دار مكتبة الحياة - بيروت)
ونشير الى ان شلوزر استوحى هذه التسمية من التوراة التي كانت في العصر الوسيط مرجعا تقليديا للغربيين .

الهند ، والبحر الاحمر والبحر المتوسط الى ميناء اسكندرون))(1)

وهذا النص ، كما نرى ، يستثني القارة الافريقية ، غير أن احدى النظريات التي قال بها نولدكه منذ عام 1887 ، وهو الباحث الاكبر في هذا الميدان ، ترى أن افريقية هي الموطن الاصلي للساميين ، بسبب التشابه الكبير الحاصل بين اللغتين : السامية والحامية ، وأخذ بهذه النظرية بعده غير واحد من الباحثين (2) ، حتى وان كنا نعتقد أن التشابه اللغوي نشأ من الاصل وليس من الفرع أي قبل انفصال ما يسمى بالشعب الحامي عن الشعب السامي ، اذ لا يمكن أن نتصور مهدين اثنين مختلفين لهما وهما من أرومة أو عائلة واحدة .

والى جانب النظرية اللسانية ، فهناك النظرية الطبيعية التي والانتروبولوجية التي ترجح نشأة الانسان في هذه القارة قبل غيرها من القارات المجاورة ، ومن اشهر هؤلاء المرجحين داروين نفسه ، ولا سيما الدكتور ((ليكي)) الذي يرى أن الحياة وجدت على سطح هذه القارة منذ عشرات ملايين السنين (3) .

ولعل أقدم نص توراتي يشير الى هذه المسألة ما ورد في سفر التكوين (الاصحاح الحادي عشر) : ((وكانت الارض كلها لغة واحدة وكلاما واحدا وكان أنهم رحلوا من المشرق وجدوا بقعة

---

1) م.س.ص : 9

2) م.س.ص : 11

3) م.س.ص : 11

في ارض شنعار فأقاموا هناك . وقال بعضهم لبعض(أبناء نوح): تعالوا نصنع لبنا ونشجه طبخا . فكان لهم اللبن بدل الحجارة والحمر كان لهم بدل الطين . وقالوا : تعالوا نبن لنا مدينة وبرجا رأسه الى السماء فنزل يهوه لينظر الى المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونها . وقال يهوه : هوذا هم شعب واحد ،وهذا ما أخذوا يفعلونه . هلم نهبط ونبلبل هناك لغتهم حتى لا يفهم بعضهم لغة البعض . فبددهم يهوه من هناك على وجه الارض كلها ،وكفوا عن بناء المدينة ،ولذلك سميت بابل ،لان يهوه هناك بلبل لغة الارض كلها)) (1) .

وواضح أن هذا النص يجعل المهد الاصلي للشعوب السامية الاولى أرض العراق ، غير أن ما نميل اليه مرتاحين أن المهد الاول للساميين هو شبه الجزيرة العربية ،وهذا ما رجحه الكثير من الباحثين على المستوى الطبيعي والجيولوجي والانتروبولوجي والتاريخي وحسب ما تقتضيه طبيعة الاشياء ،ومن هؤلاء العلماء دوسو الذي يعتبر الفتح الاسلامي لسوريا خامس موجة لهجرات العرب ، مما جعل العلامة كايتاني يغرى بهذه النظرية من خلال اتخاذه علم طبقات الارض دليلا على خصوبة شبه الجزيرة العربية ((حيث كانت تروي أرجاءها

---

1) أ،س،ص : 13 - 14

أنهرثلاثة ، وان الجفاف الذي تلا عهد الخصب ، وحول أرضها الى الصحاري الحاضرة ، اضطر سكانها الى الهجرة)) (1) .

وعلاوة على استشهاد د فليش بالعلم بالعالم كونتنو الذي يرى ان افتراض شبه الجزيرة العربية ليس ببعيد الاحتمال لان يكون المهد الاصلي للشعب السامي الاول ، فان هناك ارنست رينان الفرنسي وبركلمان الالماني اللذين ((يرجحان أن الوطن الاول للشعب السامي هوالقسم الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية)) (2) .

على أي حال ، مهما كان اختلاف الناس اليوم في موطن اللغة الاول للعد للساميين ، فان أحدا منهم لا يختلف مع الآخر في مهد العرب ـ ماقبل الاسلام ـ ولغتهم ، وفي أن . . مصدر اللهجات العربية القديمة ما باد منها وما بقي (3) يرجع الى السلالة السامية كمصدر أعم والى البيئة العربية كمصدر أخص ، ولا يهمني في هذه النقطة أولوية كلا الموطنين بقدر ما يعنيني بالدرجة الاولى التعرف على هذين المصدرين ، لان الغموض ليس لصيقا بالعربية والعرب وحدهم ، بل يوجد سائدا بين عامة الشعوب القديمة ذات الحضارات العريقة .

---

1) م . س . ص : 10

2) فقه اللغة ص : 48 د . صبحي الصالح (ط : 3/1968 دار العلم . بيروت)

3) لا نعني بما باد منها أنه اندثر نهائيا ، ولكن اطلقنا هذا اللفظ تماشيا مع المصطلح التاريخي او النسبي ((العرب البائدة))

ومما هو قريب من العقل والمنطق أن اللغات السامية قبل تشعبها تشعب متكلميها وتفرقهم في الامصار المتنائية كانت ترجع الى أصل واحد ،وتشكل شبه وحدة شعبية ((الا أنه من العسير جدا تعيين ذات الاصل وتحديد هذه الوحدة)) (1).

والنص التوراتي السابق لا يبرح مؤشرا في فئات عريضة من الدارسين الذين يميلون الى أن الاصل السامي الذي تفرعت منه الألسن السامية هو اللسان البابلي ((الذي عثر واعثر بقوته من آثار دولة حمورابي ... لانهم رأوا مشابهة قريبة بين هذا اللسان وبين العربية ،بل رأوا كلمات في العربية كأنها نقلت عن البابلية نقلا صريحا ،مع أنها في العبرانية والسريانية قد دخلها التحريف)) (2).

ان دولة حمورابي العربية تهتدي على الاقل منذ سنة 2460 ق.م وفق أحدث الآثار المكتشفة عام 1901 ،وربما أقدم بذلك بكثير بالنسبة للجنس العربي السامي (3) ،ولان بعض أصحاب من يرجحون الجزيرة العربية مهدا أول للساميين يذهبون الى أن ((جميع الامم السامية هم من العرب ،وانهم خرجوا من جزيرتهم

---

1) فقه اللغة ص: 46 د. صبحي الصالح

2) تاريخ آداب العرب : 1/ص: 75 - 76

3) انظر المرجع السابق ص: 47 - 48

الى ما بعدها وبرغم من البلاد في تمكن موجات بشرية بين كل وحده وواحدة ما يقرب من ألف سنة ، ولكن أول موجة كانت موجة الأكاديين ، وأن آخرها كانت موجة العرب المسلمين)) (1)

أما الشعوب السامية المتفرعة لسانا أو لغة ، فهي كثيرة اذا اخذنا بعين الاعتبار كل القبائل ، لكننا نجتزئ هنا بالالسن الاساسية والمتغايرة أزمنة وحتى أمكنة ، على أننا سنلخص هذه الالسن وما تفرع عنها فيما سيأتي ، وهذه الألسن : (2)

1) اللغة الأكادية ، التي هاجر أصحابها من الجزيرة العربية الى العراق حوالي سنة 3500 ق.م

2) اللغة الكنعانية التي يعتقد أن ذويها نزحوا من الجزيرة العربية أيضا زهاء سنة 2500 ق.م ، حيث استوطنوا بلاد الشام .

3) اللغة العبرية ، ويراد بأصحابها جملة الشعوب التي تنتسب الى ابراهيم الخليل ، وهي قبائل كانت تتجول في صحراء سيناء وشمال الحجاز الى أن استولوا على فلسطين حوالي نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد .

4) اللغة الآرامية وأصحابها هاجروا كذلك من الجزيرة العربية صعودا نحو الشام حوالي القرن الثامن عشر قبل الميلاد .

5) اللغة الجعزية ، وذووها قبائل سامية نزحت من اليمن الى بلاد

---

1) الوجيز في فقه اللغة ص: 32 . محمد الانطاكي (ط 2 دار الشرق ببيروت)
2) يرجع النظر في المرجع السابق ص: 82 - 100 .

الحبشة ،وأسست ملكا لها عاصمته أقسوم ، ومما يراه المختصون أن اللسان الجعزي هو شديد الشبه باللغة السبئية، الى درجة أن بعض المستشرقين عد اللغتين لغة واحدة .

6) اللغة الامحارية ، وأصحابها هم من تغلبوا على مدينة أقسوم السابقة سنة 1270 م ،وعلى الرغم من كون هذا اللسان لغة سامية لا يرقى اليها الشك ،اذ أنها متأثرة بالصبغة الحامية،وبعد صراع بين في الحبشة بين اللغتين : الجعزية والامحارية كتب التفوق لهذه الاخيرة بفعل التفوق السياسي ،لانها اللغة الرسمية الى يومنا هذا للدولة الحبشية .

7) اللغة العربية ، ...

لكن ما هي اللغة الأم لهذه اللغات السامية ،لانه من غير الممكن أبدا أن تكون كلهتا أصلا ،وفي الوقت نفسه تكون فرعا ؟ من العسير جدا اعطاء جواب علمي دقيق لمثل هذا السؤال ، بل طرحه يعتبر أمرا مخيفا ومحيرا .

وفي هذا يقول الدكتورعلي عبدالواحد وافي :((كما اختلف العلماء في الموطن الاول للأمم السامية ،اختلفوا كذلك في اللغة الاولى التي كان يتكلم بها الشعب السامي . أيام أن كان أبناؤه مجتمعين في موطن واحد .

فكان أحبار اليهود في العصور القديمة يعتقدون أن العبرية هي أقدم لغة انسانية ... وذهب بعضهم الى أن الآشورية البابلية هي أقدم اللغات السامية ، ولم يقدم أصحاب هذه النظرية دليلا يعتد به .... وذهبت طائفة من المحدثين ، وعلى رأسها العلامة أولسهوزن .. الى أن اللغة العربية هي أقرب اللغات السامية الى اللغة السامية الأولى)) (1) .

ان معظم ما نعرف من أحوال عن اللغات السامية قديمها وحديثها أنها لم تظل في حيز فضائي جغرافي منغلق أو ضيق ، بل غالبا ما نجد فضاءاتها شاسعة الاطراف ، غامضة الاحداث ... فالبابلية ـ الآشورية مثلا على الرغم من نصوصها المكتشفة والتي تمثل أول قانون تشريعي على وجه المعمورة ، كانت أن سبقت بلغة أخرى عظيمة فيما بين النهرين ، وأعني بها اللغة السومرية ، ومما هو مؤكد أن اللغتين الغالبة والمغلوبة كلتيهما تأثرت الواحدة بالأخرى ..... واللغة العبرية ليست مستقرة عبر تاريخها الطويل المعلوم والمجهول .. ومن أجل هذه العوامل وما يشبهها ، وجدنا رأيا سائدا لدى معظم المحدثين من علماء الاستشراق بأن ((اللغة العربية قد احتفظت بكثير من الأصول السامية القديمة في مفرداتها وقواعدها ، وأنه لا تكاد تعدلها في ذلك أية لغة سامية أخرى)) (2) .

1) فقه اللغة ص: 14 ـ 15 د . وافي (ط: 7 . دار نهضة مصر ـ القاهرة)

2) م . س . ص : 16

وتظل المسألة في هذا الباب أغمض من أن توضح ، فضلا عما يكتنفها من تناقضات وأوهام وعواطف عرقية وأحقاد تاريخية بعيدة كل البعد عن الموضوعية العلمية ، فالاوروبيون لم يضرهم ،وهم في أوج حضارتهم ،أن اكتشفوا الاصل اللساني للغاتهم ، مجمعين على سنسكريتيته بفضل الدرس اللغوي المقارن .

ويزعم الكثير ان اللغات السامية كلها تعود الى ثلاثة أصول : الآرامية ،والعبرية ،والعربية ،مثلما يردون اللغات الآرية الى ثلاثة أصول أيضا : اللاتينية ، واليونانية ، والسنسكريتية ((وكل من هذين النوعين بأصوله يرد عندهم في الاشتقاق الى لغة مفقودة يتوهمونها انفصلت عنها هذه اللغات ، فكانت متشابهة في أول عهدها ، جعلت تتنوع وتتباين حتى قلت وجوه المشابهة الا ما يكون من قبيل الدلالة التاريخية على وحدة الاصل)) (1) .

ان مثل هذا التشبيه ليس له أي أساس علمي ، لكن البعض يحاول أن يخضع الموضوع الى المنهج دون دليل مادي ملموس، لان اشكال الاصل سائد بقوة حتى على مستوى اللغات السامية ذاتها فكيف بمقارنته بأصول لغوية خارجية عنها توهما ؟ ومع ذلك فان البعض يرى أن الاصل السامي الذي انشقت منه اللغات الثلاث السابقة المزعومة أصلا لكل اللغات السامية الاخرى ، انما هو اللسان

---

1) تاريخ آداب العرب : 1/ ص : 75

البابلي القديم على أنهم رأوا مشابهة قريبة بين هذا اللسان وبين العربية ((بل رأوا كلمات في العربية كأنما نقلت عن البابلية نقلا صريحا ، مع أنها في العبرية والسريانية قد دخلها التحريف، وعللوا ذلك بأن العربية بادية ، فهي قلما تتغير كلغات الحضر التي تتنازعها التبعية لغيرها ... فمن المشابهة بين البابلية والعربية ، حركات الاعراب ، وهي في اللغتين واحدة ،ولا وجود لها في سائر اللغات السامية ،حتى لقد كانوا يذهبون قبل ذلك الاكتشاف الى أنها من اختراع العرب)) (1) .

أما الدكتور محمود فهمي حجازي فيلخص المسألة في الاصل السامي لهذه اللغات بقوله : ((ان الحديث عن العربية واللغات السامية الأخرى طويل ، ولكننا نكتفي بأن نقرر مع هنا مع الباحثين أن العربية قد احتفظت بعدد من الظواهر اللغوية التي تفوق الهجرة الأكادية سنة 2500 ق.م قدما ، وأن مقارنة العربية باللغات السامية الأخرى توضح جوانب الاشتقاق في كثير من الأمور التي حار اللغويون في الفصل فيها ،وأن هناك تطورا عرفته اللغات السامية في الاصوات والصيغ والدلالة . وفوق هذا وذاك ، فالعربية هي أقرب اللغات السامية الى اللغة الأم ، ومن ثم فهي أساس المقارنات)) (2).

---

1) م.س.ص: 76

2) العربية عبر القرون ص: 28 د. محمود فهمي حجازي

وأما الباحثة جرجي زيدان المعروف بتضلعه في هذه الدراسات أن أم هذه اللغات ، والتي تسمى اللغة السامية أو الآرامية (1) ، ((تم نموها ، فتكونت أفعالها ، وأسماؤها ، وحروفها ، واشتقاقاتها ، ومزيداتها قبل أن يتشتت أهلها ، أو نزحوا الى فينيقية ، وجزيرة العرب ، وما بين النهرين ، حيث اختلفت لغة كل قوم منهم بعد ذلك النزوح ، باختلاف أحوالهم ، .. فتولدت منها اللغات السامية المعروفة)) (2) .

ويقول في موضع آخر : ((من الحقائق المقررة ، أن العربية والعبرانية والسريانية ، كانت في قديم الزمن لغة واحدة ، كما كانت لغات عرب الشام ومصر ، والعراق ، والحجاز في صدر الاسلام ، فلما تفرق الشعب السامي ، أخذت لغة كل قبيلة تتنوع بالنمو والتجدد على مقتضيات أحوالها ، فتولدت منها لغات عديدة ... أشهرها اليوم العربية ، والعبرانية ، والسريانية ، كما تفرعت عربية قريش بعد الاسلام الى لغات الشام ، ومصر ، والعراق ، والحجاز (3) وغيرها)) .) (4)

---

1) لقد نبه الاستاذ جرجي زيدان على هذه المسألة أي أنه من الخطأ أن نعتبر الآرامية أم اللغات السامية ، لانه ثبت أن هذه الأخيرة ليست الا واحدة من اللغات التي تفرعت عن اللغة السامية الأصلية .

2) اللغة العربية كائن حي ص: 28 ، جرجي زيدان (دار الهلال)

3) كأن الاستاذ جرجي زيدان يحسب أن لغة الحجاز ليست هي لغة قريش وذلك من خلال هذين النصين ، ومهما يكن فان الحجاز هي المنطقة الشاسعة التي انطلقت منها العربية نحو المناطق التي ذكرها .

4) م.س ، ص : 48 ، 49

ولعل الباحث محمد عطية الابراشي لم يكن بعيدا عن جادة الحقيقة العلمية حين قال : ((ليس من السهل أن نعرف اللغة السامية الاولى معرفة حقيقية ، وان كان من الممكن معرفة الكلمات والتراكيب المشتركة في اللغات السامية على العموم ، تلك الكلمات والتراكيب التي تدل على أن أصلها واحد ، وهو لسان سام بن نوح (1) ، وعلى أنها كانت جزءا من اللغات السامية الاولى ، تلك اللغة التي لم يصل الى معرفتها أحد)) (2) .

ويقول سبرنجر : ((ان الساميين جميعا طبقات متتابعة من العرب)) (3) ، ثم يأتي اللغوي الآخر ((سيس)) فيعضد في كتابه " الأجرومية الآشورية ")) نظرية سبرنجر قائلا : ((ان كل التقاليد السامية تدل على أن بلاد العرب هي الموطن الأصلي للساميين ، فهي الارض التي ظلت منذ قرون متوغل في القدم خاصة بهم)) (4) .

وأما ((دي جوج)) فيرى من جهته رأيا لايبعد عن رأيي اللغويين السابقين مختصره أن ((الجواليد بلاد العرب الداخلية والجمال الجسمي للعرب يدلان على حقيقة لا نزاع فيها ،

---

1) اننا لا نفهم من هذا التركيب (لسان سام بن نوح) أن اللغة السامية كلها ترجع الى سام بن نوح وحده ، وانما نفهم من هذا المنشأ الأول لهذه اللغة

2) الآداب السامية : ص: 9 . محمد عطية الابراشي (ط: 2/ 1984 دارالحداثة)

3) م.س.ص: 10

4) م.س.ع: ن.ص

وهي أن اللغة العربية تقرب كثيرا من اللغة السامية الأولى ، وتتصل بها أكثر من اللغات السامية الأخرى)) (1) .

ان الآراء ما قدم منها وما حدث لا تكاد تنتهي حول هذه الاشكالية الغامضة المرتبطة بماض مطموس ومجهول المعالم واللذين لا يرجعان الى هذه الاشكالية في حد ذاتها ، أي الى المهد الاول لهذا الشعب السامي العظيم ولغته الاولى ، بقدر ما يعودان في حقيقة أمرهما الى تاريخ هذه الشعوب الموغلة في القدم ، لان كل ما اكتشف من آثار مادية لسانية كانت أم حضارية لهذه الشعوب يدل على أن تاريخ هذه الشعوب هي أبعد وأعمق مما تترجمه لنا تلك النقوش أو المخلفات الحضارية .

الا أن معظم النظريات تميل أو تكاد تتفق اتفاقا واحدا يتجلى في اعتبار :

1) شبه الجزيرة العربية مهدا أول للشعب السامي ، بغض النظر عن اية احدى الجهات من هذه الجزيرة ، والتي منه انطلقت الهجرات السامية التاريخية الكبرى نحو الشمال .

2) اللغة العربية أكثر وزنا وترجيحا لان تكون اللغة السامية الأم أو على الأقل ، هي أقرب أخواتها الأخرى قربا واتصالا باللغة السامية الأم المجهولة التحديد لا المجهولة الهوية ، متنازلين عن الرأي السائد بأن جميع اللغات السامية أخذت من العبرية أو الآرامية .

---

1) م.س ، ع: ن ، ص

الفصل الثاني : العلاقات اللغوية بين الساميات

حين نعود اليوم الى الدراسات اللغوية الحديثة ، ولا سيما الى الأبحاث الأوروبية ،فاننا نجدها تتفق بأن الدرس اللغوي المقارن هووليد القرن التاسع عشر ،أو بعبارة أخرى هو مرتبط باكتشاف اللغة السنسكريتية ،هذا الاكتشاف الذي أحدث انقلابا علميا شاملا ، حتى انه ليمكن اعتباره نهاية مرحلة عصر لغوي ، وبداية ظهور مرحلة عصر لغوي آخر .

الا أن مثل الدرس وهذا المنهج لم تجهله الدراسات الفقلغية (فقه اللغة) أو العلمغية (علم اللغة) العربية ، ففيها معالم متنوعة للمنهج اللساني المقارن لو طورها الدارسون العرب في اطار منهج مستقل لما تأخر هذا الدرس الى غاية القرن التاسع عشر .

ومع ذلك ، فان اللغويين ومن اشتغل في حقلهم ، وهم يدرسون اللغة العربية وما يتصل بها من تكلمات أجنبية لاحظوا أن هناك ظواهر لسانية تشترك في لغات متداخلة مع العربية ، وكان هذا منذ العصور الاسلامية الوسطى ، بل أبعد من ذلك ،حيث ان القراء والنحاة واللغويين من جميع الطبقات المبكرة الى جانب الفقهاء والمفسرين قد تجادلوا جدالا حادا ،كما وقفنا على البعض من هذا ، حول طبيعة عدة

ألفاظ وكلمات وردت في القرآن الكريم : أهي أجنبية على العربية أم هي عربية أم هي ألفاظ دخيلة عربت وصيغت وفق القوانين السائدة في اللغة العربية ؟ .

كما سبق أن لمحنا (1) أن أبا عبيدة وابن فارس الى جانب الامام الشافعي ،وابن جرير ... أن النص القرآني لم يحتو على ألفاظ أجنبية أو أعجمية - كما كانوا يسمونها أو دخيلة - . وليس معنى هذا أن هؤلاء العلماء المختلفين قبلوا أووروا هذه الالفاظ الاجنبية الواردة في النص القرآني من خلال وصف القرآن الكريم نفسه بأنه عربي فقط ، بل عن دراية ودراسة لتلك الالفاظ التي دخلت العربية قبل نزول القرآن الذي تبناها لألفتها بينهم وتعبيرهم بها عن أحوالهم وأغراضهم ، وشأن هذه الكلمات التي هي ليست من اللسان أو أصل اللسان العربي : ((سجيل))و ((المشكاة)) و ((اليم)) و ((الطور)) ، و ((أباريق)) و ((استبرق)) وغيرذلك (2) .

ونحن اليوم حين نتصفح كتاب سيبويه الذي يعد ((أقدم ، وأصح كتاب لغوي علمي ، فانا نجد صاحبه يرسم ما يمكن تسميته اليوم بتعليمة لغوية علمية واضحة .. مركزا حديثه فيها على ما قد يلحق الاسم الاجنبي المعرب من تغيير ..)) (3) خاتما تعليمته بقوله : ((هذه حال الأعجمية ، فعلى هذا فوجهها)) (4) .

---

1) راجع ص: 89 - 90 من هذا البحث

2) المعرب من الكلام الاعجمي ص: 53 الجواليقي (ط: 2/ 1969 مطبعة دار الكتب)

3) العربية بين الطبع والتطبيع ص : 166 - 165

4) الكتاب ج4 ص 303

ويذهب أبو منصور الجواليقي الى أن كلا الفريقين مصيب في رأيه والكل ذهب الى مذهب ، أي منهم من ذهب الى الاصل فأنكر وجود هذه الالفاظ ، ومنهم من ذهب الى الفرع فأثبتها . ومن هذا لفظة ((دست)) للصحراء ، وهي بالفارسية ((دشت)) حيث أبدلوا من الشين سينا ، ومثلها : ((سراويل)) و ((اسماعيل)) وأصلهما : ((شروال)) و ((اشماويل)) وذلك لقرب السين من الشين في الهمس (1) .

وقال أبو علي الجوهري : ربما خلطت العرب في الاعجمي اذا نقلته الى لغتها ، ونجد بعض الاعراب قد فطن الى ما دخل العربية من ألفاظ أجنبية ، فقال هازئا : (2)

يقولون لي : شنبذ ، ولست مشنبذا طوال الليالي أو يزول ثبير

ولا قائلا : زوذا ليعجل صاحبي وبستان في صدري علي كبير

ولا تاركا لحني لأحسن لحنهم ولو دار صرف الدهر حين يدور

بينما قال الفراء : ((ينبني الاسم الفارسي أي بناء كان ، اذا لم يخرج عن أبنية العرب .)) (3) .

---

1) المعرب من الكلام الاعجمي ص : 55
2) السابق ص : 57 . والكلمات :
- شنبذ : يريدون ((شون بوذ ي)) ،
- زوذ : اعجل .
- بستان : خذ (الشرح من المصدر أعلاه ص : 57
3) م.س. ص : 57

وذكر أبو حاتم أن بعض الشعراء أمثال رؤبة بن العجاج والأعشى وغيرهما من الفصحاء ربما حلا لبعضهم أن يستعير كلمة أعجمية للقافية لتستطرف ، لكنهم لا يصرفونه ، ولا يشتقون منه أفعالا (1) .

ولم تقتصر المقارنة من اللغويين العرب القدماء بين العربية وغيرها من اللغات الاجنبية على مستوى دون آخر ، بل شملت هذه المقارنة مختلف المستويات . من هذا قولهم :

- لم تجتمع الجيم والقاف في كلمة عربية ، ومتى اجتمعتا في احدى الكلمات ، فمعنى هذا أنها أجنبية ، وليست عربية .

- كما أن الصاد والجيم لا تجتمعان في كلمة عربية ، ولهذا ، فان كلمة ((صولجان)) ليست عربية ، و مثلها : ((جص)) و ((صنجة)) ... .

- وليس في أصول أبنية العرب اسم فيه نون بعدها راء ، ولذا فان ألفاظا مثل ((نرجس)) و ((نورج)) ... ليست بعربية .

- كما لاحظوا أنه لا يوجد زاي بعد دال ، وعليه فالمهندس في العربية هي كلمة أجنبية .

- كما أن أحدا من الثقات لم يرو كلمة عربية مبنية من باء وسين وتاء ، فاذا لوحظ كلمة مبنية من هذه الاصوات الثلاثة فهي أجنبية .

---

1) السابق ص : 57 - 58

وأنشد للأعشى :

بساباط حتى مات وهو محرزق

فقالوا : ان لفظة ((محرزق)) معناها بالنبطية : محبوس ، وتنطق مختلفة صوتيا : ((هزورق)) ، وذكر أن الاصمعي كان يرويه ((محرزق بتقديم الراء على الزاي ، وكذلك رواه أبو زيد ، وكان أبو عمرو الشيباني يرويه بتقديم الزاي على الراء ، فذكر ذلك لأبي زيد ،فقال : أبو عمرو أعلم بهذا منا ، يريد أن أبا عمرو أعلم باللغة النبطية ،لان أمه كانت نبطية)) (1) .

وقال الخليل بن أحمد ملخصا المسألة لمعرفة ما هو عربي مما هو أعجمي :((فان وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلق أو الشفوية (2) ،ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أوفوق ذلك فاعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة ،وليست من كلام العرب ،لانك لست واجدا من يسمع في كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية الا وفيها من حروف الذلق والشفوية واحد أو اثنان أو أكثر))(3)

---

1) الاقتضاب في شرح أدب الكاتب القسم الثاني ص : 262 . البطليوسي (ط: 1982 الهيئة المصرية العامة للكتاب)

2)الحروف الذلق ستة : ر،ل،ن (تخرج من ذلق اللسان من طرف غار الفم)، ف،ب،م (مخرجها من بين الشفتين خاصة)

3) العين ج :1/ص :53 . الخليل بن أحمد (ط:1967 مطبعة العاني ،بغداد)

وعناية الدارسين العرب القدماء بمثل هذه الدراسات اللغوية المقارنة ظلت تصحب الفضاء الفضاء الفكري والحضاري للغة العربية في مشرقها ومغربها ، من ذلك أن ابن حزم الاندلسي ، بما يعتبر اليوم من أكبر الدارسين الذين أدركوا بمعرفة ووعي تامين هذا الضرب من الدراسة ، فالرجل علاوة على مناقشة أهل عصره من عرب ويونان ويهود بشأن تفضيل لغة على لغة ونحوذلك ، فانه تعلم لغات مختلفة مثل السريانية والعبرية الى جانب اللغة اللاتينية .

وهو الى جانب تعلمه للغات أجنبية عديدة مكنته من ابراز رأيه في قضايا لسانية عامة وخاصة ، كان مولعا بمراقبة وتفحص الفروق اللهجية العامية أو ملاحظة التكلمات اليومية التي يسمعها حيثما حل وارتحل .

وهداه إتقانه للغات السامية الحية في عصره الى أن هذه اللغات كانت لغة واحدة ((ان الذي وقفنا عليه وعلمناه يقينا أن السريانية والعبرانية والعربية التي هي لغة مضر لا لغة حمير ، لغة واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها فحدث فيها جرش (احتكاك) كالذي يحدث من الاندلسي اذا رام نغمة أهل القيروان ، ومن القيرواني اذا رام نغمة الاندلسي ، ومن

الخراساني اذا رام نغمتها ، ونحن نجد من سمع لغة أهل فحص البلوط وهي على ليلة واحدة من قرطبة كاد يقول انها لغة أخرى غير لغة أهل قرطبة ، وهكذا في كثير من البلاد ، فانه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى تتبدل لغتها تبديلا لا يخفى على من تأمله ، وهذا تصوير للتطور المدائب لحياة اللغة ليل نهار)) (1) .

اننا أمام عالم ديالكتولوجي يطبق منهجا وصفيا علميا دقيقا قائما على التسجيل والملاحظة الواقعية لغات المتكلمين الذين يستعملون اللغة في مختلف مستوياتها ومناطقها الجغرافية المتباينة،وله ملاحظات تطبيقية وحية على أنواع شتى من التكلمات ، لا نريد أن نقف عنها ،لان ما يهمنا من وقفاته نظرته المقارنة للغات السامية واللاتينية .

لقد أدرك ابن حزم ادراكا لا يدع مجالا للشك بأن العربية والعبرية والسريانية تعود الى أصل واحد أو عائلة لغوية واحدة ، بل ذهب مذهبا بعيدا حين يقرر أن السريانية أصل العربية والعبرانية معا (2) ،وهو قول غريب لم تقل به الدراسات اللغوية المقارنة للغات السامية بشكل قاطع بل لم ترجحه

---

1) نظرات في اللغة عند ابن حزم ص: 26 . سعيد الافغاني (مطبعة البيان - بيروت)

2) م.س.ص : 27

ويرجح المطلعون أن ابن حزم كان يعرف أيضا الاسبانية التي كانت في عهده ، وهو أمر ليس بالمستبعد ، ويصفه الاستاذ سعيد الافغاني قائلا : ((فلما اطلعت على مخطوطة التقريب لحد المنطق في تونس (وقد طبعت أخيرا في بيروت) ، أيقنت أنه يتقن اللاتينية ... كما عرف السريانية والعبرانية ، واذا فقد صدر في حكمه بنفي التفاضل بين اللغات عن اطلاع وعلم، ... وانا لنحيي انصافه وحريته حين يقر بقصور المصطلح الذي وضعه عن المصطلح اللاتيني ،ولا يفعل هذا الا متمكن في اللغتين وفي العلم ذاته)) (1) .

ولما وضع الرجل اسم الاستفهام (ما) قصد السؤال به عن الجنس والنوع ، ووضع الاداة (أي) بغية السؤال عن الفصل في المتساويات من حيث الجنس والنوع شعر بفضل المصطلح اللاتيني في لغته مما جعله يتأسف قائلا بعد الجهد الذي بذله :

((واعلم أن اللغة العربية لم تمكن العبارة فيها بأكثر مما ترى ،على أن السؤال بـ (ما) والسؤال بـ (أي) قد يستويان في اللغة العربية ، وينوب كل واحد من هذين اللفظين عن صاحبه ويقعان بمعنى واحد ،ومن أحكم اللغة اللاتينية عرف الفرق بين المعنيين اللذين قصدنا في الاستفهام ،فان فيها للاستفهام عن العام لفظا غير لفظ الاستفهام عن أبعاض ذلك العام بيبيان لا يختل عن صاحبه أصلا)) (2).

---

1) نظرات في اللغة عند ابن حزم ص/: 35

2) م.س.ص: 36

وغيرُ ابن حزم مَنْ كان يعرف غير العربية واشتغل في حقل الدرس المقارن ، فابن العبري كتب في النحو السرياني على غرار المفصل للزمخشري مستفيدا من دراسته الضليعة في النحو العربي منهجا وعلما ومادة .

((وهناك عدد من النحاة اليهود عاشوا في الاندلس ودرسوا في اطار الثقافية الاسلامية النحو العربي ، وألفوا كتبا في النحو العبري على على غرار ما وجدوه عند العرب من دراسات .... وفوق هذا وذاك فقد كان للنحوي العربي ابن حيان قصب السبق في محاولة تأليف نحو للغة التركية وآخر للغة الحبشية ، والحبشية من اللغات السامية)) (1) .

ونخلص من هذا الى أن الاشتغال بالدرس اللغوي المقارن ليس غريبا في الدراسات اللغوية العربية القديمة ، لكن الأغرب هو أن نجهل أو نتجاهل هذه المجهودات الأصيلة في هذا الميدان اذا قلنا مع القائلين بأن هذا النوع من الدراسات ظهر باكتشاف الصلة بين السنسكريتية واليونانية في نهاية القرن الثامن عشر (2) . بل هناك حقيقة لا بد من الاعتراف بها والاشارة اليها ، وهي أن جل الدراسات اللغوية العربية القديمة من تأليف وتفسير ودلالة ... لا تخلو من مثل هذه المقارنات باعتبار تَدَاخُل العربية بغيرها من أخواتها الساميات ، سواء شعرنا بذلك أم لم نشعر .

---

1) العربية عبر القرون ص : 17

2) يراجع هذا الاكتشاف في : البحث اللغوي عند الهنود ص : 18 - 21 للدكتور أحمد مختار عمر (ط: 1972 دار الثقافة - بيروت)

وتبعا للحيز الفضائي السامي الشاسع والممتد عبر أزمنة متقادمة ما هو مجهول منها أكثر مما هو معلوم ، وصوب أمكنة متنائية ومتنازع فيها من المقيمين والظاعنين ثم من المؤرخين والدارسين ، فان التداول للغة السامية الاولى لا شك أنه كان يتطور ويتفرع في كل اتجاه داخلي وخارجي سواء تعلق الامر بمؤثرات خارجية أو بعوامل لسانية داخلية ، لان ايقاع التطور للغة من اللغات يختلف باختلاف الظروف والملابسات ؛ وهذا التطور لا يلحظه الناس مطلقا خلال جيل واحد أو حتى أجيال متقاربة أو محافظة ((الا أنه في نهاية المطاف تطور سريع ، لأننا في حقل ملاحظتنا التاريخية ،منذ استعمال الكتابة التي يعود تاريخها الى حوالي خمسة آلاف سنة في الحواضر المتقدمة ، والتي ترقى الى ما قبل التاريخ ، استنادا الى نتائج الابحاث اللغوية المقارنة ، كثيرا ما تطالعنا لغات تظهر ولغات تضمحل . وأما في شأن اللغات التي نستطيع متابعة تاريخها فاننا نراها تتشعب في الغالب وتتفرع . ونلاحظ ان الأنظمة التي تتطور تتجه نحو التبدل ،حتى لتمسي غالبا مختلفة اختلافا جذريا عما كانت عليه في الاصل)) (1)

---

1) دراسات لغوية في ضوء الماركسية ص: 80 (ط:1/1979 دار ابن خلدون - بيروت)

غير أننا لا نستطيع أن نقول مع القائلين بأن لغة تظهر وأخرى تضمحل ، الا اذا كان يتعلق الامر بعائلات لغوية متصارعة على البقاء ومن أصل مختلف جنسا ولسانا ، أما اللغات السامية فهي مختلفة عن هذا الصراع لانها تعود الى أصل جنسي واحد والى وحدة لسانية أصلية واحدة ، فمن هنا نستطيع القول بأنه حتى اللغات التي كانت تتلاشى انما كانت تضمحل من الداخل ، ولذا فيجب الحذر حين نعود الى التراث السامي الحي كالتراث الادبي واللغوي العربي الذي نجده متداخلا مع ألفاظ سامية ليست بالقليلة ، وهذه اللغة الاولى وما تبعها أو خلفته من لهجات امتدت واتسعت مع انتشار أهاليها في جميع بلاد الشرق الادنى وحوض البحر الابيض المتوسط لتستقر منذ القرن الحادي عشر قبل الميلاد مع أبنائها الفينيقيين في احد بلدان المغرب الامر الذي مهد المناخ العام فيما بعد للفتح العربي الاسلامي وتعريب هذه البلدان .

وباعتبار الصلة الوثيقة بين هذه اللغات ، فانه ظلت على مر التاريخ تخدم بعضها بعضا ، فاذا كان فضل العربية الباقية على أخواتها الساميات لا يشك فيه أحد لاحتفاظها بخصائص لغوية مشتركة هي في غاية الاهمية للدراسات المقارنة والتاريخية .

فان بعضها الآخر اتخذ كأداة أو همزة وصل في نقل تراث انساني متعدد من لغات أجنبية إلى اللغة العربية مثل اللغة السريانية التي زعم ابن حزم أنها أصل للعربية والعبرانية، كما أن اللغة النبطية قدمت خدمات جلى للعربية القديمة حيث كانت منطلقا للكتابة العربية المبكرة التي تطورت الى هذا الخط العربي الذي نعرفه على شكله الحالي .

ومن ناحية العلاقات التركيبية أو البنى الداخلية للغات السامية ، فانها تتبلور في بنيات خارجية تتعلق بالتوزع والأحداث التي تنعكس على ألسنتها النحوية والصوتية والصرفية والدلالية والمعجمية ، ولعل ما نقدم في ثنايا هذا الفصل من اشارات مقارنة يمكن اتخاذه رافدا من روافد الوقوف على مثل هذه الأنظمة اللغوية من وجهة التقاطعات الخارجية ، غير أننا نريد أن نجتزئ بما ذكرنا في هذا الفصل الذي خصصناه للعلاقات اللغوية بين اللغات السامية التاريخية أو المشهورة وما أثير حولها من جدالات لننتقل الى ما يربط هذه اللغات من وجهة داخلية ، وذلك من خلال :

آ - البنية السانتكسية : Structure syntaxique
ب - البنية المورفولوجية : structure morphologique
ج - البنية المعجمية : Structure Lexicale
د - البنية الدلالية : Structure sémantique
هـ - البنية الصوتية : Structure phonétique

٦٧- في البنية السانتكسية :

من خلال الوقوف على مدونة لأية لغة انسانية ، يتبين أن أنظمتها التي تتمثل في بناء هيكلها التواصلي لا تثبت على حال واحدة ، من ذلك مثلا تعذر ((على الفرنسية ان تظل محتفظة بقواعد التصريف اللاتينية التي علاقة الأسماء فيما بينها ، وفيما بينها وبين الأفعال)) (1) ، وبالمثل ، فان لغة أخرى كاليونانية استغنت تماما عن صيغة التثنية في وقت مبكر من عمرها التاريخي .

واذا التفتنا الى نص الخليل بن احمد السابق ببصيرة أكثر اهتماما ، فانه يجب من هنا أن ننطلق من هذه الملاحظة اللسانية العامة والدقيقة ، فالخليل ذكر على أن احدا من العرب لم يسمع في كلامهم كلمة واحدة معراة من حروف الذلق والشفوية اذا كانت رباعية أو خماسية ، لان اللغات السامية غير الغربية معنية بهذه الملاحظة ، حتى وان كانت العربية استأثرت أصوات الذلاقة فيها بالمكان المتميز الظاهر .

وعليه ، سواء أكانت الغربية هي الأصل المحتمل أو الأكثر احتمالا للسامية الأم أو ليست الا احداها ، فان مجموع اللغات السامية قد (استأثرت بظاهرة تميز أصوات الذلاقة فيها ، فلم تخل منها - أو قل من بعضها - لغة سامية معروفة ، كالبابلية - الآشورية ، والآرامية ، والحبشية والعبرية ، ولغات جنوب الجزيرة ، بل دخلت في تأليف مفرداتها ، وأثبتت الدراسات المقارنة أن الضمائر وأسماء الاشارة .

---

1) دراسات لغوية في ضوء الألسنية ص : 85

ومفردات أعضاء الجسم ، وجمهرة من الافعال والاسماء والحروف تتفق في أبنيتها ، ونلاحظ من بينها أن الحروف المذلقة تتخذ مواقعها في أماكن واحدة منها جميعها) (1)

ويجب أن نعترف بأن الوقوف على هذه العلاقات اللغوية فيما بين الساميات يعني أننا لا نقف على ظواهر منها الا بفضل التعارضات في البنية الصوتية من جهة وما يتصل بهذه اللغة من اشتراك لفظي وتضاد وحقيقة ومجاز من جهة ثانية ، ولذلك قد نجد أحيانا أن بعض الجوانب من هذه الدراسات المقارنة متداخلا .

ان اللغات السامية تشترك بوجه عام من الخصائص الدالة على وحدة أصلها ، وتتباعد في خصائص أخرى تدل على تطورها المستقل ـ ولو نسبيا ـ كوحدة لغوية ذات ظاهرة متفردة أو ذات متكلمين بعدت الهوية التاريخية بينهم وبين من تقدموهم من الساميين الموحدين لسانا ومناخا .

وهي تتميز عن سواها من اللغات بأن أصول كلماتها غالبا ما تتألف من ثلاثة أصوات ساكنة (س.ك.ن) ، حتى وان كان بعض العلماء يجنح الى حقيقة أخرى أي يقول بثنائية هذه الاصول فيها ، وذلك كالأب مرمرجي الدمنكي الذي كان يرد الثلاثي الى الثنائي لأنه يرى أن الثلاثي متفرع عن الثنائي (2) ، وأما القائلون

---

1) الاستاذ ص : 288 (مجلة جامعة بغداد ع: 2/12 1978 - 1979)

2) فقه اللغة ص : 18 - 46 د . صبحي الصالح .

بثلاثيتهـــا فانهم يردون الرباعي فيهله الى الثلاثي ذاهبيـن الى أن دحـــرج أصلـها دحر أو درج مثلا.

ويلخص هذه المسألة الدكتور علي عبدالواحد وافـي بقـوله :

((فبعض الاصول السامية يتألف من صوتين فقط. ويصدق هذا على بعض الحروف (عن ،قد ،بل ،...) والضمائر (هو ،هم ،...)و أسماء الشرط والموصول ،الاشارة (من ،ذا ،..) وبعض أسماء الظ الذوات (يد ،دم ،...). وثم أفعال لا يبقى منها الا حرفان في معظم وجوه تصرفها .. وهذا يدل على أن المعنى العام يتوقف في هذه الافعال على صوتين فقـط ،...)) (1) .

وهكذا ،فان المعنى العام ، حسب النص أعلاه ،يتعين بصوتين فقط ،وأما الصوت الثالث فانه يحدد هذا المعنى العام ويوجهه وجهات خاصة (2) . أمـا ماعدا هذا المعنى العام فيشار اليـه بأصوات مد طويلة أو بصوائت طويلة أو صوائت قصيرة (فتحة ،ضمة ، كسرة) . فنـوع الكلمـة وهـي اسم أو فعل أو حرف أو اسم فاعـل أو اسم مفعول ،... أو كون هذه الكلمة متعدية أو لازمة ،مفردة أو مثنى أو جمعا ،... وأزمنتها المختلفة ماضيا أو حاضرا أو مستقبلا ،... ووظيفتها داخل الجملـة وهي فاعل أو مفعول أو حال

---

1) فقـه اللغـة ص: 17 د. وافي

2) سنعود الى هذا الموضوع ونحن نتحدث عن البنية المعجمية .

أو تمييز ، أو نعت ، ... الى ء كل ذلك ((وما اليه تعد تدل عليه في اللغات السامية أصوات مد طويلة أو قصيرة تلحق جميع أصوات الاصل أو بعضها)) (1) .

ومن خلال النقوش أو النصوص القديمة للأكاديين ، والتي ترجع الى أكثر من خمسة وأربعين قرنا ، يتضح لنا أن هؤلاء كانوا يعتبرون الحركات الثلاث أو الصوائت القصيرة شيئا أساسيا في كتاباتهم ، وبالتالي في نطقهم العادي ((وكل هذا في نفس الخط ونفس السطر لا فوقه ولا تحته ، فالرمز المقطعي يدل على مقطع كامل دون امتهان أو استخفاف بالحركات ... فمعظم الاسماء الاكادية وصلتنا في النقوش المسمارية في ثلاث صور : أحداها بحركة هي الضم ، والثانية بحركة هي الفتح ، والثالثة بحركة هي الكسر ، ومعنى هذا بتتبع سياق هذه الحالات الثلاث وجود نهايات اعرابية في الأكادية على النحو الثلاثي الذي نعرفه في العربية ، ومعنى هذا بالنسبة لتاريخ اللغة العربية أن ظاهرة الاعراب تفوق الهجرة الاكادية قدما ، وأن الاكاديين خرجوا بهذه الظاهرة من مهد الساميين ، فالاعراب في العربية والاكادية أقدم من سنة 2500 ق.م ، وعمره أكثر من خمسة وأربعين قرنا)) (2) .

---

1) فقه اللغة ص : 19 د . وافي

2) العربية عبر القرون ص : 25

أمـا في الجنس ، فان الدكتور ابراهيم السامرائي يخلص الى القول وهو يقيم مقارنة للجنس في اللغات الساميـة ((الى أن التأنيث بالعلامـة طارئ في العربية من الناحية التاريخية كما هو طارئ في غير العربية من إخوتها الساميات)) (1) .

ولا نريد أن نقف عند هذه المسألة طويلا ولا حتى قليلا ضمن العربية والساميات لان الاشكالية المطروحة في العربية وحدها تستحق مجلدا أو مجلدات ، ولذا فاننا نكتفي هنا بمقارنة الجنس بما يقابله في اللغات الساميـة .

وكلمـة ((الجمل)) عادة ما نحسب أنها مذكر لان مؤنثها ناقـة ، لكن بعض المعاجم تفيدنا أنه يطلق على المذكر مثلما يطلق على المؤنث (2) ، وفي العبريـة جمـل وفي السريانية جمـلا يدل على المذكر والمؤنث (3) . ومثل الجمل كذلك ((البعير)) فهو ينصرف للمذكر والمؤنث ، وهو في العبرية ((بعير)) مذكر ، وفي السريانية ((بعيرا)) مؤنث ، ويراد به جميع الدواب العاملة .

---

1) مباحث لغويـة ص : 134 د . ابراهيم السامرائي
(ط : 1971 مطبعة الآداب في النجف الاشرف)

2) يراجع هذه المادة (جمل) في لسان العرب مثلا

3) مباحث لغويـة ص : 135 - 136

ـ الحمار : وهو مذكر ،ومؤنثة أتان ،وهوفي العبرية ((حمور)) للمذكر و ((أتون)) للمؤنث ،وفي السريانية ((حمارا)) للمذكر و ((أتانا)) للمؤنث . على أن ((حمارا)) السريانية قد تنصرف للمذكر والمؤنث .

وهناك ألفاظ أخرى كثيرة مشتركة ،وخاصة تلك الالفاظ التي يرتبط نموّها بنمو الحياة في أي بيئة اجتماعية بدائية ،ومن اعضاء الجسم مثلا : اليد ،وهي مؤنثة في العربية وكذلك في العبرية الا شذوذا ،اما في الآرامية الانجيلية فهي للجنسين على الرغم من وجود جنس واحد أي يجوزفيها التذكير والتأنيث . أما الرجل فهي مؤنثة في أغلب اللغات السامية، وأما الذراع فهي مؤنثة في العربية والعبرية ،أما ((ذراعا)) السريانية فهي مذكر ، وأما الاذن فهي مؤنثة في العربية وسائر اللغات السامية ...الخ (1).

ظاهرة الاختلاف في الجنس ثابتة بين اللهجات العربية على مستوى الفصحى نفسها ،وليس فقط بين العربية وأخواتها أو بناتها الساميات ،وهي من الظواهر اللغوية التي استقصيت بحثا ولم تعط حتى الآن تفسيرا مقنعا ، والأهم أن الساميات تتشابه في الصفة وفي الجنس باضافة تاء الى المذكر،وهذه الخاصة موجودة أيضا في الحامية (2)

1) يراجع : مباحث لغوية ص : 136 ـ 138

2) فقه اللغة ص : 21 د. وافي

وعلاوة على اشتراك أو تقارب الساميات في الجنس الذي يعد موسوعة معقدة على مستوى لغة واحدة كالعربية ،فانها تتفق أحيانا في القواعد الساتكسية ،على الرغم من وجود مميزات خاصة بكل لغة منها ، لكن الأهم عندنا في هذه المقارنة هو وجود الظاهرة الساتكسية في حد ذاتها وليس شكل أو رسم هذه الظاهرة التي نجد اختلافها منبثقا من الناحية الصوتية الناتجة عن الاختلاف العام في النطق ،وفي التباين البيئوي والمناخي والتباعد الزمني بين المتكلمين الساميين السابقين واللاحقين ،...

من هذه القواعد الساتكسية أداة التعريف ، نحن نعلم أنها في العربية ترسم (ال) حيث تلفظ مع ما يسمى بالحروف القمرية وترسم ولا تلفظ مع الحروف الشمسية ، بينما ترسم هذه الأداة هاء في أول الاسم في العبرية حيث تضبط بقواعد خاصة،وفي اللغة العربية الجنوبية (السبئية) يعبر عن أداة التعريف فيها بزيادة ((نون)) في آخر الاسم ، بينما يعبر عن هذه الأداة بحرف مد ((آ)) في آخر الاسم بالنسبة للآرامية ((وليس في اللغة السريانية أداة تعريف، ولكن المتتبع للغة السريانية يجد آثارا لها . وليس في اللغة الآشورية ولا الحبشية أداة تعريف مطلقا)) (1)

---

1) الآداب السامية ص : 17

وبالنسبة للفعل ، فان كل لغة من اللغات السامية تبنيه للمجهول ، وهو يقابل ما يوجد في العربية أي يضم أول المضارع ويفتح ما قبل آخره ، غير أن لكل لغة من هذه اللغات طريقتها في بناء الفعل المتعدي الى المجهول (1) ، وفي السريانية يزاد (ات) في أول الفعل الماضي الثلاثي الغائب ، و (نت) في أول الفعل المستقبل للغائب (2) ، ويرى بعض الدارسين أن اللغة السامية الاولى أو القديمة - على الأقل - حين رحل أصحابها الى العراق (3) حدث في تركيبها تبديل في الجمل حيث أصبح الفعل في آخر الجملة ، مثل احدى الجمل في ملحمة جلجامش - ارتمم ارصيتيم هشا تامورو قيبا ١٠ (قانون الاول التي رأيتها ، قل) (4) .

وكما نعلم أننا نجمع جمع المذكر السالم في العربية بواو ونون في حالة الرفع ، وياء ونون في حالتي النصب والجر ، في حين

---

1) الآداب السامية ص : 17

2) م ، ص : ٥٠ .

3) هذا طبعا بغرض أن المهد الأصلي للساميين خارج العراق .

4) من الساميين الى العرب ، ص : 26 - 29

أن نفس الجموع في العبرية يكون بزيادة ياء وميم في آخر الاسم مع كسر ما قبل الياء مذكرا (كاتبيم) في (كاتبون) وواء وتاء مؤنثا (كاتبوت) في (كاتبات) ، بينما يكون هذا الجمع في اللغتين السريانية والآرامية بزيادة ياء ونون مع كسر ما قبل الياء (1) .

وقد تتشابه لغتان وتتقارب في بعض القواعد أكثر من تشابههما من لغات سامية أخرى ، مثال ذلك أن قواعد اللغة الفينيقية تشبه قواعد اللغة العبرية ، ففي كل منهما يكثر استعمال ((كان)) الماضي للتعبير عن الزمن الماضي التام (2) ، وهذا لا يعني أن اللغتين تتشابهان في كل شيء ، فهما اذا كانتا تتفقان في الاصوات الساكنة أو الصوامت ، فانهما تختلفان في الصوائت الطويلة (أو حروف العلة) ثم ((من الفروق الهامة بين اللغتين أن اللغة الفينيقية لا تستعمل فيها الواو القالبة التي تقلب معنى الماضي الى المستقبل ، والمستقبل الى الماضي ، بخلاف اللغة العبرية ، فان استعمال تلك الواو القالبة فيها كثير جدا)) (3) .

---

1) فقه اللغة ص : 21 د . وافي مع المقارنة بـ : الآداب السامية ص : 17-18

2) الآداب السامية ص : 40

3) م . س . ع : ن . ص

ومن التراكيب الغريبة في السريانية أنه يفصل أحيانا بالدال بين المضاف والمضاف اليه ، وهنا تصبح الدال علامة من علامات الاضافة فيها ، وبالنسبة لظاهرة المثنى فانه لا يوجد فيها غير أن المتتبع للغة السريانية وتراكيبها يلاحظ فيها آثارا للمثنى (1).

ب - في البنيـة المورفولوجيـة :

لقد لمحنا فيما سبق الى أن الجذر الثلاثي يعتبر احدى الميزات أو الخصائص العامة بين جميع اللغات السامية ، وتبعا لهذا الجذر تصاغ جميع المعاني بتغيير الحركات والتشديد أو بزيادة حرف أو حروف في أول الكلمة أو في آخرها ، كما نجد في اللغة العربية ، وأشرنا الى بعض الاختلافات بين العلماء في هذا الشأن ، اذ بينا أن هناك ميلا عاما الى أن الحامية أقدم من السامية ، وأن الجذر في الأولى ثنائي ، فان هناك ملاحظة بالمقابل بأن ((الثلاثية ليست أصلية في السامية ، ومن ذلك أن الضمائر وأسماء الأشياء الحسية ، والتعبير عن الافكار البدائية ، وبعض أسماء الجسد ، وأسماء القرابة ، والأفعال الأكثر استعمالا ، كل هذه تدل على أصل ثنائي ، هذا فضلا عن أن التحليل الدقيق قد أعاد العدد الكبير من الكلمات الثلاثية الى جذر ثنائي ، وأثبتت ذلك المقارنة مع الكلمات الحامية)) (2)

1) الآداب السامية ص : 60

2) من الساميين الى العرب ص : 20

لكـــن الرأي الغالب هو أن أصول الكلمات في اللغات السامية ثلاثي أو ثلاثة سواكن ، وما عداها فهو زائد لغرض مورفولوجي ، كما أن الحركات القصيرة أو الطويلة في بنية الكلمة فيها تعمل على تغيير معنى هذه البنية ، ففــي اللغة السريانية مثلا :

- قــرق :(بتسكين القاف وكسر الراء) : تعني قــرب

- قــرق (بفتح القاف وكسر الراء) : معناها : قرّب أو ضحى

- اقرق (بوضع همزة وصل على الالف من فوق وتسكين القاف وكسر الراء) تعنــي : حارب ، قاتل ، والصفة قريق (بفتح القاف) : قريب ، مجاور والاسم قربانا أي ضحية ، هدية ، ووصنه : قراقنا أي حرب أو موقعة .

والأمثلــة على هذا غزيرة (1) .

وإذا كانت المشابهة بين العربية والبابلية أنصع ما تكون في الحركات الاعرابية التي لا توجد في سواهما من بين سائر اللغات السامية ، فــان صيغ الانفعال أيضا في البابلية أقــرب الى الصيغ العربيــة منهــا الى غيرها من سائر اللغات الساميــة (2) ، مما يدل على الصلة السانتكسية والمورفولوجية المتميزة بطابع التشابه والتوثيق بيــن هاتين اللغتين ، مما يوحي بتفاعل تاريخي ما أكثر أهمية .

ومن هذه المشابهة أيضا أن التنوين في البــابليــة ميم ، وهو في العربية نون ، وهما يتبادلان حتى العربية .

---

1) الآداب الساميــة ص : 59 - 60

2) تاريخ آداب العرب ج 1/ص : 76

وحيـــن نتكلم هنا عن صيغ الافعال فاننا غالبا ما نقصد فقط العلاقات بين أمهات اللغات السامية الثلاث ،وهي العربية ، والعبريـة ،والسريانيـة . وفيما يخص البابلية أو الآشورية أوالكلدانية القديمـة فقـد عثروا فيها على اثنتي عشرة صيغـة فعليـة أكثرها موجود في اللغات الثلاث الأساسية أو الباقية أعلاه ، بينما بعض هذه الصيغ غير موجود في جميعها ، وهذه الصيغ هـي : (1)

فـعـل نفعـــل فاعل شفعل

افتعـل افتنعـل اتّفعل اتّنفعل

افتاعل افتنعل استفعل استنفعل

ان صيغتي افتنعـل واستنفعل لا توجدان الا في الآشورية ، وفعل وفاعل لا توجدان الا في هذه اللغة الى جانب العربية ،أما صيغتا نفعل (بكسر النون) واتّفعل فممّا يوجد في اللغتيـن : العبرية والسريانية دون العربيـة .

وأكثر الصيغ المهملـة في العربيـة نجدها مستعملـــة في اللغتين الأخريين أي العبرية والسريانيـة .

وقبـل أن نعرج على ذكر الأوزان لهذه الصيـغ العديدة التي تخص اللغات الثلاث الباقيـة ، فبودنا لو نشير الى أن صيغة الاستقبال للغائب المذكر هي نون مكسورة في أول الفعل مثل :

---

1) ينظر تاريخ آداب العرب ج 1/ ص : 81

ـ نـقتول : أي سيقتل

ـ نعبد : أي سيفعـل

ـ نـدحـل : أي سيخـاف

وليس في هذه اللغة تضعيف (1) •

ويظهر أن كسر صيغة الاستقبال للغائب المذكر في السريانية لا تبتعد كثيرا عن ظاهرة كسر حوف المضارعة في بعض اللهجات العربية الفصيحة ـ كما سيجيء ـ بل نجد بعض الأئمة المشهورين المتقدمين يقرأ في احدى قراءاته بكسر هذا الحرف مثل يحيى ابن وثاب (ت: 103 هـ) الذي قرأ ((نستعين)) بكسر النون ، وقال فيها صاحب الابانة عن معاني القراءات : ((وهي لغة مشهورة حسنة)) (2) •

أما أوزان الافعال في اللغات الثلاث فهي متقاربة من حيث أو متوازنة بين اللغتين العربية والسريانية منها بين هاتين اللغتين والعبرية ، فهو يكثر بين هاتين ويقل بينهما وبين العبرية ••

وحين ننظر الى هذه الصيغ لا ننظر في الوقت نفسه الى الشكل الظاهري أو التركيب الصوتي لهذه الصيغ ، لأن هذه المسألة لها مبرراتها حتى على مستوى لغة واحدة فضلا على مستوى اللغات الثلاثة

---

1) الآداب السامية ص : 60

2) الابانة عن معاني القراءات ص : 70 مكي بن أبي طالب (مكتبة نهضة مصر الفجالة)

أما الأوزان الفعلية بين اللغات الثلاث فهي (1) :

العربية	السريانية	العبرية
فعل	فعل	فعل
انفعل	أفعل (2)	فعل
افتعل	فعل	فعل
افعل	فاعل	هفعيل
افعال	سفعل	هفعل
فعّل	شفعل	نفعال
تفعل	فعلعل	هتفعُل
فاعل	اتفعل	
تفاعل	اتفأعل	
استفعل	اتفعل	
افعوعل	اتفاعل	
افعول	استفعل	
افعنلى	اشتفعل	
	اتفعلعل (3)	

---

1) نقلنا هذا الجدول من تاريخ آداب العرب ج 1/ص : 108

2) كل الكسرات التي تكون على ((العين)) في هذه الصيغ يترك فيها الصوت أعور فلا تنطق الا بالا مالة .

3) نلاحظ هنا الصيغ متباينة بين اللغات الثلاث في الكم والنطق والشكل .

واذا اعتبرنا الضمائر المنفصلة تدخل في سياق البنية المورفيولوجية فانها تشكل المادة الأصلية والعريقة لهذه اللغات الثلاث : (1)

العربية	السريانية	العبرية
أنا	أني	أنا
أنت	اته (2)	أنت
أنت	ات	انتي
هو	هوا	هو
هي	هيا	هي
نحن	انحنو	حنن
أنتم	اتم	انتون
أنتن	اتن	انتين
هم	هم	هنون
هن	هن	هنين

ومثلما توجد اتفاقات توجد اختلافات ،كما أنه لا يمكن الاحاطة ولو من بعيد بكل ما يربط هذه اللغات السامية من علاقات مورفولوجية أو بنيات لسانية أخرى ،ثم ان هناك لهجات ولغات سامية أخرى لها اعتبارات لسانية وتاريخية وثقافية وانسانية ... لا تقل أهمية عن اللغات الثلاث السابقة ، من هذه اللغات اللهجة السامرية التي

---

1) تاريخ آداب العرب ج1/ص : 82

2) ينطق الحرف الذي توضع تحته كسرة بالامالة

هي خليط من العبرية والآرامية (1) .

ومن ذلك أيضا اللغة المعينية التي وجدوا فيها علامة السين كضمير متصل للغائب ، حيث لم يلاحظ الدارسون وجودا لهذا الضمير الا في هذه اللغة والبابلية والحبشية ،حتى ان البعض يزعم بأن هذه السين كضمير متصل لصيغة الغائب ((ربما كانت دخيلة في الاصل السامي من اللغة الطورانية)) (2) .

ج - في البنية المعجمية :

ألمحنا أكثر من مرة بأن هناك اشكالية قائمة حول الجذر الاصلي أو الأساسي في الساميات عموما ، فمن قائلين بثنائيته لما في هذه اللغات فعلا من كلمات ثنائية أو لما فيها من كلمات ثلاثية أمكن ردها الى جذور ثنائية فضلا عن كون الجذر الحامي ثنائيا ،وأن اللغة الحامية أقدم من السامية على الرغم من أن البحث في وحدة أصلها (الحامية) وتتبع فروعها ولهجاتها وقواعدها ليس بالامر الهين ، ومن قائلين بأن الجذر الثلاثي فيها يعد طابعا خاصا بين لغات الساميين قاطبة .

---

1) الآداب السامية ص : 50

2) تاريخ آداب العرب ج1/ص : 78

على أي حال سواء أكانت اللغات السامية ثلاثية الأصل أم ثنائيته ، حتى وان كنا نرجح أن طابعها العام هو الجذر الثلاثي ماعدا كلمات قليلة تعود الى النطق البدائي الأول الخاص بالعائلة السامية الأم ؛ فان المعجم اللغوي لهذه اللغات هو مجموعة الجذور المختلفة والمتضمنة دلالات متباينة تبعا لما يضاف الى احدى هذه اللغات ، ومنها العربية ، من زوائد أو لواحق ، ومع ذلك فان مصطلح ((معجم)) يبقى دائما من أغمض الأبحاث اللسانية قديمها وحديثها ، لأنه اطار لغوي عام وشامل يصعب تجزئته الى عناصر أو بحثه وفق قواعد مستقلة جزئية ، زد على هذا أن الجذور المعجمية في اللغة الانسانية هي دوما عرضة للزيادة التي على أساسها تتألف الكلمات في بنية خاصة من المعاني والعلاقات .

وكل لغة و بنيتها المعجمية ، ففي لغة كالفرنسية مثلا ، فان الزيادات على الجذور الأصلية فيها غالبا ما تضاف كلواحق لا كسوابق أو بوادئ ، وأن كلماتها مختلفة من حيث طولها وقصرها الى حد بعيد ، حتى وان كانت الالفاظ ذات المقطعين هي الغالبة فيها ، وفي لغة كالصينية فان كثيرا من ألفاظا تتكون جذورها من مقطع واحد ، في حين أن اللغات السامية فيها عدد وافر ((من الجذور المكونة من ثلاثة حروف سواكن تضاف اليها الحروف المتحركة الزوائد لتتكون

منهـا الأصـول ومشتقـاتهـا)) (1)

وليس من السهل متابعة المعجم اللغوي السامي المشترك هنا ،فهذا مطلب من قبيل الخيال ، لان كلمة واحدة وبين لغات محصورة كاللغات الباقية منها تأخذ حيزا واسعا وخاصا ، فكلمة ((انبـو)) مثلا ـ ((كانت تدل في اللغة السامية الأصلية على ((الثمر)) عموما ، وما زالت تدل على ذلك في اللغة الآشورية ،والآرامية ، أمـا في العبرانية فقد أدغمت النون في الباء وعوض عنها بالتشديد فصارت ((آبـه)) بتشديد الباء ،عملا بقاعدة جـارية في نحو ذلك باللغة العبرانيـة .. ثم شقـوا من هذه اللفظة فعلا فقالوا (ابب) بمعنى أثمـر ،وأمـا فـي السريانيـة فقد أصاب هذه اللفظة نفـس ما أصابها في العبرانيـة ،،صارت (ابا) وهي تدل عندهم على الفاكهـة ، كالتين ،والبطيخ ، والزبيب ، واللوز ،والرمان ، . وأما في العربيـة ، فقد حدث نحو ذلك ،ولكن ((الأب)) صار عندهم للدلالة على الكلأ والمرعى أوما أنبتت الارض ،وقالوا : ((الأب للبهائم كالفاكهة للناس)) (2) .

ومن أسماء العائلة لفظة ((الأب)) ،ففي العربيـــة هو : (أب) وفي البابلية ـ الآشورية : (أبو) وفي العبرية (اب) وفي

---

1) دراسات لغوية في ضوء الماركسية ص : 80

2) اللغة العربيـة كـائن حـي ص : 52

السريانية (أبا) وفي لغات جنوب الجزيرة العربية (أب) (1).

والذي يعنينا هنا بوجه خاص هو الوقوف على المعجم النموذجي الأولي بالنسبة لاشتراك العربية مع سائر اللغات السامية ، لان العلماء في الميدان يفترضون أن مثل هذه الالفاظ وجدت أول ما وجدت في اللغة السامية الأم ، ولا نريد أن نتعسف أكثر لا يراد كلمات يعتقد أنها مشتركة كذلك بين السامية الأم والآرية مثل كلمة ((بعل)) التي يظن أنها انتقلت من الآرية الى اللغات السامية أو لعل الآريين نقلوه عن الساميين ، أو كان مشتركا بين الجنسين معا قبل تفرق هؤلاء عن أولئك الى غير ذلك من الاحتمالات البعيدة (2).

ومن هذا المعجم النموذجي : (3)

1) بعض أسماء الانسان : أناس ، ذكر ، أنثى ، أب ، أم ، ابن ، بنت ، أخ ، بعل ، أمة ... الخ

2) بعض أسماء الحيوانات : نمر ، ذئب ، كلب ، خنزير ، ابل ، ثور ، حمار ، نسر ، عقرب ، ذباب ، ... الخ

3) بعض أسماء النباتات : عنب ، ثوم ، قثاء ، كمون ، زرع ، سنبلة .. الخ

4) بعض أعضاء الجسم : رأس ، عين ، أذن ، أنف ، فم ، لسان ، سن ،

---

1) مجلة : الاستاذ ص : 298 - 299

2) راجع مثلا : اللغة العربية كائن حي ص : 53

3) اعتمدنا على توثيق هذه الكلمات من المرجع أعلاه ص : 54 - 55 هـ : 1

شعر ، يد ، كتف ، دم ، كبد ، كرش ، ـــ . . . الخ

5) ومن أجزاء الكون والارض : سماء ، وكوكب ، وشمس ، وحقل ، . . . الخ

6) ومن الافعال : كان ، شام ، نشأ ، علا ، قدم ، قرب ، بكى ، صرخ ، نفخ ، أخذ ، ذكر ، سأل ، لبس ، رعى ، سقى ، ذبح ، قال ، . . . الخ

وبجانب العديد من الالفاظ التي اشتركت العربية فيها مع كل أخواتها الساميات والتي تدل دلالة واضحة على البيئة الأولية لهذه الشعوب ، فهناك الأعداد التي تعد قاموسا مشتركا فيها ، وهي من واحد الى ألف ، حتى وان كان الساميون القدماء لم يعرفوا للمليون كلمة (1) .

ومن هذه الاعداد من واحد الى عشرة بين اللغات الثلاث (2) :

العربية	العبرية	السريانية
واحد	إحاد	حد
اثنان	شنايم	ترين (3)
ثلاثة	شلاشا	تلاتا (4)
أربعة	أربعا	أربعا
خمسة	حمشا	حمشا (5)

---

1) العربية عبر القرون ص : 24

2) ننقل هذه المقارنة من : فقه اللغة المقارن ص : 193 - 194 (د . ابراهيم السامرائي ، دار العلم للملايين بيروت)

3) في العامية الجزائرية (اتنين) وهي قريبة من النطق السرياني

4) نفس النطق في العامية الجزائرية التي أعرف في منطقتي

5) تلفظ في العامية التي اعرف ((خمشا)) باعجام الخاء ، السين

ستة   شتا   إشتا

سبعة   شفعا   شبعا

ثمانية   شمونا   تمنيا (1)

تسعة   تشعا   تشعا

عشرة   عسرا   عسرا

د ـ في البنية الدلالية :

ان البنية الدلالية لا تنفصل من حيث المرجعية اللسانية عن البنية المعجمية ،غير أن البحث فيهما معا يقود الى الخلط والتداخل بين المنهجين ، الا أننا مع ذلك نعترف ببعض القصور في هذه الدراسة لمتتبع هذا العمل ،لان هدفنا ليست هي المقارنة في حد ذاتها ،ولكن للوقوف على النتائج التي تحققت في هذا الحقل لمعرفة مدى ارتباط العربية وأخواتها الساميات في كل البنيات الطبيعية التي تشكل أية لغة انسانية ،كما أننا نعترف بقصور منهجي آخر يتجلى في تنظيم هذه العناصر وفصلها أو ربطها ، ومن هذا ما يتجلى لنا في كثير من العناصر الاساسية مستقلة كانت أم تابعة ،مثال ذلك :

1) التضاد بين اللغات السامية .. فالى أي عنصر يضاف ويبحث ؟

---

1) الغريب أن هذه الكلمة تنطق عندنا تماما في العامية الجزائرية

2) المتباين والمشترك والمترادف

3) انتقال اللفظ من معناه الاصلي الى معنى آخر مجازي

4) اختلاف اللفظ الواحد باختلاف الاوضاع

5) الثلاثية أو الثنائية نفسها : هل تتعلق بالحقل المعجمي أم الدلالي أم بهما معا ؟

وأقترح أن نبدأ من التساؤل الاخير الذي لمحنا اليه في كل مرة ،لاننا نجدها أمامنا تقريبا في كل نقطة أو على الاقل يتراءى لنا هكذا .

صرح الدكتور وافي أن المعنى العام في اللغات السامية بصوتين يتعلق بصوتين فقط ((أما الصوت الثالث فيحدد هذا المعنى العام ويوجهه وجهات خاصة . فالمعنى العام المتفرقة مثلا يؤدى في العربية بصوتي : ف،ر ، ويضاف الى هذين الصوتين صوت ثالث يشار به الى نوع التفرقة والمادة التي حدثت فيها (فرى ،فرم ،فرص ، فرس ، فرث ،فرج ،فرق ، فرز ..الخ). والمعنى العام للقطع يؤدى بصوتي ق،ط (أو صوت شبيه بالطاء كالدال) ، ويضاف الى هذين الصوتين صوت ثالث يشار به الى نوع القطع والمادة التي حدث فيها (قطع ، قطف ، قطم ، قط ،قد ...الخ)) (1)

---

1) فقه اللغة ص : 17 د. وافي

وحسب النص السابق أن البنية الدلالية العامة للجذر الفعلي في اللغات السامية تتم بصوتين فقط،وأما البنية الدلالية الخاصة بكل مدلول على حدة فيتم بالصوت الاضافي الثالث .

ويذهب الدكتور ابراهيم السامرائي تقريبا نفس المذهب أو أو أبعد ((ونريد الآن أن نسلك مسلكا صعبا فنقرر أن الصورة الاولى للفعل العربي هو المضعف الماضي الثلاثي ،والقول في هذا يؤدي بنا الى أن نقول من القائلين ان مبدأ الثلاثية في الاصل العربي مرحلة تكميلية وليست أولى ، ومن أجل هذا فلابد أن تكون الأصول الثلاثية تمت بعد أن كان هناك مرحلة كان فيها الاصل ثنائيا ،ثم تطور هذا الثنائي الى الثلاثي الذي صار ميزة من مزايا العربية واللغات السامية)) (1) .

ويؤيد السامرائي قوله بالاستدلال بحروف الجر في العربية وبعض هذه الحروف في لغات سامية أخرى ،ثم يستطرد قائلا :

((ان المعاني العربية تؤدى بحرفين صامتين فالكاف والنون في كن تؤدي في العربية التخفي والاستتار فهي بمعنى جن التي استحالت بالتضعيف الى جن ، هذا في العربية ، وفي العبرية مادة ((كن)) أيضا تؤدي المعنى نفسه ،وقل مثل ذلك في مادة در في اللغتين العربية والعبرية ،وكذلك مادة فر ، فهذه

---

1) فقه اللغة المقارن ص : 166

المواد تؤدي المعاني وهي بحرفين ،وما الحرف الثالث الذي

لتمن به كسعا الا لفاية اكمال الاثنين وصيرورتها

على ثلاثة ، وهذه المرحلة الثلاثية متأخرة بالنسبة للأولى ،والأمد

بينهما واسع طويل ، ... أقول : ان هذا الثالث الطارئ على

طريقة التضعيف زيادة في الكلمة وليس بأصل ..)) (1)

وهكذا بالنسبة الصه : أي مادة كل الفعل المضاعف هي أصل

بالنتيجة في الفعل الآخر كان ،ومادة : غب هي أصل

بالنتيجة منها في غاب ،وكذا المادة : جب هي أصل للفعل

جاب ،ومادة : صر أصل صار ...الخ (2).

والمطلع البسيط على هذه الأفعال ووظائفها مثل صار مثلا ،

لا يأخذه العجب فقط بل قد تسول له نفسه أن ينفي تماما النوعية

العلمية العقلانية لمثل هذا الرأي البعيد كل البعد عن الحقيقة

اللسانية العامة للغة العربية التي تعد أنقى وأثرى لغة سامية

باقية ، فهذا الرأي نظرة تعسفية تعتبر اللغة العربية خصوصا

والساميات منها عموما بريئة كل البراءة .

اننا لا ننكر أن تكون هذه الدلالة مرتبطة بالتعارض

بين صوتين مثلما هو الحال بين الوحدتين الدالتين : ((سار))

و ((صار)) ،لكن دلالة كل وحدة على حدة لا تكمن في الوحدة الصوتية

---

1) م.س.ص : 196

2) م.س.ص : 197

((س)) أو الوحدة الصوتية ((ص)) ... فكيف الحال بين وحدتين دالتين مستقلتين : ((صر)) و ((صار)) ؟؟ .

ان وحدات الجر الثنائية التي يحاول البحث أن يمثل بها كدليل على ثنائية الجذر السامي هي وحدات ـ كما نعلم ـ دالة وظيفية ، أي تشير من خلال تركيبها السانتكسي الى وظيفة وحدة دالة أخرى ، وهي ليست وحدات دالة مكتفية بذاتها حتى يمكن للمعبر بها أن يتفوه بها كيفما اتفق أو يركبها في الجملة أو التركيب في أي وضع خطي يشاء " (1)

ولسنا بحاجة الى التأكيد على أن هذه الوحدات من حروف المعاني غير مكتفية بذاتها ، والرسائل اللغوية العربية القديمة وكذا كتب معاني الحروف وكتب الحروف ... كلها تشهد على هذا الاكتفاء غير الذاتي ، وفي الوقت نفسه على خلق وظيفة جديدة في الوحدات الدالة التابعة ، ويكفي هنا أن نمثل بالباب الاول (اللامات) من كتاب الحروف لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني (ت: 384 هـ) حيث نجده يذكر أن للامات اثني عشر وجها : (2)

1) لام الابتداء : لزيد خير منك

2) لام القسم : والله لآتينك

---

1) مدخل الى اللسانيات ص : 81 وص: 103 ـ 104 رونالد ايلوار (ط: 1980 مطبعة جامعة دمشق)

2) كتاب معاني الحروف ص : 141 ـ 143 الرماني (دار نهضة مصر . القاهرة

3) لام الاضافة : لزيد مال

4) لام التعريف : الرجل والغلام (وهذه تكون كذلك موصولة وعهدية وجنسية)

5) لام الأصل : لهما يلهو .

6) ما يسمى باللام الزائدة :

لما أغفلت شكرك فاصطنعني فكيف ومن عطائك جل مالي ؟

7) لام الاستغاثة : بالكسر : يا للرجال ..

8) لام الكناية : له ،لهم ،حكمها الفتح ،وأصلها لام الاضافة

9) لام كي : كقوله تعالى : ((لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ)) (1) أي كي يغفر لك

10) لام الجحود : كقوله عزوجل : ((مَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ)) (2) . لولا الجحد لم تجز اللام ههنا .

11) ومن لام الاضافة لام العاقبة : كقوله جل شأنه : ((فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا)) (3)

12) لام الامر : كقوله جلت عظمته : ((ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟)) (4)

---

1) سورة الفتح : آية : 2

2) سورة آل عمران الآية : 179

3) سورة القصص الآية : 8

4) سورة الحج الآية : 29

اننا لو اخذنا الفكر اللساني عند الخليل بن أحمد بعين الاعتبار من خلال التقليبات الصوتيه الستة وحدها لا ستنورنا في هذه المسألة أيما استنوار ، فالعلامة اللسانية ـ مبدئيا ـ هي اعتباطيـــة لكنها غير مجزأة لانها عبارة عن كمل ما ينجم عن ترابط الدال بالمدلول حسب وجهة نظر سوسور (1) ، ونحن حين ننظر الى الكلمات الثلاثية المهملة من البنية الاصلية المستعملة لا نفكر فيها لحظة واحدة بانها ثنائيـة .

وبعد وان اللغة السامية الأم قد استفادت من دلالة أصليـة اشتقـت منها دلالة ثانية فرعيـة ، وهذه الدلالة الثانية هي قبل كل شيء دلالية نحويـة كتمييز الجنس بين المذكر والمؤنث ،ومن ذلك أن كلمـة ((أخ)) تحولت الى ((اخت)) وأن كلمة ((ابن)) تحولت الى ((بنـت)) ... الخ ، واذا كان سوسور يعتقد بان فكرة ((أخت)) لا ترتبط باي صلة داخلية مع تعاقب الاصوات : أ. خ. ت (2) فان الرجل معذور في ذلك ،لان كلمـة ((SOEUR أخت)) فعـــلا لا علاقة لها صوتيا ولا دلاليـــا بكلمـة ((FRÈRE أخ)) .

وقد يقول قائل : ان هناك كلمات أخرى مثل ((ولد)) لا تقابل

---

1) محاضرات في الالسنية العامة ص : 88 دي سوسور (دار نعمان للثقافة بيروت)

2) السابق ص : 90

((ولدة)) مثلا في اللغات السامية ومنها العربية ،فاننا نقول مرجحين بأن هذه الكلمة وأمثالها أخذت من البنية الاصلية للفعل الماضي : و.ل.د أو من معناها العام ،خاصة وأن النظرية العربية تميل بقوة الى أن الاسم أخذ من الفعل وليس العكس (1) .

هـ ـ في البنية الصوتية :

مما هو ثابت أن كل لغة بشرية تمتلك عددا ضئيلا من الاصوات بالقياس الى الكلمات والاشتقاقات التي تستعملها من نفس الاصوات ،اذ هذا العدد لا يتجاوز خمسين صوتا كحد أقصى ولا يقل عن عشرين كحد أدنى (2) .

ومما لا شك فيه أيضا أن اختلاف المختصين في اللغات السامية يرجع الى اختلافهم في قراءة النقوش واستنطاقها أكثر مما يعود الى اختلاف هذه اللغات التي يفترض فيها أنها تتفق في كثير مما يعتقد أنها تتباين فيه ،لاننا ((لا نعرف عامة اللغات الا كتابيا ،وأما ما يخص لغتنا الام نفسها ،فان الوثيقة ماثلة دائما بين أيدينا . واذا

---

1) ليس من مهمتي هنا أن أخوض أكثر في هذا الجدل ،لكن من يعود الى مصادر عربية أصيلة مثل :الايضاح في علل النحو ص : 83-84 للزجاجي ، وكذلك . الانصاف في مسائل الخلاف ج 1/ص : 6 ـ 16 للانباري ،يقف على هذه الحقيقة ،ومذهب البصريين فيها اقوى من مذهب الكوفيين .

2) دراسات لغوية في ضوء الماركسية ص : 77

ولا مقترنة ،ولا دالة على معنى من معاني الاسماء والافعال والحروف الا أنها أصل تركيبها . (1)

اننا لا نعتبر هذا النص العربي الاصيل بعيدا عما أسماه اللساني الفرنسي المعاصر أندري مارتيني بـ((التمفصل المزدوج)) (2) .

وخاصة عند تحليل الكلام الى تقطيع مزدوج أي الى مونيمات أو أصغر وحدة دالة والى فونيمات أو أصوات .

على أي حال ،ان النظريات التي ترجح العربية أصلا أول للساميات كلها ترتكز ، مما ترتكز اليه ، على الناحية الصوتية ،على أن العربية احتفظت بكل الاصوات الموجودة ((في أخواتها وزادت عليها أصواتا غير موجودة الا بها كالضاد مثلا)) (3) .

وعندما استوطن الاكاديون مابين النهرين جعلوا يكتبون بالخط السماري السابق عليهم مكانا وزمانا ،وعلاوة على مرور هذا الخط بمرحلتين : ((مرحلة تصويرية كانت فيها العلامة تعني فكرة ،ومرحلة صوتية كانت فيها العلامة تعني مقطعا صوتيا من مقاطع الكلمة)) (4) ، فان

---

1) الايضاح في علل النحو ص : 54 الزجاجي (ط: 1959 مطبعة المدني ـ مصر) والذي يتتبع نص الزجاجي يزيد نفيا لثنائية السامية بالاعتماد على حروف المعاني مثلا ،والتي تدل على دلالة في غيرها لا في نفسها .

2) ANDRE MARTINET (double articulation)

3) المورد ص : 21 العدد الثالث . 1973

4) الوجيز في فقه اللغة ص : 85 محمد الانطاكي

الخط المسماري لا تحتوي أبجديته الا على ثمانية عشر حرفا فقط ، وهو دون اللسان السامي أو البابلي القديم بكثير (1) .

ومن ثم لم يتمكن الساميون من تدوين النطق بالاحرف التي لم تكن في نطق السومريين (2) ، وبذلك ((ضعفت عندهم الحروف ((ع)) و ((غ)) و ((هـ)) و ((ث)) الى أن زالت وزال الحرفان : ((ض)) و ((ذ)) وحل محلهما حرف الصاد)) (3) .

فضلا عن ذلك ، فان أنظمة الكتابة السامية عموما مثل الفينيقية والعبرية القديمة أو العربية تتمثل في كونها أنظمة صوتية ألفبائية ، وهي تقوم على أساس الحروف الصامتة ، ويرد المطلعون هذه الظاهرة الى البنية الاعرابية للغات السامية ((وبالواقع الخاص الذي يستند الى كون جذور الكلمات في هذه اللغات ، كانت مكونة أصلا من الحروف الساكنة ، وأما الحروف المصوتة فان حركتها تتغير لتعطي اشتقاقات مختلفة صرفية ونحوية ... وفي العصور الوسيطة ، قيض لنظام الكتابة العربية أن ينتشر ... غير أن نظام الكتابة العربية القائم على تدوين الاصوات الساكنة فقط ، والموافق للبنية الاعرابية ، وللبنية الصوتية

---

1) السابق ص : 88

2) حروف الخط المسماري هي : ا ، ب ، ج ، د ، ز ، ح ، ط ، ك ، ل ، م ، ن ، س ، ص ، ق ، ر ، ش ، ت ، ز . ومن هنا ندرك الصعوبة الملائمة بين الرسم المسماري والنطق السامي

3) من الساميين الى العرب ص : 26

للغة العربية، أسعر عن كونه غريبا لا يتلاءم مع لغات الشعوب التركية، والايرانية، والقوقازية وغيرها، مما ينتمي الى أسر لغوية غير سامية)) (1)

كما أن دوسوسور لاحظ نفس الملاحظة بشأن الساميين لم يسجلوا الا الصوامت (2)، وحين يضطر شعب لاقتراض الفباء شعب آخر، فانه ((ما يحدث أن امكانات هذه المنظومة لا تتناسب ووظيفتها الجديدة، الامر الذي يدعو الى التذرع بذرائع مختلفة لحل المشكلة)) (3).

وعلى الرغم من أن اللغتين العبرية والفينيقية لهجتان للغة واحدة، وأصل واحد (4)، وعلى الرغم من أنهما تتفقان في الحروف الصحيحة الا أنهما تختلفان في الصوائت أو حروف العلة، فاللغة الفينيقية القرطاجنية مثلا، من الصعب شرح كلماتها لكثرة ما فيها من لبس وغموض لأن حروف العلة لا تستعمل فيها الا نادرا (5).

عموما، فان أهمية الاصوات الساكنة في الدلالة والنطق سرت الى الرسم نفسه ((فأهم ما يعني الرسم السامي باظهاره هو الاصوات الساكنة،

---

1) دراسات لغوية في ضوء الماركسية ص: 65-66
2) محاضرات في الالسنية العامة ص: 56
3) م.س.ص: 44
4) الآداب السامية ص: 19
5) م.س.ص: 39

أما الاصوات اللينة فيغفل بعضها اغفالا تاما ويشير الى بعضها بالشكل ، ويرسم بعضها رسما مضطربا غير دقيق . وهذا في الرسم الحديث ، أما الاشكال القديمة للرسم السامي فكانت تغفل جميع أصوات اللين .)) (1)

ومن باب الانصاف العلمي أن نذيل هذه الدراسة بأن نقول : ان العرب القدماء قد أدركوا عن وعي وعميق هذه الاشكالية التي تتعالى شكاواها من الشرق والمغرب ، ومن هؤلاء ابن درستويه (ت:347هـ) الذي قال : ((اعلم أن الكتاب ربما يكتبون الكلمة على لفظها وعلى معناها ويحذفون منها ما هو فيها ويثبتون فيها ما ليس منها ويبدلون الحرف من الحرف ويصلون الكلمة بأخرى لا تتصل بها ويفصلون بين أمثالها ويختزلون عامة صور الحروف اكتفاء بالطائفة منها ولا ينقطون ولا يشكلون الا ما أليس)) (2) .

ان قراءتنا لكتاب ابن درستويه تحيلنا على معلومات تاريخية مهمة قد تساعدنا حتى على قراءة بعض النقوش العربية القديمة ، من ذلك ما يحكيه أن العرب تنطق وتكتب : ((بنوفلان علماء)) (3) أي على الماء ، وقال قطري بن الفجاءة : (4)

غداة طغت علماء بكر بن وائل وعاجت صدور الخيل نحو تميم

---

1) فقه اللغة ص : 26 د . وافي
2) كتاب الكتّاب ص : 16 ابن درستويه (ط:1977 دار الكتب ـ الكويت)
3) م.س.ص : 49
4) م.س : ص.ن

ليتصور أحدنا وهو يقرأ لأول وهلة هذا النقش اذا كان نقشا ، فانه يجد نفسه أمام تركيب واحد مكتوب برسمين مختلفين فضلا عن الرسم الثالث العادي المألوف في كتابتنا الحديثة .

كذلك وصلهم ((ويلمه)) ويريدون : وي لأمه ،

وقال امرؤ القيس : (1)

ويلمها في هواء الجو طالبة ولا كهذا الذي في الارض مطلوب

كذلك الحذف الشائع الموروث عن الرسم السامي القديم والخط العربي الانتقالي ، كما هو الحال في كلمات عديدة :

هأنا ذا ، ذلك في قريب من مد وفتح ، وهأنتم ، ههنا ، السموات ، وحذفوا كذلك من الرسم ((الالف من الملائكة (الملئكة) بعد اللام لأنها جمع .. وفي آخرها تأنيث وكثر استعمالها ، وكذلك ((سلم عليك)) .. ومما أجري هذا المجرى من أسماء الايام : الثلثاء ..)) (2) .

ثم لنتأمل هذه الكلمات : الصلوه ، الزكوة ، الحيوة .. وما جاء على نحوها في الرسم القديم ، مع أنها بمنزلة الفلاة واللهاة والقطاة والسراة .. كيف نقرأها لو وجدناها على نقش سامي أو عربي قديم ؟ .

---

1) م . س . ص : 62

2) م . س . ص : 72 - 73

أما بالنسبة لعدد الحروف وهيئتها واختلاف صورها ،فان ابن درستويه يقول : ((اعلم أن حروف المعجم ثمانية وعشرون حرفا مختلفة الالفاظ ، وصورها ثماني عشرة صورة لتشابه صورة الحرفين منها والثلاثة كالباء والتاء والثاء ،وكالدال والذال ،وكالراء والزاي ، ونحو ذلك ،ولولا التشابه لكانت لكل حرف منها صورة ، وقد تؤول هذه الثماني عشرة صورة الى خمس عشرة صورة أيضا في الاتصال لتشابه صورة القاف والفاء المتصلتين اذا ابتدئتا أو توسطتا ، وتشابه الياء والنون والباء والتاء والثاء المتصلات اذا ابتدئن أو توسطن ، ومن الحروف ماله صورتان ،أو أكثر ،...)) (1) .

ومما يلفت الى الانتباه في هذا النص أن صور الحروف ثماني عشرة صورة ،وألمحنا فيما سبق الى أن الرسم المسماري الذي اتخذته اللغة السامية القديمة خطا لها فيما بين النهرين يحتوي على نفس الصور : ما هذه الصدفة الغريبة ؟

ونريد أن ننبه الى أن الاختلاف في تركيب البنية الصوتية على المستوى الفونولوجي متباين ،لكن هذا التباين ليس خطرا على المعنى أو الدلالة ،فكلمتا : نفس في العربية ،ونفش في العبرية لهما نفس البنية الفونولوجية : (ثلاثة صوامت صصص) ،وكلمة (أبو) في البابلية الآشورية و (أبا) في السريانية لهما نفس البنية أيضا (صامتان + صائت)

1) م.س.ص : 113

ولعـــــل أهم شيء لاحظناه من خلال استعراضنا للعربية على ضوء أخواتها الساميات المختلفة هو ظاهرة الاعراب الذي يعد ظاهرة بنيوية قديمة في العربية وأختها الأكادية على الشكل الثلاثي الذي بقي طابعا ظاهرا في نصوص العربية الموروثة خطا ونطقا .

ولاحظنا أن جل آراء العلماء ممن تعمقوا العلاقات اللغوية العربية السامية على ضوء مستوياتها المختلفة تميل بشكل أو بآخر نحو تأصيل العربية كلغة أم لباقي الساميات الأخريات لعدة عوامل أتينا على ذكرها ، لكن الدلائل التاريخية والجغرافية والانتروبولوجية وخاصة اللسانية لم تتوفر بعد لتأكيد هذه الدعوى بصفة قطعية مثلما تأكد الغربيون شهلا بأن السنسكريتية أصل للغات الهندية الأوربية ،وحتى الآن لا يمكن القول قطعا بأن العربية ((هي اللغة السامية الأم نفسها ، وليس كما قال العلماء ـ هي أقرب الساميات الى اللغة السامية الأم ، ونظن أيضا بأن باقي الساميات هي لهجات أو لغيات ناقصة النمو متفرعة عن اللغة العربية)) (1) .

ان الحكم أعلاه حكم غير علمي،وهو أقرب الى ذاتية موصدة منه الى موضوعية شفافة ،زد على ذلك أن هذا الحكم صادر عن رجل مختص في التركيب للغة العربية الفصحى ، ثم لا يمكن ضرب آراء العلماء المختصين

1) ظاهرة الاعراب في النحو العربي ص : 4 د . أحمد سليمان ياقوت (ط:1983 ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر).

عرض الحائط ، ثم ان من يتتبع التراث السامي في جميع بنيا تـه اللسانية لايجرؤ على تسمية احدى هذه اللغات السامية ((لغوية)) . بل من يرجع الى بحث واحد وميدان واحد كالتضاد في اللغات السامية (1) يخجل من اطلاق عام مثل هذا .

والشيء الآخر أن هذه اللغات تعتمد معجميا في الأغلب الأعم من أجل التعبير عن بنية دلالية أو مورفيولوجية على جذر ثلاثي ، وأما الظاهرة الثنائية غير المستبعدة فيها بشكل قطعي فهي اما ظاهرة موروثة عن الحامية التي يعدها العلماء أقدم من شقيقتها السامية ، واما لأنها ظاهرة طبيعية تمثل المنطلق المشترك الأول أو البدائي لهاتين اللغتين معا ، وذلك قبل تباين الأسرتين الأختين ، ذلك التباين الذي لا يعرف عنه أحد حتى الآن شيئا كثيرا .

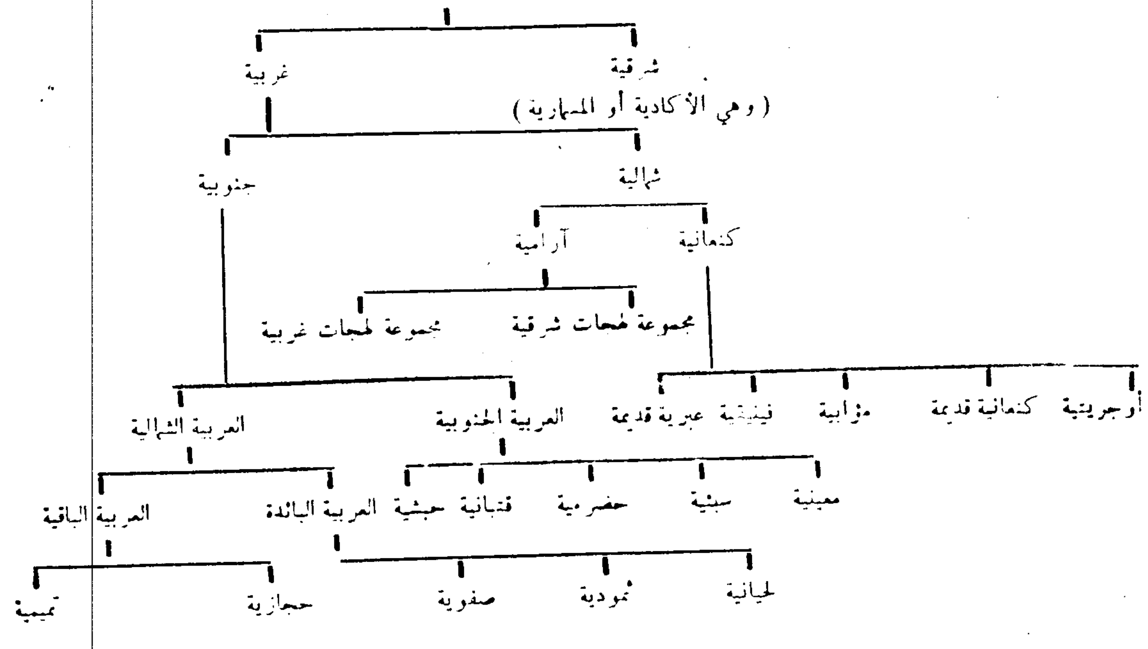
وفي نهاية هذا العمل نريد أن نذيله ببعض البيانات من اللوحات والخرائط لعلها تزيد هذه المسألة من الناحية الفضائية والجغرافية والتاريخية و النسبية شيئا من التحديد والوضوح في بعض القضايا ـ ان لم أقل في كثير من القضايا (2) ـ التي لا تزال شائكة ومعقدة في كل المستويات تقريبا ، لان الحديث عن الظاهرة الملبسة لايعني الحديث عنها بالضرورة لتقديمها بقدر ما قد يعني كذلك قراءة معينة في الظاهرة الغامضة نفسها .

---

1) مثال هذا البحث الميداني المقارن ((التضاد في اللغات السامية)) للدكتور ربحي كمال (ط: 1975 دار النهضة العربية ـ بيروت)

2) سبق أن ألمحنا في ص: 163 من هذا الفصل الى أن الهدف من هذا العمل ليست المقارنة في حد ذاتها ، لكن الوقوف ايضا على النتائج .

ان المخطط أدناه يمثل الوشائج اللغوية بين مختلف اللغات السامية، بما فيها اللهجات العربية الثلاث : الثمودية والصفوية واللحيانية التي سنتناولها في الفصل التالي بشيء من الدرس الى جانب اللهجة النبطية التي نلاحظ أنها غير مثبتة في هذا المخطط، مع أنها لهجة عربية لا شك فيها.



(لوحة رقم : 1)

لكن من غير الممكن أن نثبت كل اللغات واللهجات السامية، واذا كان الامر موضوعيا بالنسبة للهجات البائدة وفق النقوش والآثار اللغوية، فان الأمر غير موضوعي بالنسبة للعربية الباقية، اذ لا يمكن اعتبارها مؤلفة فقط من الحجازية والتميمية، بل من عشرات اللهجات الاخرى. (1)

---

1) نقلنا هذا الجدول لشجرة اللغات السامية من : فقه اللغة ص : 71 للدكتور صبحي الصالح.

(اللوحة رقم : 2)

نقلنا هذه الخريطة من كتاب :
من الساميين الى العرب ص : 8



(اللوحة رقم : 3)

اعتمدنا في نقل هذه الخريطة على كتاب :

العرب قبل الاسلام ص : 53 الاستاذ جرجي زيدان

ان هذا النقش أدناه نقش آرامي مكتوب بالحروف الفينيقيـــة في الوسط ، وعربت في العمود الاول ، وترجمت في العمود الثالث ، وهي موجودة في ستة مستطيلات ، ونلاحظ أن المستطيل الثاني فيه ((بار)) وهي ابن في العربية والعبرية معا.

كِلَمُو	ϟ ϡ ∠ Y	ك ل م و
بن حيي	ꙅ H 9 9	ب ر ح ي
(للتكريم) ركبإيل	∠K9⊀9∠	ل ر ك ب ا ل
(ل) يعطيه ر	9H∠ϟX𐤆	ي ت ن ل ه ر
كبإيل (الله)	∠ K 9 ⊀	ك ب ا ل
طول حياة	𐤆 H ⊀ 9 K	ارك ح ي

(لـــوحـــة رقـــم : 4)

اعتمدنا في نقل هذا الجدول على كتاب :

من الساميين الى العرب ص : 115

اننا تعمدنا اثبات هذا النص السرياني توسيعا للمقارنة وزيادة في الفائدة ، لأن هذا النص مازال مستعملا الى اليوم في كنائس لبنانية . الا أنها لم تحافظ على أصالتها ، كاللغة العبرية ، حيث دخلتها ألفاظ عربية كثيرة ، ولا عجب في هذا ، وكلمات أخرى تركية وكردية .

النص السرياني

ܫܠܡ ܒܫܢܬ ܐܠܦ ܘܬܠܬܡܐܐ ܘܫܒܥ
ܘܚܡܫܝܢ ܕܡܪܢ ܒܝܘܡܝ ܝܘܚܢܢ ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܐܢܛܝܘܟܝܐ
ܘܕܛܘܪܐ ܠܒܢܢܝܐ ܘܣܦܪܝ ܝܡܐ ܘܕܝܘܚܢܢ ܐܦܝܣܩܘܦܐ
ܕܩܘܦܪܘܣ

النطق

١ – شلِم chlem بشنَت ألِف وتَلْتما'تا ouatllmoto وشبَع

٢ – وخمشين دموران بيومـــه يوحنن فطريركا fatrlarco دانتوقيـــا d'Antioquia .

٣ – ودطورا ouadtouro لبنونيا lebnonoïo وسفري يَمَا وديوحنون أفيسقوفا afiscofo دقوفروس d'Koufros .

١ – كمل بسنة الف وثلاثمئة وسبعة

٢ – وخمسين للرب بعهد يوحنا بطريرك انطاكية

٣ – وجبل لبنان وشطوط البحر وليوحنا أسقف قبرس

(لـــوحـــة رقـــم : 5)

اعتمد في نقل هذه اللوحة أعلاه على مرجع :

من الساميين العرب ص : 82

الباب الثالث : التراكيب اللسانية في اللهجات العربية البائدة

الفصل الأول : في البنية السانكسينية

ان المقصود بهذه اللهجات القديمة هي أربع لهجات ؛ ثلاث منها كتبت بالخط العربي الجنوبي أي المسند ، وهي :

1) اللهجة الثمردية

2) اللهجة اللحيانية

3) اللهجة الصفوية

وأما اللهجة الرابعة فهي اللهجة النبطية ، والتي كتبت بالخط الآرامي ، ونعتمد مكرهين على تتبع هذه التراكيب بواسطة بعض النقوش التي لا تعطينا صورة واضحة بشكل نهائي حول هذه كل البنى التي كانت تتميز بها ، ولا سيما البنية الصوتية التي يستحيل على أحد بمن فيهم المختصون أن يقفوا عليها بشكل علمي مرض ، والسبب في ذلك واضح لدى الدارسين والمهتمين ، أي أن

((وجود اللغة كظاهرة صوتية منطوقة شيء وتدوين اللغة في صورة مكتوبة شيء آخر ، ... ورغم أننا نسلم أن استخراج حقائق لغوية من النقوش المدونة عمل عكسي ، فالاصل هو الصورة المنطوقة لا المنقوشة ، الا أننا مضطرون لهذا في الدراسة التاريخية للغة ، فليس أمامنا الا هذه النقوش ... هي مصدرنا في التعرف على أقدم مظاهر العربية)) (1)

---

1) اللغة العربية عبر القرون ص ؛ 29

وكم كان فرديناند دي سوسور صادقا حين أشار بأن الكتابة تحجب الرؤية عن اللغة ، وأنها - أي الكتابة - ((ليست ثوبا بل قناع تنكري . اننا لنرى ذلك بوضوح في كتابة كلمة ((OISEAU (عصفور)) الفرنسية ، اذ لا علاقة خاصة تمثل أي صوت من أصوات هذه الكلمة المحكية PHILÉ ، ولا شيء أخيرا يبقى من صورة اللغة)) (1) ، ولذا فان الحل الجذري للوقوف على نقش ليس هو فك الرموز بطريقة عشوائية أو فرضية بل تتبع تاريخ الكلمة كيف كانت تشتق وتنطق ،وبما أن الشق الثاني متعذر بل مستحيل ،فانه لا يبقى أمامنا الا الشق الأول ،وهذا بدوره لا يقدم لنا حلا نهائيا لأن الامر هنا يتعلق بلغة محكية مجهولة النطق عن طريق الملاحظة المباشرة ، وهكذا نجد أنفسنا ندور في حلقة واحدة مغلقة تتجلى في كيفية البحث عن لفظ كل حرف لا صوت في اللغة المرسومة أمامنا في أحد النقوش القديمة غير المستقرة لغة ولا رسما.

ويرى سوسور أن تحديد أصوات سلسلة كلامية لا يضطلع أزيد بالانطباع السمعي ، لكن حين نريد أن نقدم على وصف هذه الاصوات من السلسلة الكلامية فان الامر يختلف تماما ((وعلة ذلك أن الوصف لا يمكن له أن يقوم الا على أصل الفعل النطقي ، بفصل

---

1) محاضرات في الالسنية العامة ص ؛ 44

أ ن الوحدات السمعية المأخوذة من سلسلتها الخاصة غير قابلة للتحليل ، اذ يجب الرجوع الى سلسلة حركات النطق ، وعندئذ نلاحظ أن الصوت نفسه يقابل الفعل نفسه :

ب (زمن سمعي) = ت (زمن نطقي) .

ان الوحدات التي نحصل عليها بتجزئة السلسلة الكلامية تتألف من ب و ت ، وندعوها الصوتيمات Phonologique (1) . فالصوتيم اذن هو مجموعة الانطباعات السمعية والحركات النطقية للوحدتين : الكلامية ، والمسموعة اللتين تشترط احداهما الأخرى)) (2) .

ان النقوش التي تمثل هذه اللهجات العربية البائدة (3) وصلتنا مبعثرة ومتضاربة ، وهي كما أشرنا دونت بالخط المسند المشتق على الارجح من الرسم الكنعاني (4) ، لكنه مضطرب في كتابته ، فالمعروف عنه أصلا أنه يكتب من اليمين الى الشمال ، لكنه غير ثابت على هذه الطريقة ، لانه قد يكتب أيضا في سطره الاول من اليمين الى الشمال وفي سطره الثاني من الشمال الى اليمين .. وهكذا دواليك ، وجاء غفلا من الصوائت القصيرة وحتى الطويلة كشأن الرسوم السامية القديمة ، ((وتجرد هذا الرسم من حروف المد يجعل قراءة كل كلمة محتملة لعدة وجوه)) (5) .

---

1) كتابة هذا المصطلح هو احتراما للترجمة فقط ، ولكننا لا نتفق معه بهذا الشكل .
2) محاضرات في الالسنية العامة ص : 56 ـ 57
3) نشير مرة أخرى الى أن البائدة عندنا لا تعني الفناء تماما ، ولكننا نقولها للتمييز بين اللغة التي وصلتنا مروية وهي هذه الفصحى وبين هذه اللهجات .
4) فقه اللغة ص : 78 د . وافي
5) م.س.ص : 79

ومما ظهر للدكتور علي عبدالواحد وافي من خلال نقوش هذه اللهجات الثلاث أن المتكلمين بها ((كانوا في عزلة عن عرب نجد والحجاز، وأنهم فقدوا كثيرا من مقوماتهم العربية، وصبغوا بالحضارة الآرامية والنبطية، حتى انهم ليؤرخون نقوشهم بحرب النبط وتاريخ بصرى وحرب الفرس والروم)) (1).

ان النص أعلاه ليس لصاحبه ما يقوم له دليلا عليه، بالنسبة للتأريخ فلا يزال العرب حتى اليوم يؤرخون بميلاد السيد المسيح، ولا سيما في الادارات العسكرية، وفي أحسن الحالات يقابل التاريخ الميلادي بالتاريخ الهجري من العرب المسلمين، وبعض البلدان العربية استحدث تاريخا ثالثا مخالفا تماما لما عليه العرب والمسلمون.

وأما بالنسبة للعزلة فان في المسألة كذلك نظرا اذا نظرنا الى الحيز الجغرافي أو الفضائي المترامي الاطراف الذي وجدت فيه هذه النقوش هنا وهناك، فاذا أخذنا نقوش ثمود وحدها كانت كافية لبطلان صاحب النص أعلاه، لان هذه النقوش (الثمودية) وجدت ((في الجوف وحائل وما حولها، وعلى طريق حائل الى تيماء، ومنها الى العلا عن طريق الحجر، وفي مدائن صالح، وجنوبا في الطائف، وعلى درب الحج، وفي النسل تبوك وما حولها، ثم في جبل رم قرب العقبة)) (2)

---

1) فقه اللغة ص : [illegible]

2) من الساميين الى العرب ص : 160

ووجدت نصوص ثمودية في أماكن أخرى مثل قادس ببلاد أدوم، وأم الراس في الاردن، وفي نواحي الصفا، وجنوب شبه جزيرة العرب، بل حتى في مصر الى جانب نص واحد على الاقل في سيناء (1)، ومنذ وقت ليس بالبعيد عثر أحد مديري المعهد الفرنسي للآثار في بيروت على جعل يحمل نقشا ثموديا (2) ... أين هذه العزلة التي ذكرها الدكتور وافي ؟

أما استنطاق هذه النصوص الثمودية فقد قرأها المستشرقون اعتمادا على الابجدية اليمنية أو السبئية المعروفة في جنوب شبه الجزيرة العربية، واستنتجوا بالتقريب تاريخ هذه النقوش بين القرنين السادس والخامس قبل الميلاد (3).

ويرى الدارسون أن العربية ((البائدة)) تمتاز عن العربية الباقية بشدة تأثرها باللغة الآرامية، وعلى هذا، فان النقوش التي وصلتنا عنها قسمان : قسم شديد التأثر بالآرامية، وقسم أقل تأثرا بها، وهو أقرب الى العربية الباقية (4).

ويظهر أن القسم المتأثر منهما بالآرامية لا يعني الا شيئا واحدا، وهو أن المتكلمين بهذا القسم انفصلوا بعد انفصال القسم المتأثر

---

1) م.س : ن.ص

2) م.س : ص.ع

3) م.س. ص : 160 - 161

4) فقه اللغة ص : [illegible] د. وافي

بالعربية الباقية ، أو لأن أصحابه قد ظلوا متمسكين بهذه اللهجة منطوين على أنفسهم في منطقتهم من غير اتصال بمن انفصلوا قبلهم وطوروا لهجتهم التي أضحت فيما بعد لغة الخطابة والشعر والحديث الفصيح ثم لغة القرآن الكريم .

والتقارب بين هذه اللهجات الثلاث واللهجة العربية الجنوبية أو اليمنية القديمة له ما يبرره من الناحية الصوتية على الاقل ، حيث جاءت مدونة بالمسند ، في الوقت الذي جاءتنا نقوش العربية الباقية بالخط النبطي المتطور عن الخط الآرامي ((على أرجح الأقوال والآثار)) (1) .

ثم ان عثور العلماء على هذه النقوش الثلاثة مدونة في الشمال بالخط العربي الجنوبي لا يجعلنا نرتاب في صلة ((البائدة)) بالباقية أدنى ارتياب ، لان ابجدية المسند نفسها تتألف من تسعة وعشرين رمزا للأصوات العربية ، وهي تشمل الحروف العربية في الباقية بزيادة صوت واحد ((بين السين والشين على ما يبدو)) (2) .

ويقول الدكتور شوقي ضيف : ((وهذه النقوش مع أنها كتبت بالخط المسند الجنوبي نقوش للعرب الشماليين ، فاللغة التي تعبر عنها عربية شمالية) (3

---

1) قصة الكتابة العربية ص : 14-15 ، ابراهيم جمعة (ط : 2/ دار المعارف في مصر)

2) تاريخ اليمن القديم ص : 201 محمد عبد القادر بافقية (ط : 1، 73 مطبعة الحرية بيروت)

3) تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي ص: 112

:

رأينا أن نشرك هذه الدراسة التركيبية لهذه اللهجات الثلاث لكونها تشترك اشتراكا كبيرا في عدد من خصائصها اللسانية العامة مع الاشارة الى ما قد تتفارق فيه في أحد العناصر، ولكننا ترددنا عن هذه الرؤية لسبب منهجي أو خوفا من عدم التحكم في ظاهرة التقاطع من جهة والتباين أو التوازي أحيانا من جهة ثانية .

مما بدا في اللهجة الثمودية المسماة بـ ((البائدة)) عادة من العربية الباقية صيغة المثنى ، هذه الصيغة ظاهرة لسانية وجدت في اللغات السامية ، وكما قال الدكتور ابراهيم السامرائي : ((نستطيع أن نقرر أن التثنية ظاهرة سامية أو قبل عربية قبل كل شيء)) (1) ، وهي لم تبرز بشكل واضح الا في العربية من اللغات السامية ، فهي زالت تماما من اللغة السريانية الا في بعض كلمات لا تتعدى الخمس (2) .

وأما اللهجات السامية الأخرى كالآرامي الانجيلي فان التثنية مقصورة على أعضاء الجسم المزدوجة كما في (يداين) و (رجلاين) أي علامة التثنية ياء ونون فقط ، ونفس الحال في البابلية أي لا

---

1) فقـــه اللغة المقارن ص : 75

2) م.ص.س ، ص 7

يقتصر فيها الا على أعضاء الجسم المزدوجة ((ولا يوجد المثنى في الحبشية الا في بقايا متحجرة والعلامة ( ) كما في عشرا ومعناها عشرون ، وفي العبرية يستعمل المثنى في أعضاء الجسم المزدوجة وفي الادوات التي تتألف من شقين كالمقص والميزان مثل ((يدايم)) ، وكلمات دلت على الجمع وجاءت على صيغة المثنى (شمايم) سموات و (مايم) مياه ، وتوجد فيها كلمات دلت على المفرد وهي بصيغة المثنى كما في (صهورايم) أي الظهيرة ، وعلامة التثنية في العبرية ياء وميم مفتوح ما قبلهما)) (1).

إن وجود صيغة المثنى في الثمودية لدليل على تقاطعها مع العربية الباقية ، ولذلك كنا أشرنا الى عدم استيساغنا جوهريا لكلمة ((بائدة)) ، اذ لم لا تكون هذه الصيغة هي نفسها التي ورثتها الفصحى المتأخرة عن اللهجات العربية الأقدم منها ؟ لأنه لاتوجد الا صيغة واحدة عامة ، أما أشكالها الدالة على التوسع الفضائي من متكلميها فهي لا تقوم دليلا مانعا من كونها ذات شكل لساني يكاد يكون عاما بين المتكلمين العرب القدماء (2) .

---

1) م.س. ص : 80

2) سنعود الى مسألة المثنى بشيء من التفصيل حين سنتحدث عن هذه البنية من خلال تناولنا اللهجات العربية في العربية الباقية .

والى جانب صيغة المثنى توجد عندهم صيغة الجمع ، وحروف الجر مثل اللام والباء والى وعلى وفي ومن وحرف العطف (الواو) (1) ، وتستخدم نفس أسماء الاشارة والاسماء الموصولة ، ولعل أهم خاصة توجد فيها هي الاعراب وهو ظاهرة لم توجد في غير العربية الباقية والبابلية الحمورابية اذا استثنينا آثارا منها في كل من لغة بطرا وتدمر (2) .

وتتفق اللهجات الثلاث مع العبريين في استخدام أداة التعريف هاء . في حين تستعمل النبطية هذه الأداة (ال) مثل العربية الباقية ، وفي هذا يقول الدكتور شوقي ضيف :

((ومن هنا يصح أن نطلق على الأوليين اسم أصحاب لهجات الهاء)) (3) ، وهذا القول عندنا غير مستساغ ، اذ لا يمكن تسمية لغة أو لغات بظاهرة جزئية ، لان هناك بعض اللهجات الاخرى كالسريانية مثلا فقدت أداة تعريفها التي كانت (آ) في آخر الاسم (3) ، ثم ان المنقبين قد عثروا على خطوط فيما بين دمشق والصفا ((وهي من رسم الرعاة خطوها على الصخور ، ومن أغرب ما في عربيتها أن أداة التعريف فيها بالهاء ...)) (4) .

---

1) اللغة العربية عبر القرون ص : 30 مقارنة بتاريخ الادب العربي ص : 112

2) العرب قبل الاسلام ص : 54

3) راجع ص ، 169 من هذا البحث

4) تاريخ آداب العرب ج : 1 / ص : 85

وفيما بدا للدكتور فهمي حجازي أن الجماعات السامية القديمة لم تكن تعرف أداة للتعريف ((فطورت كل لغة سامية وسائلها الخاصة بها للتعريف)) (1) ، وأجدر بهذا التحليل أن يكون منطقيا ، لأن هذه الاداة متنوعة في الساميات ولهجات أخرى بصورة تدعو الى الالتفات ثم ان البنية السانتكسية لايفترض فيها أن تتعدد الا اذا تعدد النظام القاعدي فيها من متكلمين متباينين لعوامل خارجية ، أما البنية الدخلية للغة فمن المفروض أن تكون ذات نسق واحد ، اذ لا يمكن للمفعول - في العربية مثلا - أن يكون تارة منصوبا وأخرى مرفوعا ، واذا ما وردت بعض البنى السانتكسية مستظهرة في أكثر من نسق واحد ، وهذا أمر وارد أحيانا ، فان الامر لا يعود الى هذه البنى في ذاتها التي يفترض فيها أن تكون منتظمة حتى لا تصير اللغة تراكيب فوضوية ، بل الى الطاقة اللسانية لكل لغة من اللغات الانسانية ، وهنا تتفاوت أو تتقارب الانظمة اللسانية .

أما البنية السانتكسية في اللهجة اللحيانية التي يدرجها الباحثون في اللهجات العربية المبكرة فأداة التعريف كما مر بنا فيها هي الهاء ، لكنهم قد يشذون عن هذه القاعدة

---

1) راجع اللغة العربية عبر القرون ص : 31 - 32

فيعرفون بأل أو باللام على شاكلة العربية الجاهلية .

وربما جمعوا بين العنصرين في تركيب واحد مثل :

هلحس = بمعنى : الحس (1)

ومن أسمائهم الموصولة من وما الموجودان في العربية الباقية الى جانب ((ذو)) الطائية ، ويستنتج الدكتور شوقي ضيف وهو يقارن بين اللغات السامية على أن الاسم الموصول ((ذو)) عند الطائيين بهذا الشكل يعني أن الاسماء الموصولة كانت في الاصل أسماء اشارة (2) .

واذا اعتبرنا البقايا اللهجية في العربية الباقية ما هو الا امتداد أو ارث طبيعي - وهذا ما نعتقده غالبا - للهجات العربية الأصلية الموغلة في القدم ، فاننا لا نذهب هذا المذهب الذي أشار اليه الدكتور شوقي ضيف ، لان أسماء الاشارة في اللهجات العربية الفصيحة الباقية ضمن تراكيب راقية شيء وأسماء الموصول الباقية في هذه اللهجات شيء آخر ،وكلاهما مختلف عن الآخر أيضا في تركيبه الافرادي والجملي (3) .

ومن جهة أخرى ،فان اللحيانيين يشيرون بالذال المعجمة وذه وذات (4) بينما تكون (ذات) قائمة مقام (التي) في لغة

---

1) تاريخ الادب العربي ص : 112 (العصر الجاهلي)

2) م.س.ص : 108 - 109

3) سنعود الى هذه التراكيب لاحقا

4) تاريخ الادب العربي ص: 112 - 113 (العصر الجاهلي)

طـيء ، وأما ذوات فتقوم عندهم مقام (اللاتي) في الجمع (1) .
وستتضح هذه المسألة أكثر حين سنتناول بعد حين اللهجة النبطية .

ونجد عندهم قواعد سانتكسية أخرى مثلما هو موجود في العربية الفصحى تماما ، مثال هذا ظاهرة الجنس حيث يذكرون ويؤنثون على نحو ما هو معهود عندنا في الفصحى ، أما اذا كانت العربية القديمة التي سبقت هذه اللهجات الثلاث قد مرت بمرحلة تاريخية ((لم يكن الجنس (GENRE) فيها واضحا تمام الوضوح بقسميه : المذكر والمؤنث)) (2) ، فان الامر طبيعي ، لان هذه الظاهرة مرتبطة قبل أي شيء بأشكال مادية وملموسة يصطدم بها أي مجتمع بدائي في حياته منذ عهده البدائي ، ويبقى التساؤل اللغوي الفلسفي مطروحا ـ ولا نريد أن نخوض فيه ـ : أيهما أسبق المذكر أم المؤنث ؟ فانا نقول من الناحية اللغوية التي تجسدها هذه الظاهرة ان أحدا منهما لم يسبق الآخر ، وانما كل واحد منهما وجد يوم وجد أول مؤنث وأول مذكر ، وليس كما زعم الدكتور ابراهيم السامرائي : ((ان التأنيث بالعلامة طارئ في العربية من الناحية التاريخية كما هو طارئ في العربية من أخواتها الساميات)) (3) .

---

1) دراسة اللهجات العربية القديمة ص : 40

2) مباحث لغوية ص : 125

3) م.س.ص : 134

وأهم ظاهرة أخرى في هذه اللهجة هي ظاهرة الافراد والتثنية ، وهم يعاملون جمع المذكر السالم وجمع المؤنث السالم مثلما يعامل في العربية لغة الآداب والقرآن تماما وهذا الى جانب وجود جمع التكسير عندهم ، ومن أدوات الجر عندهم أيضا الباء واللام وفي ومن ، ومن أدوات الاضافة مع وقبل وبعد وتحت ولدى وخلف (1) ، وهذا يعني أنهم عرفوا ظروف الزمان والمكان التي تقوم بوظائف مزدوجة منها ما يتعلق بالناحية السانتكسية ومنها ما يتعلق بالناحية الدلالية ، كما أنهم يستعملون أداة (لا) للنفي .

أما ما يتصل بالبنية السانتكسية لدى الصفويين ، فاننا نريد أن نشير الى أن نقوشها التي وصلتنا هدت الباحثين الى القول بأن اللهجة الصفوية تشبه الى أبعد حد كبير اللهجة العربية الشمالية الفصيحة أو العربية الباقية على الرغم من بعض الظواهر التي تعكس تأثيرا للآرامية فيها ((ولا غرو ، فقد كانت الآرامية سائدة في منطقة الشام والعراق ، وهي أقرب اللغات جغرافيا للمنطقة التي وجدنا فيها النقوش الصفوية في بادية الشام والعراق وسيناء ، وتتضح الآثار الآرامية في بعض أسماء الاعلام والمفردات الحضارية)) (2).

---

1) تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) ص :113

2) اللغة العربية عبر القرون ص : 31

ومما أثبته بعض الدارسين مثل دوسو وغيره أن سكان الصفا الاقدمين ((نقشوا على الاحجار والصخور البركانية حروفا من أبجدية جنوب جزيرة العرب ، ودعيت هذه النقوش ((صفوية)))) (1)

ومما هو شائع في هذه اللهجة أن التعريف فيها بالهاء على نحو اللهجتين السابقتين ، الا أن أسماء وردت لديهم معرفة بالالف واللام مثل الأوس والعبد (2) ، ويشيع عندهم اضافة المنعوت الى النعت كما أن يقولوا : ((بنت الكبيرة)) بدلا من : البنت الكبيرة ، وذلك على شاكلة اللغة الحبشية وكذا العبرية المتأخرة وحتى بعض اللهجات الجاهلية التي عقبت هذه اللهجات ((البائدة)) .

ومما يتصل بتعريف هذه اللهجة أحيانا بالالف واللام ، فانه مما يبدو لي أن هذه الظاهرة لا تتعلق بالتعريف ، وانما تتعلق بغرض بلاغي يراد به التفخيم ، وقد جاءت تراكيب عربية فصيحة مشوبة بنفس الظاهرة ، من ذلك قول أبي النجم العجلي : (3) :

باعد أم العمرو من أسيرها حراس أبواب على قصورها

وقال ابن ميادة : (4)

رأيت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا بأحناء الخلافة كاهله

---

1) من الساميين الى العرب ص : 165

2) تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) ص : 113

3) المفصل في علم العربية ص 13 . الزمخشري (ط : 2/ دار الجيل ـ بيروت)

4) م ص ن ص

وقال الاخطل (1) :

وقد كان منهم حاجب وابن أمه أبوجندل والزيد زيد المعارك

وقال الزمخشري : ((وعن ابي العباس اذا ذكرالرجل جماعة اسم كل واحد منهم قيل له : فما بين الزيد الاول والزيد الآخر ، وهذا الزيد أشرف من ذاك الزيد وهو قليل)) (2).

وقال صاحب نظم الفرائد وحصر الشرائد ذلك لام التعريف ومعانيها المختلفة (3) :

تعلم فللتعريف ستة أوجه اذا لامه زيدت على أول الاسم

حضور وتفخيم وجنس ومعهد ومعنى الذي ثم الزيادة في الرسم

ثم أردف قائلا : ((واما التفخيم فكقولك : العباس والاحنف والحارث)) (4)

وأي فرق بين عبد وأوس وعباس وأحنف ؟ وان لم تعن عندهم المدح والتفخيم في كل حال فهي قد تعني في المقابل تعريف الحضور مثل : ((هذا الاوس حليفنا)) ونحو هذا .

وبالنسبة لاضافة المنعوت الى النعت فانهم من غير شك متأثرون بلهجة سامية قديمة لايمكن الجزم فيها بأنها حبشية أو عبرية .

---

1) م.س.ص : 14

2) م.س.ع : ن.ص

3) نظم الفرائد وحصر الشرائد ص : 78 الامام مهذب الدين مهلب بن حسن بن بركات المهلبي (ط:1/1986 مطبعة المدني - القاهرة)

4) م.س.ع : ن.ص

ويتجمع عند هم اسم الاشارة المشــا ر اليـة ولا يتقد مه ،فيقولون :
((جسو ،ذ)) أي الواد ي هذ ا ،كما أنهم يستخد مون ((ذ و))
الطا ئيــة ا سمــا موصولا ، وهي تد خل تاء التأ نيث على الكلمـــة كمميـز
للجنس بين المذ كر والمؤنث ،وتكثر فيها أ دوا ت الجر المعروفة في العربية
البا قيــة ،وتعطف بحرفي الوا و والفا ء ، وتستعمل الها ء واليا ء للندا ء (1).

ولعله من خلا ل الا تيا ن ببعض النصوص الصفوية التي ا كتشفت
في ا حد ى المقبرا ت الصفوية بالارد ن ،نأ خذ فكرة أعم وأ وسع عـن
هذ ه اللهجة التي يجمع الدارسو ن على ا عتبارها أ قرب الـى العربيـة
البا قية أ والفصحى العا ديـة منها الى اللهجتين السا بقتين أي الثمودية
واللحيا نيـة على الرغم من أ نها تشترك معهما في كثير من الصيغ أ و
البنى السا نتكسية والمورفولوجية والمعجميـة .

والنـــص أ و النصوص هي : (2)

لهرس بن عقرب بن هنا بن حير ، لحارس بن عقرب بن حيما ر
وبنى على أ خـــه تـــــــــرح = وبنى لأ خيــه وحـزن
وجـم (3) على هنا وبنـــى = ورجم (على ضريح) هنا وبنـى

---

1) تاريخ الادب العربي (العصر الجا هلي) ص : 113 ـ 114
2) نعتمد على توثيق هذا النص من مرجع : من السا ميين الى العرب ص:165 وما بعد هـا
3) وجم في اللهجة الصفوية تعني ((رجم)) ،لان طريقة تكريمهم الاموا ت كا نت تقوم على رمي حجر فوق القبر،والغريب ا ن هذه العادة لا حظتها في مسقط رأسي ،حيث كا ن كل وليد منا يلقي حجرا صغيرا في مكا ن معين .

لسعد بن احدث بن رمحت = لسعد بن احدث بن رمحة

ف هلت وهد شر = فيا ايتها اللات ويا ذا الشرى

شارلمن حولت = الثأر من (قبيله) حوالات

لنصربن وهبله بن اس = لنصر بن وهب الله بن اوس

وتشوق الى أخسه = واشتاق لأخيه

ف هلمه سلم = فيا الله سلم

لشهر بسن اس = لشهور بن اوس

ومن هذه الجمل الصفوية أو بعبارة أكثر انصافا ، من هذه الجمل أو التراكيب في العربية القديمة نلاحظ أن كلا من البنيتين السانتكسية والمورفولوجية الى جانب البنيات الأخرى - طبعا - قام بلعبته اللسانية كما تقتضيه القواعد اللسانية في اللغة العربية المعروفة لكنها تتميز بشخصيتها الصفوية الخاضعة للتاريخ والزمان والمكان .

الالفاظ منفصلة بعضها وراء بعض في سلسلة خطية كلاميــة معتمدة في هذا الانفصال الخطي الافقي على طابع الواقع الملموس بين الكائنات التي لاحصر لها ، وعلى طابع الدلالات الفضائيـــة المدركة من الصفوي بحس التجربة الثقافية واللسانية العامــة ، ولذا فان كاتب هذه الجمل راعى باتقان معاصرلـه ، من حيث الرسم وقواعده وطبيعته بين المتكلم أو الباث والمرجع والمتلقي ، وباتقان معاصرلغيره ، وهي الجماعة المتكلمة التي تعقبه أو تقف على آثار رسمه ،

ثم راء - وهذا هو الأهم في دراستنا هذه - عاملين اثنين لا يسلم تركيب لغوي في أي لغة انسانية بدونهما، وهما عامل السانتكس وعامل المورفولوجيا، وهما هنا يقومان على الاعراب من جهة وعلى ما يقوم به الادوات النحوية والمورفولوجية من وظائف مزدوجة بين الباث والمتلقي من جهة ثانية، وهذه اللهجة كغيرها من اللهجتين الأخريين وحتى اللهجة النبطية كانت الالفاظ المنفصلة تنتظم في جملها ونصوصها وفق الدلالة أو التوصيل الذي تريد العبارة أو التركيب أن يبلغه للمتلقي أو الى أي متلق (1).

ولعل المطلع على قواعد اللغة العربية الحالية لا يردد كثيرا في الوقوف على حقيقة أو طبيعة هذه الجمل الصفوية في كل المستويات التي تشارك أو تتشارك في تركيبها بداية من الرسم الذي سنعود اليه حين الحديث عن البنية الصوتية ، ... الى شكل الادوات أو المقولات النحوية والمورفولوجية، فهي تحوي حروف الجر ، والعطف ، والنداء ، والتعريف (الهاء) ، والافعال الماضية ، واسم المفعول ، والبدل ، والصفة ، والفاعل المستتر ، ... الخ .

أما من الناحية المعجمية التي سنشير اليها في موضع آخر فانها بينة بغزارة الجذور والاشتقاقات وأسماء الأعلام العربية ...الخ

---

1) سنعود الى هذه النقطة الاساسية في صدر الحديث عن اللهجات العربية الباقية من خلال المدخل الخاص بالجملة .

وبشأن الانباط قال الاستاذ مصطفى صادق الرافعي : ((قامت في شمال الجزيرة دول عربية متحضرة ، كالنبط والتدمريين ، وهؤلاء وان كانوا عربا فيما حققه العلماء ، بيد أن عربيتهم غثة غير متوقحة ، لا تنبج على أطراف البادية مما يلي الحجاز ، لان أقدم ما عرف من تاريخ النبط يرجع الى أوائل القرن الرابع قبل الميلاد ، ... وهم قوم كسبا نسوا يكتبون بالآرامية التي خلفت البابلية في مدونات السياسة والتجارة ، لان الاحرف العربية لم تكن وضعت يومئذ ، ... على ان ما اكتشفوه من آثارهم الكتابية لا يخلو من الفاظ شبيهة بعربية الغد نانيين ، مما رجح عند العلماء أنها تحول في الآرامية التي هي مشتقة من البابلية القديمة ، كما خرجت المضرية بذلك التحول عينه من فروع البابلية ، وقد استدلوا بهذا على أن لسانهم كان عربيا على وجه ما حتى أثرت عربيته على لغة الكتابة التي اضطروا اليها بحكم الحضارة)) (1) .

وأما الدكتور محمود فهمي حجازي فيقول : ((وليس الثموديون والصفويون واللحيانيون وحدهم هم اصحاب النقوش التي وجدناها في صحراء الشام والعراق ، فالنبط أيضا شعب عربي ، ونعرف هذا من أسماء الأعلام عندهم ، ولكنهم لم يكتبوا بالعربية ، وكتبوا

---

1) تاريخ آداب العرب ج 1/ ص 84 .

بالآرامية لغة الحياة الدولية آنذاك ، ولكن للنبط أهمية كبرى في تاريخ العربية وخطوطها ،فالنبط هم من علموا العرب كيف يكتبون ، والخط النبطي هو صورة متطورة من الخط الآرامي وهو أساس الخط العربي)) (1) .

ولسنا هنا بصدد اثبات أو نفي عروبة النبط أو الشك قليلا في لغتهم التي وصلتنا بأنها عربية ، لكن فقط لطرح اشكالية سبق للباحثين السابقين أن أشار اليها كل واحد منهما ، وهي أن لغة التواصل الدولي في ذلك الوقت كانت هي الآرامية وليست النبطية أو واحدى اللهجات العربية الشمالية الاخرى .

غير أن الاستاذ جرجي زيدان يعد - في نظرنا - أبرز باحث عربي وأجنبي تناول بالبحث العميق والاصيل هذه المسألة ، وفي ردوده على من يشكون او ينكرون عروبة هؤلاء ، فانه يرى أن مؤرخي اليونان الذين عاصروهم سموهم عربا ،وهم أعلم الناس بهم (2). وأما اللغة التي قرأوها على آثار النبط ،وهي آرامية ، فانها لم تكن لم تكن هي لغة التكلم (3) . أما لسانهم الذي كانوا يتفاهمون به فانه عربي مثل أسمائهم ((فاللغة التي نقرأها على آثاربطرا وغيرها من اطلال الانباط آرامية ،واما لغة الكلام فكانت عربية ،والاثنتان

---

1) اللغة العربية عبر القرون ص : 32

2) العرب قبل الاسلام ص : 81

3) م.س.ص : 81

مرتبطتان بأمهما القديمة لغة بدو الآراميين ، والللغة البابلية القديمة ، بعلامة تشتركان فيها دون سائر اللغات السامية ، أعني حركات الاعراب في أواخر الكلم في بعض الاحوال)) (1) .

وأما الدكتور شوقي ضيف فانه لا يتردد في القول :

((والنبط عرب شماليون كانوا يتكلمون العربية الشمالية في احاديثهم اليومية ، غير أنهم اختلطوا بالآراميين ، وكتبوا بأبجديتهم فظهرت في نقوشهم آثار آرامية كثيرة)) (2) .

ومما لاحظه ليتمان مما يتصل بالبنية السانتكسية أن النبط كانوا يلحقون في كتاباتهم ونقوشهم حرف ((الواو)) بآخر الاعلام أحيانا ذاهبا الى أن هذه الواو تعنى أن اسم العلم معرب أو متمكن ، واما الأسماء المبنية أو غير المتمكنة فكتبوها بلا واو في آخرها ، مما جعل العرب بعد ذلك يأخذون هذه الواو عنهم ليلحقوها بـ ((عمرو)) فرقا بينه وبين عمر (3) وهم بهذا يكونون قد ميزوا في نقوشهم ((بين الأعلام الممنوعة من الصرف والمصروفة بأن أضافوا للأخيرة واوا دلالة عليها)) (4) .

---

1) العرب قبل الاسلام ص : 83 - 84

2) تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) ص : 115

3) م.س.ص : 110 - 111

4) الشعر الجاهلي ص : 15 د . سيد حنفي حسنين (ط : 71 ، 1 الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر)

والعرب الانباط كانوا ،خلافا لأداة التعريف في اللهجات الثلاث ، يعرفون بأداة التعريف المعروفة في العربية الباقية (ال) ، وقد يجارون ((الآراميين في تعريفهم الكلمات بالحاق ألف في نهايتها فقد نجد هم يكتبون القبر ((قبرا)) و المسجد ((مسجدا)) ولكن الغالب عليهم استخدام أداة التعريف العربية ((ال))))(1) .

لكن المشهور في لغتهم أنهم لا يستخدمون الا أداة واحدة هي ((ال)) ، أما هذه الالف في نهاية الاسماء ، فانها ذات صلة بطبيعة الخط الآرامي الذي كانوا يكتبون به ، ولا علاقة لها بطبيعة أداة التعريف عندهم ، لأن الأسماء التي كانت تنتهي في اللهجات الآرامية بالحرف ((آ)) كانت في البداية تدل على التعريف عندهم حقا ، لكنها ما لبثت أن تحولت الى عنصر نحوي دلالي يدل على التأكيد (2) ، حتى وان كان بعض الدارسين الآخرين يرى أن علامة التعريف الآرامية ((الملحقة بآخر الاسم (آ) ، قد فقدت في اللهجات الشرقية (3) وظيفتها وأصبحت جزءا من الكلمة لا تدل على التعريف)) (4) .

---

1) تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) ص : 116

2) الآداب السامية ص : 51

3) يقسم الدارسون المحدثون اللغة الآرامية الى قسمين : شرقية، وغربية.

4) فقه اللغة ص : 58 د . وافي

ويلخص الدكتور شوقي ضيف الصلة الوثقى لهذه اللهجة بالعربية الباقية فيقول : ((واذا رجعنا الى خصائص هذه اللهجة وجدناها حقا شديدة الصلة باللغة الجاهلية ، فهي لا تكاد تفترق عنها في أبواب الضمير والفعل وأسماء الاشارة والأسماء الموصولة والنسبة والتصغير وحروف الجر والعطف ، وكذلك الشأن في التذكير والتأنيث للاسم والفعل)) (1) ، ثم يردف قائلا : ((والنطلية بذلك كله تعد وثيقة الصلة بعربية الجاهلية ، وهو طور قريب منها قريبا شديدا)) (2) .

ولكل من الباحثين : الكتور مسرد فهمي حجازي والاستاذ جرجي زيدان رأي متقاطع من الآخر ، فالاول يرى أن لغة الشعر الجاهلي والقرآن الكريم لا تعتبر الا مستداد المباشر للغة هذه النقوش على ان اللغة التي وصلتنا في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم هي صورة مصقولة ومتبلورة (3) .

وأما الثاني فهو الآخر يتحفظ بقوله : ((على أننا لا نظن اللغة العربية التي كان يتفاهم بها النبطيون هي نفس اللغة العربية التي عرفناها في صدر الاسلام)) (4) .

---

1) تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) ص : 116

2) م . ن ، ص : 117

3) راجع اللغة العربية عبر القرون ص : 33

4) العرب قبل الاسلام ص : 85

١ [Nabataean script]
٢ [Nabataean script]
٣ [Nabataean script]
٤ [Nabataean script]
٥ [Nabataean script]
٦ [Nabataean script]
٧ [Nabataean script]
٨ [Nabataean script]
٩ [Nabataean script]

كتابة نبطية على النقش مدائن صالح

(لــوحـــــة : 6)

ان هذا النقش النبطي يعود الى السنة الأولى قبل الميلاد ، وهو عهد كتبه رجل اسمه عائذ بن كهيل على قبره في الحجر (مدائن صالح) ، ونحاول ترجمته بالحرف العربي ، ومما لاحظناه بين المختصين والدارسين أن نطق هذا النقش بالحرف العربي مختلف فيه اختلافا متباينا بين مصدر وآخر ، وهذا الاختلاف لا يقتصر على ظاهرة واحدة كالظاهرة الصوتية ، بل يشمل جميع الظواهر الأخرى ، حتى اننا لترددنا واحترنا : ما هو النطق أو الرسم الصحيح المقابل من النطق والرسم الخاطئ؟ (1)

نسطق هذه النقوش بالاحرف العربية في كل سطر على حدة :

1) ـ دنه قبرا دي عبد عيد و بر كهيلو بسر

2) ـ الكسي لنفشه وبلده واحره ولمن دي ينفق بيده

3) كتاب تقف من يد عيد و قيم له ولمن دي ينتن ويقبر به

---

1) كمثال على هذا الاختلاف في ترجمة هذه النقوش نفسها ، قارن بين الشيخ نسيب وهيبه الخازن في كتابه ((من الساميين الى العرب ص: 143)) وجرجي زيدان في: ((العرب قبل الاسلام ص : 84)) .

4) عبدو بيرح نيسان شنة (1) تشع لحرتت ملك

5) نبطو رحم عمه ولعنو ذو شرا ومنوتو وقيشه

6) كل من دي يزبن كفرا دنه او يزبن او يرهن او ينتن و

7) يوجر او يتالف علوهي كتب كله او يقبر به انوش

8) لهن لمن دي علا كتيب وكفرا وكتبه دنه حرم

9) كحلبقت حرم نبطو وشلمو لعلم علمين

أما ترجمة النقش بالعربية سطرا سطرا فهو :

1) هذا هو القبر الذي بناه عائذ بن كهيل بن

2) القصي لنفسه وأولاده وأعقابه ولمن يكون في يده

3) كتاب من يد عائذ يبيح له ولأي واحد يخوله عائذ في حياته أن

يدفن فيه ،

4) في شهر نيسان (ابريل) السنة التاسعة للحارث ملك

5) الانباط محب شعبه ، ولعن ذو الشرى ومناة وقيس

6) كل من يبيع هذا القبر أو يشتريه أو يرهنه أو يهبه أو

7) يؤجره أو ينقش عليه شيئا آخر أو يدفن فيه احدا

8) الا الذين كتبت أسماؤهم أعلاه . ان القبر وما كتب عليه حرم

مقدس .

9) حسب القاعدة التي يقدسها الانباط والسلاميون الى أبد الآبدين .

---

1) هذا من الاختلافات الخطية ، والمشهور ان التاء مبسوطة لا مربوطة

وهذا نصها بالحرف العربي : (لـوحـة : 7)

(١) تي نفس مر القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو اسر التاج .

(٢) وملك الأسدين ولزور وملوكهم وهرب ملحجو عكدى وحاء .

(٣) يزجو في حبج نجران مدينة شمر وملك معدو ونزل بنيه .

(٤) الشعوب ووكله لفرس ولروم فلم يبلغ ملك مبلغه .

(٥) عكدي هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسول بلسعد ذو ولده .

ان هـذا النقش أعلاه المؤرخ في سنة 328 م والمعروف بنقش النمارة (بلاد الشام) ، يكاد يجمع الدارسون على أنه يصور تطورا خطيرا للغة النبطيـة ،حتى انـه ليعتقد اعتقادا راسخا بأن هذا النص يمثل ((مرحلة من مراحل تطور اللغة العربية الفصحى التي نزل بها القرآن الكريم ،ويدل ايضا على ان اللغة العربية اخذت منذ القرن الرابع الميلادي تبسط سلطانها على شمالي بلاد العرب)) (1) ،

وترجمة النقش سطرا سطرا هو : (2)

1) هذا قبر امرئ القيس بـن (3) عمرو مـلك العرب كلهم ،الذي عقد (أو تقلد أو أسر) التاج .

2) وملـك قبيلتي أسد ونزار وملوكهم و شتت مذحج بالقوة وجاء

---

1) الشعـر الجاهلي ص ; 17

2) لم نعتمد على مصدر واحد بعينه في هذه الترجمة ،بل على الاجتهاد من خلال مصادر مختلفة ،لانها هنا ايضا تتباين في هذه الترجمة .

3) النقش مصور من ((تاريخ الادب العربي ج 1/ص : 35)) ،وانفرد برسم الراء في ((بـر)) نونا ،وهذا خطأ ،لان النقش ((بر)) لا ((بن)) .

3) باندفاع (بانتصار) في مشارف نجران (أو أسوارها) مدينة شمر، وملك معدا وولى بنيه.

4) على الشعوب (القبائل)، وأنا بهم نفسه لدى الفرس والروم، فلم يبلغ ملك بلغه (1).

5) في القبرة. هلك سنة 223 يوم 7 من أيلول. ليسعد الذي ولده.

اذا استثنينا بعض الكلمات مثل ((بر)) بمعنى ابن، وهي آرامية، وتجاوزنا عن بعض العناصر اللاتكسية الاخرى مثل الحاق الواو بآخر الاسماء دلالة على الاعلام المصروفة من الممنوعة من الصرف، حيث كانوا يضيفون المصرفة إلواو في آخرها دلالة على تنوينها، ...

فانه ليمكن القول بأن هذا النص ليس فقط طورا من أطوار العربية في بداية عهد تبلورها ونضجها وانتظامها في بنياتها المحكمة وفق مقولات نحوية وقوانين صوتية وما الى هذا ... بل هو هذه العربية الباقية نفسها، وللقدسي وصلتنا تراكيبها في اشعار الجاهليين المكرسين التي صارت نماذج تحتذى للشعراء الجاهليين المتأخرين، ثم كان القرآن الكريم فتبناها وأثبتها وطورها في جميع مستوياتها وبنسج خطابي مترع وجديد.

---

1) لا شك ان جملة أصلية في النقش من مثل هذه الجمل تجعلنا نتحفظ ونتراجع حين نستعمل مدلول ((ترجمة))؛ اذ ماذا نترجم هنا مثلا؟ لاننا لسنا امام لغة اجنبية اولغة غريبة عنا ولو بعض الغرابة.

الفصل الثاني : في البنية المرفولوجية

سبق أن تناولنا هذا الموضوع في اللغات السامية التي اعتمدناها نموذجا للمقارنة بينها وبين العربية دون أن نتعرض الى اشكالية هذا الموضوع من خلال التعرض الى مفاهيمه المتعددة ومصطلحاته المتفاوتة لدى اللسانيين المعاصرين أمثال فندريس ، جسبرسين ، بلومفيلد ، واندري مارتيني ...الخ ،الى جانب مفهومه التقليدي في النظريات اللغوية القديمة ،وآثرنا الدخول في استعراض هذه البنى المورفولوجية مباشرة ،على اننا سنعود الى هذا الموضوع حين نتحدث عن العربية الباقية .

كان بودنا لو تعاطنا في هذه البنية مباشرة مع النصوص وفق الخطوط التي الاصلية التي كتبت بها ،لكن هذا غير ممكن من عدة وجه : أولها أن هذه العملية تحتاج الى تخصص دقيق في قراءة كل نقش على حدة ، وثانيهما أن احدا من الدارسين المتعمقين في هذه النقوش لم يدع - ولن يستطيع أن يدعي - أنه قصرأ نقشا واحدا قراءة صحيحة متفقة مع الآخر، فكيف بالنقوش كلها ،وهذا ما وقفنا عليه يقينا ، وثالثها أن هذه النقوش في ذاتها ليست على نسق واحد في بنياتها المتعاقبة تاريخيا ،كما أنها لم تكتب بخط واحد مستقر فضلا عن النقائص المتعددة في هذه الخطوط .

رابعهـا ، وهو الأهم من كل ما ذكر ، أن اللغة ، وهي محكيـة ، شيء ، وأنهـا ، وهي مدونة ، شيء آخر تماما ، لا سيما بالنسبة للغة لم تتوارثها الاجيال المتعاقبة خلفا عن سلف مثلما كانت تنطق ، لاننا اذا استثنينا من اللغة النبر والتنغيم والاداء الصوتي بأوجه مختلفة ، فان البنيات الاخرى كيفما كان نسجها البنيوي لن تقوم مقامها أو تعوض جانبا منها ، ولهذا فان دراساتنا ستبقى صماء ولا سيما في البنيتين : السانكسية والصوتية ، لكن لهاتين البنيتين تداخلا قويا من الوجهة اللسانية المتكاملة مع البنيـة المورفولوجيـة .

ان من يتتبع بعض النصوص النبطية يلاحظ كتابتهم بعض الاسماء باشباع الكسرة وردها في نهاية هذه الاسماء :

((لـه أبوهـي بمده الول)) (1) أي : ((له أبوه في بدء الول)) .

ومعنى هذا انهم كانوا ينطقون هذا الضمير بالكسر ، ومثال قولهم الآخر من اللوحة السادسة (سطر أربعة) :

عيدو بحيوهي بعرخ ... أي عيدو في حياتيه في شهر ... (2)

، ومثال آخر : ((والو بر سعد الهي)) أي وائل بن سعد الله .

---

1) من الساميين الى العرب ص : 142

2) ان ترجمة النقش التي اعتمدناها تهمل ترجمة (في حياته) ونعيد وأنه سهو ، لانه من غير الممكن ... كلمة معجمية واضحة وقريبة من العربية نفسها ، لكن هذه الظواهر متفشية في ترجمة النقوش القديمة بين الدارسين .

وذكر اللغويون أن اشباع حركات الاعراب من لغة الأزد (1)، وهذا يعني ان الاشباع ليست قنسة صوتية أو لغة شعرية فقط، بل هي أيضا لغة قديمة قدم المتكلمين الأصليين بهذه اللغة ثم لما كانت التالية حافظت عليها وتبنتها في سياقاتها وخطاباتها، لان ما يصل الكلمات المتعاقبة للأجيال المتتالية في اساتهم هو شكل هذه البنى والاشكال وليست البنى المعجمية ولا حتى الدلالية التي هي عرضة الى التغيير أو الزوال أحيانا لتحل محلها كلمات ودلالات أخرى.

مما يذكره علماء القراءات القرآنية أن القراء قد اختلفوا ((في ضم الهاء من عليهم، فقرأ حمزة وحده عليهم بضم الهاء وكذلك لديهم، ... وقرأ الباقون عليهم وأخواتها بكسر الهاء)) (2)، ومعنى هذا أن القراء والعرب القدماء كانوا متفاوتين في نطق الضمائر المتصلة في آخر الاسماء المذكورة.

وكان عبد الله بن كثير يقرأ: عَلَيْهِمو غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمو وَلَا ٱلضَّآلِّينَ، وَعَلَى قُلُوبِهِمو، وعلى سمعهمو، وعلى أَبْصَارِهِمو غِشَاوَةٌ (3). وقالوا: ضم الهاء هو الأصل ... والواو هي القراءة القديمة، ولغة قريش وأهل الحجاز ومن حولهم من فصحاء اليمن)) (4).

---

1) تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) ص: 107

2) الحجة في علل القراءات السبع 1/ص: 42 الفارسي (دار الكتاب العربي)

3) م.س.ص: 42 في الآية: 7 من سورة البقرة

4) م.س.ص: 43

واذا عدنا مرة اخرى الى النص النبطي (اللوحة السادسة) السابق، فاننا نجد (بحوهي) وخاصة (عليهي أي عليه) تشبهان بعض الآثار اللهجية الفصيحة، فمن العرب من يقول: مررت بهي، ولديهي مال، ومررت بدارهي قبل، بينما يقول الحجازيون: مررت بهو قبل، ولديهو مال، ويقرؤون: ((فَخَسَفْنَا بِهِو وَبِدَارِهِو الأَرْضَ)). (1).

ومن نصوصهم نلاحظ جلاء أنهم - أي النبطيين - كانوا من لغة أهل التخفيف، مثل جملتهم السابقة (والو بر سعد الهي) (2).

وبالنسبة لصيغ الافعال، فان تعدية الفعل اللازم في العربية الباقية يكون بواسطة الهمز أو التضعيف، وصيغة واحدة من هاتين الصيغتين تشيع (أفعل بالهمز) في كل من الحبشية والسريانية، بينما تعبر العبرية والسبئية وبعض اللهجات الآرامية عن هذه الصيغة (أفعل) بالهاء، أي ((أفعل)) في العربية الباقية تقابلها صيغة ((هفعل)) في اللغات الثلاث السابقة، في الوقت الذي كان اللحيانيون والثموديون يستخدمون الصيغتين معا، في حين ان بعض اللهجات الجنوبية تعبر عن هذه الصيغة بالسين (سفعل). وعبر عنها الاكادية بالشين (شفعل) (3) الى

---

1) مصدر: 46 والآية 81 من سورة القصص

2) هذا ما سيدخل في البنية الصوتية.

3) راجع تاريخ الادب العربي: 7 - رقان: الآداب السامية ص: 56.

درجة أن ليتمان يرى ((ان اداة التعدية كانت في الاول سينا ،ثم صارت شينا في الأكادية ، وصارت السين هاء عند بعض الساميين ،ثم صارت الهاء همزة في العربية و السريانية والحبشية)) (1)

اننا نذكر ما لمحنا اليه آنفا من أن هذه السين وجدت في بعض اللغات السامية (البابلية والمعينية ثم الحبشية) كدلالة على ضمير الغائب في هذه اللغات ،حتى ان البعض ليعتقد أن هذه السين دخيلة في الاصل السامي عن اللغة الطورانية (2)،وهناك بعض الابحاث تذكر أن ((هناك لهجة أخرى (3) تعبر عن الفعل المتعدي بزيادة (سا) في أول الفعل و هي تطابق شفعل في اللغتين الآرامية والسريانية)) (4) .

ومما يفهم من نص ليتمان أعلاه أنه يرمز الى أن هذه السين التي يجعلها أداة تعريفية متقلبة صوتيا ذات أصل طوراني دخيل في اللغات السامية ،وسواء تضمن نصه هذا الترميز أم لم يتضمن ، فانه لا يمكن للغة ان تعجز عن وضع صرت ترققه

---

1) تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) ص ، 107

2) راجع ص ، 178 من هذا البحث

3) لم تذكر هذه اللهجة ،لكنها احدى اللهجات العربية الجنوبية

4) الآداب السامية ص ، 56

أو تفخيمه ، تهميسه أو تجهيره ... للدلالة على وحدة مورفيمية أو لاحقة أو زائدة ، ولا سيما في لغة سامية ذات الوفرة من الوحدات الصوتية والفونولوجية الى جانب تعدد وتنوع البنى الصيغية فيها ، ثم كيف يمكن لوحدة مورفيمية أن تكون مرة ضميرا متصلا دالا على المخاطب وتارة صيغة تعدية ؟ فقد يحدث هذا التبادل الوظيفي بين الوحدات الصوتية في اطار أو مستوى مورفيمي أو سانتكسي ... لكنه لا يكون بتعاقب تاريخي وزمني بين لغات منفصلة عن لغة واحدة .

وقد يوجد ما يضعف التحليل السابق ، لكن هناك ، على الاقل ، مثلا ثمة اعتبارات لا ترد بسهولة .

1) ان العربية ان لم تكن هي الاصل السامي نفسه ، فانها ليست بعيدة كباقي الفصائل السامية الاخرى عن هذا الأصل ، اذ لو كان هذا الصوت (السين) مر بالمراحل التي ذكرها ليتما لبقي في العربية ((البائدة)) وخاصة الباقية قليل أو كثير من هذه الآثار المورفولوجية مثلما بقيت فيها آثار من مستويات لسانية أخرى ، لان العربية الباقية تعد الخزان الحي لكن أو لأغلب الظواهر اللسانية في اخواتها الساميات ، ولا سيما بما يتصل بها من أشكال لهجية مباشرة ، مثال ذلك ان آثار اللهجات الجنوبية لا تبرح ماثلة في الشمالية ، فاذا كانت اداة التنكير في الجنوبية ميما ساكنة في آخر الاسم مثلا فالنون ساكنة في آخر الاسم في الشمالية ،

فان الاصمعي ذكر أن العرب تزيد الميم في أشياء ؛ قالوا : رجل فسحم اذا كان واسع الصدر ، وهو من الانفساح ، ورجل زرقم ، اذا كان أزرق .... (1) ، وهي مما يبدو أثر من آثار اللهجات القديمة ظلت متوارية في العربية ...

2) من الكتب العربية التي وقفنا عليها لم نجد مصدرا واحدا منها يذكر أن صوت السين يتبادل مع الهاء أو الهاء تتبادل مع السين ، فهذا التبادل حاصل بين السين والثاء ، بين السين والتاء ، بين السين والشين .... (2) ، لكن لا يوجد تبادل في العربية بين السين والهاء .

3) ان تعدية الفعل الثلاثي بالهاء في العربية كذلك وارد ومثبت في تراكيب فصيحة لا يتطرق اليها الشك ، مثال ذلك قول امرئ القيس (3) :

وان شفائي عبرة مهراقة ... فهل عند رسم دارس من معول ؟

حيث قال الخطيب التبريزي : (مهراقة : مصبوبة ، من : هرقت الماء وأنا أهريقه ، بمعنى أرقت .... وعين الكلمة محذوفة ، كان أصلها أريقت ، على وزن أفعلت .... ومن العرب من يبدل من الهمزة الهاء ،

---

1) كتاب الابدال ص : 147 ابن السكيت (ط . 1973 الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ـ القاهرة)

2) م . س . ص : 104 ، 107 ، 109 ، 131 ...

3) راجع شرح البيت في : شرح القصائد العشر ص : 28 ـ 29 التبريزي (ط : 4 / 1980 دار الآفاق الجديدة ـ بيروت)

وقارن نفس الشرح في : القصائد السبع الطوال الجاهليات ص : 25 ـ 26 للانباري (ط : ؟ / ؟ دار المعارف ـ مصر)

فيقولون : هرقت الماء ، وقالوا في المستقبل : أهريقه .. وقالوا : أهرقت الماء فأنا أهريقه ، بسكون الهاء في الماضي والمستقبل جميعا ...)) 1

ومما هو شائع ان ظاهرة ابدال الهمزة هاء ظاهرة عامة ومتفشية بين العرب في غير هذه الصيغة ، وفي غير هذا الفعل ، وفي تراكيب أخرى متعددة مما يدل على استبعاد قول ليتمان الماضي ، (2) غير ان صاحب الاقتضاب يرى أن اللغويين الذين يرون في هذه الهاء أصلا في هذه الكلمة هم ممن لا يحسنون التصريف ، ((والصحيح ان هرقت وأهرقت فعلان رباعيان معتلان ، أصلهما : أرقت ، فمن قال هرقت ، فالهاء عنده بدل من همزة أفعلت ، كما قالوا : أرحت الماشية وهرحتها ، وأنرت الثوب وهنرته .... وكان يلزم أن يجري أهرقت في تصريفه مجرى أكرمت ونحوه من الأفعال الرباعية الصحيحة ، فيقال : أهرقت أهرق اهراقا ، كما تقول : أكرمت أكرم اكراما ، ولم تقل العرب شيئا من ذلك ، وانما يقولون في تصريف هرقت أهريق فيفتحون الهاء ، وكذلك يفتحونها في اسم الفاعل ، فيقولون : مهريق ، وفي اسم المفعول : مهراق ، لانها بدل من همزة لو ثبتت في تصريف الفعل لكانت مفتوحة)) (3)

---

(2) راجع هذه التراكيب المتنوعة في كتاب الابدال ص .... ص 8

(3) الاقتضاب في شرح ادب الكاتب ق : 2 / ص : 242 ـ 243

(1) ش انقصائد العشر ص: 28 ـ 29

وبصرف النظر عن هذه التحاليل لورود صيغة التعدية بالهاء في بعض اللغات السامية واللهجات العربية البائدة، فان كل لغة سامية طورت مع نظيرة لها أو انفردت بتطور خاص بها في هذا المجال، لان وزن هفعل يوجد فعلا في النقوش اللحيانية ضمن أوزان التعدية، فقد جاء مثلا في الفعل همتع (أي متع بالصحة)(1)

ولعل بعض هذه اللهجات التجأت الى هذه الأداة للدلالة بها على التعدية لأنها تدل في بعض اللهجات واللغات السامية الأخرى على بنية ما تكسيرية مقابلة هي بنية التعريف، واللبس، في هذه الحالة، مأمون بين البنيتين المتعارضتين .

على أي حال، ان هذه النقوش تعرف عددا هائلا من الظواهر المورفولوجية التي نعرفها في العربية الباقية، فهي علاوة على وزن التعدية السابق تستعمل النقوش الثمودية مثلا الفعل أيضا بوزن فاعل مثل : ساعد، وبوزن أفعل مثل أبتر(2)

... وانما لرتأ لهذا النقش النبطي الوارد في اللوحة السادسة لما شككنا في هذه الظواهر المورفولوجية لحظة واحدة على الرغم من انه مكتوب بالأبجدية التي كان الآراميون يكتبون بها، لكن الاشكال، بوجه عام، ليس مطروحا في هذه الظواهر وغيرها، بل

---

1) اللغة العربية عبر القرون ص : 31

2) راجع المرجع السابق ص : 30

في هذه النقوش نفسها ، فهي على الرغم من أنها ((تمثل فترة من حياة اللغة العربية سابقة على عصر نضجها وازدهارها)) (1) فان ظواهرها لم تستنطق بعد كلها من خلال آلاف النقوش أو النصوص التي كشفت وجمعت منذ أوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر واستمرت الى نهايته (2) .

وبالنسبة لصيغة الافعال الخمسة ، فان بعض الدارسين يلاحظ أن هناك ندرة فيها ، حيث لم يعثر الا على صيغة واحدة من صيغ الافعال الخمسة فيها (اللهجات الثلاث : الثمودية واللحيانية والصفوية) وهي الفعل المضارع المسند الى واو الجماعة ، وهي صيغة ((يعورونه)) ، حتى ((لو فرضنا أن في بقية النقوش التي نطلع عليها بعد ، صيغا أخرى من هذا القبيل فان ذلك لا يتعارض مع وصفنا لها بهذه الندرة)) (3) .

ان بعض القضايا من المورفولوجية تظل غامضة ايضا بسبب طبيعة الخط الذي كتبت به (المسند) ، حيث ان جميع نقوش ثمود مثلا بضمير الغائب ، ((وانهم كثيرا ما يحذفون منه بعض الحروف كالنون من ابن والضمير من لي ، وايضا فانه تختلط به آثار عربية وآرامية)) (4)

1) دراسات في اللغة والنحو العربي ص 99 د . حسن عون (ط : 1969 مطبعة الكيلاني)
2) بل الابحاث استمرت الى ما بعد هذا التاريخ وليس كما ذكر الدكتور حسن عون
3) م . س . ص : 50
4) تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) ص : 112

ونفس الصعوبة المشار اليها في نقوش الثمود يين توجد لدى اللحيانيين ، الا أن هؤلاء يستبقون بين صيغ الفعل على صيغتي هفعل و سفعل ، وهم يستخدمون في نهاية الماضي تاء دلالة على التأنيث كما هو معهود في العربية الباقية .

غير أن اللهجة الصفوية التي يعدها الدارسون والمقارنون أقرب الى العربية الباقية أو عربية الجاهليين ثم لغة القرآن الكريم تعتبر أثرى بالظاهر المورفولوجية المتشابهة مع الفصحى اذا ما قورنت باللهجتين الاخريين (اللحيانية والثمودية) سواء في الضمائر أو صيغ الافعال المختلفة ، وأبرز نقطة في هذه الصيغ أنهم لا يستعملون الهاء دلالة على تعدية الفعل الثلاثي اللازم، أي لا نجد لديهم شكل ((هفعل)) التي بقيت آثار منها حتى في العربية الباقية نفسها ، وعند هم الفعل المبني للمعلوم والمبني للمجهول ((وهي تتشابه مع العربية الفصحى في تصريف الأفعال ومصادرها ، فعّل مصدره : تفعيل أو : تفعلة ، وفاعل مصدره : فعال أو : مفاعلة ، وأفعل مصدره : إفعال ، وانفعل مصدره : انفعال ، وهلم جرا ... وهم لا يدغمون الحرف الثاني من الثالث في الاسماء المشتقة من الفعل المضاعف مثل فيقولون أو يكتبون : ظانن ، ... وداثما لام الفعل الناقص عندهم ياء)) (1)

---

1) تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) ص : 114

الفصل الثالث . حس البنية المعجمية والدلالية :

سبق التلميح حين تحدثنا عن البنية المعجمية بين اللغات السامية المشهورة ، الى ان المقصود بهذه البنية هو النظام اللساني المقنن في لغة من اللغات ، اذ لا نحسب أن هناك مستوى مقننا في لغة من اللغات ومستوى آخر بدائيا فيها ، فالمستويات التي تقنن نظاما لغويا هي :

1) كل لا يتجزأ الا من حيث الادراك المنهجي

2) تتطور في آن واحد ، انطلاقا من اعتقادنا بأن كل عنصر ووظيفته .

ولعل النظام المعجمي يتعلق بالدرجة الأولى بالجذور الأصلية الحاملة لمعان أو دلالات تكون في بداية تكونها حقيقة ثم لا تلبث أن تتفرع عنها دلالات أخرى مجازية لا حصر لها (خذ لذلك مثلا كلمة كرسي) ، ثم هناك مسألة أخرى ، تتعلق بما يلحق أو يسبق هذه الجذور من زوائد أو لواحق ، أما أيهما أسبق أو ألحق فليس من مهمة هذا العمل هنا ، غير أنه من باب الاشارة ، فاننا نحسب أن كلتا العمليتين تتم حسب الخطاب المراد خلقه ، وحسب علاقة هذه الجذور بمستويات وطبيعة البنى التركيبية العامة في الجمل المتنوعة خطابا والمتماثلة بنية وفق قواعد لغة ما ،

وتبعا لعادات المتكلمين .

وحين نقول البنى التركيبية العامة ، فاننا لا نحيل على المتكلم وحده من الخارج فقط ، بل نأخذ بعين الاعتبار أكثر الاحالة على النظام اللساني من الداخل ، باعتبار المتكلم اللاحق غالبا ما يجد نفسه مطبقا أو مستعملا لكلمات لا خالقا لها ، ولقد أومأ بعض الشعراء الفطاحل العرب منذ القديم الى هذه المسألة المعجمية المتواترة (1) .

ان هذه الجذور لا تستعمل منعزلة ولا مجتمعة بل بواسطة التداعي أو الترابط الذي ينطلق في التبليغ بالبنية جزئيا لينتهي بها كليا بهذه الجذور ، كما مر بنا ، مثلما تعتمد بنيات تكسيرية وأخرى مورفولوجية (مفرد ، مثنى ، جمع مذكر سالم ، جمع مؤنث سالم ، جمع تكسير مختلفة ، كون الفاعل جمع تكسير أو جمعا سالما ، مذكرا أو مؤنثا ، ...) فانها تعتمد مقولات أخرى مثل كون الجذر متعلقا بالزمن الماضي أو الحاضر أو المستقبل ، بضمائر الافعال الخمسة أو غيرها .... الخ .

والبنية المعجمية في هذه اللهجات العربية ((البائدة)) أو الباقية بنية مستقرة نسبيا بالقياس الى بعض

1) أمثال هؤلاء الشعراء عنترة بن شداد في مطلع معلقته المشهورة ، والى جانبه نجد زهير بن أبي سلمى ، ومن طريفها جاء على لسان البحتري : ((كلفتمونا حدود منطقكم)) ... الخ .

اللغات كالفرنسية مثلا ((وإذا كانت كمثل لصيغة تتميز عموما عما عداها بشكل الجذر، وبطول ثابت نسبيا للكلمات، فان اللغة الفرنسية ليست مثالا نموذجيا في هذا المجال، وذلك لأن احدى صفاتها هي كون الجذور يسود فيها نوع من الغموض، كما أن كلماتها مختلفة الى حد بعيد من حيث الطول والقصر، وان تكن الالفاظ ذات المقطعين هي الغالبة)) (1) .

لكن البنية المعجمية في هذه اللهجات والعربية الباقية معها متغيرة دوما في اشتقاقها، حتى ان بعض الجذور فيها قد تجاوز المائة اشتقاق (مثل علم) ، وحتى ان الاستاذ أحمد الاسكندري قد ذكر أن في المهجور من ألفاظ اللغة العربية سبعين ألف مادة لم تستعمل الى اليوم (2) .

وليس لدينا اليوم ما يمكن ان يضاف على قول الخليل بن أحمد :

((اعلم ان الكلمة الثنائية تتصرف على وجهين .. والكلمة الثلاثية تتصرف على ستة أوجه .. والكلمة الرباعية تتصرف على أربعة وعشرين وجها .. والكلمة الخماسية تتصرف على مائة وعشرين وجها ... يستعمل أقله ويلغى أكثره)) (3) .

---

1) دراسات لغوية على ضوء الماركسية ص : 81

2) الآداب السامية ص : 133

3) العين ص : 66

وانا حين نعود الى هذه الفوس اللهجية القديمة أو حتى العربية الباقية أو في أي لغة من اللغات ،يجب أن نتأكد من العادات التكلمية التي تقوم قبل أي شيء على التداعي أو الترابط بين الكلمات ، لنأخذ حوارا عفويا حول رجل يهمنا أمره رحل أو سافر الى مكان ما ،لا شك أن مجموعة المفردات التي تمثل مجموعة الوحدات الدالة أو المونيمات تكون أو يحتمل أن تكون في قالب على الشكل التالي :

- الى أين ذهب ؟
- متى ذهب ؟
- كيف ذهب ؟
- لماذا ذهب ؟
- مع من ذهب ؟
- كم سيدوم سفره ؟
- ومتى سيعود ؟ ... الخ

ان الطريقة التي تتقولب بها المونيمات المسكوبة مجتمعة من جملة الى أخرى تؤلف بنيتها ، ولاحظنا أن نفس القالب يمكن أن يستخدم مرة ثانية ،وثالثة ... لسكب أو بناء جمل أخرى مماثلة.

وبنظرة سريعة الى هذه النصوص اللهجية العربية المثبتة في هذا العمل أو الموجودة خارجه في ابحاث أخرى ، وهي كثيرة ، لتبين لنا أن هذه النصوص أو التراكيب غالبا ما تستعمل الوحدات الأكثر تداولا بين أفرادها ، وهذه الوحدات المعجمية التي بدت لنا أحيانا ذات دلالات فاترة ، فان الأمر لا يعود الى هذه الوحدات في حد ذاتها بل الى بساطة وسذاجة التراكيب من جهة ، والى جهلنا بالطريقة الصحيحة التي كانت تتم بها التلفظات ، وخاصة من الناحية الصوتية وما يتصل بها من أداءات لا تتصل الا بعادات المتكلمين في تلك الفترة ، من جهة ثانية .

ان النقوش الثمودية تحتوي على مادة غزيرة من الافعال والمشتقات والأسماء ، فمن الافعال : علم ، حل ، بات ، رعى ، رهب ، بان ، كتم ، ورد ، عشق ، ... (1) . وتعرف عددا آخر من المفردات الشائعة في العربية الباقية مثل : جمل ، ناقة ، فرس ، وعل ، فلان ، فلانة ، آل ، أمير ، أسد ، ذكر ، حزم ، ظلم ، سلامة ، سعادة ، ... الى جانب أسماء الأعلام التي نجدها في نقوش تيماء وجوارها ، وعلى طريق مدائن صالح وجوارها (2) ... فكل هذه الظواهر والكلمات التي مازلنا نعرفها اليوم في العربية الباقية وردت في النقوش الثمودية ،

---

1) اللغة العربية عبر القرون ص : 30

2) راجع : من الساميين الى العرب ص : 163

اذا ما أخذنا بعض النقوش الثمودية ودوناها بحروف عربية ثم أ لحقنا بأصواتها الساكنة أصوات المد التي جاءت هذه النقوش غفلا منها ، فيكون النقش ثم القراءة كما يلي . (1)

النقش الأول : ذ ن ل ق س ب ن ت ع ب د م ن ت

كتابته : ذ ين لقيس بنت عبد مناة

ما عدا ((ذ ين)) الذي تعني : هذا القبر ، فان باقي الكلمات واضحة .

النقش الثاني : ل ت ي م ي غ ث ب ن ج ش م ه و ع ل

كتابته : لتيم يغوث بن جشم هوعل

ما عدا الهاء الواردة في كلمة ((وعل)) كأداة تعريف ، فان ما بقي من كلمات هذا التركيب بعد راسما لا غبار عليه .

النقش الثالث : ل ح ز م وتشوق ال ع م ت

كتابته : لحزم وتشوق الى عمة

وعلى الرغم من هذا التعقيد الملحوظ في هذا التركيب الأخير الناتج عن تقديم غير مترابط أ . تداع بكيفية بنيوية محكمة مع الكلمات التي وردت بعده ، فان الدلالة العامة وحتى الداخلية باعتبار الجذور الموظفة بينة ، وقال فيه الدكتور وافي : ((ولعله شطر بيت من الشعر)) (2)

---

1) نعتمد في نقل هذه النقوش على : فقه اللغة ص : 101 – 102 د . وافي .

2) م . س ، ص : 102

وبالنسبة للهجة اللحيانية ، فاننا نذكر ما صرح به الدارسون المختصون بأنها تعرف كثيرا من الخصائص التي يعكس ادراجها ضمن اللهجات العربية المبكرة ، معتمدين في ذلك على ما ورد فيها من أسماء أعلام عربية وأفعال ومشتقات مختلفة مثل : عهد ، رب ، يوم ، بيت ، رأس ، عرس ، نعم ، ملك ، صلم ، مرأة ، شيعة ، حرة ، غلام ، وهذه الالفاظ مجتمعة مما نجده في العربية الباقية (1) .... ومن ألفاظهم أيضا : ابسلاف ، عبد مناة ، بعيث ، عمر ، طود ، عبد شمس ، كبير ، قدس ، صانع ، نحاس ، وارث ، عابد ، مقدر ، منعم ، ... ومن آلهتهم التي يرددون ذكرها بعل ، العزى ، مناة ، ود ، الهة ، ... (2) .

أما الصفوية ، كما أشرنا من ذي قبل ، فان الباحثين لا يترددون ليقرروا أنها تمثل لهجة عربية شمالية ، فهي الى جانب قربها السانتكسي والمورفولوجي من العربية الباقية ، فانها تتوفر على معجم لغوي ثري في الافعال والأسماء والصفات والاشتقاقات ، فمن الافعال : ندم ، تشوق ، لعن ، نهل ، سمع ، عور ، قتل ، رعى ، ... ومن الاسماء : فرس ، ضأن ، ضال ، خيل ، خال ، خمسة ، كبير ، ملك ، معز ، سطر ، عشيرة ، ضيف ، رواح ، قبر ، صريح ، ...

---

1) اللغة العربية عبر القرون ص : 31

2) تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) ص : 113

ونورد هنا ايضا ثلاثة نقوش من اللهجة الصفوية (1) :

النقش الاول :

ل برد ب ن اص ل ح ب ن اب ج ر وس ت ي هـ د ر وذ ب ح

فهـ ل ت س ل م

كتابته (بعد اضافة الصوائت الى الصوامت) :

لبرد بن اصلح بن ابجر وستي (في هذا) الدار وذبح فيا أيتها

اللات سلام (أو اسلمي) .

ان هذا النص ، باستثناء أداة التعريف (الهاء) في اول كلمة

الدار ، واضح بيّن ، وترجم الدكتور وافي تركيب ((ف هـ ل ت))

بتركيب : فيا الله سلام ، والذي رأيناه ما ترجمناه وفق وقوفنا على

تراكيب مشابهة لهذا التركيب الصفوي في نقش صفوي آخر ، حيث

يوجد فيه تركيب قريب من هذا (2)

ف هلت وهد شسر = فيا أيتها اللات ويا ذا الشرى

وقد يكون وقع للدكتور وافي خلط مع بعض التراكيب الصفوية الاخرى

المماثلة مثل تركيب في نقش آخر :

ف هله سلم أي فيا الله سلم .

---

1) ننقل هذه النقوش الثلاثة التالية من كتاب

فقه اللغة ص : 102 - 103 د . وافي ، وسنختلف معه في بعض اوجه القراءة

2) انظر : من الساميين الى العرب ص 168

النقش الثاني :

ل ا ن ع م ب ن ف ح س و ع ن م س ن ت ح ر ب ب ط

كتابته :

لا نعم بن فحس وغنم سنة حرب النبط

النقش الثالث :

ل ن ص ر ل ...... ح ط ا و ح س ر ه د ر ف ه ا ث ع

س ل م و ح ر ص ف ح ص ن و ف ر

كتابته :

لنصر آل بن جمر الخط وحضر (في هذا) الدار ، فيا أشع سلام

وخرص (معناها قتل) فحصن وفر .

ان النقش الثالث ايضا يكاد يكون بينا لولا ورود الها ً كأداة

للتعريف في كل من : الدار و الخط ، الى جانب الاشكال المطروح في

الرسم حيث جاءت الطاء المشددة مفككة على غيرعادة الكتابة في

العربية المعروفة بولكن هذه الظواهر بقيت آثارها ماثلة في بعض

اللهجات العربية الفصحة التي نزل بها القرآن الكريم ،وهي لغة الحجاز

أي أن الصفويين كان من لغتهم الاظهار ،وهذه القاعدة الصوتية

بقيت عند الحجازيين ،حيث جاء الادغام ، خلافا للهجة الصفوية ، على

لغـــة تميـم في القرآن :

ـ ((وَمَـن يُشَاقِ اللّـهَ وَرَسُولَـــهُ)) (1)

وجاء فيه الفك أو الاظهار على اللغة الحجازية التي يبدو أنها

أثـر من آثـار اللهجة الصفويـة ، كقوله تعالى :

ـ ((وَ مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِــــهِ)) (2)

ومما هو ملاحظ في هذه التـراكيب الثمودية والصفويـة

على حـد ســواء أنها تكاد تكون مقـولبة وفي بنيـة معجميــة

مبتذلـة أو مـتكررة ؛ أسماء أعلام في صدر هذه التراكـيـب

يأتي بعدها البدل ((ابــن)) ، ثم الاضافة ، واحيانا تتكرر هذه

المونيمة مرتين في تركيب واحد متسلسل كما هو الحال في النقش الصفوي

الاول ، والدعاء بالسلامة للآلهة في نهاية التركيب أو في ثناياه ، كما يلاحظ

ذلك في النقشين الصفويين : الثاني والثالث ، ويرى أن أسماء الأعلام

بما فيها أسماء الآلهة واردة بقوة في هذه التراكيب ، بينما تندر الأفعال

خلا النقش الصفوي الثالث الذي وردت فيه ثلاثة أفعال ماضية .

أما النقوش الثمودية الواردة هنا ، باستثناء الثالث منها ، فلا يـــرى

فيها ذكر لأي فعل ...

---

1) سورة الانفال آيـة : 13

2) سورة المائدة آيـة : 54

أما السمينية المعجمية في اللهجة الرابعة ،وهي لهجة النبط ، فليست بدعا بين أخواتها السابقة ،فنحن علمنا أنهم فاقوا في تطورهم تلك اللهجات الثلاث في بعض الظواهر ،فهم ممن كانوا يستخدمون ال كأداة للتعريف استخداما واسعا ،وربما حذفوا الالف منها ،خاصة في الاضافة ،باشباع الكسرة مايجانسها (الياء) ، مثلما كانوا يثبتون في كتاباتهم الواو بآخر الأعلام احيانا دلالة منهم على ان هذا الاسم معرب،في حين أنهم لم يتعاطوا مع الاسماء المبنية نفس التعامل ،مما يدل على ان التطور اللساني في البنية السانتكسية عندهم كان تطورا صادرا عن مراتية ووعي ،لان التعبير عن طبيعة هذه البنية أوغيرها بما هو مرسوم لا يدع مجالا للشك أو الغموض فيما هو ملفوظ ،وحبذا لو صلتنا أغلب البنى السانتكسية وما شابهها غموضا مستدلا عليها بعلامات رسم شابته مثل الواو لدى النبط أو من مثل ما بقي لنا من آثار لهجية فصيحة .(جمع المذكر السالم ، المثنى ،الاسماء الخمسة ،...).

والبنية المعجمية لدى النبط اذا جاءت مشوبة بأسماء غير عربية فلها عذرها ، فهم على الرغم من انهم كانوا عربا مثلنا يتكلمون العربية الشمالية في احاديثهم اليومية ،فانهم قد اختلطوا بالآراميين ولم يكتبوا بالخط العربي الذي كتبت به اللهجات الثلاث ،والى جانب اللهجات العربية الجنوبية ، نصوصها ومواثيقها ، بل كتبوا بالخط الآرامي

لسبب واضح عندنا متعلق بالاستقرار المدني والحضاري لهذا الشعب النبطي من جهة ، ولكون الخط الآرامي في ذلك الوقت كان هو الخط الدولي «الى جانب الآرامية طبعا » الذي كان شائعا في الشرق الأدنى عبر مساحات شاسعة (1) .

وبالرجوع الى بعض نقوشهم التي بقيت لنا كنقوش الحجر ، فاننا نصطدم بأسماء للرجال والنساء واردة عند العرب والشعوب الناطقة بالعربية ، ومن هذه الاسماء :(2)

وائلة ،كليبة ، وهب الله ، حوشب (حوشابو) ، رؤوف (روف) ، حنين ، تيم الله ، حميلة ، جلهمه (اسم قبيلة عربية) ، شامية ،كهلان ، خلف الله (خلفالهي) ،حطيبه ، سلمى ، رعوا ، خلف (حلف) ، أمية ، سليمة ، سعد ،سعيد ، نسيب ، غانم ، روما ، مالك ، حبيب ، هاني (هانو) ،فاطمة (فطمون) ...

وبالرجوع الى النقشين الواردين في اللوحتين السادسة والسابعة ، يلاحظ فيهما ايضا أسماء عربية واضحة بصرف النظر عن بنيتها السانتكسية أو المورفولوجية أو الصوتية .... ويكفي أن نشير فقط الى ان المستشرق الالماني انّو ليتمان قد استخرج من نقوشهم ثلثمائة اسم تتفق مع الاسماء العربية الشائعة ،(3) على الرغم من بعض الآثار الآرامية التي لا ترد .

---

1) راجع فقه اللغة ص : 51 د . صبحي الصالح

2) راجع : من الساميين الى العرب ص : 142-143

3) تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) ص : 116

5) فـي البنيـة الـدلاليـة بين هذه اللهجات :

لا نريد ان نعود الى ما أثرناه حين حاولنا الاشارة الى الموضوع ذاته تقريبا - باعتبار هذه اللهجات فروعا سامية قديمة ايضا - من خلال حديثنا عن هذه البنيـة بين اللغات السامية ، ولا سيما ما يتعلق بمسألة الجذر السامي التي فتنت بحثا ،وفي كل مرة تنهض بعشا ،ولكن بدون طائل كبير ، وخلاصته - كما اشرنا - أتتم الدلالة في هذه اللغات على نحو ثنائي أم ثلاثي مع ان المسألة ،فيما نرى ، فلسفية ميتافيزيقية أو هـي ماوراء لسانية ! وربما كان الخليل ابن احمد نموذجا مخالفا لشن هذه التساؤلات ،اذ لم يتوان هنيهة واحدة - بالنسبة للعربية على الأقل - ليقرر ميدانيا ان العربية ذات اصول ثنائية وثلاثية ورباعية ... وهذا هوالمنهج اللساني الوصفي السليم والمجدي ،والذي نتمنى ان يسود الدراسات اللغـويـة العربية المعاصرة بدل ضياع جهود كثيرة في قضايا انثوغرافيـة وانتروبولوجية غالبا ماتكون عقيمة وسطحية وذات مردود لا يناسب الجهود التي كرست لها والآمال التي علقت عليها .

عـلى أي حـال ، لا يمكن التفكير لحظة واحدة خلال التطرق الى بحث البنية الدلالية من خلال التركيب أننا نتناول هذه البنيـة بمعزل عن البنيـة السانتكسية أو حتى المعجمية التي

تعد الأساس المكون للوحدة الصوتية لأية بنية دلالية ،
وبالعكس ، فيما يشبه أضغاث أحلام أن نتردد في تناول
بنية سانتكسية متوازية جزئيا أو كليا مع صنوتها الدلالية ، ذلك
أن البنيتين كلتيهما تكمل الواحدة منهما الأخرى ، ولا يمكن
لاحداهما أن تكون ذات كيان أو وجود في تركيب لساني سليم
قائمة عن الأخرى ، ولن تبقى الا الطريقة الخاصة بالقواعد العامة
المرتبطة بكل لغة والمتمثلة بوجه خاص في عادات متكلميها وتراثها
وفي خصائصها الداخلية التي بها تتميز في كيانها عن أي لغة أخرى
ليست مشتقة منها ، انه من الوهم بمكان أن نذهب الى الاعتقاد
بأن المتكلم العربي اليوم أو غدا يبدع في القواعد السانتكسية أو
يخلق نسقا دلاليا في العربية مستغنيا عن قواعدها ، ولكننا في مقابل
ذلك نعتقد بقوة بأن هذا المتكلم العربي في حاضره او مستقبله
لا يحرم من الابداع من خلال قواعدها واستلهام تراثها .

انه لمن غير الانصاف أن نرمي من سجلوا لنا تلك
النقوش القديمة باللاوعي أو التغرض على من وثقوا فيهم ، لا سيما
وأن تلك النصوص فيها ما يتعلق بعهود ومواثيق ومقدسات كانت
تحترم عندهم غاية الاحترام ، ان هؤلاء الكتاب كانوا واعين بالقواعد
التي يحيلون عليها كلما أراد واضع تركيب دلالي موجه لمستقبل يفترض

فيه مبدعا أنه يفهم هذه الرسالة ،والا فما جدوى كتابتها والتشدد احيانا فيها ؟ وعليه فاننا اليوم بالمقابل نفترض من جهتنا أن ذلك الباث كان يجب عليه ان يحترم القوانين اللسانية للتطويع المتماثلة عند أونسبيا بيننا وبينه ..

ممايدل على الوعي الدلالي لدى ذلك الباث أنه قد استخدم العناصر السانتكسية والصوتية والمورفولوجية ... الخ، كانت سائدة بينه وبين متقبلي رسالته ، فنراه لكي يصل الى مبتغاه الدلالي ان يتبع عدة طرق في التركيب تتشابهها احيانا او غالبا في وحداتها المعجمية وتماثلها في تحولاتها السانتكسي لايدلان على ان صاحبها يقصد تكرار بنية دلالية واحدة ، فما انتقاله من المذكر الى المؤنث ومن المفرد الى الجمع ،ومن المعلوم الى المجهول ،ومن المجرد الى المزيد ،ومن جملة تحتل الصدارة الى جملة أخرى معطوفة ..... الا لغرض واحد هو محاولته صياغة هذه البنى الدلالية ،فالاصوات على تباينها وتعارضها كانت لديه عبارة عن معادن ،والوحدات المعجمية كانت عنده موادبناء ، أما الوسائل التي كان يعتمدها في هذا الانجاز اللغوي الهندسي فهي العناصر النحوية والمورفولوجية التي كانت بينه وبين متقبلي رسالته رباطا دلاليا قائما على التنسيق والاعراب اللذين ينمان بشكل ما عن تلك اللغة المحكية المجهولة بالقياس الى ما وصلنا عنها من نصوص مكتوبة من الصعب نطقها اليوم نطقا سليما .

الفصل الرابع : في البنية الصوتية بين الملفوظ والمكتوب

انما نريد أن نشير هنا الى ما أهملنا الاشارة اليه حين تحدثنا عن هذه البنية بين اللغات السامية ، بأننا لا نقصد من وراء هذه الدراسة هنا أو هناك أن نقوم بدراسة صوتية أو فونتيكية للأصوات التي كانت تتألف منها المادة اللغوية لتلك الكلمات والتراكيب في تلك اللغات أو في هذه اللهجات العربية (البائدة) ، بحيث نبين صفاتها العامة والخاصة وأنواعها وأقسامها وخواص كل صوت منها تبعا لما كان ينطق أو بتعبير أوجز دراسة جهاز النطق وتشريحه وعلاقة كل ذلك بما يسمى بمخارج الحروف ، لن تبقى هذه الرؤية الا حلما يراودنا ، أما على المستوى العلمي أو الدليل الملموس ، فانه لن يتحقق .

كما يعلم المختصون والدارسون بشكل عام ، فان هذه العملية تحتاج الى ادراك صوتي بواسطة جهاز أو على الاقل بواسطة اذن سليمة واعضاء بيولوجية اخرى تستقبل مثل هذه الاصوات ، لكن أين المتكلم الأصلي واين السامع المتزامن واين الدارس المسجل مثلما قام به جماع المادة اللغوية العرب خلال وبعد نشأة الدرس اللغوي عندهم ؟ .

وحتى الشق الثاني من المستوى الصوتي والمتعلق بدراسة وظائف الأصوات في لغة معينة ، ولا سيما ما يتصل بدلالة كل صوت منفردا في وحدة معجمية وتأثير هذه الدلالة في التركيب كله ، فضلا عما يقوم به من دراسة التركيب كله كالنبر والتنغيم ، وطرائق الاستفهامات ، والنفي ، ... حتى هذا لن نظفر به في مثل هذه الدراسة .

وعليه ، فان المتتبع لهذا العمل قد يؤاخذنا في هذه البنية أو في البنيات التي سبقتها ، حين يلاحظ ان هذا العمل تارة هو وصف ، ومرة هو تحليل ، ونحن مضطرون في هذا العنصر أن نتورط في الشيء ذاته ، والوصف هو غالبا ما يلاحظ بالنتائج التي توصل اليها في هذا الميدان الشاق الباحثون والعلماء الأجلاء من عرب واجانب ، واما التحليل فهو غالبا ما يتعلق بالمادة التي نقرأها في هذه البنية أو في غيرها ونقف عليها بشكل مغاير لما قرأناه .

ان الباحثين يتفقون على ان اللغة قبل أن تكون مكتوبة كانت محكية ، والأصل في اللغة هو الكلام ، وأما الكتابة فليست الا نسخة جاءت بعد ، واللغة المكتوبة تتغاير في الكلمات والحروف ، وأما اللغة المحكية فتتغاير في المقاطع بحرية من الدلالة ، وتأتي

بدورها المونيمات (1) المركبة من فونيمات (2)، وهذه الأخيرة محدودة بعدد محدود في كل لغة)) (3).

وكنا أوردنا انطباع دي سوسور في هذا الموضوع، والذي يرى أن اللغة المحكية كلما كانت موغلة في الزمن كانت أحوج الى الشهادة الخطية للكتابة، أما ((اذا كانت اللغات غير الموجودة هي المعنية بالأمر، فان الحاجة الى ذلك أمس وألح)) (4)

ونحن اليوم في غياب منظومة لغوية ماثلة أمامنا تمام المثول على أي شيء نعتمد؟ على الصوت أم على الحرف لتحديد هذه البنية الصوتية في هذه اللهجات؟ ان المفروض في كل حرف أن يمثل صوتا، والصوامت ليكون لها وجود مادي صحيح بين اللغة المحكية والمكتوبة يجب ان تكون ذات صوائت قصيرة وخاصة الطويلة منها، ونحن اليوم اذا تأملنا ((أبجد هوز حطي)) المشتقة اصلا من ابجدية عربية قديمة، هي الابجدية الكنعانية، للاحظنا وجود هذه الصوائت الطويلة من حيث الشكل على الأقل، حتى وان لم يكن

---

1) المونيم، وإحدتها مونيمة، وتعني أصغر وحدة دالة حسب مصطلح اندري مارتيني، وهو ما يقابل المورفيم في المدرسة الأنجلوسيكسونية...

2) الفونيم، واحدتها فونيمة، وهي صوت متميز غير دال بذاته وغير قابل للتقطيع، وقد توجد بعض الاصوات المنفردة دالة بذاتها كما هو الشأن في العربية

3) LES Langues vivantes P:47 JEAN GUENOT EDITION SEGHERS PARIS 1971

4) محاضرات في الالسنية العامة ص: 38

يعبر بها كأصوات مد طويلة لا في اللغات السامية ولا في هذه اللهجات العربية المبكرة ، فهذه الاصوات الثلاثة كان يرمز بها الى صوامت تقوم بوظيفة فونيمية صوامتية او قل ، انها كانت في هذه الحقب تمثل اصواتا ساكنة أو صحيحة .

لكن هذه الاصوات الثلاثه لم تبق كصوامت فقط بل اتخذت منذ عهد بعيد لدى بعض الشعوب السامية والعربية كحركات مد طويلة دالة على نهايات اعرابية ،كما سبق ان فعلت ((البابلية القديمة والأكدية والعربية الجنوبية والأوغاريتية ذلك ، فالنماذج اللغوية في هذه اللغات تؤكد استعمالها في مواضع الحركات الطويلـــــة والنهايات الاعرابية ، فكل المفردات البابلية والاكادية تنتهي بأصوات حركية لتدل على وظائفها النحوية في العبارة ، وهي تشبه الحركات الاعرابية في اللغة العربية تماما ،فالواو للرفع ،والالف للفتح ، والياء للكسر ، والملاحظ ان الاعراب في اللغات الاكادية يظهر حتى في الضمائر المنفصلة ،اذ تتغير نهاياتها الحركية حسب مواقعها في الجملة ، فتكون مرفوعة بالواو ،ومفتوحة بالالف ، ومجرورة بالياء)) (1) .

وهذا بصرف النظر عن الخط المسماري السومري الذي كانت تكتب به الساميات القديمة في وادي الرافدين ،وهي كتابة يدل فيها الرمز على المقطع المؤلف من صوت صحيح مرفوق بحركة ،لكن الابجدية التي ورثتها

---

1) مجلة مجمع اللغة الأردني ص : 66 د.ة . باكزة رفيق حلمي المجلد الاول ، العدد الثاني ، 1978 .

العربية من الكنعانيين لم تقتصر الا على رموز الاصوات الصحيحة ((وهذا هو سبب الارتباك الذي وقع فيه العلماء العرب عند بدء التدوين ، ومحاولة الانتقال بالابجدية الكنعانية الى مرحلة من التطور يستطاع فيها كتابة اللغة العربية كتابة صحيحة تتمثل فيها كمل الاصوات الحركية الضرورية لسلامة النطق وحفظ الصيغ من الخطأ .)) (1)

وحسبي بقول الدكتورة باكيزة ان يكون صحيحا ،فعلاوة على العناية التي اولاها ابن درستويه وغيره من علماء العرب القدماء فهذا السيد البطليوسي يقول : ((وقد اضطربت آراء الكتاب والنحويين في الهجاء ، ولم يلتزموا فيه القياس ،فزادوا في مواضع حروفا خشية اللبس ،نحو واو عمرو ، وباء أوخي (2) وألف مائة ،وحذفوا في مواضع ما هو في نفس الكلمة ،نحو مالك ،وخالد ، فأوقعوا اللبس بما فعلوه ، لان الالف اذا حذفت من خالد صار (خلدا) ، واذا حذفت الالف من مالك صار (ملكا) ،وجعلوا كثيرا من الحروف على صورة واحدة ، كالدال والذال ، والجيم والحاء والخاء ،وعولوا على النقط في الفرق بينها ،فكان ذلك سببا للتصحيف الواقع في الكلام ،ولو جعلوا لكل حرف صورة لا تشبه صورة صاحبه ،كما فعل سائر الأمم ،لكان أوضح للمعاني وأقل للالتباس والتصحيف ،ولذلك صار التصحيف للسان العربي أكثر منه في سائر الألسنة)) (3) .

---

1) م.س ، ن.ص

2) زاد العرب الواو في كلمة (اوخي) المصغرة للفصل بينها وبين (اخي)المكبرة

3) الاقتضاب ق ٢ ص ١٢٥

غير أن هذه المسألة ليست وقفا على العربية القديمة وحدها او أخواتها الساميات ،بل هي ظاهرة متفشية حتى في اللغات الاوروبية الحديثة التي يمكن ان تصلح بمواشيق ومراسيم لا بمتكلمين يمثلون اجيالا متعاقبة وأزمنة غابرة ».

اننا لا ننكر أن مجموعة الحروف في أية لغة تشكل ابجديتها ((لكن مع الاسف ، في عدة لغات ،وفي الفرنسية بوجه خاص ، نفس الحرف (او مجموعة الحروف) لا تمثل دائما نفس الصوت ؛

ـــ

ونفس الصوت ليس ممثلا دائما بنفس الحرف (او مجموعة الحروف) .
وضمن هذا النطاق ،فان كلمة (OISEAU : طير) لا تحتوي أيا من أصوات : O, I, S, E, A, U وكان ينبغي ان تكتب : WAZO
ان الحرف: لا يتلفظ به ابدا ،وهو على الأكثر مهتوت (ASPIRÉ).
واذا كان الاسبان في هذا الميدان أكثر حظا من الفرنسيين ، فان الانجليز يتقاسمون نفس البليسة ، فكاتب الهزليات الساخرة الانجليزي برنارد شاو (BERNARD SHAW) كان يقترح أن تكتب الكلمة : Fish ((Ghoti)) لـ كما في enough [gh, f]
O لـ i كما هو الحال في women و ti لـ sh كما في (nation) . بل ترك ،بموجب وصية ،مبلغا هاما لا بتكار أبجدية

مطابق للاصوات في الانجليزية ... ويبدو من الصعب جدا ايجاد ابجدية تتناسب مع كل اللغات ، بينما هي لاتتضمن كل الاصوات (فـ (th) الانجليزي مجهول في الفرنسية ، وال (u) الفرنسي مجهول في لغات اخرى). والابجدية الصوتية في حد ذاتها ليست كاملة ، وكل الناس لا ينطقون بنفس الشكل)) (1) .

وفي لغة اخرى كاللغة الانجليزية ((نجد رمزا خطيا واحدا يرمز الى صوتين مختلفين وهو الرمز (X) يرمز الى الحرفين : الكاف والسين ، ونجد فيها العكس ايضا ، فالرمزان (TH) يدلان على صوت واحد وهو الذال ، وكذلك (sh) يرمزان الى الشين ، كما نجد رمزين خطيين (CH) يرمزان الى صوتي تش . ولا نجد هذه الظاهرة في اللغة العربية فكل رمز فيها له صوت وكل صوت يدل عليه رمز ، لا يعدد هذا ولا ذاك)) (2)

وفي الانجليزية كلمات تحوي عددا من الرموز الصوتية لا يتلفظ بها ، وبهذا صار الجهد المبذول في الكتابة أكثر منه في النطق ، وصارت الحروف المكتوبة أكثر عددا من الحروف المنطوقة ... واكثر من ذلك ان في هذه اللغة رموزا صوتية تنطق ، وتؤدى برموزا اخرى غير المكتوبة مثل كلمة colonel التي تنطق (كارنيل) و Lieutenant تنطق

---

1) Guide pratique de Grammaire française, P: 8 Charles Geodert édition Hachette 1978

2) في علم اللغة التقابلي ص : 15 - 20 د . احمد سليمان ياقوت (ط : 1985 دار المعرفة الجامعية - الاسكندرية)

(لغتنا نت) (1) .

ثم ان اللغة المكتوبة ليست ترجمة عادية للغة الشفوية ،
وكم كان عليما فردينا ند دي سوسور حين صرح .. كما سبق ان اشرنا ـ
: ((للغة تقليد شفوي مستقل عن الكتابة وثابت على نحو آخر)) (2)
وكيف انه انتقد بسوب الذي لم يميز ـ حسب تعبيره ـ بوضوح بين
الحرف والصوت (3) .

وقريب من هذا ما لاحظه الاستاذ انطوان مايبه من ان الأذن
وحدها استطاعت ان تنتهي الى تكوين الكتابة الهجائية ((التي تحمل
في نفسها نظرية صوتية كاملة ، ولا بد أن تكون تلك الملاحظة قد
أدركت كل ما هو أساسي في اللغة ما دامت اللغات تنتقل بالسماع
من جيل الى جيل ... وذلك بصرف النظر عن الكتابة التي تعتبر
صيئا حديثا بعيدا عن ان تكون عام الاستعمال لدى الشعوب كافة ،
وهي بعد أداة ناقصة تهمل عددا لا حصر له من الفروق الدقيقة)) (4) .

وانطلاقا من ان اللغة ليست ترجمة عادية لمن يتكلمونها عبر
الازمنة والاجيال ، لا سيما حين نلتجئ الى النصوص الموروثة منقوشة
هنا وهناك ، والتراكيب في اللغات الحديثة تبين لنا بعض هذه التناقضات

---

1) م ، س ، ص : 19 ـ 20
2) محاضرات في الالسنية العامة ص : 40
3) م ، س : ن ، ص
4) النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الادب واللغة ص : 439 د . محمد مندور الذي ترجم نص مايبه ـ دار نهضة مصر للطبع والنشر ـ القاهرة م

فان الامر يتعلق بالبنية الصوتية ذات الارتباط بجنس أخرى

كالبنى المورفولوجية . ففي لغة كالفرنسية مثلا يوجد على الاقل

نظامان أو أربعة ، مثلا بين الفم وبين ما كتب فيها وما ينطق .

اذ (ر عندما نقول : cheval (الحصان) chevaux (الاحصنة)

فان علامات الجمع هي نفسها في الشفوي وفي الكتابي :

Le -> Les , cheval ⟶ Chevaux

وعند ما نقول : L'ENFANT (الولد) ، LES ENFANTS (الأولاد)

فان علامة الجمع في ENFANTS. لا تدرك في الشفوي ، وكذلك :

chante يغني ، chantent يغنون ، فان الشفوي لا يقوم

بعملية التمييز . وبامكاننا ان نأتي بأمثلة أخرى :

- L'élève est venu. (التلميذ حضر)

- L'élève est venue (التلميذة حضرت) (1) .

فالكتابة ترسم الفرق بين المذكر والمؤنث ، لكن الشفوي لا يرسمه ... فالنظام

او الرمز الكتابي متعدد أكثر من الرمز الشفوي ، لان المخاطب ليس

هنا من أجل ترجيح ما قد يبدو له غير واضح)) (2) .

---

(1) يمكن ان نقول : التلميذ حضر مثلما يمكن ان نقول : التلميذ حاضر ، وكذلك في التركيب المؤنث يمكن ان نقول : التلميذة حاضرة بدل : التلميذة حضرت ، والمشكل ليس مطروحا بالنسبة لمميز الجنس في العربية .

(2) Guide pratique de Grammaire Française P. 18, Charles Guedert, Hachette 79

ويظهر لنا أن تأخر الصوائت عن الصوامت في الرسم السامي او العربي القديم كان راجعا الى ان هذه الاصوات الثلاثة (ا-و-ي) كانت تقوم بوظائف دلالية منها الاعراب، كما شاهدنا في بعض اللغات السامية، وكما عرفنا ان الانباط كان من عادتهم اضافة الواو الى الأسماء المصروفة (مذحجو، نزرو، شرحو، ظلمو ...)، ونحن لو اخذنا نقشا مؤرخا في سنة 568 (أي سنة 463 من سقوط سلع) والمعروف بنقش حران لوجدناه مرسوما كما يلي: (1)

انا شرحيل بر ظلمو بنيت ذا المرطول
شنت 463 بعد مفسد خيبر بعم (2)

(أنا شرحيل بن ظالم بنيت هذا المرطول سنة (463) بعد مفسد خيبر بعام)

والملاحظ على هذا النقش أنه كتب غير معجم، وأن (سنا) كتبت مخففة على لغة اهل التسهيل بينما أثبت الصائت في آخرها، لأن هذا الصائت هو جزء لا يتجزأ من الكلمة، بينما حذف الصائت (الياء) بعد الباء من (شرحبيل)، وكتب الصائت (الواو) في آخر (ظلمو) دلالة على انه مصروف وقابل للتنوين، وأثبتت الواو في (مرطول) لأنهما

---

1) نقلنا هذا النقش من: مصادر الشعر الجاهلي ص: 33 د. ناصر الدين الاسد (ط: 4/ 1969 دار المعارف - مصر)

2) محونا الاعجام قصدا، ثم ترجمنا النقش، وسنثبته على اصله في نهاية هذا الباب صحبة نماذج من خطوط ونقوش أخرى.

جزء من الكلمة ،لكننا لا نحسب أنها كانت تلفظ كصوت ساكن ،بل كانت تنطق كصوت مد طويل ،كما هو الحال في ((نسا)) ، وفتح التاء في (سنت) ليس بالامر العجب ،فهي طريقة مألوفة في الخط النبطي ،بل حتى في القلم الاسلامي الاول او المبكر ، وهذه الظاهرة معروفة في رسم المصحف العثماني ،ونجد ابن فارس يروي جملة الملك الحميري مثبتا التاء مبسوطة في (عربيت) : ((أما انه ليست عندنا عربيت ، من دخل ظفار حمر)) (1) ، بينما اهمل الكاتب في هذا النقش اثبات الصائت (الالف) في عام ، مما يقضي بأنها كانت تنطق سريعة ،أي كانت العين تنطق بحركة قصيرة ،بحيث يصل النطق الاول بالثاني الساكن (على الميم) فلا يدع مجالا زمنيا لمد النطق الاول ، أو أن التلفظ الثاني هو الذي لم يكن يسمح لعادة التكلم بالانتظار في مثل هذه التلفظات .

ثم ان هذه الصوائت الثلاثة بقدر ما كانت تدل على النهايات الاعرابية كدلالة على وظائف نحوية ،كانت تدل في الوقت نفسه على دلالات اخرى في الجمع ،كما أشرنا ، لان الجمع في الجاهلية (ون) كما في العربية ،و... في السريانية (...) ،وفي العبرية (يم) ... وهذا دون ان ننسى المثنى في العربية ،والزام بعض اللهجات العربية مثناها الألف مطلقا ،كما سيجيء في حينه ...

---

1) فقه اللغة ص 51 لابن فارس ،وفيه كذلك :

((ومنها الاختلاف في الوقف على هاء التأنيث مثل : هذه أمه ، وهذه أمت)) نفس المصدر ، أعلاه ص 55

ان تكليف اللغة المحكية هذه الصوامت أصلا بدلالات نحوية وصرفية وصوتية مكثفة في عملية النطق التي تعد عملية سابقة على أي نظام كتابي في أي لغة انسانية ، جعل هذه الصوامت الثلاثة لا ترسم في النصوص القديمة الا اذا كانت جزءا من الكلمة او خاضعة لاحدى الخصائص الصوتية الشفوية التي لا نستطيع أن نتصورها اليوم الا من خلال بعض الآثار الكتابية .

ويستنتج من هذا أن تطور هذه الصوامت الثلاثة كان ينحو منحى صوتيا وظيفيا دلاليا لا منحى صوتيا فيزيائيا أي وحرفيا أي أبجديا ، والقرآن الكريم لا تزال كتابته القديمة ماثلة أمامنا في كثير من هذه المسائل ، فلو عدنا الى سورة أم القرآن لوجدنا أن عاصما والكسائي يقرآن قوله تعالى : ((مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)) (1) ، بالالف في (مالك) ، بينما قرأها الخمسة الباقون بحذف الألف (2).

والرسم ليس أمرا هينا ، يلزمن الناحية المورفولوجية الشكلية احيانا ، بل قد يوجه القارئ وجهة غير وجهة القارئ الآخر ، من ذلك ان حمزة قرأ قوله تعالى : ((وَيُقَاتِلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ)) (3) بالألف مع ضم الياء وكسر التاء ، في حين قرأها الباقون بغير ألف لكن

---

1) سورة الفاتحة آية 4 .

2) التيسير في القراءات السبع ص : 18 أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ط : 1930 مطبعة الدولة - استانبول)

3) سورة آل عمران آية من آية : 21

مع فتح الياء وضم التاء ،والأولى من القتال و الثانية من القتل (1) .

وسواء عدنا الى النصوص اللهجية العتيقة (أو الأركية) أو بعض النصوص الجاهلية أو بعض القراءات القرآنية ،فاننا نجد ان هذا الحذف تعدى العناصر ((اللسانية المستقلة او المرتبطة بصيغة الى حذف مقطع او أكثر من صيغة كاملة سواء كانت اسما أم فعلا ، وهذا مما اعتاده القوم حيث الحذف لديهم يدل على الاثبات ،لانهم يتفاهمون بالحذف كما لو كانوا يتفاهمون بالاثبات ،وهذا يدخل كذلك في اطار الطبع العربي العام والعادات اللسانية الشعبية التي تمتاز بها كل أمة ، علما بأن هذه العادات غير ما يتعلم الناس من لب هذه اللغة بين الجدران ،لان هذه العادات اللسانية تخضع لقاعدة لسانية شعبية لا تحصل الابالمعاشرة الطويلة بين اصحابها ....)) (2)

ومن ذلك ما حكاه المتأخرون نسبيا عن هذه النصوص اللهجية المبكرة من أن العرب تقول :((مخيرك)) في ((ما أخيرك)) ، وذكر المازني ان العرب تقول :((ما شر اللحم للمريض)) و ((ما خير اللبن)) أي : ما أشر ، وما أخير ، وسجل الكوفيون عن العرب أنهم يقولون :((ما خير اللبن للصحيح ،وما شره للمطون)) (3) .

1) م.س.ص : 37

2) العربية بين الطبع والتطبيع ص : 68 عبد الجليل مرتاض (ط : 1993 (ديوان المطبوعات الجامعية ـ الجزائر)

3) الضرائر الشعرية ص : 101 لابن عصفور

وعلى الرغم من النقائص المشار اليها آنفا في الرسم السامي عموما ومنه العربي العتيق الموروث عنهم او عن بعضهم (الكنعانيين) ،تلك النقائص التي وقفنا عليها لدى بعض الشعوب الحديثة من اجل اداء تبليغ متمايز عن تبليغ آخر ، ومفردة متباينة مع مفردة اخرى في اصواتها ودلالتها ،وعلى الرغم من بعض المبررات التي حاولنا استنتاجها ، فان النصوص اللهجية العربية العتيقة التي وصلتنا ـ وحتى المتبدأ خرة نسبيا ـ لا تخلو من غموض وتعقيد في بعض رسومها ،حتى ان المرء ليرتبك في قراءة كل من قرأ هذه النصوص في بعض الاحايين ،ولا سيما حين تتعارض التراجم لرموز هذه النقوش .

ان المستشرقين قرأوا هذه النقوش على ضوء الابجدية المعروفة ((في جنوب شبه جزيرة العرب والابجدية الصفوية واستنتجوا تاريخ النقوش بين القرنين 6 و 5 ق.م))(1) ،وبصدد هذه النقوش يقول الدكتور حسن عون : ((وهناك صعوبة اخرى يدركها المختصون في الدرس اللغوي ويلمسون آثارها في النصوص اللغوية التي وصلت الينا ،.. ذلك ان هذه الآثار لم تصل الينا مسجلة مكتوبة بل مروية مسموعة(2) وهناك فرق كبير بين اللغة المكتوبة واللغة المسموعة ،فاللغة المسموعة

---

1) من الساميين الى العرب ص :160 ـ 161

2) لو وصلتنا مروية مسموعة لما كان هناك اشكال كبير ،فالعربية الباقية لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن ورثناها مروية مسموعة ; اذ من ذا الذي روى عن لحياني أو ثمودي أو صفوي أو نبطي ....؟؟

ليست صادقة (1) في تصوير الحقيقة كما كان ينطق بها أصحابها في عصورهم المتباعدة ، وانما تصور وضعها في زمن يروونها ، والمعروف ان النطق يتطور (2) من عصر الى آخر ويختلف من بيئة الى أخرى في نفس العصر ، وعلى عكس ذلك اللغة المكتوبة فهي تصور بوضوح كيف كانت تنطق في كل عصر وفي كل بيئة ، واذا كان من السهل الاهتداء الى الى تطور النطق فهي اللغات التي حرصت على تسجيل الحركات القصيرة والطويلة بأشكال خاصة فان ذلك بالنسبة للعربية يعتبر من الأمور الشاقة (3) ، ذلك ان العربية ظلت كتابتها الى ما بعد الاسلام خالية من رسم تلك الحركات المتحكمة في طريقة نطقها ، ولسنا نقصد من ذلك الحركات الضابطة لشكل الكلمة من ناحية الاعراب فقط ، وانما نقصد كذلك كل أنواع الحركات الضابطة لنطق الصوامت أو السواكن من حروف اللفظ كلها) ؛ (4) .

---

1) حتى في حالة كون اللغة المسموعة غير صادقة ، فان الكتابة أعجز من ان تمثلها ، وبالتالي تكون أقل صدقا منها ، لان الكتابة نظام مستقل عن نظام اللغة الشفوي .

2) الذي نراه أن النطق يتغير أو يتباين حسب المتكلمين .

3) هذه مغالطة وقع فيها السيد البطليوسي ، وها هو يقع فيها صاحب هذا النص ، وقد حاولنا ان نبين ان هذه الاشكالية ليست في العربية وحدها .

4) دراسات في اللغة والنحو العربي ص : 41 ـ 42

ومما هو جدير ذكره ان البنية الصوتية في نصوص ملغزة او ملبسة هي غيرها في النصوص المعروفة او غير المشهورة في جميع مستوياتها ، والبنى كلها متضامنة ومتداعية بجميع عناصرها اللسانية لتنتج في النهاية بنية واحدة تعرف او تستقل عن بنية اخرى بسماتها التعارضية على الرغم من انها تتشكل من نفس المواد والعناصر لكن المعبرة بكيفية البناء او النظم وليس بالبناء ذاته ، لكن النصوص التي عثر عليها الدارسون ، على الرغم من كثرتها ، فهي قصيرة ، وهي ، فيما يبدو ، اجزاء من نقوش وليست نقوشا كاملة ، فالنقوش اللحيانية مثلا أكثرها لا يتجاوز كلماته الثلاث أو الأربع (1) ، لكن اكثر هذه النقوش في امور مبتذلة كأن تتعلق بأمور شخصية أو أمور منقراطية او تمجيدية لحكام ودعاء للآلهة ((وليس بيننا نص ادبي او نص طريف يمكن ان نتبين في تضاعيفه جملة الخصائص اللغوية لتلك اللغة التي كان يتحدث بها كتبة هذه النقوش ، وجميعها على لسان الشخص الثالث الغائب ، وليس بيننا نص على لسان مخاطب أو متكلم ، وهي تخلو خلوا تاما من الشكل والحركات وحروف العلة وعلامات الاعراب)) (2) .

ومن الغريب حقا أن نجد باحثا فذا مثل الدكتور شوقي ضيف يطلق بعض هذه الأحكام المتناقضة مع بعض النصوص المادية بشأن

---

1) الوجيز في فقه اللغة ، : 104

2) تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي ، ص . 118

ورود النقوش كلها على لسان الشخص الثالث الغائب، وأنه لا يوجد بين هذه النقوش مجتمعة (ما اكتشف منها طبعا) نص على لسان مخاطب أو متكلم، في الوقت الذي نجد في النقش الذي أسلفناه (1) :

1) ضمير المتكلم واضحا : ((سا سرجيل = أي أنا شرحبيل)

2) والضمير المتصل المسند الى المتكلم : بسبت = أي بنيت

ونجد في نقوش صفوية أخرى ضمائر في غير الغائب سواء ما اتصل منها بالفعل ام بالاسم، كالدعاء الدال على المخاطب عادة والنداء :

- فهلت سلم = أي فيا أيتها اللات سلمي (أي أنت)

- ف هله سلم = أي فيا الله سلم (أي أنت) ...الخ (2)

وفي النقوش الثمودية :

- لبك سرر وهب وصدق = أي قلبك (لبك) سرور وهبة وصدق

- هله تسعد = أي يا اله ساعد

- ان ذ حب = أي أنا ذو الحب ...الخ (3)

ومن هذا ما زعمه انوليتمان المستشرق الالماني من ان الواو الملحقة بآخر اسماء الأعلام في نقش النمارة وضع لينوب عن التنوين في حالة الرفع (4)، وهذا، فيما يظهر لي، وهم آخر، لان التركيب في

---

1) راجع ص : 267 من هذا البحث

2) راجع من الساميين الى العرب ص : 167 - 168

3) راجع المرجع السابق ص : 162

4) انظر فقه اللغة ص : 104 ط : 1 للدكتور وافي

نقش حران السابق لا يتفق وهذا التأ ويل حسب قواعد اللغة العربية التي يمثلها هذا النقش القريب جدا من الفصحى الباقية بشهادة كل المحللين والدارسين :

ـ أنا شرحبيل بن ظلمو

والكلمة هنا مضافة من حقها الكسرأ والجر لا الرفع ، واذا فكيف تكون الواو هنا دالة على الرفع ؟ وانما اثبتت هنا علىى نحو ما أشرنا ، أي كدلالة على أن الاسم مصروف أو غير متمكس أي لا مانع من أن ينطق منونا .

وهناك أوهام أخرى وغموضات لا تزال تخيم على هذه النقوش العربية المبكرة بوجه خاص والساميات بوجه عام ،وذلك في جميع مستوياتها ، ولا سيما في مستوييها : الفونيتيكي والفونولوجي ، لان هذه النقوش ،مهما بذلنا اليوم فيها من جهود مضنية ، فانها لا تمثل لنا الا قليلا ،وقد يكون مغلوطا أومغالطا لنا أحيانا ، مما كان يطلكه متكلولغاتها على المستوى الشفوي من مناسبة وحركات ونبر وتنغيم رنفي وتأكيد واثبات واستفهام ...الخ .

واذا عدنا اليوم الى عدة تراكيب موروثة في اللهجات العربية الباقية ،فان كتبتها ربما كانوا يجتهدون عن دراية أوعن غير دراية منهم ، في رسمها مثلما كانت تنطق ، أوعلى الأقل كانوا على

دراية بما يجب كتابته مما يهمل نطقه ،ومنها الصوائت ، وليس معنى هذا أننا اليوم قادرون على ادراك ما يجب نطقه مما يمكن اهماله ، فالتركيب : ((ويلمسها)) ،والتي وظفها امرؤ القيس في شعره (1) :

ويلمها في هواء الجو طالبة ولا كهذا الذي في الأرض مطلوب

ومثله التركيب ((علماء)) كلاهما يقوم على الأحادية في عملية التبليغ بين المرسل والمرسل اليه ،لكن الرمز بينهما في هذه الحالة يكون ثنائيا بين التقليد في الخطاب الشفوي وبين النظام الكتابي ، والا عدت الكتابة الموروثة هذيانا من كمية أصواتية ليست لها أية أبعاد دلالية غير كونها أصواتا طبيعية .

والذي نريد أن نتصوره أنه لم تكن الكتابة لدى أولئك الكتاب شيئا ،والنطق شيئا آخر أو على الاقل بعيدا عنه كل البعد ، اذ لا شك ان من كان يكتب ((علماء)) لم يكن يقرأ أو يتلفظ ((على الماء)) ،ومثله التركيب السابق (ويلمه أو ويلمها) .

واذا أردنا اليوم أن نفهم هذه الظاهرة التركيبية الصوتية ،الى جانب كونها تدل على ظواهر تركيبية اخرى فى الآن ذاته ، فاننا نجدها أبرزما تكون ماثلة وحية في العامية العربية المحكية الى

---

1) الكتاب ج :2/ ص : 294 سيبويه (ط:1968 دار الكتاب العربي القاهرة)

جانب وجودها ماثلة في العربية القديمة والجاهلية الباقية ،
بسودان انتشار الكتابة أو اللغة المكتوبة بدأت تبتلع تدريجيا هذه
الضروب والمستويات من اللغة المحكية في الوطن العربي بفضل انتشار
المدارس والثقافات الرسمية في القرى والمدن ، ففي العامية
التي نعرف في الجزائر يقال فيها : ((الغدار)) ويراد بها :
((فناء أو فن أو فناء الدار)) . والسبب في هذا أن بداية
تطور ظاهرة لسانية لا تناسبها الا نهاية مماثلة للظاهرة نفسها ،
لكن معاكسة . فالعربية التاريخية القديمة كانت أشبه بما آلت
اليه الى مثل هذه العاميات التي أصبحت الرسميات اليوم تحول
بينها وبين المزيد من تطورها النحتي لتتخذ لنفسها قواعد مستقلة .

وانه لا شك فيه أيضا رغم العوامل الأخرى الكثيرة
التي لم نرد حصرها كلها هنا (1) ، أن المفاهيم التي كان أولئك
الكتاب يريدون أن يبلغوها سواهم من الملتقطين لرسالتهم كانت
ذات ترابط بالأصوات التي يكتبون بها برموزا صطلاحية على غرار الكتابة
الحديثة ، وان كل صوت عندهم كان يقابل وظيفته ، اذ لايمكن تصور
دال في لغة اجتماعية بدون مدلول ولا مدلول بدون دال .

---

1) لان عملنا هنا هو عمل تحليلي وصفي تزامني قدر الامكان ، ولا جدوى لنا في المسائل التاريخية المتصلة بدراسات فقه اللغة .

اننا لا نسريد ان نتورط أكثر من هذه الاشارات ،والا أخذ نا الحديث عن لب الموضوع رنقلنا الى أوصال التواصل المختلفة بين الطابع الشفوي والطابع الكتابي ، لأنه من غير المجدي أن نتحدث عن موضوع لغة دون أن نأخذ في الحسبان موضوع لغة اخرى ، وبعبارة اخرى ، يستحيل ان نتحدث عن لغة شفوية دون أن نقابلها بلغة كتابية ،والعكس بالعكس ،لان الكتابة ((حسب تعبير روبيــر اسكربيت هي لقاء لغة بلغة أخرى ، لقاء اللغة الصوتية بلغة الخطوط. واستخدام الكتابة يقتضي الانتقال من القناة السمعية الى القناة البصرية الأمر الذي يحتم بالتالي تغييرا في نظام الاشارات أو الرمز نفسه)) (1)

ومن غير التورط ايضا في ذكر الجرد لهذه الاوضاع التواصلية بين البنية الصوتية ،وهي مرسلة شفوية أوكتابية ، الا أننا ندرك بأن هناك ((تعارضا أساسيا بين الأنماع في التراصل الشفوي والكتابي الذي يحدد توظيفا تباينيا بين رموز الاتصال الشفوية والخطيــة)) (2).

وعموما ،فان البنية الصوتية في هذه اللهجــات ليست غريبة كل الغرابة عن العربية الباقية ، فاللهجات الثلاث (اللحيانية ،والصفوية ، والثمودية) كتبت بخط عربي هو الخط المسند ،وعدد حروفه تسعة وعشرون ترمز الى تسعة وعشرين صوتا ساكنا (3) ،على الرغم من بعض الاختلافات

---

1) اللسانيات من خلال النصوص ص: 67 عن جمع: د ه السدي (الدار التونسية للنشر)

2) INITIATION à La problématique structurale P:79 T:2 collection dirigée BERNARD quemada Hachette Paris 78

3) فقه اللغة ص: 70 د ه وافي

الشكلية أو الهندسية في كتابة هذه الخطوط لدى كتاب هذه اللهجات، وهي فوق ذلك (لا تشتمل على معظم الاصوات التي تمتاز بها العربية الباقية عن سائر أخواتها السامية أو يكثر ورودها فيها دون غيرها كأصوات الذال والثاء والغين المعجمة والضاد .. غير ان العربية البائدة تمتاز عن العربية الباقية بشدة تأثرها باللغة الآرامية، وتختلف عنها اختلافا غير يسير في كثير من مظاهر الصوت ...)) (1).

وتشيع في هذه اللهجات التسهيل أو التخفيف ولا سيما في اول الكلمة، فالحميريون مثلا يقولون: رنب بدلا من أرنب، وودم عوضا عن أدم ((وكانت قبيلة هذيل تصنع نفس الصنيع فتقول: وشاح بدلا من اشاح، ومن ذلك انهم يقولون: واكل بدلا من آكل على نحو ما نصنع في لهجاتنا المعاصرة، وهم لا يدغمون الحرف الثاني مع الحرف الثالث في الأسماء المشتقة من الفعل المضاعف مثل: ظن، فيقولون او يكتبون: ظانن)) (2).

---

1) فقه اللغة ص: [illegible] د. وافي.

وهذا الحكم الأخير للدكتور وافي هو أقرب الى المنطق الوهمي منه الى المنطق اللساني، لان الحروف بين البائدة والباقية حروف عربية، وان النبطية وهي لهجة عربية قد كانت تستعمل حروفا آرامية هي نفس الحروف التي تطورت فيما بعد الى هذا الخط العربي الموحد، ثم ان الحرف لا ينم في نقوش مجهولة عن طبيعة صوته على الرغم من اجتهاد الكتاب - فيما يبدو - التوفيق بين الاداء الصوتي والكتابة.

2) تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) ص: 114

ونفس الشيء بالنسبة للهجية النبطية فانها كانت تسهل الهمزة ولا تحققها ، وهي لهجة عربية باقية منسوبة للحجاز ـ كما سيجيء ـ ...

ان وصول النقوش العربية القديمة الينا على هذا النحو القاصر او على شكل سطورها البدائية وانعدامها في كثير من مظاهرها من علامات الأداء الصوتي الرائي الذي بموجبه يتحدد الأداء القريب من الاطمئنان لأداء نطقي سليم ، وخاصة فيما يخص خطوطه جاءت غفلا من الشكل والاعجام علاوة على تشابه بعض حروفه وتداخلها وصعوبة تهجيتها ، ... جعل الواقفين عليها يتباينون في الحكم العام على كثير من جوانبها ، ومن فائدة هذه النقوش العربية القديمة التي تمثل اصدق تمثيل جوانب مهمة من حياة العرب وثقافتهم وتاريخهم ودينهم وبعض عاداتهم وتقاليدهم ..... أن يظل الباحثون مختلفين فيها للمزيد من تقصيها ومراجعة كل النتائج اللسانية التي توصل اليها الدارسون الأولون واللاحقون ، لان هذه النقوش العربية على الرغم مما توصف به من عيوب ونقائص من اجل الوقوف على حقائقها وقفا سليما ، فان الواقفين عليها هم ايضا لا تخلو مواقفهم حولها من غموض حينا وتناقض حينا آخر ، واعتقد اعتقادا موضوعيا ومخلصا أن هذه النقوش ستفك رموزها وتحل أسرارها بكيفية أفضل يوم يدرسها العرب جذريا من جديد ، ونحن نتساءل عن دور الجامعة العربية وسواها من الهيئات العربية الثقافية ومسؤليتها في هذا الميدان ...

نقش من مارب

(لوحـــة : 8)

وهذه اللوحـــة تمثل الخط العربي المسند مقابلا بالحروف العربية

الشمالية التي تمر قراءتها فيما بعـــد .

نسخ وفينيقي وصفوي وثمودي ولحياني

عربي نسخ	فينيقي	مسند صفوي	مسند ثمودي	مسند لحياني
ا				
ب				
ج				
د				
ه				
و				
ز				
ح				
ط				
ي				
ك				
ل				
م				
ن				
س				
ع				
ف				
ص				
ق				
ر				
ش				
ت				

(لوحة : ٩)

نسخ ويوناني وحميري وآرامي

عربي نسخ	يوناني قديم	مسند حميري	آرامي قديم
ا	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ب	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ج	[illegible]	[illegible]	[illegible]
د	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ه	[illegible]	[illegible]	[illegible]
و	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ز	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ح	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ط	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ي	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ك	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ل	[illegible]	[illegible]	[illegible]
م	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ن	[illegible]	[illegible]	[illegible]
س	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ع	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ف	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ص	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ق	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ر	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ش	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ت	[illegible]	[illegible]	[illegible]

(لوحة : 10)

. . نسخ وحميري ونبطي وأنباري

عربي نسخ	مسند حميري	كرشي أو نبطي	حيري أو أنباري
ا	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ب	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ج	[illegible]	[illegible]	[illegible]
د	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ه	[illegible]	[illegible]	[illegible]
و	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ز	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ح	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ط	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ي	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ك	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ل	[illegible]	[illegible]	[illegible]
م	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ن	[illegible]	[illegible]	[illegible]
س	[illegible]	[illegible]	
ع	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ف	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ص	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ق	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ر	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ش	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ت	[illegible]	[illegible]	[illegible]

(لوحة : 11)

حروف أبجدية شرقيـــــة متنوعة

عربي	سرياني يعقوبي	اسطرنجيلي	نبطي	تدمري	فارسي رقاع	فارسي قديم	عبري عادي	عبري مربع
ا	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	א	[illegible]
ب	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ב	[illegible]
ج	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ג	[illegible]
د	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ד	[illegible]
هـ	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ה	[illegible]
و	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ו	[illegible]
ز	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ז	[illegible]
ح	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ח	[illegible]
ط	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ט	[illegible]
ي	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	י	[illegible]
ك	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	כ	[illegible]
ل	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ל	[illegible]
م	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	מ	[illegible]
ن	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	נ	[illegible]
س	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ס	[illegible]
ع	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ע	[illegible]
ف	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	פ	[illegible]
ص	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	צ	[illegible]
ق	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ק	[illegible]
ر	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ר	[illegible]
ش	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ש	[illegible]
ت	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ת	[illegible]

(لـــوحـــة : 12)

رقم (٦) نقش النمارة

رقم (٧) نقش زبد

رقم (٨) نقش حران

(لوحة : 13)

سبق لنا أن حللنا كلا من نقش النمارة (راجع ص : 230 لوحة : 7) ونقش حران (راجع ص : 267) ، وأما نقش زبد ، فإنا نحيل القارئ على :

مصادر الشعر الجاهلي ص : 28 - 29 أ و :

من الساميين الى العرب ص : 171

رقم (١) نقش وادي المكتب

رقم (٢) نقش وادي فران

رقم (٣) نقش طور سينا

رقم (٤) نقش مدائن صالح

رقم (٥) نقش أم الجمال

(لوحة : 14)

نحيل القارئ على كتاب مصادر الشعر الجاهلي ص : 26 - 27 للاطلاع على طبيعة هذه النقوش .

رقم (١٠) رسالة رسول الله إلى المنذر بن ساوى

(لوحة : 15)

اعتمدنا في نقل هذه الرسالة النبوية الشريفة على كتاب : مصادر الشعر الجاهلي ص : 30 .

وهذا نقش باسم الخليفة الاموي عبدالملك بن مروان(٦٨٥ ٧٠٥) للمقارنة

الطرىو
عىد الله عىد الملى
امىر المومـ//////مد الله
علىه مرا ////////////هد ا
المىل ث ////////////امىا ل

(لــوحــــــة : 16)

وجا ء ت هذه الرسالة الا موية مترجمة في بعض المراجع (من الساميين الى العرب ص : 171) كما يلي :

ا مر بعمارة هذ ا
الطريق (وصنعة الا ميا ل)
عبد الله عبد الملك
ا مير المو مـ (نين) رحمة الله
عليه (٠) من ا يليا الى هذ ا
الميل ثمنيــة ا ميا ل .

رقم (٩) نقش القاهرة

(لــوحـــة : 17)

والنقش أعلاه في تاريخه أسبق من النقش السابق (لوحة : 16) اذ يعود تاريخه إلى عهد الخليفة الثالث سيدنا عثمان بن عفان ، وهو مؤرخ في : 31 هـ .

القسم الثاني

دراسات تركيبية

في

اللهجات العربية الباقية

القسم الثاني : دراسات تركيبية في اللهجات العربية الباقية

الباب الأول : في مدونة اللهجات العربية الباقية

الفصل الأول : المدونة

الفصل الثاني : التقاط المدونة

الفصل الثالث : إشكاليات حول المدونة المسموعة

الباب الثاني : التركيب في اللهجات العربية الباقية

الفصل الأول : قراءات لسانية عامة حول البنية التركيبية

الفصل الثاني : التركيب الاسمي

الفصل الثالث : التركيب الفعلي

الفصل الرابع : التركيب الحرفي والظرفي

خلاصة البحث

الباب الأول : في مدونة اللهجات العربية الباقية

الفصل الأول : المدونة

ان حديثنا هنا عن المدونة يعني أننا مقتنعون سلفا

بأن النصوص التي سنتخذها سبيلا لوصف وتحليل التراكيب في

اللهجات العربية الباقية هي نصوص ،على الرغم من شفويتها ،

تشكل نظاما لسانيا مترابطا ،باعتبار البنى التي سندرس

كل واحدة منها على حدة ليست الا عنصرا لا يظفر بوجود أو كيان

مستقل الا من خلال ما يربطه من تداعيات وعلاقات مع سواه

من العناصر الأخرى ،والطبيعة الداخلية التي تمنح هذه المدونة

ميزة خاصة بها ،هذه الميزة المتمثلة فيها كلغة أو كنظام ذي

قواعد هي التي تنظم علاقات عناصرها المتعارضة في كل مستوياتها

المختلفة ، وقراءة مدونة ما لا يعني الا الوقوف على هذه القواعد

التي تتحكمها ، وحين يقدر لنا الوقوف بشكل من أشكال القراءة

على هذه القواعد ، يتاح لنا عندئذ الوقوف على بنياتها التي

يتأسس بموجبها نظاما مهما كان .

ونحن أمام مدونة لسانية ليست كسائر المدونات ،اذ

في بعض المجالات الأخرى من القراءات المختارة أو حتى ذات

ذات قراءة عتبا طبية غير معينة سلفا بكيفية اجبارية ،تكرس هذه المدونة ذات اختيار نسبي لأنها ليست فقط معدة سلفا للوصف ، ولكنها محددة أيضا، ولتوضيح هذه الاشكالية أكثر ،فانه من غير الممكن مقارنة قصة أو رواية أو قصيدة أو أي نص خطابي بهذه المدونة المتنافرة التي نحن بصدد النية في دراستها، ومدونتنا من الصعب اخضاعها حتى الى ما يسميه اللسانيون عادة بالملاءمة اذا لم نحدد الطابع النوعي لمادتنا بشكل دقيق من جهة ، وقواعد أولعبة هذه الملاءمة التي نريد أن نطبقها أو نتعامل بها مع نصوصنا من جهة ثانية .

ما زلنا نذكر كيف تعاملنا مع بعض التراكيب في اللغات السامية واللهجات العربية البائدة ، لأن لعبة الملاءمة يمكن تطبيقها على كل المستويات في أي تحليل بنيوي (مثلا : المستوى المورفولوجي ، المستوى الفونولوجي ،المستوى الدلالي،المستوى السانتكسي ...الخ) اذ من المؤكد ((أن وجهات النظر التي ينطلق منها لساني من أجل أن يطور تحليله ، يمكن أن تكون متعددة ،والباحث له كامل حرية التصرف ليقتني مستويات يراها ضرورية ليدفع مشروعه الى النجاح ،لأن الأهمية هو أن هذه المستويات يجب

أن تكون محددة باتعاق ،بحيث كل واحد منها يكون محللا تحليلا مطلقا من معايير ملاءمة)) (1) .

وتُعرّف بعض المعاجم اللسانية الحديثة المدونة بأنها ((مجموعة الأقوال المكتوبة او والمسجلة التي تتخذ قصد وصف لساني . ان منهجية المدونة تفترض في الميدان الوصفي ،لأنه من المستحيل أن نجمع كل الأقوال لمجموعة لسانية في فترة معطاة، ومن الخطر بمكان أن نقوم نحن مقامها بصنع أقوالها . ان اللساني لا يزيد عن أن يحدد نطاق المدونة بصورة اعتباطية محاولا أن يجعلها تمثيلية (REPRÉSENTATIVE) لحالة اللغة الجارن فيها . ان المدونة التي نكوّنها هي غالبا ما تعتبر كاملة حتى لا يغير الشارح المعطيات ليضع نظرية مصاغة مسبقا (Théorie préconçue) ،لكن هذا لا يستبعد طعونات جديدة محددة بالزمن للتأكد من تلك الوقائع أومن أجل ملء فراغات . ان منهجية المدونة تكون ذات ضرر لو أدرجت مواد مختلفة الجنس مثل التنوعات الأسلوبية ، اللهجية ، التكرارات ، أو الجمل غير المنتهية أو غير المنجزة والمتفوه بها من المتكلم (LOCUTEUR)) (2) .

1) REVOLUTION EN LINGUISTIQUE P:FF BIBLIOTHÈQUE, LAFFONT DES GRANDS THÈMES

2) DICTIONNAIRE DE LA LINGUISTIQUE P:89 EDITION PUF DIRIGE PAR GEORGE MOUNIN 1974

ان الأقوال اللامنتهية التي يتفرد بها مجتمع لغوي هي مدونة

بالنسبة لأي مستقبل لها ،لكن المدونة محدودة الزمن أو ينبغي أن

تكون كذلك ،في حين أن المتقبل لها مطلق في هذا الزمن ،

ومن هنا تتشدد المنهجية الخاصة بمدونة ، فنحن اليوم لا يمكن لنا

أن نحل محل قول تميمي أو حجازي أو أي متكلم عربي سبقنا ،

بل نحن ابعد من أن نكون مثل أولئك الجماع والرواة للهجاتهم،

لكن هذا لا يمنع قارئا اليوم أو غدا لمراجعة قراءة ورواية من سبقونا

ما دامت منجزاتهم متصلة بنا وزماننا متصلا بهم ،لكن هذه القراءة ،

كما نتصورها ، يجب أن تكون في طرائق الاستعمالات لا في الاستعمالات

نفسها التي تشكل معطيات معينة أنجزت وانتهت .

انـنا اليوم قد نتصرف في التحقيق من قراءة الخليل بن

أحمد أو تلميذه سيبويه لكن طموحنا يكون اقرب الى الوهم لو

خيل لنا أن نقوم مقام تلك القراءة نفسها ،ويكون طموحنا جنونيا

لو فكرنا لحظة واحدة لأن نحل محل تلك الاستعمالات ،لأن الزمن

مسألة وهمية ،فهنيهة منه مثل قرن أو قرون ،وهي لا تدرك بما

مضى منه بل بزوال ما سيمضي منه ،وما يربطني اليوم بامرئ القيس

أو غيره ممن مضوا هو نفس ما سيربط هؤلاء غدا بآخرين بعدي ،

لكن ما يربطنا جميعا في سلسلة متوالية هو ما استعمل أمس، ويستعمل اليوم ،وسيستعمل غدا ،... ونحن حين نتفوه بمصطلح مدونة لا نعني في الغالب الأعم من وراء هذا الا التفريق بين هذه الاستعمالات التي يفترض فيها ألا تكون متناسقة بين مرسلين حتى على مستوى فترة زمنية واحدة .

ان مرسلين اثنين يصفان شيئا واحدا يختلفان فيه خطابا واستعمالا حتى ولو كانا من فترة زمنية واحدة وفضاء واحد ، ((ومحتمل جدا أن ما يقومه شخصان مختلفان قد لا يكون ذاته))(1) بل من الغريب حقا أن يقول القائل الشيء ذاته لأناس بأعيانهم، فلو كان العرب كلهم يستعملون نفس الأقوال ونفس التراكيب ، لما تصورنا عندهم فوارق لهجية ،ولما أتيح لمن جاءوا بعدهم أن يلحظوا هذه الفوارق في مختلف المستويات .

اننا حقيقة ، ليس بامكاننا بعث من سبقونا ،لكنهم متماثلون أوهكذا يجب أن يكونوا ، وذلك من خلال استعمالاتهم التي تعد رابطا فضائيا بيننا وبينهم ،زد على ذلك أننا واعون بأن نصوصهم التي خلفوها لنا والتي تعود الى زمن معين لا تقدم بالضرورة كل الاستعمالات الممكنة وغير الممكنة التي تسمح أولا

1) الألسنية ص :218 د .ميشال زكريا (والمقالة أو البحث لأندري مارتيني) (ط:1/1984 المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت)

تسمح بها اللغة من وجهة نظر لسانية أو من وجهة نظر احدى

عادات التكلم المحلية أو العامة ((ولكن اذا كان الولوج الى

هذه اللغة مستحيلا ، فبوسعنا ، من دون أن يؤخذ علينا أي

مأخذ ، اعتبار أن هذه المستندات ممثلة اللغة بصورة تامة ،

فشروط العمل هذه تأتي بافادة كبيرة لدرجة أننا نحاول أن

نوجدها ثانية عندما نهتم بدراسة لغة معاصرة ، من خلال تكوين

مدونة أي مجموعة كلام يسجل على آلة التسجيل أو يملى علينا .

وبعد أن تتكون هذه المجموعة نعتبرها غير قابلة للتعديل ، فلا

يعاد يزاد عليها ، وتوصف اللغة تبعا لما نجده فيها ، والاعتراض النظري

الذي بالامكان توجيهه الى هذا النهج الذي يستند على المدونة ،

هو أن باحثين يعملان على نفس اللغة ولكن بالاستناد الى مدونتين

مختلفتين ، قد يصلان الى وصفين مختلفين لنفس اللغة)) (1) .

وربما كان زليج هاريز أوضح بكثير من قول أندري

مارتيني السابق ، اذ بالنسبة لهاريز (أو هاريس) أن المخزون

الكلامي المسجل هو الذي يكون المدونة ، وأما التحليل الذي يتناولها

فهو لا يشكل الا وصفا متماسكا بغية توزيع العناصر المندرجة فيها ،

ومما يراه أنه لا يجب اغلاق المدونة قبل الشروع الفعلي في التحليل

---

1) م ، س ، ص : 218

وبالنسبة لمن يهتمون بنتائج الأبحاث اللسانية ((فان تحليل مدونة معينة يصبح مثيرا للاهتمام ،فقط ، اذا كان التحليل ،بصورة فرضية ، مماثلا لكل تحليل آخر يتم الحصول عليه وفق النهج نفسه من أية مدونة أخرى مأخوذة مادتها من اللهجة نفسها،ولئن يكن الأمر كذلك فبامكاننا أن نتكهن بالعلاقات القائمة بين العناصر في أية مدونة أخرى على أساس العلاقات الملحوظة في المدونة التي حللناها، وفي هذه الحالة ،بالامكان اعتبار المدونة التي تم تحليلها بمثابة عينة موصوفة من هذه اللغة ، وعندما يتبين للألسني أن المواد المزادة لا تأتيه بشيء جديد غير موجود في تحاليله ، بامكانه حينئذ أن يعتبر مدونته ملائمة)) (1) .

لكن حين نتحدث عن المدونة ، فاننا نأخذ بالمقابل في الاعتبار أمرين : طبيعة المدونة أو جنسها ، وسعتها أو ضيقها ،ففي الأبحاث الفونولوجية مثلا تكون المدونة الضيقة أو الصغيرة أكثر ملاءمة مما هو الحال في الابحاث المورفولوجية أو الصرفية ، هذا الى جانب اعتبار أمر آخر سبقت الاشارة اليه ،وهو الفترة التي أنتجت فيها هذه المدونة .

وعلى العموم ،فان المدونة تتكون من مجموعة الجمل التي يفترض في قارئها أن يكون متواضعا سلفا مع من أنتجوها ،بصرف

1) م.س.ص : 215

النظر عن الفئات التي تشاركت في فترة زمنية فيها ، وهذا في المدار أو في المنهج الوصفي على الأقل .

والمدونة مهما كانت قصيرة أو طويلة ، قديمة أو حديثة ، ومهما كان شكل الطبقات والفئات الاجتماعية التي تتشارك بوعي آني أو بوعي تاريخي ... فانها لا تعدو في النهاية من أن تكون عينة من اللغة الكلية . ان اللهجات العربية المنتمية لمناطق قبلية أو بيئات جغرافية ليست أزيد من عناصر منتمية الى مجموعة واحدة ، هي اللغة العربية الفصحى ، ...

ويرى البعض أن المدونة تخضع لعدة مواصفات :

1) أن تكون واسعة بالقدر الكافي حتى يستطيع الباحث أن يأخذ فكرة كافية عن تواتر العناصر اللغوية .

2) تكون المدونة أو نصوصها متماسكة وصادرة عن شخص واحد على أن يكون ثمة تواضع واصطلاح بين هذه النصوص وبين ذات اللغة بالنسبة لمن يتقبلونها .

3) يشترط في شروط التسجيل أن تكون عادية وطبيعية على نحو ما عهد عليه العرب قبل فساد السليقة وتأسيس هذه القواعد أو على نحو هذه العاميات العربية في كامل أنحاء الوطن العربي ، حيث نجد كل فرد من أفراد المجتمع العربي يتكلم على طريق محليته

بصورة طبيعية وبدون ظهور أي علامة عليه من علامات التصنع أو التكلـف .

4) على الباحث أن يوسع قراءته في مدونته اذا ما أحس أن هناك عناصر لغوية مبهمة في حاجة الى المزيد من التركيز والتوضيح أو بعض الاضافات .

وبتعبير آخر ((لا بد من الاشارة هنا الى أن الباحث الألسني يمكنه أن يعتمد كمدونة اما تسجيلا صوتيا لمتكلم اللغة واما بعض المقاطع لكتاب كتب في هذه اللغة ،فما يحتاج الباحث اليه ،في الواقع، هو مدونة تمثل اللغة وتحتوي على عينات كلامية لها ،وبواسطة هذه العينات تتوافر له امكانية القيام بدراسته اللغوية)) (1) .

ويبدو جليا أن هناك تحفظا بشأن ما ورد في النقطة الثانية التي تشترط أن تكون المدونة صادرة عن شخص واحد ،وهذا ما لا يكاد يتحقق في كل الأشكال النسانية ،ولا سيما ما كان منها فنيا أو أدبيا ،حتى في القصيدة الشعرية الكلاسيكية العربية قد لا يتحقق في كل واحدة منها هذا الشرط ،فمجرد وجود حوار ،كما نجد لدى امرئ القيس مثلا :

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة   فقالت : لك الويلات ،انك مرجلي

1) الألسنية (المبادئ والاعلام) ص : 106 د . ميشال زكريا
(ط : 1983/2 المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت)

تقول ، وقد مال الغبيط بنا معا   عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل

فقلت لها : سيري وأرخي زمامه   ولا تبعديني من جناك المعلل

... الخ .

من خلال هذه الخطابات المتعددة والحوارات المتبادلة بين الشخوص يمكن أن نقول بأن هذه البنى التي تشكل جزءا من هذه المدونة أي القصيدة هنا ، ليست صادرة عن شخص واحد ، وليس معنى هذا أن داخل مدونة واحدة عدة مدونات ، لكن بالمعنى الحصري أن داخل كل مدونة عدة مستويات من الخطاب التي يفترض فيها من حيث المبدأ ، وتبعا لجنس المدونة ، أن تصدر عن أكثر من شخص واحد ، وإذا كان الأمر يتعلق بجنس أدبي مثل القصة أو الرواية [illegible] المدونة أكثر تعقيدا وتنوعا في مستويات خطاباتها حسب وظائف شخوصها ...

وحتى ما أسماه علماء العروض عند العرب بالضرورات الشعرية وأن الشاعر يجوز له ما لا يجوز للناثر ليس له سند لساني قوي ، لأن العرب ورثوا المدونة المسجلة (حفظا أو رواية ...) شعرا ، وليس نثرا ، إلا بعض التراكيب القليلة ، وما زعموه من ضرورات شعرية هو موجود أيضا في التراكيب الأخرى أو في غير الأجناس الشعرية

وليس من حقنا أن نقول : ((ان الشاعر قد أصاب في هذا التركيب ، وقد أخطأ في التركيب الآخر ، ولكننا نريد أن نلمح مرة أخرى لاستبعاد هذه التراكيب كضرائر عروضية وقبولها فقط كخطابات شعرية ، بأن هذه البنى تنوعت بتنوع الخطاب الشعري ، وكان المتكلم فيها متصرفا تصرف من يعرف أكثر من لهجة أو نظام لغوي)) (1) .

على أي حال ، نريد أن نبين بأنه خلال جمع اللغة العربية من البوادي الجبلية والمناطق الصحراوية ، فان جماع هذه المدونة ، كما سنبين في الوقت الملائم ، كانوا يحددون بكيفية صارمة المناطق الجغرافية لهذا الجمع ، لم يجمعوا اللغة العربية الا انطلاقا من لهجة جماعة ذات جبلة أو سليقة غير مطعون في فصاحة وسلامة مدونتها .

اذا وجدت هناك جرأة من أحد جماع اللغة أو اللسانيين بالمصطلح العام لقبول كلمة أو تعبير لهجي معزول أي خارج هذه المناطق الجغرافية اللسانية التي اعتمدوها فضاء مغلقا لمد ونتهم

---

1) العربية بين الطبع والتطبيع ص : 121

فان ذلك كان يرجـع فقط الى محاولة ايجاد مخرج أو مظهر سانتكسي لعدم وجود مصدر آخر في تلك المناطق الجغرافية اللسانية المحددة .

ان اللهجات العربية كانت غالبا مرة مهمشة ، وتارة مهجورة أو منبوذة من قبل لسانيينا القدماء لأسباب معيارية غير موضوعية وبعيدة كل البعد من أن تكون هذه الأسباب لسانية صرفا ، لأن هؤلاء الذين يمثلون الطبقة اللسانية الأولى كان يستحوذ عليهم العامل الديني المرتبط بوجه خاص بالقرآن الكريم وقراءاته وتفسيره ودلالته واستخراج شتى أنواع الأحكام منه ، فهؤلاء وجدوا أنفسهم مباشرة أو بوقت قصير بعيد تدوين القرآن ، أمام حركة علمية زاخرة محركها الأساسي الاسلام ، ولذلك فان الرواة وجماع اللغة الأولين ((لم يروا اللغة لذاتها ، بل كانت لهم وسيلة لتفسير القرآن ، وتقعيد القواعد ، والبحث في اللسانيات ، وهذه الآثار لا تحتاج الا لمسا سما فكرا ولفظا ، والا فأين الكلام العربي الفصيح من العامي ؟ ... فمن ثم لم يلتفتوا الى ما انحط لفظا وسخف فكرا ولو كنا نحن اليوم في مكانهم لما أقدمنا على غير ما أقدموا عليه)) (1) .

---

1) بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب ص : 18 عبد الجليل مرتاض (ط . 1988 مؤسسة الأشرف للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت)

وفي المفاضلة بين المدونات نجد ابن فارس يقول : ((وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها اذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات الى نحائزهم وسلائقهم التي طبعوا عليها ، فصاروا بذلك أفصح العرب، ألا ترى أنك لا تجد في كلامهم عنعنة تميم ، ولا عجرفية قيس ، ولا كشكشة أسد ، ولا كسكسة ربيعة ، ولا الكسر الذي تسمعه من أسد وقيس ، مثل : تعلمون ونعلم ، ومثل : شعير وبعير)) (1)

وهذه المستويات اللهجية التي وصفها ابن فارس بـ ((اللغات المذمومة)) ليست كلها مذمومة ، فمنها ما هو فصيح وارد حتى في بعض القراءات القرآنية ، كما أن بعضها ما هو الا ابدالات صوتية لا تشكل خطرا على الدلالة مثل قلب الهمزة عينا ، أو كما قال ابن دريد : ((حروف لا تتكلم بها العرب الا ضرورة ، فاذا اضطروا اليها حولوها عند التكلم بها الى أقرب الحروف من مخارجها ، فمن تلك الحروف الحرف الذي بين الباء والفاء ، مثل : بور ، اذا اضطروا قالوا : فور ، ...)) (2)

---

1) فقه اللغة ص : 52 ـ 53

2) م.س.ص : 54

وفضلا عن أن هذه المدونة مرتبطة بعامل ديني ،فان نشأة الدراسات اللغوية المبكرة عند العرب هي الأخرى مرجح ارتباطها بأحد الخلفاء الراشدين، وهو الامام علي وموكد رسمها من أبي الأسود الدؤلي المرتبط سياسيا وشخصيا ومذهبيا بالامام السابق ،والذي باشر في سن ضوابط للمصحف الشريف بنقاط حلت فيما بعد محلها حركات ،بينما غيرت وظائف هذه النقاط فيما بعد انتقالا من دلالتها على بنية ما بتقسيمه الى الدلالة على الاعجام .

ولو أن هذه القضية لم تكن الا مشروعا تمهيديا لما سيأتي بعدها ،الا أنه يجب أن يعترف اعترافا موضوعيا ،وبدون أية مبالغة بأن هذه الخطوة كانت بحق رائدة ليست فقط للدرس النحوي بل للدراسات اللغوية قاطبة ،وكما كان متوقعا وفق أي منهج معياري دقيق ، فان هذا النحو العربي الأول لم يذكر التركيب اللغوي تبعا لبناه المتعددة والنهائية وغير النهائية ،لكنه ذكر ذلك حسب المستوى التقليدي أو الظاهري لتلك التراكيب القليلة والقصيرة ، والتي يفترض فيها أنها منسوبة الى هذه الخطوة الأولى .

لكن يمكن القول من بعض الوجوه بأن هذه الخطوة التي أعتبرها عملاقة ،لئن لم تذكر هذه البنى العميقة بكيفية مباشرة فانها عبرت عنها بواسطة الأشكال والظواهر من خلال البنى السطحية ،

ذلك أن اعراب لغة متصرفة ،كما هو الحال بالنسبة للعربيـــة ، في حد ذاته يؤسس من الداخل على تحليل ما نتكسي ضمني بشكل ما ،لأنه بالنسبة لوجهة نظرنا ، فان الهدف الأكثر فعالية لأي تحليل لغوي لمدونة أو استخراج قواعد منها ،هو أن نميز بين شكل أو تركيب ما نتكسي أتى سلفا ثم استقر لاحقا كبنيـة اكتسبت هويتها في الذاكرة الجماعية أو الشعبية بحيث أضحت هي عينها ملتزمة بذلك العقد المتجسد في القوانين النحويـــة وأساليب الخطاب الدلالية ،وبين تراكيب ما نتكسية لم تتحقق بعد أو لم تسجل في خطابات اعتباطية لم يقع عليها التواضع أو الاصطلاح .

والذي يبدو أن الدراسات العربية المبكرة لم تدرك بوضوح الأبعاد اللسانية للمادة التي اتخذوها ميدانا لدراساتهم تلك ،ولا سيما فيما يخص التحليل لتلك المادة ، وبعبارة أخرى لم يميزوا ـ على الأقل منهجيا ـ بين المدونة اللغوية التي هي موضوع الدراسة اللسانية وبين الحدس اللغوي الخاص بمتكلم اللغة ،بل يعتبر باحث معاصر مثل تشومسكي هذا المتكلم بأنه هو نفسه موضوع دراسة اللغة ((وأيضا مصدر اللغة عندما يستعمل معرفته للغة في أداء كلامي)) (1) ،لكن العرب في مقابل هذا أدركوا ما هو ـ في نظرهم ـ رديء أو مثالي من هذا المصدر الى درجة أنهم

---

1) الألسنية (المبادئ والاعلام) ص : 156

مختلفوا المتكلمين ووزعوهم وفق رقع ومناطق جغرافية .

لكن الخطوة الأولى في البحث اللغوي العربي على الرغم من أنها تجاهلت أولم تدرك المستويات الخطابية التي يخلقها المتكلمون لا اللغة ، فانها قد أدركت بصورة تنم بنفسها عن نفسها تكرارية الظاهرة اللغوية وافترضت بشكل من الأشكال نهاية الجمل الأصلية أو النواتية تاركة القياس للمتكلم لانتاج صيغ وجمل أخرى خاضعة للعلاقات الممكنة الكامنة في ذلك الترابط المتضامن بين كافة عناصر هذا التركيب أوذاك في مستوييه : النحوي والدلالي بناء على معطيات نموذجية جاهزة سلفا تتجلى بوجه خاص في كفاءة المتكلم البلدية أو السليقية وعادات أدائه وتواصله من الداخل (من ذاته) ومع الخارج (مع غيره من المتلقين) ،وهذا يعني أن تلك الدراسات المبكرة وهي تتعامل مع المدونة أوالنصوص الموروثة قد أدركت فكرة الكل في التركيب قبل أن تتطرق الى نية الجزء في التحليل ، هي أدركت منذ البداية أن المدونة التي تتعامل معها مركبة أو هي نظام يقوم على الكل متمثلا في مجموعة تتركب اجباريا من عناصر متماسكة ومتضامنة ،ولا يقوم الواحد في تركيب الا من خلال تناسقه وتضامنه مع عناصر أخرى ، هي العنصر النحوي ،والعنصر الصرفي ،والعنصر الدلالي ،والعنصر الصوتي ،والعنصر المعجمي ،... الخ .

ليست لدينا نية مبدئية في وصف طبيعة الدرس اللغوي المبكر عند العرب الذي أسس بموجب اللغة المحكية ، ولكنا أردنا فقط أن نشير الى أنه كان من الطبيعي أن ينطلق في بدايته من التراكيب والقوالب الشعوية الأكثر تواترا واستقرارا ، وذلك وفقا لمنهج استقرائي يقوم على تقفي النصوص من متكلمين أو منتجين لجمل لا تكاد تنتهي ، مما جعلهم يتبنون فكرة الملاءمة منذ البداية لاستخراج القواعد من تلك المدونة المحكية أو المسموعة.

ولكن ذلك الاستقراء المنهجي الصارم عند هؤلاء اللسانيين المبكرين كان يقوم ، من حيث المبدأ ، على المفاضلة نظرا لارتباطه بالعامل الديني ولبعض الأسباب التي أومأنا اليها (1) ، مما جعل هذا النهج يزدري تراكيب لهجية غزيرة الى درجة الزعم بأن القرآن الكريم كوحي الهي منزل بكلام عربي قد عمل على وقاية تراكيب لهجية أكثر مما وقاها أولئك اللسانيون أنفسهم ، وذلك بفضل قراءاته المتعددة المرخصة بالحديث النبوي المشهور (أنزل القرآن على سبعة أحرف) ، دون أن ننسى ما سمي عند القراء بـ ((القراءات الشاذة)) ، هذه القراءات التي تمثل أقدم وأصدق التراكيب الشعبية والمحلية التي لا نظفر بها في الخطاب العام.

---

1) علاوة على ما أشرنا اليه قبل في ثنايا هذا الفصل ، فانه سبق لنا أن تناولنا هذه الاشكالية في كتاب:

الحركة اللسانية الأولى عند العرب ص : 28 - 52 ثم في ص : 53 - 96

ان تلك التراكيب اللهجية التي وقف عليها أولئك اللسانيون

لا تفصى من المنهج الاستقرائي لأنها حقائق ملموسة تدركها حاسة

السمع وتتطبع بها عادات التكلم لدى فئات لا يستهان بها من

المتكلمين ، لكن هذا المنهج ،بحسب أنه تغادى قصدا عرض هذه

النصوص حتى يوجه الستجيين الى انتاج جمل متشابهة وفق

نماذج من النصوص الأصلية التي ارتضوا مدونتها ،على الرغم من

أن النص القرآني نفسه لا يخلو من عشرات الأشكال اللهجية ،

وبذلك قطعوا الطريق أمام الدراسات المنجزة في حقل اللغة

العربية من أن يظهر ظهورا موازيا أو يمكنوا علم لهجات مستقلة

ينجم عن هذا ان الفضاء الديالكتولوجي (Dialektologie)

في العالم العربي لم يكن ثريا ولا مؤسسا على قاعدة لسانية

علمية موضوعية خالية من الذات ،حتى أضحى الخوض اليوم في

في مثل هذا الموضوع أقرب شيء مفهوم البحث الى اشكالية

سياسية منه الى اشكالية لغوية واقعية وطبيعية في الآن ذاته ،

مما جعل أجانب عن هذا الفضاء يلاحظون هذا الفراغ المهول

فيتسابقون الى سبره ودراساته بتعبيرهم عنا لا بتعبيرنا عن ذواتنا ،

مثلما فعلوا في الساميات وفي اللهجات العربية البائدة ،حتى انه

ليمكـــن القـــول بأن القراء ــ بمن فيهم السبعة ــ كانوا أكثر واقعية وتفتحا مع هذه الأنماط اللهجية من الفقلفيين (فقهاء اللغة) أنفسهم ،ولذلك لن يعجب المتتبع لهذا العمل في هذه الدراسات التركيبية للهجات العربية الباقية خلال الباب القادم، اذا مالاحظ احالات غيرقليلة على مصادر مستقاه مـــن القراءات القرآنيـــة .

وللحصول على مدونات أساسية ،وجب علينا أن ندرس هذه التراكيب في اللهجات العربية الباقية حسب ماهو مسجل في مدونات قديمة من نصوص لغوية وأدبية وروايات شعوية سجلها العلماء ، بصرف النظر عن موقفهم منها ، نقلاأ وسماعـا من أفواه الأعراب ،... الى جانب القراءات القرآنية وبعض المراجع الأخرى التي لا تبرح تتضمن جملا وتراكيب تنم عـن بنيات لهجيـة في مختلف المستويات ،وهذه النماذج المعزوة الى أقوام بأعيانـهم تمكننا من أولا من الوثوق من هذه المدونة، وثانيـا من وضع دراسة للعناصر اللسانية التي تدخل في بناء هذه الأنظمة اللهجية القبليـة .

والاشارة الى المدونات الرسمية لا تقوم في نظرنا الا اطلاقا عاما غير مستثـــن لنصوص وتعابير عتيقـة قد يعود بعضها الى ما

فـــــــي اللهجات العربية البائدة ،ولم لا هذا التحفظ ؟ ان المدونة التي نحن مقبلون على دراستها ما هي الا تطور لتلك المدونة السامية القديمة أم ليست العربية الا احدى هذه اللغات ان لم تكن هي السامية الأم نفسها على بعض الآراء والأقوال ؟. انناواعون بوجود تسلسل لساني بين هذه التكلمات ، ...

وربما كانت العلاقات الفضائية بين الأمثال الشعبية هي التراكيب الأكثر قدما ،والأكثر دلالة على ذلك الترابط المتسلسل بين أشكال المدونة عبر الأزمنة والأمكنة والأجيال ، وأزيد من هذا ، فان الدراسات الأنثروبولوجية التي ظهرت في مطلع هذا القرن تفيد بأن الأمثال الشعبية هي الأقرب صلة باللهجات المحلية للشعوب ،وخاصة تلك التي تعتمد التواصلات الشفوية أسلوبا ونهجا في حياتها وعاداتها ، بحيث لا تعرف الا قانونا واحدا هوقانون الطبيعة ،هذا القانون الذي يسمح لها بالعبور طليقة في فضاء مشترك بين الخلف والسلف ...

ونحن اذا تبنينا منهجية قائمة على مدونات شالية أو تتسم بالطابع الرسمي أو الشهرة ،فاننا لن نأمن من الوقوع في نفس الشرك الذي حاولنا انتقاده آنفا ،ثم لأننا من خلال ما وقفنا عليه وتعلمناه ممن سبقوا وخدموا هذه اللغة

خدمة دالة في كل مجالاتها ،وما ن الجملة العربية لا تعد غريبة

كل الغرابة عن التراكيب اللهجية المتباينة عموما .

ان الخصائص البنيوية للهجات العربية الباقية لا تشكل

فقط لغة العرب الصحراوية ،لكنها تمثل كذلك كنتيه مجموعة اللغة

اللغوية المتواضع عليها عموما بين كل المجموعات اللسانية

العربية ،دون الأخذ بعين الاعتبار ،طبعا ، الحدود الجغرافية

أو أية عوامل أخرى أيا كانت ، والتي لم يكن لها أي

نفوذ لساني مطلق لمنع التيار اللغوي العام الموروث عن أجيال

وتكلمات سابقة بخرق هذه العوامل الوهمية المتعلقة بقوم أو

عشيرة أكثر مما هي متصلة بحركة لسانية شفوية لا حدود

لفضائها الرحب في سماء الجزيرة العربية كلها .

وعلى الرغم من تلك الظروف الوقتية ، والتي كانت

في مجملها قاسية بين المجتمع العربي الجاهلي ،فانه مقابل

ذلك لم يكن بوسع هذه القبيلة أوتلك أن تخلق تعبيرا جوهريا

عن تلك اللغة العفوية المشتركة التي كانت تعتبر كارث

جماعي ، أما التباينات فكانت تقوم غالبا في طرق التواصل

كـكلام فردي غيرخاضع للمراقبة القواعدية ،وهذا شيء

طبيعي في بيئة تعيش على عفويتها وطبيعتها ،ومن هنا نرى أن المدونة ستكون متعددة تعدد التعابير التي اعتادت كل فئة كلامية التلفظ بها على نحو مختلف في مختلف العناصر التركيبية.

وبالنسبة للهجات العربية الباقية التي تشكل المدونة الكلية لهذه الدراسة ، فانها على تباينها ، لا تشكل في حقيقة أمرها الا هذه اللغة العربية الفصحى ذاتها،والتي تمثل الأساس الشفوي لها ولمتكلميها في باديتهم كحاضرتهم ،،ولما كان القرآن حولها حالا الى لغة حضارية مكتوبة ،وذلك منذ عهد النبي (ص) .

واذا كان لدينا ميل الى رؤية هذه المدونة بنظرة سانكسية أومنهى سانكسي بدل رؤيتنا اياها بنظرية سانتكسية ،فلأنه يوجد أكثر من نظرية تتناول هذه الظاهرة المتصلة بدراسة التراكيب اللغوية حسب وجهة نظر بعض اللسانيين المعاصرين مثلما ذهب الى ذلك جورج مونان الذي كرر هذا المشكل أكثر من مرة (1) .

ان وجود أشكال لهجية باعتبارها لغة منطوقة والتي لها معايير نوعية مقابلا للغة العامة ،لا يستطيع دارس مهتم بالموضوع أن يردها ،وذلك منذ ظهور بعض الأنماط اللسانية

(1) انظر مثلا : Clefs pour la linguistique générale p 80 et 109, G. Mounin. Ed Seghers _ Paris 1971.

التي شرعت تفرض وجودها وسط الحقل المعني، حيث كان اللسانيون العرب القدماء يمارسون بقسوة أشغالهم في علوم اللغة، لكن هذه الأشكال اللهجية المنشقة أو المتمردة مثلما كانت عقبات أمام هؤلاء اللسانيين المتصلبين، فإنها كانت في الآن ذاته نبراسا كثيرا ما أضاء السبيل لقراء القرآن بوجه خاص، فضلا عن ذلك أنها واجهت اللسانيين أنفسهم حيث منحتهم معلومات لا يستهان بها فيما يخص بعض التخريجات اللغوية عموما منها والسانتكسية خصوصا.

وعلى ضوء هذه الأشكال اللهجية المؤسسة بكيفية متشابهة أو متباينة تماما، فإنه محتوم علينا قراءة ما أمكن من هذه الجمل والتراكيب التي تتضمن معايير سانتكسية متميزة، وهذه القراءة تشترط الوقوف على المدونات الأدبية القديمة التي اهتمت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بمثل هذه الأنماط اللهجية، ومن هنا أجد نفسي غير متحمس بشكل مفرط لنظرية على حساب نظرية أخرى تفاديا لكل احتمال ممكن لأي تعسف لساني قد يكون ربما متعارضا جزئيا أو كليا بالقياس الى طبيعة المدونة المعنية، لا سيما وأن هذه المدونات كانت نتاج لهجي

مستقر ومعطى سلفا .

وهناك حقيقة أخرى لا يمكن اغفالها أو التغاضي عنها تكمن مبدئيا في ذلك النظام الداخلي المتنافر بصور مختلفة لتلك التراكيب، ايماننا منا بأن كل جملة وخاصتها البنيوية، اذ هناك جمل قرآنية، وجمل شعرية، وجمل مركبة أحيانا من كلمات أركيية (ARCHAIQUES) أو موءلفة بقواعد لم تعد مستعملة في العربية الباقية الحديثة، بل منذ المراحل التالية لعهود التدوين ...الخ .

وبكلمة واحدة، فان هناك تداخلا مشتركا بين كل القراءات التي تدعي مبدئيا أنها تتحرك نحوا فاعلا أو ايجابيا، لأننا لا نتصرف في خلق المدونة، ولكننا فقط ملزمون بقراءتها، لكننا قد نصطدم بطواهر تواصلية فيها لم تكن قط في الحسبان . ولذلك فان ما نتمناه أن تظل مدونتنا منسجمة مع قراءة مفتوحة مع كل الآليات التي تتقاطع لبلوغ نفس الهدف، على الرغم من توقعنا من عدم الانسجامات المنهجية كلما تجاوزت القراءة الأحادية لأنه ((لا توجد، بأي حال من الاحوال، نظرية أو وصف يوضح كافة الظاهرة اللغوية، ولا للسان خاص، ولا حتى لقسم من لسان)) (1)، لكن هذا لا ينبغي أن يكون ذريعة للخلط والغموض، لان اللغة لم تعد اليوم في مأزق

---

1) POUR COMPRENDRE LA LINGUISTIQUE P: 15 MARINA YAGUELLO - EDITION SEUIL 1981

لدراستها دراسة داخلية ، وكما قال سوسور : ((ان هدف الألسنية المنفرد والحقيقي انما هو اللغة منظورا اليها في ذاتها ولذاتها)) (1) .

لكن مع ذلك تظل هذه الرؤية السوسورية عالما مثاليا جميلا لا يمكن تحقيقه في أرض الواقع ، وفي كل حال ، لأن وراء كل هدف هدفا ، فمادة اللسانيات في حد ذاتها لكي تتخذ موضوعا للدراسة تصبح هدفا ، لأنه ليس كل ما هو موجود ضمن مستوى التعبير وضمن مستوى المحتوى اللذين قال بهما هلمسليف ينتميان حتما الى اللغة ((لنأخذ على سبيل المثال الاصوات اللغوية في مستوى التعبير ، نلاحظ أن اللغة في واقعها تستعمل عددا قليلا من الأصوات اللغوية ، في حين ان مستوى التعبير مكون من مادة مشتركة بين كل اللغات ، وبأنه من الاصوات التي يمكن النطق بها ، بواسطة الجهاز النطقي الانساني .)) (2)

وعلى العموم فان ما نطمح اليه في التعامل مع مدونة اللهجات العربية الباقية في هذا المضمار هو كيفية الوصول حسب ما تقتضيه المادة من جمع وتحرير وتحليل قد لا يغني ببيانه التمسك بقراءة شكلانية واحدة .

---

1) محاضرات في الالسنية العامة ص : 280

2) الالسنية (المبادئ والاعلام) ص : 248

الفصل الثاني : التقاط المدونة

خلال الفصل الماضي ، حاولنا أن نلمح الى أن اللسانيات يجب ألا تنظر الى المدونة على أساس أنها سجل أحادي للكلام ، لأن المدون كيفما تصورناها فهي ليست انتاجا فرديا بصورة ابداعية مستقلة ،لأنه حتى لو ذهبنا الى أن الكلام انتاج فردي حقا ، فان هذا المتكلم لا يسأل نفسه كيف يتكلم خلال عملية الابداع ،خاصة حين يكون هذا الكلام شفويا ،ولا أحسب أن احدا منا سأل نفسه نفس السؤال وهو يتكلم ، لأن المتكلم يحيل دوما على مرجع جاهز تمت المصادقة عليه ،هذا المرجع هو الجماعة اللغوية الكلية ،وليس معنى هذا أن المتكلم الفرد محكوم عليه مسبقا بالتقليد نسخة طبق الأصل لمن سبقوه ،لكن يعني أن ابداعه لا يخرج عن حدود الفضاء التي تواضعت عليه جماعته اللغوية التي وجد نفسه هكذا يحاكي لغتها .

وهو لا يكون مبدعا الا في اطار هذه المدونة المتواضع عليها ،والتي سمعها من جماعته اللغوية ،وهذه المدونة المسموعة متسلسلة تسلسل المتكلمين وكأنها مجردة من تسلسل خطابا تيا ،مما

يسمح لكل متكلم تال ،من خلال فضائها المفتوح ، وجعلها غير المتناهية ، أن يدعي ،ولو بشكل من الأشكال ، أنه يقول شيئا غير ما سمع أو تلقى من المدونة السابقة عليه زمانا ومكانا ووجودا ،وابداعه يكمن في مقاومته المستمرة بأنه لا يقول الشيء نفسه ، وليس في الابداع ذاته ،والا أليس الوصف الأفضل المعقد هو العمل نفسه على حد قول تودوروف ؟.(1)

وكم كان قول ملارمي الشهير :((اننا لا نصنع الأبيات الشعرية بالأفكار ،بل نصنعها بالكلمات)) (2) جديرا بالاعجاب ،ولربما كان جان كوهين أكثر ممن عبر عن هذه المسألة وضوحا ،اذ يقول :((وعندما يخلق الشاعر ان استعارة أصيلة فانما يخلق الكلمات وليس العلاقة ،انه يجسد شكلا قديما في مادة جديدة ،وهنا يكمن ابداعه الشعري ،فقد أعطيت الطريقة ،وبقي أن تستعمل ،... ان الصور الابداعية ليست جديدة في شكلها بل في الكلمات الجديدة التي جسدتها فيها عبقرية الشاعر لا غير . وقد يحدث ان يعاد استعمال بعض هذه الانجازات فتسقط لذلك الى مستوى الاستعمال . نحصل حينئذ على هذه الصور الاستعمالية حيث الشكل والمادة ، العلاقة والكلمات متوفرة سلفا)) (3)

---

1) الشعرية ص :21 تودوروف (ط:1987 دار توبقال للنشر ـ المغرب)

2) بنية اللغة الشعرية ص : 41 جان كوهن (ط:1/1986 دار توبقال ـ المغرب)

3) م.س.ص : 44 ـ 45

وفي اعتقادنا أن سماع مدونة يختلف اختلافا بينا عن قراءة لمدونة أخرى أو حتى لتلك المدونة نفسها ، فالملتقط لمدونة سماعا لا يسعفه الوقت أو يمهله لتبديل سماع بسماع آخر ، ويجد نفسه مضطرا بين حالتين : القبول أو الرفض ، ويتوسط هاتين الحالتين أوصاف أخرى كثيرة كالتحفظ ، والتردد ، والقياس ، والاستشهاد بسماعات أخرى تتفاوت نسبتها بين القلة والكثرة ، بين الاطراد والشذوذ ... الخ .

وفي تقديرنا أيضا أن سماع مدونة لا يبتعد عن ظاهرة التبليغ أو التواصل اللساني العام بين الفئات المتكلمة للغة أصلية أو مكتسبة ، ومما يراه جيرولد كاتز أن التواصل اللغوي ينحصر اجمالا ((في انتاج فونيم سمعي خارجي بامكان الجميع ملاحظته وتقوم بنيته الصوتية والتركيبية بارسال أفكار المتكلم وآرائه الحميمية والذاتية ، وفي التقاط البنية الفونيتيكية والتركيبية التي تقدمها هذه الظاهرة الفيزيائية التي يقوم بها متكلمون آخرون على شكل خبرة ذاتية حميمة لنفس الأفكار والآراء)) (1)

وان سماع مدونة ما يفترض في ملتقطها سلفا أن يتقن

---

1) الألسنية ، (قراءات تمهيدية) ص : 79

يكون متقنا لقواعدها وطرائق وعادات استعمالها حتى تكون هذه العملية ممكنة منذ البداية بين الباث أي صاحب المدونة الأصلية وبين المتلقي أي المستمع ((وبما أن التواصل اللغوي سار يكون المعنى الذي يقرن به المتكلم الأصوات هو نفس المعنى الذي يقرن به المستمع الأصوات نفسها ، عندئذ يكون من الضروري أن نستخلص من ذلك أن متكلمي لغة طبيعية معينة يتواصلون فيما بينهم في لغتهم ، لأن كلا منهم يمتلك بصورة أساسية تنظيم القواعد نفسه ، ويتم التواصل لأن المتكلم يرسل مرسلة عبر استعمال نفس القواعد اللغوية التي يستعملها المستمع اليه لكي يلتقطها)) (1) .

لكن كيف يتم التقاط هذه المدونة ، بصرف النظر هنا عن العوامل الخارجية التي كانت تتم فيها هذه المدونة ؟ وهل الأمر متعلق بالسائل أولا والمسؤول ثانيا أم العكس هو الأنسب أو الأصح ؟ وبعبارة أخرى من الراغب في التكلم من الراغب في الاستماع ؟ ... لا نريد هنا أن نسبق الأحداث لاعطاء توضيحات ميدانية لهذه الاشكالية ، لان الفصل الثالث القادم ربما سيوضح بعضا منها ، ونبقى في الميدان الداخلي لنشير الى أن المتكلم يختار مرسلة حسب المقام أو الغرض المثير له ليدفعه الى التكلم ، وذلك لأسباب ليست مناسبة من الناحية اللغوية ، وهذه المرسلة

---

1) السابق ص ; 82

يريد ارسالها ((الى الذين يستمعون اليه : فكرة يريد أن يلتقطوها ، أمر يريد أن يعطيه اليهم أو سؤال يريد أن يطرحه عليهم ، ويتم ارسال هذه المرسلة على شكل تمثيل صوتي للكلام بواسطة تنظيم قواعد لغوية يمتلكه المتكلم ، وهذا الارسال يصبح اشارة لأعضاء المتكلم النطقية ،فينطق المتكلم بكلام يتخذ الشكل الصوتي المناسب ، وهذا الشكل الصوتي تلتقطه بدورها أعضاء المستمع السمعية ... يلتقط هذا التمثيل بواسطة التنظيم المعادل للقواعد اللغوية والعائد الى المستمع ، عبر تمثيل للمرسلة نفسها التي اختار المتكلم أن يرسلها منذ البداية ،ولأن المستمع يستعمل تنظيم القواعد نفسه الذي يستعمله المتكلم للارسال)) (1).

وتتم عملية التواصل في هذه الحاله بين المتكلم والمستمع على النحو التالي :

المتكلم		المستمع
دلالات	اشارات صوتية	دلالات
↓		↑
تلفظ		تسمع

(دائرة)

---

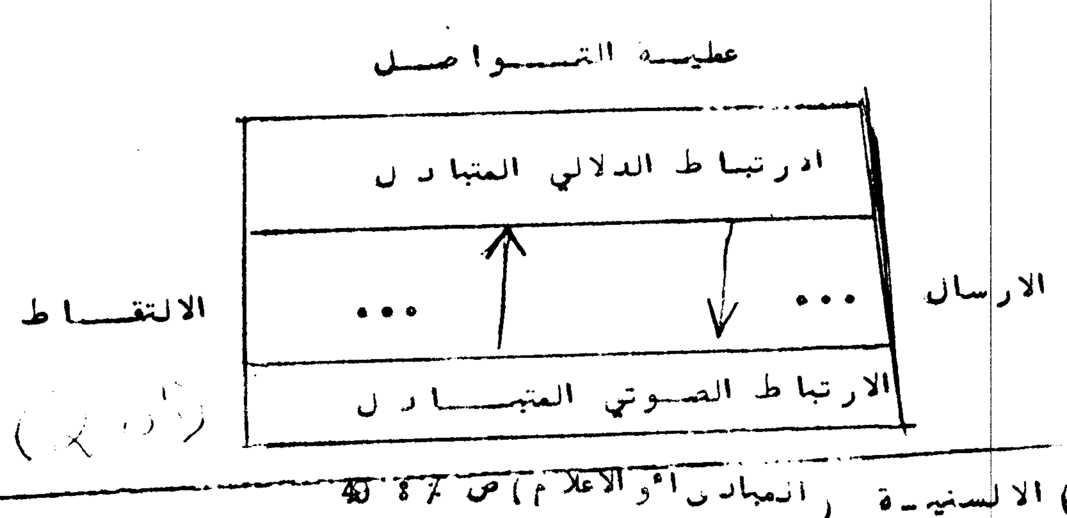
1) م.س.ص : 82 ـ 83

ان الجدول السابق يبين عملية التواصل بين الدلالات التي تنتقل من المتكلم الى ذهن المستمع عبر الاشارات الصوتية ، وفي هذه الحالة يقوم المتكلم مقام المرسل ، بينما يقوم المستمع مقام الملتقط أو المتقبل .

وعلى الرغم من تباين دور المتكلم والمستمع يرتبط الاستماع والتلفظ بعضهما ببعض من خلال تعاملهما مع الاشارة الصوتية الواحدة . فيتوافق ، في الدماغ ، النطق بأصوات المقطعة والانطباع السمعي الذي تعطيه الاذن للانسان نتيجة هذا النطق ، نسمي هذا التوافق بين النطق والاستماع بالارتباط الصوتي المتبادل ((corrélation phonétique)) (1) . بينما يسمى التوافق بين الدلالات في ذهن المستمع وفي ذهن من يرسل له تلك المرسلة بالارتباط الدلالي المتبادل (corrélation sémantique) .

وبناء على الترابط الصوتي المتبادل من جهة ، والترابط الدلالي المتبادل من جهة ثانية بين كل من المرسل والمرسل اليه ، فان الجدول أو المخطط السابق يمكن أن يحوّر على الشكل :

عمليــة التــواصــل



(1) الالسنية (المبادئ والاعلام) ص 40

وقبـــل وصف عملية الالتقاط لدى السامع وهو ينصت بكيفية مباشرة أو غير مباشرة أي بتوظيف عوامل خارجية أو يكتفي بما يصله بالمتكلم من ارتباطات لسانية داخلية كالتبادلين : الصوتي والدلالي ، بودنا لو نشير الى أن عملية السماع بين جامع اللغة وبين منتجها أو المتلفظ بها كانت تتم ، حسب تصورنا كالتالي :

هـــو ← مصدر السماع ومرسل أول للسماع

أنـــا ← ملتقط السماع ومرسل ثان للسماع

أنـــت ← المرسل اليه السماع

ان الضمير الشخصي الأول (هـو) يجسد الأعرابي في باديته ، والضمير الشخصي الثاني (أنا) يمثل الراوي عن الأعرابي ، وأما الضمير الثالث (أنت) فيمثل المستمع الثاني أو المسجل عن الراوي .

لكـن هذه الضمائر لا تثبت على حال واحدة ، فالضميران الشخصيان : الثاني (أنا) والثالث (أنت) هما بدورهما يصبحان سامعين ، لكن أولهما (أول هذين الضميرين (أنا)) أقرب الى الأصل من الثاني (أنت) ، ثـم تتكرر الضمائر الثلاثة عبر الزمـن ، بحيث تتشابك دون أن تفقد طابع التقاطع والتعاضد :

هــــو ، أنـــــا ، هـــــو

أنـــــا ، أنـــت ، أنـــــا

هــــو ، أنـــت ، أنـــــا

... الخ

والسماع عملية متزاوجة بين المرسل والمرسل اليـه ، فهـي فـي سلسلتها الصوتيـة تمثـل شكلا أفقيـا ، و تلفظ الباث بها عبر السلسلة الكلامية يحولها الى شكل عمودي :

(تلفـظ الباث بهـا)

السلسلـة الصـوتيــة

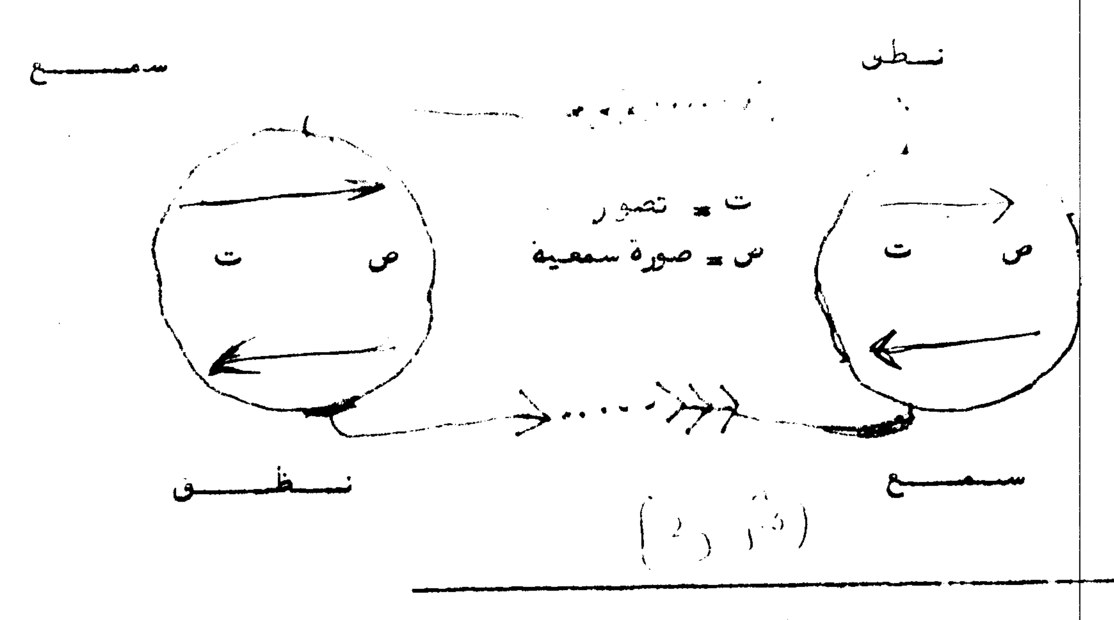
لـكن عملية التلفظ هذه لن تلبث أن تتحول الى خط أفقـي ، والتلقـي لهـا الى خـط عمودي :

(تلقـي هذا التلفـظ)

عمليـة التلفـظ

وإذا أردنا أو حاولنا على الأقل أن نتصور اليوم كيف كانت تتم تلك العملية بين الراوي والمروي له ، فإن الوقائع اللسانية كانت تترابط بينهما وفق تصورات ذهنية نعبر عنها بصور سمعية مستخدمة لهذا الغرض ((فالدماغ ينقل إلى أعضاء النطق ذبذبة ملازمة للصورة ، ثم تنتشر الموجات الصوتية من فم المتحدث (أ) إلى أذن المتحدث (ب) في اتجاه معاكس : إذ يتمم الانتقال الفيزيولوجي للصورة السمعية من الأذن إلى الدماغ ، وفي الدماغ نفسه يعقد الترابط النفسي بين هذه الصورة والتصور الذي يقابلهما)) (1) .

ويتصور دي سوسور عملية التواصل بين المرسل والمرسل إليه أو بين النطق والسمع :



---

1) محاضرات في الألسنية العامة ص 23

ويبـــــد وان مخطط سوسور السابق يمزج بين الكلمة في شكليها التصوري وصورتها السمعية وبين هذه الكلمة نفسها ومن يلفظها ويستقبلها ،لأنه لا يمكن فهم فكرته هذه الا باحالتها على المرسل والمرسل اليه ،ولا تخص احدا منهما دون الآخر فضلا عن أن تخص الكلمة وحدها بين كيانها الصوتي وانعكاسه كصورة سمعية في ذهن المتلقي ،حتى كأن المتكلم ينوب عن السامع على الرغم من أحدا منهما لايقوم جوهريا مقام الآخر ،لان المتكلم لا يفكر لحظة واحدة في الكيان الصوتي أو الدال بقدر ما يفكر نفسيا في التلازم بين هذا الكيان الصوتي وبين ما يدل عليه ،وهو الأهم ،انطلاقا من أن المدلول لا ينبغي أن يكون اعتباطيا ، وهذا دون أن نهمل القول بأن الكيان الصوتي المنعكس في ذهن السامع أو الملتقط هو كيان صوتي فيزيائي وفي الوقت نفسه كيـــان صوتـــي فونولوجي .

على أي حال ، ان عملية التواصل بين الراوي والمروي لـــه لا تعدو أن تخرج عما هو مألوف في عملية التواصل العادية ، والتي وضحتها اللسانيات منذ أمد بعيد ،حتى وان كان منطلقها العلمي لم يتبلور الا في هذا الغرض بشكل جلي بفضل المعلومات

الغزيرة التي قد متها علوم الاتصال وعلوم أخرى الى اللسانيات المعاصرة ، وهكذا فان عملية التبادل للتواصلات بين الراوي الأصلي والمروي الأول له كانت تقوم ، حسب مخطط سوسور السابق ،على مايلي :

1) المتكلم ،بفعل اثارة للكلام ، يتصور الفكرة ويرفقها بصورة ذهنية للفظة التي تعبر عن ذلك التصور .

2) يتكفل المتكلم بنطقها .

3) تنتقل اللفظة بين هذا المتكلم وسامعه عبر الاشارات الصوتية

4) يلتقطها السامع بصورة نهائية حيث ينتهي تملص المتكلم منها .

5) يتكفل المرسل اليه أو السامع بتفسيرها من حيث هي صورة صوتية فونولوجية بصرف النظر عن صفات أصواتها أو احدى العاهات التي يمكن أن تكون في المتكلم بها ،لأننا هنا نفترض سلفا بشكل غير قابل للجدل بأن المدونة المسموعة من هذا السامع متواضع عليها بينه وبين من أرسلها اليه ، اذ لا يعقل أن تتم هذه العملية بيني وبين متكلم صيني اذا كنت أنا لا أفهم الصينية .وحسبنا هنا أن نتذكر قول جيرولد كاتز السبق الذي ينص بوجه خاص على أن متكلمي لغة معينة يملكون بصورة أساسية تنظيم القواعد نفسه ، ولان المتكلم يرسل مرسلة عبر استخدام نفس القواعد اللسانية التـــي

يستخدمها المستمع اليه ،أي لا فرق من حيث المبدأ العام للغة بين قواعد الراوي والمروي له ، ونحن اليوم لا نتصور أدنى تصور بأن الرواة الذين كانوا ينطلقون من حواضر معينة ليتجشموا وعث السفر ومخاطر الطرقات ،وصعوبة المسالك ،... من أجل تعلم قاعدة من أعرابي متكلم في هذه المنطقة او تلك ، ولا حتى لتعلم جملة أو جمل من الكلم .. ولله در سوسور اذ يقول : ((ان الجزء النفسي لا يدخل كليا في الموضوع ، والجانب التنفيذي يظل خارج الموضوع ايضا ،ذلك أن الجزء التنفيذي لا يحدث أبدا عبر المجموعة ، فهو عمل فردي دائما ،وللفرد طغيان دائم عليه ، اننا ندعوه كلاما ... واذا ما استطعنا جمع الصور الشفوية المختزنة كلها لدى الأفراد ، فربما لمسنا الرابط الاجتماعي الذي يشكل اللغة ،انها كنز يدخره الأفراد الذين ينتمون الى مجموعة واحدة ، عبر ممارسة الكلام ، وهي منظومة نحوية موجودة بالقوة في كل دماغ ، ...)) (1) .

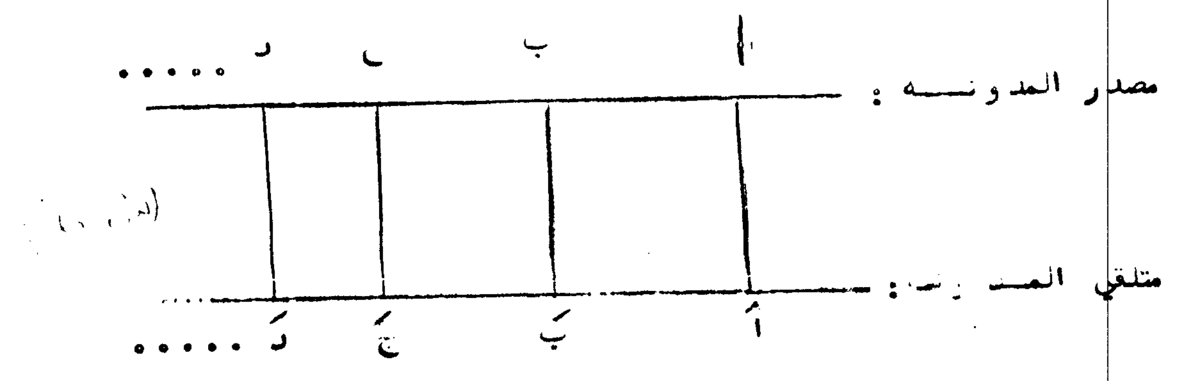
---

1) محاضرات في الألسنية العلامة ص : 24 - 25

يعود سوسور مرّة اخرى الى نفس الموضوع تقريبا حيث يقرر بأن اللغة توجد على شكل مجموعة آثار مرتسمة في كل دماغ على شكل معجم تقريبا ،وتكون جميع نسخه المتماثلة موزعة بين الافراد ومتموضعة خارج ارادتهم بالصيغة التالية : 1+ 1+1+ 1..... = ج (نموذج جمعي)

(المرجع السابق ص : 32)

وإذا أردنا اليوم كذلك أن نتصور تلك العملية الشاقة التي كانت تتم بين المرسل والمرسل اليه أو بين الراوي والمروي لـه ، فإن عملية التواصل بين الجانبين كانت تنجز وفق تعدد مصادر المدونة بالنسبة لتراكيبها ومستويات خطاباتها بالشكل التالي :



فضلا عن التواصل المفروض بشكل اجباري أو طبيعي بين الراوي والمروي لـه ،فهناك أيضا تقاطع حتمي بينهما ، اذ لابد أن يتقاطع ا مع أ ، وب مع بَ ، ...الخ .

لكن عملية التواصل من خلال المدونة المشتركة بين الراوي والمروي لـه ،والتي عرضناها بالشكل السابق تظل مع ذلك ناقصة ، لأنها تغفل على وجه الخصوص القناة والسياق ، وهذان الجانبان الأساسيان في أية عملية من عمليات التواصل أو تبليغ مرسلة معينة لم يأخذ هما سوسور بعين الاعتبار ،لأن اللغة بالنسبة اليه لا توجد فيها الا الصور السمعية ،بل هي مستودع لهذه الصور السمعية (1) ،

لكن جاكبسون قد أصلح تصور سوسور لعملية التخاطب بمخطط آخر

يعده اللسانيون مخططا أساسيا كلما أردنا أن نتواصل أو نكشف سير ولعبة التواصل لدى غيرنا ،ومخططه كما يلي (1) :

السياق
المرسل .... الرسالة .... المرسل اليه
الاتصال
رموز الاتصال
(ش 7)

وبالنسبة اليه أن ((كل واحد من هذه العناصر الستة يعطي نشأة أو ولادة لوظيفة لسانية مغايرة ، ولنقل هكذا على الفور ،بأننا اذا ميزنا ست حالات (Aspects) أساسية في الكلام ، فسيكون من الصعب علينا أن نجد الرسائل (MESSAGES) التي كانت تشغل حيز واحدة فقط ، ان تنوع الرسائل لا تكمن في احتكار احدى الوظائف للأخرى ،بل في اختلاف الترتيب فيما بينها)) ؛ (2) .

وبعد استطراد لساني في بيان كل وظيفة من الوظائف الست ، يجعل لكل عنصر من العناصر الستة في مخططه السابق وظيفة تقابله :(3)

مرجعية
انفعالية ———— انشائية أو شعرية ———— ندائية
اقامة الاتصال
ما وراء اللغة
(ش 8)

---

1) Essai de Linguistique Générale P: 213
R-JAKOBSON Edition de minuit 1963

2) المرجع أعلاه ص : 214

3) م . س ص : 220

ومن المخططين السابقين لرومان جاكبسون نرى أن المتكلم الذي يقابل في مدونتنا الراوي تقابله الوظيفة الانفعالية حتى كأن هذا الراوي لايدلي بمدونته التي يختزنها في دماغه أو جهازه اللغوي الداخلي الا بعد انفعاله ، بينما يقابل المتلقي أو المروي له في مدونتنا المنقولة عبر هذا المتلقي الوظيفة الندائية ، ونلاحظ من نفس المخطط السابق أن المروي له من حيث المبدأ لسانيا لايستطيع أن يواجه مدونته وجها لوجه اذا ماكان مجردا من تواضع كلي أو عرفي مع من ينتج أو يرسل هذه المدونة .

وهذه العناصر الستة هي متضامنة في عملية التبليغ الكلامي ، وعلى ضوئها يمكن وصف عمل المستمع أو المروي له خلال عملية التواصـــل على النحو التالي (1) :

1) يصغي المستمع الى الكلام الموجه اليه

2) يحلل المستمع عناصر الكلام الصوتية بالتوافق مع المهارات الفونولوجية التي سبق له أن اكتسبها من نفس اللغة الموجهة اليه

3) يتقبل المستمع الكلام باعتباره أنه يؤلف جملا صحيحة تماشيا وتنظيم القواعد نفسه والذي بحوزته

---

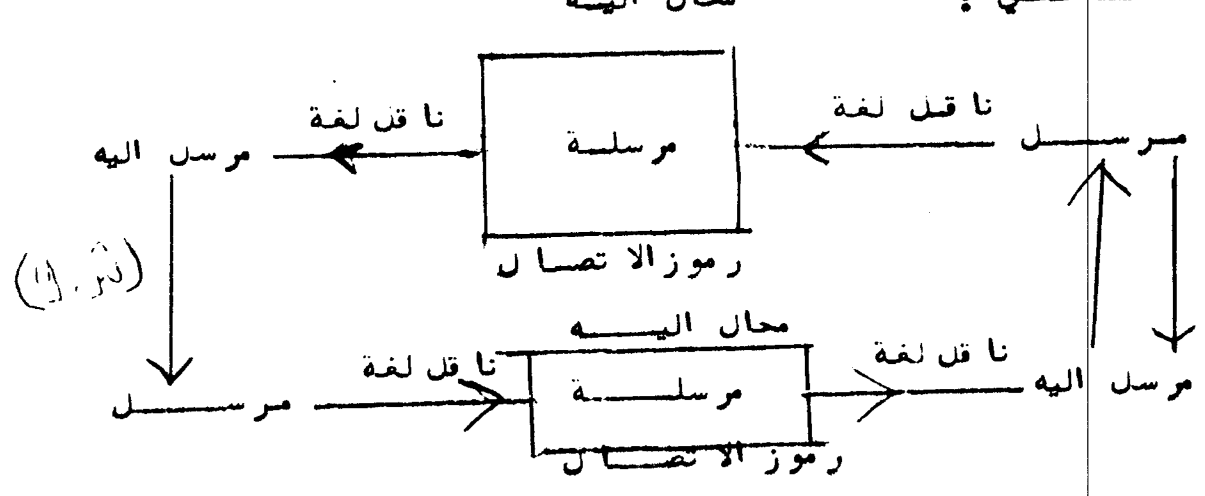
1) راجع : الالسنيـــة (المبادئ والاعلام) ص : 51 ـ 52

4) يتقبل المستمع المدونة الموجهة اليه من الراوي المرغوب فيه حيث يعطيها التفسير الدلالي الملائم بها ، والذي لا يدرك كنهه الا بالتعارض مع مدونة أخرى .

5) يستفهم المستمع هذا الكلام .

6) أخيرا ، يتأكد المستمع من ملاءمة هذا الكلام الذي هو بصدد سماعه نفس التنظيم الذي يعرف في محيطه العام

وعلى ضوء الضمائر الثلاثة السابق ذكرها من هذا الفصل (هو ، أنا ، أنت) ، فانه يمكن تصور النصوص المسموعة بأنها تشكل زمنا للسماع وزمنا آخر للرواية ، وتكون المدونة الملفة قائمة على ما يمكن أن نسميه بالثنائية الزمنية ، لأن السامع والمروي له بعد رغبة وارادة منه بشكل من الاشكال لا يروي لنفسه بل من أجل اقامة صرح لساني أو تفسير دلالي ونحو ذلك ، حتى كأن السامع يقوم بقراءة شفوية فضائية لما ينعكس عليه عركيان صوتي فونولوجي يتفوه به المتكلم أمامه ، وهذه العملية تتم وفق التصور التالي :



ومن المخطط السابق الذي رسمناه يتبين أن هذه العملية كما كانت تجري فعلا عليه شاقة ومعقدة ،لأن المتلقي الأول أي السامع هنا محكوم عليه بأن يتحول الى ارسال مباشر صوب متلق آخر ينتظره شفويا أو كتابيا أو هما معا ،ولذا فان هذا المخطط ليس مكررا بدون جدوى ، وبعبارة أخرى ، فان المرسل اليه ،وهو السامع للمدونة هنا ، يضحي فورا بعد سماعه مرسلا نحو مرسل اليه آخر ،وهكذا ...

ان أول صفحة من كتاب النوادر لأبي زيد الأنصاري نجد فيها ((قال أبو حاتم ،قال لي أبو زيد ماكان فيه من شعر القصيد فهو سماعي من المفضل بن محمد الضبي ، وما كان من اللغات وأبواب الرجز فذلك سماعي من العرب)) (1) ،وقد يعكس هذا القول بعد هذه الصفحة مباشرة ،أي ماكان فيه من الرجز فهو سماعي من المفضل ،وما كان فيه من قصيد أو لغات فهو سماعي من العرب . وبالرجوع الى الشكل السابق نستطيع أن نكتب :

المرسل (الراوي الأول) ← الشعر ← المرسل اليه (المفضل)

المرسل اليه الثالث (أبو حاتم) ← الشعر ← المرسل اليه الثاني (أبوزيد) (ثم مرسل ثان)

(مرسل)

---

1) كتاب النوادر في اللغة ص : 1 (ط: 1894 المطبعة الكاثوليكية - بيروت)

ان الشكل السابق يرسم ما تلقاه سماعا أبو زيد من المفضل ثم ما تلقاه أبو حاتم من أبي زيد، لكن ما سمعه أبو زيد من لغات ورجز من العرب، فانه يرسم على النحو التالي :

المرسل (العرب) ——— لغات ورجز ——— المرسل اليه (ابو زيد)

مرسل اليه (مفترض) .... لغات ورجز ..... مرسل اليه ومرسل (أبو حاتم)

(ش : 11)

والفرق بين الشكلين أن المرسل اليه الثالث في (ش : 10) معلوم وهو شخصية تاريخية، بينما المرسل اليه الثالث في (ش : 11) مجهول، لكنه مفترض اجباريا بصرف النظر عن شخصيته المعينة، والملاحظة الأخرى أنه على الرغم مما حكاه أبو زيد بأن شعر القصيد سماعي من المفضل، الا أن مصدر السماع الأصلي أو الأول واحد، ألا وهم العرب الذين ارتضى جماع اللغة السماع عنهم.

ان ما سمعه أبو زيد وغيره من جماع اللغة عن العرب في بواديهم من شعر ورجز ولغات وأمثال ... لا يعدو في حقيقة أمره نماذج تركيبية لسانية، ولا تمثل الا نسبة ضئيلة

من كلام العرب نوعا وكمية وخطابا ، ولنتصور احدنا اليوم يحاول أن يسجل كلام الناس الذين يعايشهم ويعايشونه في يوم واحد ، وهذا مع تطور وتوفر الوسائل العلمية والمادية التي كانت منعدمة تماما في تلك الفترة التي كان يتم فيها هذا السماع من قبيلة الى قبيلة ، ومن منطقة الى منطقة ، ومن تعبير لهجي الى آخر ، ...

وإذا كان التواصل اللغوي بين الراوي والمروي له يرتكز بين الجانبين على استعمال الرموز المشتركة ، وبوجه خاص على توظيف الدلالات ذات التواصل المشترك بينهما ، باعتبار أن اللغة ما هي الا انتاج متسق لأنواع الرموز والدلالات (1) ، وباعتبار أن الخطاب ((سواء أكان مسموعا أو حديثا داخليا مع النفس هو دائما قول بصدد شيء معين ، وأن هذا الشيء الذي هو موضوع للخطاب يمكن أن يكون واقعا ماديا أو واقعا مجتمعيا أو كيانا سيكولوجيا ...)) (2) ، فهل يستمع او يتلقى المروي له نظام لغة ام جزءا فقط من هذا النظام ؟

---

1) المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث ص : 33 تودوروف وآخرون (ط : 1988 افريقيا الشرق ـ المغرب)

2) م . س . ص : 33

ممـا يبدو أن السامـع لا يتلقى نظاما ولا حتى جزءا من هذا النظام ،لأن اللغة في ذاتها مدونة متعددة الأنظمة ،والأمر يتوقف على أي شيء على المستويات الخطابية التي يتلقاها ،أي على التراكيب اللهجية المتفقة أو المختلفة ،لأنه مهما لبث السامع في البادية ما لبث فانه لا يستطيع أن يحيط بكل التكلمات الفردية التي يسمعها ،بل ربما كلما طال مكوثه بهذا البلد أو في هذه القبيلة قل سماعه أو بعبارة أوضح ،كلما كثر سماعه قل المامه ،لأنه في هذه الحالة يلتجيء الى فرز التراكيب وانتقائها ،ويجد السامع نفسه أمام مظاهر فردية علنية من الكلام لا أمام نظام لغوي قائم بذاته ،ولايمكنه أن يقف على كل التراكمات الخطابية أو الصور الشفوية الموزعه بين الأفراد ...

اننا اليوم بالرجوع الى بعض المدونات المكتوبة في اللغة العربية الفصحى المتشكلة أساسا من اللهجات العربية انها قبة وما بقي مستودعا فيها من مظاهر لهجية عربية بائدة وحتى سامية أقدم مما نتصور ،فاننا نقف على ظاهرة لسانية حقيقية لا تجعلنا نرتاب لحظة بأن هؤلاء الرواد الرواد لم يسجلوا كل ما سمعوا من لغات أو تراكيب لهجية لها بنياتها الطبيعية الخاصة بها ،

ولعل ما يسمى بالنوادر، والشاذ، وما يسمى بالقراءات الشاذة،

... واللغات المذمومة أو الرديئة أو المرغوب عنها، ... يبين

لنا أن أولئك الملتقطين الأولين لم يسجلوا كل ما سمعوا من رموز

ودلالات لسانية بعضها كان لا يزال في طور التكوين أو الانتشار

البطيء بين جماعة لغوية معينة أو مجهولة لدينا اليوم، وبعضها

الآخر أقبر حيث وجد. وهذه المسألة لا تخص العرب وحدهم

بل قد نجدها عند شعوب أخرى سواهم تلك الشعوب التي تعاملت

مبكرا مع الشكل المكتوب على حساب أي شكل آخر شفوي أو سمعي،

وذلك في الأقل على المستوى الرسمي، وما اختراع القواعد لدى

الهنود ثم عند اليونان قبل العرب الا أحد الدلائل على أن هذا

الوضع بين الشعوب قديم قدم الدراسات اللغوية نفسها.

لكن هؤلاء الرواد العرب الذين بادروا الى السماع

تأكدوا بأن اللغة المحكية بواسطة السماع غير مجد اذا لم

تخضع الى الشكل المكتوب، لأن التراكيب المسموعة خداعة اذا لم

تعرض على النظام الكتابي، لأنه النظام الوحيد الذي يكشف حقيقة

هذه التراكيب المسموعة، والتي قد لا يتناسب شكل نطقها لدى المرسل

وشكل سمعها لدى المرسل اليه، وربما كان هذا في العربية أهون

مما نقف عليه في بعض اللغات الأخرى كالفرنسية مثلا، وسبق لنا أن تناولنا هذا الموضوع في اطار آخر مشابه حين تحدثنا عن البنيـة الصوتية فـي اللهجات العربية البائدة ، وما دام الأمر هنا متعلقا بسماع المدونة من لغة حية لا ميتة، فانا نرى من المناسب أن نورد بعض الأمثلات الأخرى التي تكشف اختلاف اللغة المسموعة عن طبيعة شكل اللغـة المنطوقة فصلا عن اللغة المكتوبة .

1) بين المفرد والجمع : (1)

نسمـــــع		نكتـــــب
son fis	(ولده)	son fils
ses fis	(أولادهم)	ses fils
son enfan	(طفله)	son enfant
sézanfan	(أطفالهم)	ses enfants

2) في الفعل المركب المصرف مع كان :

نسمـــــع	نكتـــــب	
je parlé	je parlais	(كنت أتكلم)
tu parlé	tu parlais	(كنت تتكلم)
Il parlé	Il parlait	(كان يتكلم)
Nous parlyon	Nous parlions	(كنا نتكلم)

---

1) راجع : Les Langues vivantes P. 85, 88 Jean Guenot (editions SEGHERS Paris 1971)

نسمع	نكتب
vous parlyé	vous parliez (كنتم تتكلمون)
ils parlé	ils parlaient (كانوا يتكلمون)

ان النهايات الثلاث للفعل المركب في اللغة الفرنسية هنا (تكلم) متباينة في ثلاث حالات :

1) é

2) you

3) yé

فالضمائر الوحيدة هي التي تقوم بازالة بعض هذه التناقضات بين اللغة المسموعة والمكتوبة ،اذ لا يوجد أي فرق في مجال السماع لدى المرسل اليه بين (Il parlait) و (je parlais)،وكذلك بالنسبة للباقي ،ولذلك فان قول سوسور بأن اللغة عبارة عن مستودع للصور السمعية ،وأن الكتابة هي شكلها المحسوس[1] لا ينبغي تعميمه على كل الصور المسموعة بما فيها الفرنسية التي كان يتقنها هذا الرجل ، وفي العربية هل الكتابة شكل محسوس للصور السمعية : هذا ،هؤلاء ، لكن ،... كانوا ، ...؟؟

وهذه الأشكال المتعارضة سماعا وكتابة والمتفق عليها في الآن

---

1) محاضرات في الالسنية العامة ص : 27

ذاته دلاليا ،فالى أي فرع تعود من اجل دراساتها وتتبعها ؟ الى علم الأصوات أم الى علم الفونولوجيا أم ندعه للدراسات المورفولوجية أم ليس الى هذا ولا ذاك ونترك الامر على حاله للخطوط الشكلية أو الرمزية تضطلع به ؟

من الصعب جدا أن نجيب على هذه التساؤلات ،لكن من العدل بمكان أن نذكر ما أوردناه من بعض نصوص ابن درستويه حيث وقفنا على ماقد يجيب على بعض هذه التساؤلات ،من هذا قوله ((لأن الهجاء يلحق الكلام غير المكتوب أيضا،... ووجدنا كتاب الله عزوجل لا يقاس هجاؤه ولا يخالف خطه ،ولكنه يتلقى بالقبول على ما أودع المصحف ، ورأيت العروض انما هو احصاء ما لفظ به من ساكن ومتحرك وليس يلحقه غلط ولا فيه اختلاف بين أحد)) (1)

على أي حال ،ان الدراسات اللغوية الأولية تنشأ عن تأملات في اللغة المحكية الباقية عبر عامل السماع المتبادل بين متكلميها ((وذلك أن اللغة المحكية أو المنطوقة ذات قوانين يراعيها المتكلم بدقة ،ويصدر عنها في كلامه ،ولكنه لا يشعر بالعناء ، بل انه لايكاد يفكر فيها ،لأنها عنده لا تزيد على عادات اعتادها

---

1) كتاب الكتاب ص : 16

منـــذ أن تعلم اللغة من المحيط الذي حوله ،وعمل اللغوي أن يكشف عن تلك القوانين المرعيــة ،وأن يوضح القواعد التي يتقيد بها المتكلم الأصيل... وعلــى هذا ،يكون السماع عملية صعبة ،فهو مجموعة من الأعمال ،تبدأ بالتأملات ،وتنتهي بالكشف عن القواعــد ، ويــدوم بين البدء والانتهاء التصنيف ،والتقسيم والاستقراء ،على أن السماع لا يقف عند حدود الاستنباط ،بل تناط به أعباء أخرى ، ومن غير العسير تحديد المهمات التي توكل اليه))(1).

ان السماع عند العرب كان يتم وفق المدونة الشفوية التي كانت تنطق على علاتها ،وأما المروي لــه فانه كان يعتمد منهجين في سماعه :

1) الاستقراء القائم على وصل ما يسمع من تراكيب لا متناهية لكنها متشابهــة من حيث قواعدها لا من حيث خطاباتها ومستوياتها ، لأن السامع كان يصطدم بلهجات جغرافية ،ولهجات اجتماعية ، ... فضــلا عما كان يلاحظه من تكلمات متنوعة لم يجد لها في عجالته وهو في البادية تفاسير لسانية منتظمة صارمة ،اذ علاوة على النوعين السابقين من السماع الذي يصطدم به ،فانه كان يصطدم بتلك التكلمات التي ترجع الى لغة واحدة ،كأن يلاحظ أن لغة ل تحتوي على

---

1) اصول النحو العربي ص: 15 - 16 د.محمد خير الحلواني (ط: 1979 مطبعة الشرق - لحلوح - حلب)

لهجات متنوعة مثل لهجات :

ل 1 ، ل 2 ، ل 3 ، ... ، ل ن

هذه الأضرب من اللهجات على الرغم من انتمائها بشكل من الأشكال الى اللغة الواحدة (ل) ، فانها تختص بخصائص نحوية أو صوتية أو صرفية ، ... مستقلة .

ومن غير شك أن المروي له في اطار المنهج الاستقرائي كان يجد نفسه أمام مواقف :

آ - من ناحية يسمع النص أو المدونة

ب - من ناحية أخرى يسجلها أو يحفظها

ج - من ناحية ثالثة يعرض مرة أخرى في هدوء وموازنة ما سجل أو حفظ

د - يعمد الى استخراج القواعد

وبعد هذه الانجازات تأتي مرحلة اصطدامات بغيره من المرويين لهم الذين عاصروه ورووا من منطقة أو مصدر سماعي يخالف مصدر سماعه هو ، أو من المرويين لهم الذين جاءوا بعده ورووا على شيوخ يختلفون معه ، وهنا يكون السماع مرة أخرى مصدرا من مصادر التمذهب والتفلسف مثلما كان مصدرا أساسيا في نشأة الدراسات اللغوية ذاتها .

٤) الاستنباط : من خلال المواقف الأولية الأربعة التي يمكن للمروي له أن يعتمدها لاستقراء مادته اللغوية ، فانه ينطلق بعد ذلك الى البحث عن دليل أو تفسير يبرز ما استخرجه من قواعد بكيفية دون كيفية أخرى ، ولا يجد طريقة للبرهنة بها في هذه الحالة غير النهج الاستنباطي ،ومن خلال هذا النهج يحاول أن يستشف البنية اللغوية العامة ومختلف العلاقات الداخلية الكامنة بين عناصر ما زعمه لنا من نموذج أمثال أو قالب ... يجب أن يقاس عليه ويحتذى ،لأنه هكذا يتواتر ويتكرر بين أصحاب اللغة الأصلية.

وهو يلتجيء الى وضع هذا النموذج الأصلي من منطلق ايمانه أن الراوي له أو المتكلم الذي سمعه بوسعه أن ينتج عددا لا متناهيا من الجمل في لغته ،وبعبارة أخرى كان المروي له يدرك تمام الادراك وبوعي كامل بأن وصف أمثال ما يسمع من تراكيب هنا وهناك يوميا من هذه اللهجة أو اللغة يستحيل وصفه بشكل نهائي ما دامت هذه الجمل مرتبطة بالمتكلم وليس بالمرسل اليه ، لأن هذا الأخير ليس من مسؤوليته الحد من الكلام ،ولكن ارادته تتوقف على الاستقبال ،فمن هنا نرى أنه من غير الانصاف أن نختصر شديد الاغترار بأن هذه النظرية بقيت في عالم الغيب الى أن كان رجل في منتصف هذا القرن ليكتشفها ،لكن أولئك اللسانيين العرب

القدماء تعاملوا مع مدوناتهم تعاملا واقعيا مرتبطا بالناحية الفنية والجمالية والظاهرة المثالية ،في حين أن تشومسكي تعامل مع هذه النماذج أو القوالب تعاملا صوريا ورياضيا ، ولولا تمسكه بالعامل الدلالي الى جانب الاستقامة النحوية لكان عمله معادلات رياضية فارغة من أي محتوى .لأن النموذج يجب أن يكون مرتبطا ببنية اللغة من حيث هي وظيفة بيولوجية انسانية لا بكونها بنية فيزيائية ، وعليه ،فان كل مثال أونموذج حاول العرب أن يؤسسوه راعوا فيه موازاته للموضوع المدروس من حيث هو دال على وظائف ،ويمكن بالتالي استخدام هذا النموذج لدراسة أكثر من موضوع واحد .

ان اللسانيين العرب القدماء فرقوا بين أمرين هامين :

1) التكلم أو النطق دون خطأ ،وهو يتعلق بالطبع أو السليقة ....ت ح

2) وصف هذا التكلم .

وعليه فعملية السماع والملتقط للمدونة كان يعنيه الجانب الثاني بالدرجة الأولى ،أما الجانب الأول فلم يكن من نشاطه ،لكن كان مقتصرا على ملاحظته كأن يحدد المصدر السماعي لمنطقة جغرافية أو قبيلة بعينها قبل أن يقدم على وصف هذا التكلم بواسطة ما سمع .

ثم تأتي المرحله الثالثة بعد عملية الوصف لما يتكلم أولما التقطه السامع ، وهي مرحله التقيد خلال عملية الاستخدام لهذه اللغة

في سياق معين ووفق النموذج المعطى الذي رواه السامع ،وهذا لايعني أن المتكلم يظل جامدا لا يطور عطيه كلامه ،لأن مفهوم الكفاءة ،حتى لدى تشومسكي ، ((ليست مستودعا ساكنا من الرموز ، لكنها نظام متحرك من القواعد والنظم)) (1) ،الشيء الذي يسمح بانتاج جمل لا نهائية في كل الأزمنة على مستوى لغة واحدة ، وبالتالي يعطي أو يضفي على اللغة الانسانية طابع الابداع المستمر والمتجدد بحيث لا تتكرر بنفس الأقوال في مجتمع لغوي واحد .

أما النموذج المستخلص من المدونة المسموعة ،فهو غالبا مايراعي الجوانب التالية قبل عرضها على متكلم آخر لاستخدام نماذج فرعية على ضوئها : (1)

1) يجب تحديد العوامل اللغوية التي يجب تفسيرها

2) يجب ايجاد الافتراضات اللازمة لتفسير هذه العوامل

3) يجب أن يكون باستطاعة الأنموذج توقع أشياء يمكن لحظها فيما بعد والتحقق منها

4) يجب التأكيد من صواب وصحة الأنموذج

---

1) علم اللغة : نشأته وتطوره ص : 185 د . محمود جاد الرب (ط : 1985/1 دار المعارف - مصر)

2) الألسنية (المبادئ والاعلام) ص : 166

الفصل الثالث : اشكاليات حول المدونة المسموعة

1) سماع أم رواية ؟

أعتقد أن هناك اشكالية متداخلة بين لفظ أومصطلح السماع وبين لفظ أو مصطلح الرواية ، ذلك ، فيما أحسب ، أن لفظ سيرة الرواية كان موجودا وشائعا منذ العصر الجاهلي حيث كانت كانت هناك مدارس يقوم أفرادها بدور الانشاد والرواية معا ، كمدرسة أوس بن حجر التي امتدت حتى ما بعد الاسلام ، اذ كان زهير راوية أوس وطفيل الغنوي (1) ، وكان الحطيئة تلميذ زهير لأنه كان يروي شعره (2) ،وكان كعب راوية أبيه زهير أيضا ،وهو أمر طبيعي ،بل يذكر أن امرأ القيس كان راوية لأبي دؤاد الايادي (3) ،وأما السماع فهو مصطلح جديد في الدراسات اللغوية العربية المبكرة ،يراد به ماسمع من لغات ولهجات وتراكيب شاذة ومطردة ... ،وعلى السماع وحده كان المرويون لهم يعتمدون في جمع المدونة اللسانية ثم تحليلها ومقابلتها بما يتفق أو يتعارض معها قبل الاقدام على استنتاج قواعدها ثم تسجيلها

---

1) الشعر الجاهلي ص : 107

2) الشعر والشعراء ص : 61 ابن قتيبة (ط: 1902 طبع ليدن)

3) الشعر الجاهلي ص : 107

ومن جهة أخرى ،وكما حاولنا أن نبين ذلك في الفصل الماضي ،

فان هناك فرقا بينا بين الروايه والساع من خلال مصدر المدونة

في ذاتها ،وهي اللغة كما وجدها المستمع أو المتلقي ، و متلقي

نفس المدونة ،ويكون شكلها مرة اخرها كما يلي :

المتكلم .... المدونة .... المتلقي

(ش : 1)

ويشكل أعم يمكن تحوير الشكل السابق كالتالي :

اللغة .... النص أو التركيب .... السماع

(ش : 2)

ولربما كانت الضمائر الثلاثة المشار اليها أيضا في نفس الفصل المشار

اليه أعلاه يمكن تصورها بوجه أو بآخر مع الشكلين السابقين

وكم كان ابن خلدون مصيبا حين قرر أن السمع هو أبو

الملكات اللسانية (1) ،لأن جمع المدونة اللسانية ارتكز فعلا على

عملية السماع كما يرتكز حصول هذه المستويات اللغوية التي لا حصر لها

اليوم في عامياتنا على السماع ،ونحن اليوم حين نتصفح كتاب

سيبويه فاننا نجده زاخرا بعمليات السماع المتعددة وبطرق شتى ،

فبغض النظر عن مافيه من ثلثمائة وخمس وتسعين آية من آي القرآن

---

1) راجع المقدمة ص : 546

ففيه تسعة وأربعون وألف من شواهد الشعر، وما لا يحصى من كلام العرب وأحاديثهم (1).

بيد أننا لو أردنا أن نبحث عن صاحب الكتاب لما ظفرنا به مستقلاً بمدارك السماع أو ما ينوب عن سياق هذا المصطلح الذي طوره سيبويه كثيراً، ولم أجد له، فيما أعلم، من تناول هذا المصطلح عنده تناولاً لسانياً مستقلاً، وهو في حاجة إلى مجهودات قراءة وبحث ومقارنة جبارة للوقوف على الدلالات العلمية الحقيقية لهذا المصطلح عند الرجل، على الرغم من أنه في شكله يبدو لنا مفهوماً عادياً (2).

---

1) راجع أصول النحو العربي ص : 17

2) على سبيل المثال راجع كتابه (الجزء الثاني) :

آ ـ السماع عن طريق الاحالة، ص : 21، 27، 29، 65، 67، 71، 72، 74، 78، 96، 97، 101، 110، 111، 113، ... الخ

ب ـ الاستقبال العام ص : 95، 99، ... الخ

ج ـ ربط السماع بمصدره مرفوقاً بالعرب والنحويين ص : 19 ...

د ـ التحفظات ص : 20 ...

هـ ـ السماع العام ص : 45 ...

و ـ سماعات مسندة اليه عن طريق التلقي المباشر ص : 20، 27ـ28، 51، 69، 92، 112، ...

ز ـ سماعات عامة أخرى كأن يسندها الى الغير دون أن يذكر مصدر الراوي الأول أو الراوي الثاني (الخليل مثلاً أو يونس بن حبيب، أو أبو عمرو، أو عيسى بن عمر ...)، وهو قد يستعمل ضمائر مختلفة ...

٢) السمـــــاع و النظـــام الصوتي :

ليست عملية التقصي عملية سهلة ، وهي أصعب أو تزيد صعوبة حين تقترن بالاستقراء الشامل للمدونة بما فيها تراكيبها الخاصة أو ما سمي بالشاذ ونحو ذلك ، ولم يكن بوسع المتقي أن يستوعب كل التراكيب الموزعة عبر المناطق والقبائل والجماعات والأفراد ، لأن استقراء مدونة لغوية واسعة كما للغة العربية ((في قرن واحد أو قرنين أمر دونه مشقات وأهوال ، ولا سيما في تلك الحقبة من الزمن ، وعلة ذلك أن العرب منتشرون في أصقاع متفرقة من الجزيرة ، وأنهم يعيشون قبائل وأفخاذا تمتد خيامهم في صحراء واسعة ، وليس في حياتهم من الحضارة ما يتيح لهم أن يدونوا نصوص لغتهم تدوينا يفيد منه اللغوي في عملية الاستقراء ... أما القرآن الكريم فهو نص لغوي بالغ الأهمية ، وقد رأينا اعتماد اللغويين له في عملية الاستقراء ، ولكنه الى ذلك لم يجمع ظواهر العربية كلها ، ولا بد أن يكون بجانبه نصوص أخرى)) (1)

ومن الناحية الفيزيائية في اصدار الصوت اللغوي من المصدر الذي ينطلق منه هذا الصوت بالنسبة لأعضاء نطقه ، فان

---

1) أصول النحو العربي ص : 81

المسألة تزداد أكثر تعقيدا، لانها مرتبطة بادراك هذا الصوت لدى المتلقي، ذلك أن الأصوات تصدر ((من الانسان فتنتقل أولا خلال الهواء الخارجي على شكل موجات حتى تصل الى الأذن الانسانية، ومنها الى المخ فتترجم هناك وتفسر، فالسمع هو الحاسة الطبيعية التي لا بد منها لفهم تلك الأصوات . ولقد سبق السمع في نموه ونشأته نمو الكلام والنطق، ومزايا السمع يمكن ادراكها مما يلي :

1) ان ادراك الاصوات اللغوية عن طريق السمع يدع سائر الأعضاء حرة طليقة، فيمكن الانتفاع بها في ضروريات الحياة الاخرى.

2) والسمع يدرك الأصوات من مسافة قد لا يستطيع النظر عندها ادراكها .

3) والسمع حاسة تستغل ليلا ونهارا، وفي الظلام والنور .

وأخيرا وليس آخرا استطاع الانسان أن يدرك عن طريق تلك المقاطع الصوتية التي نسميها كلاما، أفكارا أرقى مما قد يدركه بالنظر)) (1) .

وعليه، فان تلقي اللغة المسموعة متأثر بأعضاء النطق عند العناصر التالية :

1) الكلام أو النصوص التي تم انتاجها أو تحقيقها

---

1) الأصوات اللغوية ص: 13 د. ابراهيم أنيس(ط: 6/ 1984 مكتبة الانجلو المصرية)

2) المسمـــوع ، اذ يجب أن نفرق بين الكلام في ذاته وبين سماعه، فهما شيئان مختلفان لا علاقة بينهما الا من حيث كون الكلام المحقق مادة صوتية مسموعة في جهاز أذن المرسل اليه أو السامع .

3) الســامع بنيـة السماع القصدي أو بنية السماع العفوي ،ويهمنا الأول ،حتى وان كان الثاني قد يصير قصديا من غير نيـة مسبقة.

4) المنقـــول ، وهو متعلق بالكلام المسموع ،وهنا تتعقد اشكالية المسموع أكثر ،وتزداد أكثر تعقيدا كلما آلت الى العنصر الرابــع لان السامع الأول لا يسمع لنفسه بل ما هو الا همزة وصل بين المصدر السماعي الأول وبين من سيروون عنه على الرغم من أنهم قد لايتفقون معــه في كل ما سمعوا عنه ،ويمكن تصور هذه العمليــة المتداولة بين هذه العناصر على النحوالتالـي :

الكــلام .... المسموع .... السامع المنقول

(ش : 3)

وهذا الشكــل متناسب والمصدر السماعـــي الأول المصوّب نحومـروي لــه أول ،وأحيانا قد يتعدد المصدر السماعي الأول ويبقى المروي له واحدا ،أوالعكس ،أو قد يتعددان هما معـا .

فمن تعدد المصدر السماعي الأول وبقاء المروي له واحدا ،ما

جاء في الكتاب : ((ولوأن هذا القياس لم تكن العرب الموثوق

بعربيتها تقولـه لم يلتفت اليه،ولكنا سمعناها تنشد هذا البيت جرا ،

وهو قول ابن ميادة المري ،من غطفان :

وارتشن حين أردن أن يرميننا نبلا بلا ريش ولا بقـــــداح

ونظرن من خللِ الخُدورِ بأعينٍ مرضَى مُخالِطِها السقامُ صِحاحِ

وسمعنا من العرب من يرويه ويروي القصيدة التي فيها هذا البيت ،

لـم يلقنـه أحـد هكـذا .

وأنشد غيره من العرب بيتا آخر فأجروه هذا المجرى ، وهـو

قـوله :

حمينَ العراقيبَ العصا وتركْـنَه بـهِ نَفَسُ عالٍ مُخالِطُهُ بُهـرُ)) (1)

---

1) الكتاب 2 / ص : 20 - 21

شرح الابيات (والشرح من هوامش المصدر أعلاه) :

- ارتاش السهم : اذا ركب عليه الريش

- والنبل : السهام ،والقداح : ج قدح بالكسر ،وهو السهم قبل أن يراش

- يشبه الشاعر أشفار هؤلاء الحسان بالريش

- خلل الخدور : فرجها

والشاهد في تركيب الشطر الثاني من البيت الثاني أن الشاعر وصف

أ ونعت ((أعين)) وهي نكرة ،بـ((مخالطها)) وهي معرفة

بنية التنوين وإغفال الاضافة ،ولذلك جرى مجرى الفعل ورفع ((السقام))

ما بعده ،وهذه التحليلات - طبعا - غير متفقة مع قواعد ومنطق اللغة ،

والذي نراه ونطمئن اليه أن هذا التركيب تركيب لهجي أو شائع

بين فئات عريضة من المتكلمين العرب .

ومن تعدد المرويين لهم وبقاء النص موحدا ،ما جاء في الكتاب أيضا : ((وأما الصفة ،فان كثيرا من العرب يجعلونه صفة ، فيتبعونه الأول فيقولون : أهلِ الحمدِ والحميدِ هو ،وكذلك الحمدُ لله أهله : ان شئت جررت ،وان شئت نصبت ،وان شئت ابتدأت كما قال مهلهل :

ولقد خبطن بيوت يشكر خبطة أخوالنا وهم بنو الأعمام (1)

وسمعنا بعض العرب يقول : ((الحمدَ للهِ ربَّ العالمين)) ،فسألت عنها يونس فزعم أنها عربية)) (2)

فأنت ترى أن يونس بن حبيب يتفق في سماعه مع ما سمعه سيبويه من بعض العرب ،وهذا أكثر من أن يحصى هنا (3) .

وليس المهم في الاتفاق أو الاختلاف بين المرويين لهم ،لكن الأهم في طبيعة التركيب المسموع التي قد يتسع لأكثر من وجه ((وزعم يونس أن من العرب من يقول : ((النازلون بكل معترك والطيبين)) فهذا مثل ((والصابرين)) (4) . ومن العرب من يقول : الظاعنون

---

1) علق سيبويه (الكتاب 2/ص: 16) قائلا : ((كأنه حين قال : خبطن بيوت يشكر قيل له : وما هم ؟ فقال : أخوالنا ،وهم بنو الأعمام)) ويقصد بهذا أن الشاعر رفع ((أخوالنا)) على الابتداء بالقطع .

2) الكتاب 2/ص : 62 - 63

3) راجع مثلا بعضا من الاحالات المشار اليها في هامش : 2 ص: 349 من هذا البحث .

4) يقصد بهذه الكلمة ما جاء في سورة البقرة آية : 177 .

والقائلون)) فنصبه كنصب الطيبين ، الا أن هذا شتم لهم وذم كما أن الطيبين مدح لهم وتعظيم،وان شئت أجريت هذا كله على الاسم الأول ،وان شئت ابتدأته جميعا فكان مرفوعا على الابتداء ،كل هذا جائز في ذين البيتين (1) وما أشبههما ،كل ذلك واسع)) (2)

على أي حال ،ان التلقي متأثر الى حد ما بأعضاء النطق أو الارسال والاستقبال بين العناصر الاربعة المشار اليها آنفا ،وقد لا يكون هذا التأثير فيمن سمع أخيرا الا امتدادا من تأثير صوتي نشأ في مصدر السماع ثم استقر فيه منذ طفولته ،لان الانسان ((يحتفظ حتى آخر حياته بمجموعة الحركات التي تعودت عليها أعضاؤه الصوتية منذ طفولته)) (3) ،الا اذا لقن نطقا أجنبيا يقوم مقام النطق البلدي ، والنظام الصوتي كالنظام النحوي كلاهما اذا ما اكتسب مرة بقي يدين باستقراره الى استقرار ذهنية المتكلم (4) .

---

1) البيتان هما لابن خياط العكلي :

وكل قوم أطاعوا أمر مرشدهم الا نميرا أطاعت أمر غاويها
الظاعنين ولما يظعنوا أحدا والقائلون لمن دار نخليها

2) الكتاب 2/ص : 65

3) اللغة ص : 246 فندريس (مطبعة البيان العربي - القاهرة)

4) م.س : ن . ص

ان القراءة المنسوبة لأبي جعفر المنصور في قوله تعالى :

((ألم نشرح لك صدرك)) (1)

بنصب الحاء ليست قراءة مستقلة ، وانما يكون أبو جعفر المنصور قد بالغ في اظهار الحاء مشبعا مخرجها ، فاعتقد السامع أنها فتحها (2) ، والدراسات الصوتية الحديثة أظهرت أن الاسراف في تبيين الحروف والاصوات الحلقية يسلم الى أن يضارع حركة الفتح (3) .

والحاء صوت كالعين ، ولا فرق بينهما الا في أن ((الحاء صوت مهموس نظيره المجهور هو العين)) (4) ، ومخرج الحاء كالعين وسط الحلق ، فعند النطق بأحدهما يندفع الهواء مارا بالحنجرة ، فيحرك الوترين الصوتيين ، ولما يصل الى وسط الحلق يضيق المجرى المار به ، وهذا واضح من نطق أحدنا (ألم نشرح) فانه يستطيع في السكون الكائن على السين من نفس الكلمة ، ولكنه لا يستطيع ذلك مع السكون المرسوم على الحاء ويحس به داخل مجراه أنه

---

1) سورة الشرح آية : 1

2) مغني اللبيب 1/ ص : 377 ابن هشام (مطبعة المدني - القاهرة)

3) أصول التفكير النحوي ص : 4ظ د . علي أبو المكارم
(ط:1973 دار القلم - بيروت)

4) الاصوات اللغوية ص : 88

ينحو نحـــو الفتح شيئا فشيئا ،لا سيما اذا أطال الاسراف في اظهار هذا السكون . لكن هذا التفسير لا ينطبق على كل متكلم ومتقبل ، لان الوصف الصوتي متباين تباين الناطقين والمستمعين ،وهذا في الحالات العادية أو الطبيعية التي لا تعتورها أية آفـة من آفات النطق أو الاستماع ،زد على ذلك أن الصوامت في العربية مصحوبة دوما بمصوتات أو مصوتات سواء كانت قصيرة (مثل الحركات) أو الطويلة (الصوائت الثلاثة) ،والسكون المرسوم على الاصوات الحلقية هو أظهر منه في باقي الاصوات .

وكـــان بودوان دي كورتناي - فيما يبدو - أول من ميز بين الصوت حين يكون تارة صوتا لغويا ،ومرة فونيما كوحدة لغويـة أساسية ((فاللغة في نظره لاتتضمن أصواتا لغوية ، انما تتضمن فونيمات أوتمثيلات صوتية هي وحدات نفسيـــــة وليست ،بالتالي ، وحدات مادية)) (1) ،وهو يميز في حالات ثلاث بين الفونيم :

1) ينظر اليه كنشاط فونيتيكي مركب مكون من مجموعة تمثلات نطقية وسمعيـــــة .

2) الفونيمات تتمايز من حيث مخارجها في الجهاز النطقي

---

1) الالسنيـــة (المبادئ والاعلام) ص 275

3) يصنعها بعضها وزا تشير الى كل نشاط من النشاطات المنطقية

التي تدخل في تكوين الفونيم (1) .

ومنذ القديم فطن العرب ،بشكل أو بآخر ، الى هذه الفروق الصوتية معبرين عنها باصطلاحات مختلفة ((فسموا من يتردد في نطق التاء ((التمتام)) ،ومن يتردد في الفاء ((الفأفاء)) ... وصفة التواء اللسان عند ارادة الكلام سموها ((العقلة)) وصفة تعذر الكلام على المرء عند ارادته هي الحبسة ،وهي أشد من العقلة ، وما يمنع أول كلام الانسان حين يهم بالكلام سموه الرتة (2) ...))

ومثل فتح الأصوات الحلقية ما سمعه ابن جني من عبد الله الشجري أنه كان يفتح حرف الحلق في نحو ((يعدو)) و ((هو محموم)) ،وذكر أنه لم يسمعها من غيره من بني عقيل (3) ، ويؤول العلامة ابن جني هذا بأن من ينطقون بالحروف الحلقية يستهويهم كثرة ما جاء من العرب من تحريك الحرف الحلقي بالفتح ؛ اذا فتح ما قبله في الاسم على مذهب البغداديين ،مثل قول كثير (4) :

لـــه نعــل لاتطبي الكلب ريحها   وان جعلت وسط المجالس شمت

وجاء ((الدهر)) مفتوح الهاء في بيت لأبي النجم (5) ،

---

1) م.س : ن.ص

2) الحركة اللسانية الاولى عند العرب ص : 57

3) الخصائص 2/ص : 9 ابن جني (مطبعة دار الهدى ـ بيروت)

4) م.س : ن.ص

5) م.س : ن.ص

والذي نراه أن الفرق بين التأويل السابق لا حدى قراءة أبي جعفر ،وما حكاه أوسمعه ابن جني من احد بني عقيل ،أن الأول حكم صوتي متغير ،وأما الثاني فهو مظهر لهجي منسوب لقوم بأعيانهم ، هم بنو عقيل ،وقول ابن جني أنه لم يسمعها من غير عبد الله الشجري من بني عقيل لا يقوم دليلا على أن المظهر الصوتي لم يكن شائعا بين غير عبد الله ،وانما الأمر هو ما ذكره ابن هشام اللخمي ((وكل ما كان على (فعل) بالاسكان فانه يجوز فيه (فعل) بالفتح عند الكوفيين ،اذا كان وسطه حرف حلق ،وهو قياس مطرد عندهم ،والبصريون لا يفتحون منه الا ما كان مسموعا عن العرب)) (1) .

ولم تكن مصادر السماع على درجة متساوية في النظام الصوتي ، فقد يعجم مصدر صوتا في كلمة ،بينما قد يهمله مصدر آخر ،وذلك راجع فيما نحسب ، الى ارث كل مصدر لغة المصدر السابق عليه سماعا ،وفق تناوبات تواصلية :

هـو ـــــــــــــ أنـا ـــــــــــــ أنـت

حيث لم تكن هناك كتب ولا معاجم تحافظ على وحدة اللغة الموروثة من جيل الى جيل : رسما واعجاما وضبطا ،ثم كان دور السماع الذي عليه اتكل في التدوين ، حيث دون كل واحد من المتلقين ما سمع ،

---

1) المورد ص : 54 (المجلد العاشر - العدد الثاني عام : 1981)

وأخطر شيء في النظام الصوتي هو التصحيف الذي لا يكون نتيجة لمعطيات سيكولوجية وعصبية تؤدي الى تفكك صوتي ...، بل نتيجة مبادئ سماعية مختلفة ،لاننا نفترض هنا أن عملية التواصل بين السامع والمسموع من جهة ،والناقل والمنقول من جهة ثانية هي عملية لا يشوبها أمراض كلامية ،والا فقد صار موضوعنا شيئا آخر .

من هذا أن أبا عمرو بن العلاء وأبا الخطاب الأخفش قد جمعهما مجلس ،فأنشد أبو الخطاب:

قالت قتيلة ما لـه قد جللت شيبا شواته

فقال أبو عمرو : صحف يا أبا الخطاب ،انما هو سراته ،وسراة كل شيء أعلاه ،ولما انصرف ابو عمرو قال الأخفش الأكبر : ((والله انها لفي حفظه ،ولكنه ما حضره ،)) (1) .

ثم أبى أبو الخطاب الأخفش الا أن يسأل مصادر متنوعة من الأعراب ،فقال قوم : سراته ،وقال آخرون : شواته ،فسلم الرجل بعد ذلك أن كل واحد ما روى الا ما سمع (2).

وفي المصادر العربية القديمة وكتب التراجم اللغوية والطبقات فيها أمثلات كثيرة على هذا الوضع المتميز للنظام الصوتي في التراكيب العربية

---

1) المـزهـر 2/ ص : 363

2) م.س : ن.ص

على الرغم من أن هذا النظام حدث أول ما حدث مسموعا لا مدونا ، وحين نتقدم قليلا نحو عصور التدوين نجد هذه الظاهرة لاتزيد الا استفحالا .

3) السماع بين البصريين والكوفيين :

انما نتجنب الخوض في هذا الموضوع الشائك في كل ما يتصل به من اتفاقات أو اختلافات ، ولكننا لابد من الاشارة الى أن القصد بالبصريين ليس كل البصريين ، ولا القصد بالكوفيين كل الكوفيين ، وانما القصد بالأولين ، فيما نحسب ، ما هم الا الرواد الأوائل من أمثال عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي وعيسى بن عمر ، وأبي عمرو بن العلاء ، والخليل بن أحمد ، ويونس بن حبيب ، ... وكذلك القصد بالمدرسة الثانية ليست الا الكسائي ومعاذ الهراء وأبا جعفر الرؤاسي والفراء ، ....

ان الكوفيين كان محتوما عليهم بحكم التأخير الزمني أن يأخذوا عن البصريين ((وكان لأهل البصرة في العربية قدمة ، وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية)) (1) ، ولأن أبا الأسود الدؤلي ، وهو بصري ، ((كان أول من أسس العربية ، وفتح بابها ، وأنهج سبيلها ، ووضع قياسها)) (2) .

1) طبقات فحول الشعراء السفر الأول ص : 12 ابن سلام الجمحي (مطبعة المدني - القاهرة)
2) م.س : ن . ص

ولكن أهل البصرة بحكم السبق الزمني والعلمي لم يكونوا محوجين الى الأخذ عن الكوفيين ((وكذلك أهل الكوفة كانوا يأخذون عن البصريين ولكن أهل البصرة يمتنعون من الأخذ عنهم ، لأنهم لا يرون الأعراب الذين يحكون عنهم حجة)) (1) ، بل قال أبو حاتم : ((فاذا فسرت حروف القرآن المختلف فيها ، او حكيت عن العرب شيئا فانما أحكيه عن الثقات عنهم ، مثل أبي زيد والأصمعي وأبي عبيدة ويونس وثقات من فصحاء الأعراب وحملة العلم ، ولا ألتفت الى رواية الكسائي والأحمر والأموي والفراء ونحوهم ، وأعوذ بالله من شرهم)) (2)

وأعاد أبو الطيب اللغوي مرة أخرى : ((وأخذ الناس علم العرب عن هؤلاء الذين ذكرنا من علماء البصرة)) (3) .

وقال أبو حاتم في موضع آخر : ((لم يكن لجميع الكوفيين عالم بالقرآن ولا كلام العرب ، ولولا أن الكسائي دنا من الخلفاء فرفعوا من ذكره لم يكن شيئا ، وعلمه مختلط بلا حجج ولا علل ، الا حكايات عن الأعراب مطروحة ...)) (4)

---

1) مراتب النحويين ص : 143 أبو الطيب اللغوي (دار الفكر العربي - بيروت)
2) م.س : ن.ص
3) م.س ص : 122
4) م.س ص : 120 - 121

أما صاحب الفهرست فذكر في ترجمته لأبي زيد الأنصاري احالة على أبي سعيد (1) : ((ولا نعلم أحدا من علماء البصريين في النحو واللغة أخذ من أهل الكوفة شيئا من علم العرب الا أبا زيد ،فانه روى عن المفضل الضبي)) (2) .

وينسب للرياشي أنه قال متباهيا بمصدر سماع البصريين حاطا من قيمة مصدر سماع الكوفيين : ((انما أخذنا اللغة من حرشة الضباب وأكلة اليرابيع ، وهؤلاء (3) أخذوا اللغة من أهل السواد أكلة الكواميخ والشواريز وكلام يشبه هذا)) (4) .

ومن المحدثين نجد الاستاذ سعيد الافغاني بعدما يخلص الى القول بأن السماعيين هم البصريون لا الكوفيون يقول : ((أميل اذا الى أن المذهب الكوفي لا هو مذهب سماع صحيح ولا مذهب قياس منظم ،لكن التاريخ يؤيد وجود المذهبين مذهب السماع ومذهب القياس ،وهما حقا وجدا ،ولكن في البصرة لا في الكوفة)) (5) .

---

1) يظهر أنه أبوسعيد السيرافي المتوفى سنة 368 هـ

2) الفهرست ص : 80 ابن النديم (لم تذكر مطبعة الكتاب ولا زمانه ولا مكانه ...)

3) يقصد بهم الكوفيين طبعا

4) الفهرست ص : 64

5) من تاريخ النحو : 74 ـ 75 سعيد الافغاني (دار الفكر ـ بيروت)

وعلى ما في هذه الآراء وما شابهها من غرابة وعصبية ، من الرأي اللساني العام على الكوفيين الذين لولا هم لضاع تراث لساني لهجي ولساني عام كثير ، فهم الذين مدوا يد الحماية الزمنية لتراكيب عربية عتيقة على الرغم من أن البصريين رغم تحفظهم في ميدان السماع ، فانهم لم يكونوا أقل اهتماما في استقراء المادة اللغوية المسموعة من نظرائهم الكوفيين ، فهذا أبو عمرو بن العلاء كان يأخذ عن أبي عقرب (1) ، كما كان يأخذ عن غيره من الأعراب المارين به ، (2) أو الذين يؤمهم في مختلف أصقاعهم ممن اشتهرت بها ظلهم أن رموا فعهم بالفصاحة وسلامة اللغة ، وهذا الأصمعي كان لا يتردد في السماع عن المنتجع الأعرابي ، وهو طائي (3) ، وأبو عبيدة الموسوعة كان يسأل أبا مهدية الأعرابي ، وهو من باهلة (4) ، وهذا حماد الكاتب يقول : ((كنا نأتي سماك بن حرب نسأله عن الشعر ، ويأتي أصحاب الحديث ، فيقبل علينا ويدعهم ويقول : هؤلاء ثقلاء)) (5) . ويونس بن حبيب كان يسمع من الأعراب وشعرائهم ، وسيبويه اعتمد القواعد العربية العامة التي لا أول لها ولا آخر ، في كتابه على الأعراب ،

---

1) طبقات النحويين واللغويين ص: 31 ، ص: 37 للزبيدي (دار المعارف مصر)
2) م.س.ص : 36
3) م.س.ص : 157
4) م.س : ن.ص
5) م.س.ص : 155

فهو كثيرا ،كما سبق أن أشرنا ، ما يورد : ((سمعنا بعض العرب)) (1)

أو يقول : ((كذلك سمعناه من العرب)) (2) ...الخ ، ومثل من

مضى أبو الخطاب الأخفش الذي كان يسمع من قبائل مختلفة ، كبني

سليم وغيرهم (3) ، والنابغة بن أحمد العالم الذكي الذي دون عشرين

رطلا بالبادية (4) ...

ولا أحسب أن الرعيل الأول من العلماء كانوا كلهم

يعرفون الأعراب الوافدين عليهم من أي جهة قدموا ،والى أي

القبائل ينتسبون ،وكيف هي درجتهم من الفصاحة وسلامة اللغة ،وذلك

لتقدمهم الزمني وثقتهم في لغة البدو كنموذج أسمى يجب أن يحتذى ،

ما دامت السليقة اللسانية لم تكن قد فسدت بعد في هذه المواضع

النائية عن الحواضر الاسلامية الجديدة ،وعلى العكس من ذلك فانهم

كانوا يمتحنون من يطيل الاقامة في الحواضر . أما أحد أقوال ابن

جني : ((فاياك أن تستخلد الى كل ما تسمعه ،بل تأمل حال

مورده ،وكيف موقعه من الفصاحة)) (5) فلا يعبر الا عن أعراب

البدو في زمنه (أواخر القرن الرابع الهجري) ،لا عمن أخذ عنهم

اللغويون الأول من العلماء المتقدمين أي منذ أواخر القرن الأول الهجري .

---

1) الكتاب 2/ ص : 63

2) م.س .ص : 67

3) م.س : 1/ ص : 104

4) أصول التفكير النحوي ص : 22 - 23

5) الخصائص : 2/ ص : 11

4) مصادر المدونة المسموعة :

ان مصادر المدونة المسموعة ،ونقصد بها بطبيعة الحال المدونة المحكية أو الشفوية ، لا تعدو أن تكون أمرين :

آ ـ اما الأعراب البدو في مواقعهم وأصقاعهم

ب ـ واما هؤلاء أنفسهم لكن في حواضرهم لا في بواديهم .

آ ـ ان أوضح المناطق التي لم يكن يتطرق اليها الشك كمصدر سماعي مرخص له أو به من السامعين عموما أوجماع اللغة ،هي بوادي الحجاز ،وتهامة ، لاعتراض الخليل للكسائي بأنه أخذ علمه من هذه المناطق ((ثم قدم (الكسائي) الى البصرة ولقي الخليل ابن أحمد ،وجلس في حلقته ،فقال رجل من الأعراب : تركت أسدا وتميما وعند هما الفصاحة وجئت الى البصرة ،وقال للخليل بن أحمد : من أين علمك هذا ؟ فقال : من بوادي الحجاز ونجد وتهامة ، فخرج الكسائي وأنفذ خمس عشرة قنينة حبر في الكتابة عن العرب سوى ما حفظه)) (1) .

وحسب تقسيم الدائني لجزيرة العرب ،فان الخليل بن أحمد لم يدع أرضا في القبائل الشمالية الا أخذ عنها أوسمع منها ، ما عدا اليمن الأقصى والعروض،لأن تهامة هي الناحية الجنوبية

---

1) نزهة الألباء في طبقات الأدباء ص : 59 ابن الأنباري (... / ... مكتبة الاندلس ـ بغداد)

عن الحجاز ، ونجد ا هي الناحية التي بين الحجاز والعراق ، والحجاز هو ما بين تهامه ونجد ، وأما العروض فهي الناحية المحصورة ما بين تهامة الى البحرين (1) ، واذا ما اعتبرت تهامه قطعة من اليمن (2) ، فمعنى هذا أن الخليل قد سمع من سماك اليمن أو من القبائل المتصلة بالشمال على الأقل .

وكانت هذه المناطق الجغرافية هي المناطق المثلى أو المفضلة عند جماع اللغة ، ذلك ان العلماء أو جامعي المدونة كانوا ينطلقون من حواضرهم كالبصرة والكوفه ثم بغداد ... قاصدين مناطق محددة مسبقا لمشافهة الأعراب بها في عين أماكنهم ، فالكسائي علاوة على النص السابق الذي يبين اقتفاءه آثار أماكن الخليل ، فانه بعد خروجه الى البادية غاب فيها مدة طويلة ((وكتب الكثير من اللغه والغريب عن الأعراب بنجد وتهامه ثم قدم ...)) (3) دون ان ننسى الآخرين - وما أكثرهم - مثل ابي عمرو الشيباني الذي دخل البادية ومعه دستيجان من حبر فما خرج منها حتى أفناهما وهو يكتب سماعه عن العرب ، اذ ذكر ثعلب : ((دخل أبو عمرو اسحق بن مرار البادية ومعه دستيجان من حبر فما خرج حتى افناهما يكتب سماعه عن العرب)) (4) .

1) نهاية الأرب في معرفة انساب العرب ، ص : 16 - 17
2) المسالك والممالك ص : 26
3) معرفة القراء الكبار 1/ص : 100 للذهبي (ط/1966 مطبعة البابي الحلبي ،
... الألباني ...

وفضلا عن ذلك ،فان أبا عمرو الشيباني كان عالما بأيام العرب جامعا لأشعارها ،حيث ذكر أحد أبنائه (عمرو بن عمرو) أن أباه قد جمع أشعار العرب ،فكانت نيفا وثمانين قبيلة (1) ، ويقول فيه ثعلب مرة أخرى : ((كان مع أبي عمرو الشيباني من العلم والسماع أضعاف ما كان مع أبي عبيدة ،ولم يكن من أهل البصرة مثل أبي عبيدة في السماع والعلم)) (2) .

أما النضر بن شميل فزيادة على الأخذ من سماعات من الخليل وفصحاء العرب الوافدين عليه ،فانه ضرب الرقم القياسي في طول غيابه بالبوادي ،اذ يحكى عنه أنه قال : ((أقمت في البادية أربعين سنة)) (3) .

ومر بنا كيف أن أبا زيد الانصاري يقرر في مستهل كتابه (النوادر) أن ما كان فيه من شعر فهو سماعي من المفضل ،وما كان فيه من اللغات وأبواب الرجز فهو سماعي من العرب (4) ،

وأبو عمرو بن العلاء الذي يعد رأسا لمدرسة البصرية يروى في غير مصدر أن ما سمعه عن الفصحاء جعل بيته يضيق كتبا لكثرة ما سجل وألف ، اذ قيل : ((كانت دفاتر أبي عمرو ملأ بيت الى السقف ،ثم انتسك فأحرقها ،

---

1) نزهة الالباء ص : 73

2) م.س : ن.ص

3) م.س .ص : 73

4) راجع ص : 334 من هذا البحث

وكان رأساً في القرآن والحديث، وكان من التابعين، لقي أنس بن مالك، ومر الحسن به وحلقته متوافرة والناس عكوف، فقال: من هذا؟ فقالوا: أبو عمرو، فقال: لا إله إلا الله، كاد العلماء أن يكونوا أرباباً)) (1).

ورحلات الأصمعي الى أعماق البادية مليئة بما يعجب، سمع من لقيهم أو سمع عنهم أو عاصرهم ... من الاعراب، وهو واحد ممن حكى عن بعض رحلاته الى البادية منطلقاً اليها من العراق، فأخذ عن بني الضيداء (2)، وهم حي كبير متسع (من بني أسد)، وكانت أرضهم مما يلي الكرخ من أرض نجد في مجاورة طيء (3)، كما أخذ عن حي ضرية (4)، وهم بنو كلاب في جهات المدينة، وفدك، والعوالي، (5)، ومن المؤكد أنه أخذ عن سهول هذه المناطق، زيادة على ما أخذ وسمع من أعراب البادية بشكل عام من أخبار ولغة وشعر.

أما قصصه مع هؤلاء العرب وغلمانهم فهي أغزر من أن تحصى، وكلها تنبيء بالتهلح من الغربة، والجفاء من العيش في البادية ... ومع ذلك، فان الاصمعي كان يجد فرحة ونسياناً لهذا كله، ان ظفر

---

1) نور القبس ص: 25-26 المرزباني (ط: 1964 مطبعة فرانتس شتاينر بفيسباد ن)
2) أمالي القالي 1/ص: 168 - 171 أبو علي القالي (دار الفكر العربي للطباعة)
3) نهاية الارب ص: 57 وص: 62
4) المزهر 1/ص: 140
5) نهاية الارب ص: 407

ببعض النوادر أو الأشعار التي يتمنى أن يسمعها لاحتوائها على بعض العناصر أو الدلالات أو الأخبار أو الخطابات التي يهرع وراءها جماع اللغة أو لم يكن قد سمعها من قبل من شيوخه كأبي عمرو ابن العلاء ، وعيسى بن عمر ، وخلف الأحمر ، والخليل بن أحمد ، ويونس ابن حبيب ، ...

ومن بعض هذه الرحلات ما حكاه عن نفسه : ((خرجت من مكة فلزمت هذيلا في البادية أتعلم كلامها ، وآخذ طبعها ، وكانت أفصح العرب ، فبقيت فيهم سبع عشرة سنة أرحل برحيلهم ، وأنزل بنزولهم ، فلما رجعت الى مكة جعلت أنشد الأشعار ، وأذكر الأدب والأخبار وأيام العرب ، فمربي رجل من الزبيريين من بني عمي ، فقال لي : يا أبا عبد الله ، عز علي ألا يكون مع هذه اللغة وهذه الفصاحة والذكاء فقه)) (1) ، وينسب اليه في موضع آخر أنه قال : ((أقمت في بطون العرب عشرين سنة آخذ أشعارها ولغاتها ...)) (2) .

واذا ، فمصدر السماع الاول يتبلور في الأخذ عن أعراب البادية الذين كان يقصدهم العلماء ، فيقضون معهم الاعوام ويقاسمونهم عناءهم وشظف عيشهم ... وقد يحتالون عليهم

---

1) الاصمعي اللغوي ص : 42 د . عبد الحميد الشلقاني (ط : 1982 دار المعارف ـ مصر .)

2) م . س : ن . ص

من أجل استدراجهم الى سماع ما يريدون سماعه منهم بطرق وحيل شتى، ثم يدونون ذلك كله في حينه أو يحفظونه ان تعذرت عليهم وسائل الكتابة النادرة في ذلك الوقت، وبالضبط في البوادي، ولم تكن مهمات أولئك العباقرة الذين جاد بهم الدهر للعرب مرة لا مرتين ((في ذلك العصر الا نقل ما يسمعون من العرب مشافهة الى التقييد بالكتابة، فأكثر اللغة كتبت في العصر العباسي الأول لا قبله)) (1)، ولربما جاز لنا أن نتطفل على الأستاذ أحمد أمين بهذه العبارة أو الاضافة: ((لا بعده)) بل الأعراب في الحواضر لا في البوادي فقط:

مما سبق وسيأتي من خلال هذه العنوان يتضح أن الفئة الثانية التي اعتمد عليها في السماع هي فئة متنقلة أو متحركة خلافا للمصدر السماعي الأول الذي كان قارا وثابتا، حتى وان تحرك أو استقر كان ذلك لا يتجاوز الفضاء البدوي أو المحيط القبلي، لكن المصدر المتحرك لم يكن له فضاء معين الا بوجوده في هذه الحاضرة أو تلك كقدوم هؤلاء على البصرة والكوفة والمربد وبغداد ... وأماكن أخرى من الصعب تتبعها واقتفاء آثارها، لأن المشهور منها غلب على المغمور.

---

1) ضحى الاسلام: 2/ص: 256 أحمد أمين (ط: 10 دار الفكر العربي بيروت)

لا أحد ينكر أن سيبويه اتخذ منهجا اعتمد فيه السماع وكما لمحنا من ذي قبل ، لكن من أين سمع تلك المدونة اللسانية التي تكاد جامعة ما نعة بالنسبة للعربية ؟ .

ان احالاته المتعددة وبطرق متنوعة الى شيوخه بأسمائهم حينا وبغير أسمائهم حينا آخر أمر وارد وواضح ، لكن الاشكال يكمن في أقواله المتكررة الأخرى وبتعابير شتى ، والمتضمنة مصادر غزيرة للسماع دون أن يفصح عن أصلها الا نادرا بالقياس الى الكميات السماعية ، اذ لم يفصح لنا كتاب واحد حتى الآن - فيما أعلم - عن رحله واحدة من رحلاته أو سماعه عن العرب في جهة أو حيز قبلي أو فضائي بعينه مثلما عرفنا ذلك عن الخليل والكسائي والأصمعي وغيرهم من الشيوخ اللسانيين (ز و ا ن قيل ان سيبويه قد سمع عن العرب ، وأنه كان عالما بلغاتهم وما فيها من كثرة وقلة ، وما تتصف به من قوة وضعف ، فالقول صحيح ، ولكن معرفته بها وما تتصف به كانت معرفة بما عرفه شيوخه الذين تلمذ لهم أو نقل عنهم ، ولم يكن له باللغات العربية علم سماع مباشر يعتمد على المعايشة والمشافهة ، ولو عرف ذلك معرفة ميدانية بيئية ، وأقصد بذلك معرفة رحلة واختلاط ما وقع في اختلاط ، كان رأيه فيها مخالفا للغات العرب وما هي عليه من شيوع وانتشار في مجالاتها

اللغوية العامة أو مجالها الخاص)) (1) .

ويستنتج صاحب النص أعلاه مما حدث لسيبويه مع الكسائي في المسألة اللغوية المعروفة بينهما أن الرجل أي سيبويه لم يسمع عن العرب ،بل سمع فقط من شيوخه ،لأنه لو شافه العرب ما كان خلافه مع الكسائي (2) .

إننا لمسنا فيما مضى من هذا البحث أننا لو أردنا أن نظفر بسيبويه متمثلا لنا ،فإننا لن نظفر به خارج السماع أو ميدانه ، دون أن ننكر ما نقله عن شيوخه ،لكن الاشكال بالنسبة لنا ليس في سماع سيبويه ، لأن هذا أمر ثابت ووارد والا أبطلنا مستويات لغوية لا حصر لها في كتابه ،وانما في طريقة وكيفية سماعه : أسمع من أصقاع عربية خارج الحواضر أم اكتفى بالسماع عمن ورد من الأعراب الى الحواضر وأطرافها ؟

---

1) سيبويه جامع النحو العربي ص : 35 -36 د.فوزي مسعود
(ط: 1986 الهيئة المصرية العامة للكتاب)

2) م.س ،ص : 37

كما هو واضح أن صاحب هذا الرأي يتحامل على سيبويه تحاملا غير مبرر، لأن الخلاف الذي وقع فيه مع الكسائي خلاف العلماء ،وهو قائم على ما كان يعرفه سيبويه من كثرة الشواهد في المسألة المطروحة ،وهو مذهب البصريين ،لكن الكسائي بحكم مذهبه الكوفي قاس التركيب على النصب أيضا مثلما قاسه على الرفع (راجع : طبقات النحويين واللغويين للزبيدي مثلا ص: 68-71)

اذا كان سيبويه لم يسمع من البوادي ، أو أن كتب الطبقات والتراجم لم تذكر ذلك السماع فانه قد سمع من علماء تملكوا سطق هذه البوادي ، فضلا عما سمع من أفواه العرب الأقحاح وشعرائها بصرف النظر عن المكان الذي سمع فيه ، لأن أحدا من القدماء لم يجرؤ على الطعن فيما سمع الا في قليل من الاحرف ، وهي هفوات لم يتسام عنها عالم لغوي واحد بمن فيهم شيوخه ، فهذا الرياشي يقول : ((حدثني الأخفش (1) قال : كان سيبويه اذا وضع شيئا من كتابه عرضه علي وهو يرى أنني أعلم به منه ، وكان أعلم مني ، وأنا اليوم أعلم منه)) (2) .

ومن الصعب الحكم على سيبويه بأنه سمع من الفئة الثانية أو مصدر السماع المتحرك دون مصدر السماع المستقر ، ومهما يكن فان مصدر السماع المتحرك كان يتجلى في رحلة الأعراب الفصحاء الى البصرة والكوفة وغيرهما من مدن العراق ، وكانت لهجات هؤلاء البدو سليمة صحيحة ، لم تشبها بعد شائبة من الخطل والفساد لقربها من المنبع اللساني الصافي المنيع من الامتزاج الأجنبي الذي

1) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي المتوفى سنة 225 هـ
2) مراتب النحويين ص 112

يؤدي حتما - اذا طال - الى فساد السليقة اللغوية الأصلية وتطوير اللغة تطويرا مزيجا من لهجات شتى ،وكان هؤلاء الأعراب يرحلون الى الحضر اما انتجاعا للكسب أو التماسا للعلم ،أو لأمور وزيارات أخرى ،وقد نزل بعض بطون قيس عيلان بظاهرة البصرة (1) ، وكان من ينشأ من الحضريين بين أحضان البدو لا يلحن في العربية ،مثل بشار بن برد الذي نشأ في بني عقيل ،ويحكى أن نساءهم كن أفصح من رجالهن (2) .

ومن الأعراب الفصحاء الذين أخذ عنهم العلماء مع اختلاف أصقاعهم وتباين أوقاتهم في الحواضر : (3)

1) أبو فارس بن لقيط ،كان يجلس على مكان عال ،فيجتمع اليه ويؤخذ عنه .

2) أبو البيداء الرياحي وهو زوج أم أبي مالك عمرو بن كركرة ، هو أعرابي نزل البصرة ،وكان يعلم الصبيان ،وبقي أيام عمره يؤخذ عنه العلم ،وكان شاعرا .

3) أبو مالك عمرو بن كركرة هو أعرابي كان يعلم في البادية وورق في الحضر ،حتى انه ليقال : ان أبا مالك كان يحفظ اللغة كلها ، وله من الكتب كتاب خلق الانسان ، وكتاب الخيل .

---

1) ضحى الاسلام 1/ ص : 288

2) م،س،ص : 287

3) ان ترجمة هؤلاء الأعلام من الأعراب محالة على الفهرست ص: 49- 55

4) أبو عرار، وهو أعرابي فصيح يعزى الى بني عجل، ويوصف بغزارة علم اللغة مثل الأعرابي السابق، الى جانب كونه شاعرا مطبوعا، ولم يصدر عنه أثر في التأليف.

5) يزيد بن عبد الله، والمعروف بأبي زياد الكلابي، قدم بغداد أيام المهدي حيث لبث في محيطها أربعين سنة، وبها توفي، وهو أيضا شاعر ينتمي الى قبيلة بني عامر بن كلاب، ومن مؤلفاته: كتاب النوادر، كتاب الفرق، كتاب الابل، كتاب خلق الانسان.

6) أبو سرار الغنوي أعرابي بدوي فصيح، له مساجلات مع القارئ النحوي محمد بن حبيب (والد أبي عثمان المازني).

7) أبو الجاموس، وهو ثور بن يزيد لم يخلف وراءه مصنفات كالسابق، لكن حسبنا أن نذكر بأن عبد الله بن المقفع أخذ عنه الفصاحة، ومن غير شك أن سوى ابن المقفع كان يأخذ عنه أيضا لأنه كان يفد البصرة على آل سليمان بن علي.

8) أبو عدنان، أعرابي مختلف في اسمه: أهو عبد الرحمان بن عبد الأعلى أم ورد بن حكيم، الا أنه شخصية تاريخية، فهو بصري وشاعر، بل شورا وية أبي البيداء الرياحي، وله من الكتب: كتاب القوس، كتاب غريب الحديث، ...

9) نهشل بن زيد، وهو أبو خيرة، أعرابي بدوي، قدم كغيره من الأعراب البدو السابقين بعض الحواضر، ومن كتبه كتاب الحشرات.

10) نصر بن قعين المشهور بـ : دهمج بن محرز النصري نسبه متصل ببني أسد بن خزيمة ، له من الآثار كتاب النوادر .

11) أبو محلم الشيباني مختلف كذلك في اسمه : أهو محمد بن سعيد أم محمد بن هشام بن عوف السعدي ؟ لكنه اشتهر في كتب التراجم والأسانيد بأبي محلم الشيباني على الرغم من أنه كان يسمى أيضا محمدا وأحمد ، وهو أعرابي يوصف بأنه أعلم الناس بالشعر واللغة ، ومما يحكى عنه أنه كان يغلظ طبعه ، ويفخم كلامه ، ويغرب منطقه . وهو على الرغم من ولادته بفارس كما جاء في بعض خطوط ابن السكيت ، الا أنه منتسب الى بني سعد ، ولذلك قد يقال له : محمد بن هشام ابن عوف السعدي ، ومن بعض أخباره المشهورة ما ذكره المبرد ((سمعته يقول : عندي خمسة عشرة هاونا ، وقال لي يوما : لم أر الهاون في البادية ، فلما رأيته استكبرت منه)) ، وله مصنفات عديدة ، وهو من الرواة المتأخرين بالنسبة لمن تزاحموا قبله على الحواضر .

12) أبو مهدية ، هو أعرابي صاحب غريب ، كان البصريون يروون عنه .

13) أبو مسحل ، يكنى بأبي محمد ، واسمه عبد الوهاب بن حريش ، هو أعرابي له مناظرات مع الأصمعي في التصريف ، وله بعض المصنفات .

14) أبو ثروان العكلي أي من بني عكل، أعرابي بدوي فصيح، كان يعلم في البادية حسب ما ذكر يعقوب بن السكيت، ومن مخلفاته كتاب خلق الفرس، وكتاب معاني الشعر.

15) البهدلي واسمه الحقيقي عمرو بن عامر، ويكنى أبا الخطاب، كان هذا الاعرابي راجزا فصيحا وراوية أي مصدرا للرواية، وممن أخذ عنه الأصمعي، حيث جعله حجة في شعره.

16) وغير هؤلاء كثيرون مثل جهم بن خلف المازني، وأبي المنهال، وأبي العميثل، والحرمازي، وعباد بن الكسيب، والفقعسي، وربيعة البصري، ... الخ.

ورغم امتياز هؤلاء الأعراب بالفصاحة وسلامة اللغة، فان جماع المدرسة لم يكونوا كلهم على درجة واحدة من الثقة العفوية أو المطلقة فيهم دون معرفة أصله وفصله وموقع قبيلته ... من ذلك، كما رأينا، ما استنكره المبرد على أبي محلم الشيباني الذي صرح له مرة بأنه لم ير الهاون في البادية، ثم اذا به يسمعه يقول في أحد مجالسه: عندي خمسة عشر هاونا، وان كان هذا ليس حجة للمبرد على أستاذه، ما دام أنه سمعه يقول هذا بعد ما سمعها من تلميذه نفسه أو غيره من بعض العلماء، وهو بالحاضرة، ويكفي أبا محلم ثقة

أنه اعترف للمبرد من قبل أنه لم يسمع هذه الكلمة في البادية ،
لكن يبدو أن المبرد كان يعنيه السماع الأول لا السماع الثاني .

وقد يختبر أحد جماع اللغة فصاحة بعض الأعراب أو
يراجعونهم في حالة ما اذا أطالوا الاقامة في الحواضر ،كامتحان
أبي عمرو بن العلاء أبا خيرة ،حيث سأله أو تظاهر بتسآله عن
قول العرب : ((استأصل الله عرقاتهم)) فنصب أبو خيرة التاء
من ((عرقاتهم)) ،فقال له أبو عمرو : ((هيهات ياأبا خيرة ،
لان جلدك)) (1) ،لأن أبا عمرو استضعف النصب ،لأنه كان
سمعها منه بالجر ، ثم صار أبو عمرو بعد ذلك يرويها بالنصب والجر(2).

وامتحن ثعلب أيضا أحد المصادر ،وهو أبو الذواد ، ولما
تيقن من فصاحته وصلاح لغته ،قال : ((قد جمع أبو الذواد
علما وفصاحة ، فاكتبوا عنه،واحفظوا قوله)) (3) .

---

1) نزهة الألباء ص : 32

2) م.س : ن . ص

3) المزهر : 2/ص : 337

الباب الثاني

التركيب في اللهجات العربية الباقية

الفصل الأول : قراءات لسانية عامة حول البنية السانتكسية

الفصل الثاني : التركيب الاسمي

الفصل الثالث : التركيب الفعلي

الفصل الرابع : التركيب الحرفي والظرفي

خلاصة البحث

الفصل الأول : قراءات لسانية عامة حول البنية السانتكسية

1) بين السانتكس التقليدي والمعاصر:

قد أكون مخطئا ،لكن هكذا ، تكوّن لدي اقتناع بعد قراءات متتابعة ، ومنذ مدة ، بأن الدراسات اللغوية القديمة انطلاقا من الهنود ، مرورا بالاغريق ، انتهاء عند العرب ، قد حققت خطوات عملاقة ،فهي أن لم تعبر عن كل النظريات اللسانية المعاصرة بشكل مباشر ومنهجي متمايز بين العناصر التي اتخذتها ميدانا لبحثها ،فانها قد عبرت عنها بكيفيتها ومنهجيتها المناسبة لزمانها ومكانها والمتجانسة مع مستعملي تلك العناصر اللسانية وفق عوامل خارجية لا شك أنها تكاد تكون مختلفة كل الاختلاف عن العوامل التي تؤثر في استعمالنا للعناصر ذاتها .

ومما أصبح مؤكدا عندنا أيضا أن اعراب لغة متصرفة ، كما هو حال العربية ، في حد ذاته مؤسس من الداخل آنيا على تحليل سانتكسي بشكل من الأشكال ،لأنه

بالنسبة لوجهة نظرنا ، فان الهدف الأسمى لأي تحليل لغوي أو تقعيد لقاعدة هو أن نميز بين شكل أو تركيب ما نتكسي أو نتبنى سلفا ثم استقبل أو سمع لاحقا كبنية اكتسبت هويتها في الذاكرة الجماعية أو الشعبية بحيث أضحت هي نفسها ملتزمة بذلك العقد المتجسد في القوانين النحوية وأساليب الخطاب الدلالية ، وبين تراكيب ما نتكسية لم تتحقق بعد أو لم تنزل في دوال أو خطابات ما وراء لسانية لم تكتسب نهائيا قانون علامة لسانية .

وبعبارة أخرى ، ينبغي أن يميز :

1) بين ما هو منتسب الى الكلام

2) بين ما هو منتسب الى اللغة

3) بين ما هو منتسب الى اللسان

4) بين ما هو مرتبط بخطاب عام وخطاب خاص

5) بين ما هو تركيب لهجي محلي وتركيب لغوي موحد أو تركيب أكثر أو أعم شيوعا من الآخر .

ومع ذلك ، فاننا لا نريد أن نذهب مذهبا بعيدا في تعريف د قيق وشامل لما يسمى بالسانتكس أو التركيب ، لأنه من غير المقبول

بالنسبة للسانيات العامة والتطبيقية أن نفلح في اعطاء تعريف لهذا المصطلح بمعزل جزئي أو كلي عن تعريف الجملة نفسها التي تعد روحه والنقطة المركزية التي تدور حولها أشغال أي سانتكس ، ثم انه شتان ما بين تعريف قديم أو وسيط وبين تعريف حديث أو معاصر ، مع أن الاشكالية واحدة ، وتعددت التعاريف وتشعبت حسب تعدد العصور وتباين المدارس اللسانية الى درجة أنه ((بعد قرن من عمل اللسانيات التي صارت أكثر فأكثر علمية (بعد 1816) ، توصلنا تقريبا الى أربعمائة تعريف مختلف للكلمة ، ومائتي تعريف للجملة)) (1) .

وحتى لا ندع هذا المصطلح الجديد القديم موضوعا لتساؤلات متتبع هذا العمل ، فاننا سنحاول أن نستعرض - ولو سطحيا - بعض هذه التعاريف التي يكاد يكون مجمعا عليها في عدة مدارس لسانية ، منها ((أن السانتكس (Syntaxe) للسان (Langue) هي مجموعة الوسائل التي تمكننا من تنظيم الأقوال أو الملفوظات (Les ÉNONCÉS) لاناطة كل كلمة وظيفة ، ولتعيين العلاقات التي تستقر بين الكلمات . ان ترتيب الكلمات (L'ordre des mots)

(1 Clefs pour la linguistique Générale P 80
G/ MOUNIN

هو أحد المميزات للسانتكس : ان الدوريكون أكثر أو أقل أهمية حسب كون اللغة متصرفة (FLEXIONNELLE) (1) أوبالعكس تحليلية (ANALYTIQUE) (2) ،ان ترتيب الكلمات في اللاتينية كان أكثر مرونة ،وهوفي الفرنسية بالأحرى متصلب)) (3) .

واذا اعتبرنا السانتكس بمقابل ما كان يعرف تقليديا بعليم النحو قديما عند العرب والأجانب ،والى وقت قريب جدا لدى المحدثين السانيين ،فانه من الممكن أن نورد له تعريفا آخر مشابها للأول ،بحيث ان ((نحولسان أيا كان يمكن أن يتصوركنظام من التواعد التي تقابل تشلاد لا لياوتشلا صوتيا لجمل هذا اللسان ، هذان التمثلان معطيان مبدئيا في كلمات هذين النظامين العامين (UNIVERSELS) مستقلين عن ألسن خاصة : نظام التمثل الصوتي المقترح بأسلوب تشومسكي وهال (HALLE) (1968) ،ونظام التمثل الدلالي ،والذي طبيعته كما يعرف كل واحد ،لا يبرح مجهولا بكثرة . ان النحويحدد من جهة أخرى ،مجموعة لا متناهية للبنى السطحية الأحسن تشكيلا والتي تحول الى

---

1) أي المتضمنة علامات اعرابية تقوم ببيان العلاقات

2) أي ليس لها علامات اعراب .

3) Pour comprendre la linguistique P: 193 - Bernard pottier édition MARbout VERviers 1975

تمثيلات صوتية بواسطة نظام من القواعد الفونولوجية

ان النحو يحتوي كذلك على مجموعة من قواعد التحويل ...

قواعد التحويل هذه خاضعة لمختلف القيود ،بعضها عامة

وأخراها مخصصة بقواعد كل نحو على حدة)) (1).

ومما يبدو أن اللسانيات التقليدية كان ينطلق من معالجة

قياسية أو عدم قياسية الجمل أو التراكيب المحكية كأشكال غير

مؤكدة بين المتكلمين غير السليقيين (non natifs)،لكنها ليست

بمعزل عن المتكلمين السليقيين (les locuteurs natifs) الذين

يفترض فيهم أنهم يمثلون المعطيات الجوهرية الحقيقية للخطابات

المحكية أو المروية عن الأجداد أو الأسلاف أنفسهم وفق كفاءة

لسانية ثابتة وأداء مصاحب لها على نحو معين ، وسيما أوغلنا في

الزمن فان اللغة تبدو دائما ميراثا للحقبة السابقة أيا كانت، ان الفعل

الذي توزع به الأسماء على أشيائها في زمن ما ، والذي نحر به

أيضا عقدا بين التصورات والصور السمعية انه لمن الممكن تصور هذا الفعل

من غير بيانه أبدا ،كما أن شعورنا القوي باعتباطية العلامة ،يوحي

لنا بفكرة أن الأمور انما حدثت بهذا النمط وليس بسواه . وفي الواقع

THÉORIES synataxique P:13 (1

NICOLAS RUWET Edition seuil 1972

ليس هناك من مجتمع اد ويعرف اللغة أنها نتاج ارث اجيال السابقة، كما لابد من تناولها بما هي عليه ،ولهذا فليس لمسانه اصل اللغة تلك التي دارت حولها بشكل عام ...كمل ،فليس (1) هذه مسألة للمعالجة ولا للنقاش ،ان الغرض الحقيقي والوحيد للألسنية انما هو الحياة الطبيعية والمنتظمة للغة مكونة ومشكلة،وحالة لغة ما هي دائما نتاج عوامل تاريخية وهذه العوامل نفسها هي التي تفسر ثبات العلامة،ونعني بذلك مقاومتها لكل تبدل اعتباطي)) (2)

واللهجات العربية من بائدة وباقية والتي تمثل في جوهرها بشكل عام هذه اللغة العربية لا تخلو من استحواذ الذهنية العربية البدوية ، هذه الذهنية الممثلة لتلك الفترة الشفوية ،والتي كانت تتميز بسلوك وطبع عفويين قائمين على التعاطي التقليدي ،لكنه لم يكن تقليدا غير فاعل في كليته ، الا أن نفوذ الاعجاب المسرف بأخلاق وتصرفات الأسلاف قلل مع مرور الوقت من تلك الفعالية التي ظلت غائبة وأدت الى تأخر في كثير من مجالات الخلق والابداع،حتى ان هذا الاعجاب بكل ما هو سلفي كان يعمل على خنق المواهب الفردية النادرة أكثر مما كان يعمل على تفتيقها وتنميتها وتعهدها .

---

1) كذا في الترجمة التي بين يدي

2) محاضرات في الألسنية العامة ص : 83- 84

على أي حال ، فان اللسانيات التقليدي كان يفترض قبل أي شيء وجود جمل غير قياسية أو غير تامة ، والتي كانت تفسر انطلاقا من نماذج أو قوالب أكثر قياسية أو أساسية ، هكذا في الاغريقية :

ANTHRÔPOSTREKHEI ، أي الرجل يعدو ، كانت (الجملة) تعتبر كشكل مشتق من شكل أساسي : *ANTHRÔPOSTREKHONEST*

أي الرجل جار أو متسابق أو ، *L'homme est un coureur* أي الرجل عداء ، تبعا لنموذج الاختصار أو التقليل للجمل المنطقية (1) .

وثمة بعض اللسانيين من يحكم انطلاقا من بعض الجمل بأن اللسانيات القديم كان ينهضون ((بالأولى على نماذج من الجمل منه على ملفوظات فردية)) (2) ، هذه الاعتبارات التي كانت تجري وتتصور دائما وفق تنظيم دلالي صيغت في كلمات ومصطلحات لم تخل في معظم رؤاها وتفسيراتها وتعاملاتها مع اللغة من التأثير المنطقي ، مع أن الكلام الانساني هو من تحصيل الحاصل ، لكن هذه هي المنهجية التي سادت في غابر الزمن ، وفي العصر الوسيط ، وفي نحو مدرسة بورروريال ... لأن النحو التقليدي كرس جهوده منذ أقدم العصور ((لتصنيف اللغة في أقسام وأصناف تشريحية ، ولم

(1 *Guide Alphabétique P: 366 A/Martinet Edition DENOËL*

(2) م س : ن ص

يكسب همه اللغة ذاتها بل تحديد القواعد النموذجية الملاحظة في لغة ما . وهكذا نشاهد في كتب النحو المدرسي الصيغ الشاذة والطرائق الاستثنائية الخاصة الى جانب القواعد المطردة ... وعلى كل حال ، كانت اللغة المكتوبة وحدها موضوع الوصف)) (1) .

واذا تذكرنا اشكالية المدونة المسموعة عند العرب التي حاولنا أن نقوم بوصفها لا بتحليلها في الباب الغارط من هذا القسم ، لاحظنا أن قول دانيين ما نيس لا ينطبق على السانتكس العربي لا من قريب ولا من بعيد ، لأنه سانتكس قائم ومؤسس على مدونات شفوية مسموعة لا على مدونة مكتوبة ، مما يوحي بأن الدراسات اللسانية في الغرب ستظل قاصرة ومبتورة ما لم تهتم بالدرس اللغوي العربي القديم ، لأننا كثيرا ما لاحظنا مثل هذه المعطيات الناقصة في مجال الدراسات اللسانية المعاصرة حتى لدى أبرز اللسانيين الذين يعتبرون المؤسسين الحقيقيين للدرس اللغوي المعاصر . (2)

---

1) علم اللغة لدانيين ما نيس مترجما في الموقف الادبي ص : 209 عدد : 35-36/ 82

2)لسنا في مجال الرد هنا على مثل هذه الأوهام ، لكن يكفي أن نذكر بأن دي سوسير كثيرا ما يقع في مثل هذه الاوهام : ((بدأ الموضوع بما يسمى بالقواعد ، وهذه الدراسة التي شيدها الاغريق وتابعها الفرنسيون من بعد ، ... وتهدف الى تقديم قواعد لتمييز الصيغ السليمة من غيرها ... ومن ثم ولد فقه اللغة ... بيد أن هذا المصطلح يرتبط بشكل خاص بـ ... فريدريك ولف منذ عام 1777 م ... ان النقد الفقهي يقع في عجز متمثل في جانب واحد وذلك لكونه مرتبطا باللغة المكتوبة بصورة حرفية))
(راجع : محاضرات في الالسنية العامة ص : 11 - 12)

انه ليمكن اعتبار السانتكس التقليدي هو السانتكس الحقيقي الذي مثل الشعور الانساني عن قرب ،كما كان يهدف في الآن ذاته الوقائع اللسانية الحقيقية التي كانت تترجم بوضوح حقيقة الانسان الداخلية ،بمعنى أن السانتكس القديم يمثل واقع الوظيف من الداخل معبرا عنها بالخارج ((كل الناس متفقون حول هذه النقطة : الوظيفة التبليغية (FONCTION COMMUNICATIVE) هي أول وظيفة ،أصلية وأساسية للغة ،وكل ما عداها ليس الا طابعا لنما ذج ليست ضرورية)) (1) .

اننا ندرك الواقع اللساني ليس فقط كقواعد نحوية أو معجمية تم انجازها في لغة طبيعية ،لكننا نفهمه أيضا كمرسلة تبليغية بين مرسلين ومرسل اليهم :

مرسل ⇄ واقع لساني ⇄ مرسل اليهم

انطلاقا من عدة عوامل أكثرها أهمية : التجربة اللغوية المرتسخة أو المرتسمة في جهازنا اللغوي الداخلي بشكل لا واع سماعا من الأسلاف المتعايش معهم (على الاقل فيما يخص لغة طبيعية أو هذه اللهجات العربية حاليا مثلا ...) .

واذا ما أردنا أن نأخذ فكرة أكثر عمقا على سبيل المقارنة بين السانتكس القديم والمعاصر ،فانه لمن المناسب أن نورد بعض التعريفات

---

1) CLEFS pour La LINGUISTIQUE Générale P: 70
G/MOUNIN

التي نعتقد أنها تعمق هذا المفهوم السانتكسي في ثوبه الجديد دون اضافات جذرية على ثوبه القديم .

ان قليسون (GLESSON) يعرف السانتكس بقوله : ((من المناسب أن يقسم النحو الى قسمين اثنين : المورفولوجيا ، والسانتكس . عليتما الاشتقاق والتصريف تشكلان البناء (كلمات) ، ان هذا ما تعالجه المورفولوجيا . هذه البناءات تنتظم كبناءات أكثر أهمية في مختلف الأنواع بكيفية تقريبية . يمكن أن نعرف السانتكس كمجموعة من القواعد التي ترأس هذا التنظيم)) (1) ، لكن هذا اللساني المعاصر الذي غدا منذ مدة مرجعا أساسيا في الجامعات الغربية في ميدان النظريات السانتكسية بعد تشومسكي وأندري ماتيني ... يعترف مرة أخرى بأن ((التمييز بين المورفولوجيا والسانتكس ليس دائما دقيقا)) (2) ، ويفهم من بعض أعماله التي طبقها على لغته الانجليزية ، أنها قد لا تنطبق على كل اللغات اد نسانيه الأخرى ، ولذلك نجده يردف قائلا : ((من المفيد أن يعرف السانتكس في عدة لغات كما سنعمل)) (3) .

---

1) INTROduction à la linguistique P105 GLESSON

2) م.س : ن.ص

3) م.س : ص.ع

ومما ورد أعلاه ، في كثير من المواقف المشابهة لا يفهم الا شيء واحد لا ثاني لهما ، وهو أن كل لغة أو عائلة لغوية على أبعد تقدير تتميز بخصائص نوعية ، وستبقى طرائق الخطاب ، ولربما هذه الفكرة التي نتبناها وندافع عنها طبقا للوقائع اللسانية الحية وعادات المتكلمين في التخاطب والتواصل قد تتقاطع الى حد ما مع ما ذهب اليه جورج مونان :

((ومع ذلك ، فان اللسانيات تبرهن في كل لحظة بأن كل لغة تطابق عادة تنظيم قد يكون دائما خاصا وفق معطيات التجربة ، وأن التمفصل أو التلفظ الأول : première articulation لهذه اللغة مدقق بالكيفية التي تتحلل وتنتظم وتترتب بها التجربة المشتركة لكل الأعضاء لمجموعة لسانية محددة . هذه الرؤى قد كانت دعمت من قبل قيوم ، Guillame وبالضبط من قبل الفيلسوف ERNST CASSIRER واللساني الأمريكي WARF ، وذلك قبل سوسور واللسانيات الحاليــة)) ، (1) .

واذا كانت التجربة التي نجدها تتكرر في أعمال أندري مارتيني اللسانية تتجسد في الفرد المتكلم ومدى درجة كفاءته اللغوية ، فان كل لغة انسانية تتميز بالتجارب الفردية المتبادلة ((لنفهم فهما جيدا كيف أن لغة يمكن أن تعرف كتمفصل مزدوج ، يجب أن نقتنع بأن الوظيفة

(1 Clefs pour la linguistique Générale P: 72, 73 G- MOUNIN

الأساسية للغة الانسانية هي أن تمكن كل فرد من أن يبلغ لنظرائه تجربته الشخصية، من خلال ((التجربة)) ، يجب أن نسمع كل ما يحس به الانسان أو يستقبله ،سواء كان المثير (lestimulus) داخليا أو خارجيا ،فان هذه ((التجربة)) تأخذ شكل يقين أو شك أو رغبة أو حاجة . ان التواصل مع الآخر يمكن أن يأخذ شكلا من الاثبات، أو السؤال ،أو الطلب ، أو الأمر ، دون القطع ليكون تبليغا)) (1) .

لكن ما أسماه أندري مارتيني بـ ((التجربة)) في التواصل اللساني لن يكون ،في اعتقادنا ، ذا مصداقية كبيرة الا بربطة بتلك الميزة النوعية الداخلية التي تنم عنها شريتها والتي لا تتشابه في كل حال مع هويات أخرى ،وأعني بها ،وبشكل خاص ، تلك الطاقة اللسانية الخلاقة في الأداء والتعبير والمختلفة بين كل لغة وأخرى .

من هذه الطاقة المرتبطة بسانتكس كل لغة ما نجده موزعا حول طبيعة واشكالية السانتكس العربي القديم الضارب بجذوره في كافة اللهجات العربية القديمة كلها بما فيها بعض المظاهر السامية ، لكننا نجتزئ بأول ما ظهر منها علميا لا تاريخيا كدلالة على أصالة النواة الأولى للنظريات السانتكسية العربية ،ومنها تلك التفاوتات في التسامح مع تجربة

(1 La Linguistique : Synchronique P:9 A/Martinet edition puf

المتكلم الفرد أو الطعن عليه ، وذلك كلما لاحظ الجانب الآخر انحراف تركيب عن سليقيته المعهودة في جميع ما يدخل في تركيبها أو أدائها من عناصر صارمة .

فما زال أن أبو عمرو بن العلاء أشد تسليما للعرب في منطقهم، وأن يونس كان يقف أحيانا موقفا وسطا (والذي قال جاز حسن (1)) ، أو يتفق علميا أو عفويا في الحياد الى جانب أبي عمرو أمام بعض المعضلات اللسانتكسية الطارئة أو يتكلم بها فصحاء ، فان ابن أبي اسحاق وعيسى بن عمر كانا يطعنان على العرب (2) ، ولذلك وقف ابن أبي اسحاق ، وهو من الطبقة الثالثة من النحويين البصريين ، موقفا متصلبا من الفرزدق في بعض التراكيب اللسانتكسية المشهورة بين الرجلين (3) .

ان الأمثلة من هذا القبيل غزيرة ومعروفة لدى المختصين ، ولكنا أردنا فقط أن نلمح بطريقة غير مباشرة الى أن كل تركيب لساني له ما يؤصله ويحال عليه ، وعلى المتكلم أن يلتزم بالعقد الذي يربطه جماعيا بنفس المجموعة اللسانية التي ينتمي اليها صليمة أولسانا ، وحريته تكمن في التعبير مع التنظيم والترتيب للعناصر فيما بينها وبين نفسها

---

1) طبقات الشعراء (لابن سلام) القسم الاول ص : 17

2) السابق ص : 16

3) لمن شاء أن يعود الى : الحركة اللسانية الاولى عند العرب ص: 125-127

وبين المجموع . الا أنه فيما يبدو أن هناك علاقة نسبية فقط ،وليست مطلقة بين المرسل (بكسر السين) من جهة ، والرسالة من جهة ثانية ،والمرسل اليه من جهة ثالثة ، كما أن المتكلم ليس حرا في كل خطاب ،لكن حريته في هذا الخطاب أوذاك أكثر من المتلقي المقيد سلفا بنص أو مدونة معينة إذ ليس من مهمته ما مع أن يغير مرسلة ، حتى ولو..كانت لديه جرأة واعية فان مهمته مستحيلة بل لا يمكن تصورها ،بل هذه المهمة نفسها في شكل ارسالها أيضا مستحيلة من مرسلها بعد انتاجها ، وتكون هذه المهمة أكثر استحالة من قارئ متهج بشفتيه أو مؤول ببصره ، ... وهذه القيود تتعدد وتتعقد كلما تعددت وتعقدت أجناس كلامية .

ومن جهة أخرى ، قد تكون حرية المتكلم السانتكسية في موقفه ازاء انتاج نص ما في حد ذاتها متفاوتة ،وبذلك يتعدد المتكلمون أنفسهم تبعا للجنس النصي ،وبذلك يكون الناثر في التعبير والبناء أكثر حرية من الشاعر ،ويكون الشاعر الملتزم بالعروض والقوافي أقل حرية من شاعر آخر لا يلتزم بالعمود الشعري ،بل ناثر لا يحسب حسابا للخروق اللغوي يكون أزيد سعة من ناثر غيره ملتزم بمعيار سانتكسي صارم ،والغريب أني وجدت عند ابن سلام الجمحي قولا يكاد يكون معبرا عن هذا ،ان لم يكن القول نفسه : ((والمنطق

على المتكلم أوسع منه على الشاعر ،والشاعر يحتاج الى البناء والعروض والقوافي ، والمتكلم مطلق يتخير الكلام)) (1) .

على أي حال ،ان اشارتنا السابقة الى أن لكل جملة ما يوءصلها وتحال عليه ،لاتتعارض مع ما ذهبت اليه بعض التحاليل اللسانية المعاصرة ، من ذلك أن تشومسكي يفترض دائما ما يسمى بالمتكلم البلدي أوالأصلي (Locuteur Indigéne) لقبول جمل مولدة أو رفضها ((ان الهدف الأساسي للتحليل اللساني للغة ل هو فصل السلسلات النحوية التابعة لجمل لغة ل من السلسلات النحوية التي هي ليست من جمل لغة ل ،ثم دراسة بنية السلسلات النحوية .ان قواعد ستكون هكذا آلية (mécanisme) مولدة كل السلسلات النحوية. أما وسيلة اختبار معادلتها للقواعد المقترحة للغة ل فهو أن نحدد فيما اذا كانت السلسلات المولدة هي حقيقة نحوية أوغيرنحوية ، بمعنى أنها مقبولة من متكلم بلدي)) (2) .

والجملة الأخيرة لتشومسكي قد تبرر أحد مواقف عيسى بن عمر الذي انتقد النابغة الذبياني حين رفع سين السم في قوله :

---

1) طبقات الشعراء (لابن سلام) القسم الاول ص : 56

STRUCTURE syntaxique P:15 Chomsky edition seuil 1969 (2)

فبت كأني ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السم ناقع

وشين الشهد في موضع آخر، مبين أن هذه اللهجة علوية (1).

لكن مستمس أن اللسانيات المعاصر يبقى دائما مطروحا، على

عكس اللسانيات التقليدي الذي اضطلع بتفسير أعظم مسائله في اللغة

الاصطلاحية، لأن اللسانيات لم يقتصر في تمزين القيود التي ترتبط

متضامنة مع الانسان يحويها ويختزنها عبر الزمن فضلا عن أنه يتلفظ

ويتواصل بها، بينما اللسانيات الجديد يحاول أن يتحرى العلاقات

المختلفة التي تنظم الملفوظات كلغة نهائية أو حتى توليد جمل غير نهائية

ثم عرضها أمام التجربة اللسانية أي على المتكلم البلدي ليقبلها

أو يرفضهـــا. ثم لا يوجد ((بين النحو التقليدي والبنيوي اختلاف

في الطبيعة بل اختلاف في الكمية، فكلاهما ينطلق من النص المكتوب أو

المنطوق نحو اعادة تكوين بسيط للمعطيات اللغوية. ولا شك أن

اللغة البنيوي يمثل تقدما لا تجحد انجازاته، اذ تخطى المرحلة الجمعية

لعلم النحو التقليدي الى المرحلة الوصفية، ولكن كلا العلمين يتميزان

بنزوع تصنيفي محض لا هدف له الا الحصول على تصنيفات لغوية تفضي الى

تصنيفات أخرى أدق منها. ولقد كان علم اللغة البنيوي يصف اللغة ولا يفسرها.

1) طبقات الشعراء (لابن سلام) القسم الاول ص: 16

واقترح شومسكي القيام بقفزة نوعية تسمى بالانتقال من المرحلة الوصفية الى المرحلة النظرية التفسيرية))(١) .

الا أن شومسكي الذي ميز في نحوه التوليدي بين ما يسمى بالكفاءة (compétence) والأداء ، وهما المصطلحان المقابلان للغة والكلام على التوالي عند سوسور لم يجب عن كثير من المسائل السانتكسية التي تركها معلقة (en suspense) كاشكالية السلسلات أو التتابعات النحوية . هو نفسه طرح سؤالا حولها ، لكنه لم يعطنا جوابا كاملا لهذه المسألة أو حتى ملموسا . ((على أي أساس نميز فعليا السلسلات النحوية من غير السلسلات النحوية ؟ لا أحاول أن أعطي جوابا كاملا لهذه المسألة ، لكن أحب أن أشير الى أن الأجوبة الكثيرة التي تأتي فورا الى الذهن لن تكون صحيحة . أولا ، من الواضح أن مجموعة الجمل النحوية يمكن ألا تكون مشابهة لأية مدونة (Corpus) خاصة للملفوظات المجمعة من قبل لساني في عمل تحقيقه)) (٢) .

---

١) علم اللغة لداniel ماينير مترجما في الموقف الادبي عدد ان : 135 ، 136 / 1982

٢) Structure syntaxique P:17

٤) في اللسانيات العربية :

اهتمامي بهذا اللسانيات العربي القديم من الكتب اللسانية الأجنبية المعاصرة ، والتي تحسب أنه أحق بحقل فقه اللغة وكتب القواعد منه بحقل اللسانيات ، وتعميقا للنقطة السابقة ، واعترافا بمجهودات اللسانيين واللغويين العرباء في هذا الميدان ، ... فاني ارتأيت أن أخصص حيزا مستقلا للسانيات العربي القديم الذي لا يبتعد جوهريا عن التراكيب اللهجية المتنوعة القديمة ، على أن أذيله ببعض التحاليل اللسانية الأخرى .

ربما أجد من الفائدة أن أشير الى أنه يجب أن يميز اللسانيات العربي كغيره من البنى اللغوية العامة ما قدم منها وما حدث حين يكون منهجا عاما أو نظرية فردية ، ... وحين يكون موضوعا مرتبطا باللغة لا يبقى الا الممارسة والوصف أو التحليل ، بمعنى آخر يجب أن نحاول معرفة ما نحمل قبل أن نستعمل لتفادي ما أمكن الخلط بين التراكيب والنصوص ، ...وبين الأحكام التي لا تكاد تنتهي ، والتي قد تزيد الموضوع تراكما على تراكم دون طائل .

وحيث انه من المستبعد أن يحيل قارئ في حقل علمي على الصفر ، فانه لا بد من تكرار الاشادة بتلك النظريات العربية

المبكرة التي تعاملت في أول أمرها مع موضوعها الجامع لعدة مدونات مختلفة انطلاقا من الصفر أي التأصيل، الا أن هذا التأصيل ما كان ليعود الى تلك الرؤى التي تحولت تدريجيا، وزمن قياسي، الى نظريات سانتكسية خاصة ولسانية عامة، لولا طبيعة الموضوع.

بيد أن كل قراءة من هذا القبيل ستظل هشة وقاصرة جدا ما لم تتخذ الجملة أساسا لها، الا أن تعمين قراءة على هذا النحو تقتضي انجازا مستقلا أو جزءا من هذا الانجاز، باعتبار أن الجملة أضحت اليوم، ومنذ مدة، حقلا سانتكسيا قائما بذاته، ومع ذلك، فانه كلما تناول دارس هذا النوع من الدراسة الا ووجد نفسه متورطا في الجملة سواء عن قصد أو عن غير قصد، لأن الحقيقة اللسانية تؤكد أنه لا يوجد حديث عن تركيب لساني ما خارج الجملة.

على أي حال، كانت التراكيب العربية الشفوية السليقية محكمة في نسجها، متقنة في بنيتها، ذات سعة ... في حقيقتها ومجازها...

الامر الذي جعل السانتكسيين العرب الأولين يختصرون الزمن بفضل الادراك العلمي السريع الذي كان يطبع الفضاء البصري الاسلامي في كل الميادين الباقية خلال تلك الفترة الروحية المبكرة.

ومما تراءى لي بعد قراءات تراثية متكررة وطويلة أن اللغويين العرب الذين يعدون روادا :

1) تعاملوا أول ما تعاملوا مع اللغة كـ[؟] علام لساني خارجي آت من باث أو متكلم نحو استقبال داخلي مؤسس على الادراك الحسي من جهة والملكة اللغوية العامة المتبادلة بين المتكلم والمتلقي من جهة ثانية . وفي اعتقادي يجب أن أركز على هذه النقطة الاعلامية من الآخر نحو الأنا ، والتي كثيرا ما أهملت ونحن نتحدث عن نشأة السانتكس العربي القديم (اعلام أسلوبي ، معجمي ، مورفولوجي ، صوتي ، فونولوجي ، سانتكسي ، خطاب عام ، خطاب خاص ، خطاب ضمني ، خطاب حر مباشر ، خطاب حر غير مباشر ، تركيب لغوي سليم ، تركيب لهجي سليم ، تركيب عتيق جاهز ، تركيب عتيق متجدد ، ... الخ) .

2) تعاملوا أول ما تعاملوا مع الرسالة الاعلامية الملتقطة (سماع ، رواية ، نقل ، ...) كلغة (comme un language) وليس كلغة بمفهوم Langue أو لسان . ان أرضية السانتكس العربي القديم مؤسس أولا على ظاهرة الكلام Parole ثم على ظاهرة اللغة كمنظومة كلية . حتى التراكيب غير السليمة أو رئيت هكذا غير سليمة ، والتي عدت مرذولة أو مطروحة في منطق المعيارية الصارمة ، كانت ، فيما نرى ، أكبر حافز في ادراك ما غدا اليوم يسمى بالانزياح أو العدول ÉCART تارة أو الشعرية تارة أخرى . ان العدول اللغوي كان مهما الى درجة أنه

كان موجها ثنائيا أساسيا لفك أو تحليل البنية الساتكسية السليمـــة من الفاسدة .

3) تعاملوا مع التراكيب الملتقطة كفضاء من القواعد في غاية التحديد .

4) كثيرا ما أرهقوا أنفسهم في البحث والتحري لا يجاد متطابقـات أو معادلات ساتكسية (ÉQUIVALENCES SYNTAXIQUES) مؤدية أو متبادلة نفس الوظيفة أو متشابهة في ذلك . ولست بحاجة إلى التدليل على هذا فالقراءات القرآنية مصدر ثري . ومن هذا ما يروى عن يونس ابن حبيب أن ابن أبي اسحاق كان يعرف وجها للرفع ((مجلف)) في قول الفرزدق :

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتا أو مجلف

بينما قال أبو عمرو بن العلاء : انه لا يعرف لهذه الكلمة وجها ، ومثله يونس ، وفي رواية أخرى أن أبا عمرو خاطب الفرزدق : ((أصبت هو جائز على المعنى ، على أنه لم يبق سواه)) (1) . أي أن أبا عمرو المعروف بتساهله مع النصوص الموثوقة لديه والعرب بشكل عام في تراكيبهم ، كان يعرف ، حسب الرواية الثانية ، للرفع معادلة ساتكسية على المعنى لم يفصح لنا عنها ، لأنها يجب أن تفسر ببنية عميقة ، بمعنى

---

1) الموشح ص : 161 المرزباني

أن هذا العالم تعامل مع الفرزدق كمتكلم ومع تركيبه ككلام ،
وليس مع الفرزدق كشاعر ولا مع تركيبه كلغة .

5) لم يتعاملوا مع السانتكس كتركيب متوقع (PRÉVISIBLE) بل
كانتاج من الأشكال بني وانتهى ،هذا في العملية الأولى ،ثم
أدركوا تكرار الظاهرة ، فنظروا الى السانتكس كجمل متوقعة وغير
منتهية ،لكن هذه التوقعيات السانتكسية يجب أن تخضع لقاعدة نموذجية
عبر عنها الزجاجي فيما بعد بـ ((العلل التعليمية)) بقوله : ((فأما
التعليمية فهي التي يتوصل بها الى تعلم كلام العرب ،لأنا لم نسمع
نحن ولا غيرنا كل كلامها منها نطقا ،وانما سمعنا بعضا فقسنا عليه
نظيره ،مثال ذلك أنا لما سمعنا : قام زيد فهو قائم ،وركب فهو راكب .
عرفنا اسم الفاعل ، فقلنا : ذهب فهو ذاهب ،وأكل فهو آكل وما
أشبه ذلك ...)) (1) . واذا كان الزجاجي قد اكتفى بالاشارة
الى الجمل النحوية ،ولم يشر الى غير النحوية فلأن ذلك كان عندهم
من قبيل العبث ،وليس معنى هذا أن العرب القدماء لم يفطنوا الى هذا
الشكل من التوليد الصوري الذي بنى عليه تشومسكي نظريته السانتكسية
انطلاقا من تهجمه على النحو البنيوي وخلو الدراسات الغربية القديمة مما
توصل اليه العرب قبله ،ولست هنا بحاجة الى البيان القاطع على أن العرب

---

1) الايضاح في علل النحو : 64 الزجاجي (ط: 1959 مطبعة
المدني ، المؤسسة السعودية ،مصر)

قد عرفوا هذا النوع ،ولو بشكل غير مباشر ، من الدراسات السانتكسية التي هي عادة ما تنسب لفترة لا تتجاوز أربعة عقود من الزمن ، ان كتاب سيبويه وحده دليل على ما نقول لمن أراد الوقوف على هذه المقارنة (1) ... المهم أن اللغويين العرب قد أدركوا بشكل أو بآخر الى أن المنظومة اللغوية شكل غير منتهي من الجمل ،وأن المتكلم الأصلي يعرف النحوية من غير النحوية ،والمقبولة دلاليا من المرفوضة ،كان يدرك الفرق بين الجمل الثلاث أدناه :

أ ـ صنع النجار الباب

ب ـ الباب صنع النجار

ج ـ النجار الباب صنع

5) على ضوء هذه التعاملات المبكرة ،صار الناس من عرب متأخرين (حسب المدينة أو البادية)وعجم متقدمين يتعاملون مع السانتكس تعاملا أقرب الى الملاحظة العلمية منها الى كلام سليقي قائم على العفوية والشفوية ،ثم كان التعامل مع المنظومة اللغوية بشكل عام

---

1) يمكن مراجعة الكتاب : 1/ 25ـ 26 مثلا ، ومما هو تمشي ولا يتكلم به يمكن مراجعة كتابه : 2/ ص: 92 ، 121 ... مثلا ،ومما أسماه بالتراكيب الرديئة ،يمكن مراجعته أيضا : 2/ ص: 34 ، 26 ، 153 ، 164 ، 227 ، 112 ، 121 ، 305 ....

ولفهم كتاب سيبويه نفرض أنه يجب عزل كل جمله الدالة على بنيات سطحية من جمله الدالة على بنيات عميقة ، لنقف بعد ذلك على ماقال به السانتكس الجديد

وأخيرا، وهو الأهم، التأليف والنص.

وهذه الانجازات العقلية سبقتها انجازات طبيعية تتصل بالموضوع. ان الدراسات السانتكسية انطلقت من نهاية أوج ما انتهت اليه الصنعة الكلامية عند العرب، والتي لفتت أنظارهم الى بناها السطحية والى ان تكيبها تراسوا يشتقون ويولدون منها بنى عميقة لم يكن ممكنا أن يحصروها الا بالشواهد أو بالأحرى بمدونات متنوعة تنوع العادات الكلامية في الأداء والتعبير. ولذلك، فان السانتكس العربي القديم الضارب بجرانه وجذوره في هذا السانتكس العربي الجديد، سيبقى مختلفا عن أي انطلاقة لأي سانتكس غير عربي، باعتبار نقاط هذه الانطلاقة مختلفة في تاريخها وطبيعتها وظروفها، اذ شتان ما بين سانتكس عفوي شفوي قائم على تراث سليقي ناضج، وبين سانتكس تتدخل أحيانا القوانين والمراسيم في تعديله.

ولهذا، فاننا نؤكد على تلك الطاقة اللغوية الكامنة في كل لغة، واذا كان هناك تفاوت محتمل أو حتمي بين لغة وأخرى، وهو أمر عادي، فان ذلك لا يرجع الى الهدف المشترك والوحيد الذي يختص بالتواصل الانساني من خلال بنيات سانتكسية، وهذا ما يفرق بين لغة الانسان ولغة الحيوان المزعومة، ولكن في البنية السانتكسية التي

تستقل بها لغة دون أخرى حسب خصائص داخلية صارت في وقت

معين الأوقات جزءا من دليل الخطاب وعادات التكلم لدى أصحابها

بكيفية عن الشيء نفسه لكن ليس بالكيفية نفسها .

ان ما قد يكون غامضا في لغة كالفرنسية مثلا ليس ضرورة

أن يكون كذلك في لغة أخرى كالعربية ، فجملة :

Les enfants ont regardé les fleurs de la fenêtre

يسودها الغموض في الفرنسية ، اذ هل :

ـ الأولاد شاهدوا الورود من النافذة

أم :

ـ الأولاد شاهدوا ورود النافذة ؟

في حين أننا في العربية يمكن أن نقول :

ـ شاهد الأولاد أو الأولاد شاهدوا الورود من النافذة

أو :

ـ شاهد الأولاد أو الأولاد شاهدوا ورود النافذة

ثم يمكننا أن نعبر عن هذا الشيء نفسه بأكثر من أربعة تراكيب لكن ليس

بالكيفية نفسها .

وليس معنى هذا أن اللسانتكس العربي منزه من مثل هذه

الغموضات ، ولكن البنيات اللسانتكسية ليست متطابقة بنظام مشترك بين

كل لغة واخرى ،وهكذا نرى أن هذا الاختلاف هو حاصل في كل المستويات .

وفي الوقت نفسه ، ليست اللغة مسؤولة بصورة بنيوية مباشرة عن الغموض في هذه الجملة أو الوضوح في تلك ،فهذا وهم تأملي أو ميتافيزيقي كثيرا ما عزي الى اللغة وكأنها تتصرف كما تتصرف سائر الكائنات الحيه في دوسا . ان ظاهرة الوضوح أو الغموض انما تنجم ، في نظرنا ، من جراء الفرد المتكلم الذي يحسن أو يسيء استخدام أو توظيف المواد أو الموارد التي توفرها له لغته ، ثم ان الغموض أو الوضوح في بنية ما تتكسيه ينعكس في ذهن المتلقي الذي قد يعجز ادراكه الحسي عن فك أو تحليل شفرة الخطاب الذي يكون مرجعه المتكلم كجزء لا اللغة ككل .

ان المطلع على هذا السانتكس العربي القديم يدرك بأنه صيغ وشكل انطلاقا من تلك الحياة العربية كمشاتل ثقافية ،بيد أن تلك القواعد الصارمة كانت ذا ميل أو نزعة الى الطابع المنطقي بصورة منبثقة من ذات العربية القديمة نفسها ،ولم تعد تسمح للمتكلمين للتلفظ بأية طريقة سانتكسية أو مورفولوجية أو معجمية ... ،ولم تعد فترة تقعيد القواعد تحتمل ما احتمل من ذي قبل في غياب هذه القواعد العلمية

الا القواعد السليقية . من هذا ما رواه خلف الأحمر بأن رجلاً وشيخا من أهل الكوفة قال له : ((أما عجبت من الشاعر قال :

أنبت قيصوما وجثجاثا

فاحتمل له ، وقلت أنا :

أنبت اجاصا وتفاحا

فلم يحتمل لي)) (1) ؟

وأرد ف ابن قتيبة التي يعد من المنصفين للسا نتكس والصور الجديدة للمحدثين : ((وليس له أن يقيس على اشتقاقهم فيطلق ما لم يطلقوا)) (2) .

وأما الخليل بن أحمد ، فقال من جهته : ((أنشد ني رجل :

ترافع العز بنا فارفنععا

فقلت : ليس هذا شيئا . فقال : كيف جاز للعجاج أن يقول :

تقاعس العز بنا فاقعنسسا

ولا يجوز لي ؟)) (3)

---

1) الشعر والشعراء ص : 16 ابن قتيبة (طبعة ليد ن : 1902)
2) م.س : ن . ص
3) م.س : ن . ع

وحاول الغطفي (فقيه اللغة) هنري فليش في مرجعه المشهور

أن يوضح بعض الخصوصيات لهذا الساتتكس في مبدأين :

أولهما : أن نميز قوة عمل الجر والنصب (Forces des Réactions) ، أحدهما

قوي وآخرهما ضعيف ، وببساطة هناك أشكال قوية وأشكال ضعيفة ،

الشيء الذي كان يمكن من وضع اتباعات . مثلا ، نصب الأفعال معتبر

كقوة ، لكن الأدوات تعتبر ضعيفة ، وبالنسبة للاسم يعتبر المفرد في

الدرجة الأولى وأكثر قوة ، بينما الجمع هو أكثر ضعفا ، وهذا يمكننا

من أن نضع الأصول (les principes) والفروع (les conséquences) .

ان القواعد الموضوعة كانت تمكن من اظهار الرتب التي كان يجب للكلمات

أن تحتلها في الجملة (رتبة مرتبة) . كل كلمة كان يجب أن تحتل رتبتها

كما ... تملك دورا لأدائه (حكم) ، وكان لها حق لتمارس حقوقها

في نطاق ما يسمح لها بأداء هذا الدور .

ثانيهما : أن هناك ما يبدو في مفهوم أو تصور الشبه وتنوع الفرق ،

بوجه آخر ، فان الشبه الجزئي يمكن من اقامة علاقات بين الكلمات

المختلفة وانشاء أصل وفرع (1) .

(1 TRAITE de philologie Arabe p: 6
HENRI FLEISCH - inpremerie catholique
BAyrouTh 1961

أما جيرار ليكومت: GÉRARD Lecomte فانه في دراسته الوصفية يحصر الساتنكس العربي في أربعة محاور: (1)

1) الساتنكس الاسمي Syntaxe nominale

2) الجملة الاسمية Phrase nominale

3) الجملة الفعلية المستقلة Phrase verbale indépendante

4) الجملة الفعلية المتمفصلة phrase verbale articulée

ويقصد بالنوع الرابع:

آ - الجملة المجاورة أو المتجاورة Juxtaposition

ب - الجملة التابعة أو الاتباعية أو الثانويه subordination

ج - الجملة الشرطية hypothétique

اذا تعاملنا بنيويا من اللغة كقوة خارجية فانها لم تكن الا علامة اعتباطية صارت قانونا وعرفا اجتماعيا بين أعضاء مجموعة لسانية، واذا تأملناها بنيويا كقوة داخلية فانه لا دخل لعوامل نصب أو جر أو رفع في قوة هنا وضعف هناك، ان المنصوب (هنا الاسم والفعل على السواء) قد يكون واحدا والعوامل مختلفة، وكذلك المرفوع والمجرور،

---

1) Grammaire de l'arabe P: 31, 123 Gérard Le comté ed: (que sais-je ?)

فنحن اذا قمنا بقراءة للتراكيب المنصوبة التي جاءت في ((الجمل في النحو)) المنسوب للخليل بن أحمد، فاننا نقف فيه على واحد وخمسين وجها للنصب (1)، ووظيفة الأدوات تختلف في تركيب أو من تركيب ما نتكسي الى آخر، وتبقى هي هي، مثل (حتى) التي تجر تركيبا وتخفض تركيبا آخر، ... الخ

ان نظرة الفقلفي هنري فليش لا شك أنها كانت تغلب عليها فكرة شليجل بأن اللغة منظومة حية أي كأنها ظاهرة بيولوجية يتعامل معها اللساني مثلما يتعامل مع عالم الطبيعة مع الكائنات.

ان اللغة أبعد من أن تكون منظومة من هذا القبيل، فهي لا تملك الارادة حينا وتعدمها حينا آخر كأعضاء جسم أو كائن حي، واذا كان لا بد من قوة مفترضة فانما تلك القوة تتوزع بشكل ضمني ومتداع تحت البنى السطحية.

وعلى ذكر القوة والضعف اللذين هما عاملان خياليان وفقيا للوقائع اللسانية ذاتها، فاننا نريد أن نشير ما أسماه العرب بـ((الفضلة)) معتبرين كغيرهم من الأجانب المسند والمسند اليه أساسا في التركيب، والحق أن الفضلة ليست دون المسند والمسند

---

1) كتاب ((الجمل في النحو)) ص: 35 - 115 الخليل بن أحمد ؟ (ط: 1985/1 مؤسسة الرسالة - بيروت)

اليه ،كلما توسعت الجملة النواة على الأقل في مجالها الفضائي الدلالي الذي يكون اعلامها مشتركا بصورة تلقائية في كثير من الحالات بين المرسل والمرسل اليه من خلال مرسلة قد يعبر المسند اليه والمسند عنها قبل ارسالها أو يتركها تساؤلات مشتركة بين المرسل اليهم :

المسند اليه	المسند	الفضاء الدلالي
القاضي	يعاقب	؟ (الجاني مثلا)
الحكم	ـــــ	؟ (اللاعب مثلا)
الضابط	ـــــ	؟ (الجندي مثلا)
المعلم	ـــــ	؟ (التلميذ مثلا)
القانون	ـــــ	؟ (المزور مثلا)
الشمس	تشرق	؟ (من الشرق)
ـــــ	تغرب	؟ (من الغرب)
ـــــ	حارة	؟ (في الصيف ،في الصحراء..
الجو	معتدل	؟ (في الربيع مثلا)
ـــــ	بارد	؟ (في الشتاء مثلا)

.... الخ

وهـذا الفضاء الدلالي تقاطع لغوي دال مشترك بيـن

المتكلمين علـى مستوى لغة واحدة وعلى مستوى أكثر من لغـة،

وهو كما نلاحظ من الجدول أعلاه أعم في الفضلة منه في المسند فضلا

عن المسند اليه ،لأن وظيفة القاضي ليست فقط العقاب ،كما أن المعلم

مثلما يعاقب تلميذه قد يجازيه ،والضابط قد يقترح ترقية جنديه ...

لـكن المسند سواء تقدم أم تأخر في السانتكس العربي ،هـو الـذي

يوحي للمتلقين الفضاء الدلالي العمومي للتركيب . ولذا فان أهميـة

التقـديم والتأخيـر لا تأثير لها على البنية السانتكسيـة العربية فـي

مثـل هذه التراكيب ما دامت محافظة على سياقها النحوي والدلالي .

ومقابل هذا فان الغموض يبقى سائدا هذا الحقل بالنسبة لتوزيع

الأدوار للعناصر المتقاطعة سانتكسيا ودلاليا ومورفولوجيا . ان النحويين

مثلهم مثل المناطقة يقولون بأن المسند يخبر عن المسند اليه ،واذا مثلنا بأحد

الأحاديث النبوية : ((خيركم خيركم لأهله ،وأنا خيركم لأهلي)) موزعين عناصره :

المسند اليه	المضاف اليه	المسند	المضاف اليه	الجار	المجرور
1) خير	كم	خير	كم	—	—
2) خير	كم	خير	كم	لـ	أهل + ه
3) (و) أنا	—	خير	كم	لـ	—
4) أنا	—	خير	كم	لـ	أهل + ي

فـا ننا نرى أنـه لا المسند يكون دائما خبرا موضحا ومزيلا الغموض المسند اليـه ،ولا ما سمي بـ ((الفضلة)) هو فضلة بالمعنى الوظيفي الصحيح في الساانتكس العربي .

ففي جملة (1) كأن المسند توكيد مسند اليه ،وجملة (2) بفضـل الفضلة صارت ذات دلالة كلية ،وجملة (3) كانت بنيتها أكـثر غموضا اذا كنا نجهل المرجع للخطاب أو المرسل (بكسر السين) ، أمـا جملة (4) فانها تعادل في وضوحها جملة (2) باعتبار البنيـة الساانتكسيـة المتشابهة .

فعلى اللسانيات العربية الجديدة أن تجتهد في ايجـاد مخرج تنظيـري وعملي قائم على التطبيق التحتي لمثل هذه الاشكالية الساانتكسية التي مازالت تسود كثيرا من تراكيبنا اللغويـة .

ان التحليل اللساني الحالي للعبارة أو القول يتعامل مـع المرسلة تبعا لما يؤديه كل عنصر أو وحدة دالة من وظيفة ،والساانتكس العربي القديم كان يقوم على التحليل النحوي الكلي للأدوار التي كانت تؤديها المصطلحات التي اكتسبت دلالات علمية جديدة ، الى جانب الوحدات النحوية المستقلة التي كسيت بمصطلحات متعددة الوظائف ، والذي يبدو أن الدرس اللغوي القديم عند العرب بشكل عام كانت

عنايته مركزة على التركيب في ذاته أزيد مما انصبت جهوده على التحليل، لأن هدفه المبدئي والأصلي كان بناء وتشييدا لقواعد وليس تحليلاتها، لأن التحليل كان يسبق البناء من خلال التعامل مع المعطيات اللغوية أو المدونات الجاهزة سلفا.

وتلك التحاليل كانت تفرض مسبقا بأن أي نوع خطابي الا وكان يملك وظائف سانتكسية مختلفة كامنة تحت البنى السطحية. وهذه العملية في التعامل مع اللغة من الخارج باعتبارها خطابات شفوية، ومن الداخل باعتبارها منظومة قائمة بذاتها أي متميزة عن باقي الظواهر والعلوم الأخرى، هو ما تذهب اليه بعض المواقف اللسانية المعاصرة، حيث نجد أن ((اللساني يستند على مجموعة الأقوال أو الملفوظات المحققة : انها المدونة، هو يحاول انطلاقا من هنا أن يؤسس قواعد هذه المدونة مستعملا ما تجلى منها من القواعد القياسية التوزيعية لعناصرها المؤلفة لها. ان اللغة في الواقع مكونة من عناصر متميزة أو قائمة بذاتها، والتي تتركب فيما بينها بمختلف المستويات لتكوين وحدات أعلى : المستوى

الفونيمي ،المورفولوجي ، السانتغمي (Syntagmatique) ،
الجملي (phrasatique) ، هذه الوحدات الاعتباطية
والتي تعد ادنا منتهية ،لا تتركب كيفما اتفق ؛ كل لغة تحدد
لأي مستوى نظاما من الاجبارات (contraintes) وقيودا
(Restrictions) لامكانياتها التركيبية (combinatoires) (1) .
وهذه المواقف أعلاه لم تخل منها أو من مقارباتها الدراسات
السانتكسية العربية القديمة .

(1 Initiation à la problématique structurale
P : 7 T/2
HACHETTE 1978

الفصـــــل الثاني : التــركيــب الاسنـــاني

لا أخفي المتتبع لهذا العمل بأني ترددت أياما وأياما قبل الاقدام على تحرير هذا الفصل على هذا النحو، كما أني لا أخفيه سرا آخر بأني قمت بعمل موازٍ لعمل هذا الفصل معتقدا أنني سأجد ألفة ما بين العملين أو القراءتين، لكني في النهاية وجدت نفسي مجبرا على اعتماد أحد العملين أو احدى القراءتين، هي القراءة التي تنطلق من المفهوم العربي القديم الجديد للتركيب أو الجملة أو الكلام ... والتي تتجسد بوجه خاص، كما انتهت عند ابن هشام، أي كل كلام جملة، وليست كل جملة كلاما (1)، وكأني به يريد أن يقول، وهذا ما نفهمه فعلا من كلامه، ان التراكيب تنتمي الى اللغة، لأن اللغة هي المجموع الكلي المتصور، بينما الجملة تعبر عن الفعل الحر الذي يشخص كلام المتكلم.

وسوسور على الرغم من تقدمه نسبيا، فهو يعتبر أفضل واحد حتى الآن، حسب وجهة نظرنا، بعد العرب، من عبر تعبيرا واضحا ومفيدا للموضوع، على الرغم من أنه صرح عن ذلك، مثله مثل سيبويه (2)

1) راجع : الاعراب عن قواعد الاعراب ص : 60 - 61 لابن هشام مثلا

2) راجع الكتاب : 1/25-26 ففيه خمسة تراكيب متنوعة للجملة المقبولة وغير المقبولة

عرضا ، ولم يخصص حيزا كبيرا للتركيب على الطريقة المألوفة منذ مدة لدى شومسكي وبعض اللسانيين الأمريكيين بوجه خاص ، والذين تهافت على نظرياتهم باحثون عرب معاصرون ، لكن محاولاتهم باءت تقريبا كلها بالفشل حين أرادوا أن يطبقوا هذه القواعد التوليدية التحويلية على اللغة العربية بطرق منهجية شكلانية تعسفية .

ومما أبداه سوسور حول هذا الموضوع قوله : ((أن الجملة هي النمط الأفضل للتركيب غير أنها تنتمي الى الكلام لا الى اللسان ، أفلا ينجم عن ذلك أن يعود التركيب الى الكلام ؟ اننا لا نعتقد ذلك ، فخاصية الكلام هي من حرية الانسان ... وليس هذا هو كل شيء ، اذ يجب أن نسند الى اللغة لا الى الكلام جميع أنماط التراكيب المبنية ، بحسب صيغ نظامية)) (1) على الرغم من اعتراف هذا اللساني بأن هناك غموضا مخيما بين التركيب من جهة والكلام من جهة ثانية ، باعتبار الفوارق المعروفة عند هذا اللساني بين اللغة واللسان والكلام ((ولكن يجب الاعتراف أن لا حدود هناك واضحة في مجال التركيب وذلك بين واقعة اللغة التي هي علامات الاستعمال الجمعي ، وواقعة الكلام الخاضعة للحرية الشخصية)) (2) .

---

1) محاضرات في الألسنية العامة ص : 150 - 151

2) م.س.ص : 151

ومــن باب الاعتراف علميا ومنهجيا ، لا تهربا أو محاولة التخلص من هذا الموضوع الشائك ، أنني ارتأيت أن أتناول هذا الموضوع من خلال دراسة تأخذ بعين الاعتبار المحاور اللهجية التالية :

1) التركيب الاسمي (خلال هذا الفصل نفسه)

2) التركيب الفعلي (في الفصل الثالث أي القادم)

3) التركيب الحرفي والظرفي (في الفصل الرابع)

ويجب أن ندلي بملاحظة أخرى تخص التراكيب اللهجية القبلية العربية ، تتلخص في أنه لا يمكن الالمام جملة وتفصيلا بكل هذه التراكيب ، لأننا لم نتناول صنفا واحدا من هذه اللجات ، بل حاولنا أن نتناول أصنافا شتى من هذه التراكيب انطلاقا من بعض التراكيب التي اجتهدنا في الوقوف عليها من خلال اللغات السامية المشهورة أو تلك التي لا تزال حية مستعملة ، ومرورا باللهجات العربية البائدة التي نجد ملامح منها مطبوعة ومرسومة في التراكيب اللهجية لهذه العربية الباقية لغة القرآن والشعر والآداب والحكم والأمثال ...

ان الالمام بكل هذه التراكيب يبقى طموحا ينبغي أن تجسده قراءات متعددة لا قراءة واحدة ، وأعني بهذه القراءة هنا أن يبحث كل تركيب مستقلا عن التركيب الآخر ، لأنه شتان ما بين قراءة

متأنية في حقل اسمه ((التركيب الاسمي)) وقراءة مماثلة لكنها مختلفة في حقل ثان اسمه ((التركيب الفعلي)) ، وقراءة ثالثة مختلفة تمام الاختلاف عن القراءتين السابقتين في حقل ثالث اسمه ((التركيب الحرفي)) .

غير أن هذه الملاحظة لا تخلو من مسؤولية موضوعية لو أعرضت أو حاولت أن تقلب ظهر المجن لتركيب على حساب تركيب آخر ، والذي نراه أن تكون هذه القراءة في الحقل السانتكسي بين اللهجات العربية الباقية في هذا الفصل بالذات متوازنة الى حد ما تبعا للمدونة الثرية في هذا التركيب دون التركيب الآخر وليس تبعا لاتباع أهواء قراءة أو الانسياق وراء تفضيل تراكيب لهجية على حساب تراكيب لهجية بائدة ، لا سيما حين يتعلق الأمر بالتراكيب اللهجية الفصيحة بما فيها تلك التراكيب اللهجية التي وردت فيما يسمى بـ ((القراءات الشاذة)) .

1) التركيب الاسمي :

1 - 1 : الجنس : الجنس من الخصائص النحوية الهامة في التركيب الاسمي ، والذي عني به اللغويون المحدثون مثلما عني به اللغويون القدماء . فعلامات التأنيث الثلاث في العربية بشكل عام هي التي تميز المذكر من المؤنث ، ولكل لغة خصوصيتها في الجنس .

ان المفهوم الشائع ،ولا سيما التعليمي منه ، أن الجنس في العربية تتميز هوياته ما بين المذكر والمؤنث من خلال ما يتصل بنهاية المؤنث ،ومنه قول الفراء : ((للمؤنث علامات ثلاث :

منها الهاء التي تكون فرقا بين المؤنث والمذكر ،مثل فلان وفلانة ، وقائم وقائمة .

ومنها المدة الزائدة التي تراها في ((الضراء)) و ((الحمراء)) و ((الصفراء)) ،وما أشبه ذلك .

ومنها الياء التي تراها في ((حبلى)) و ((سكرى)) و ((ضغرى)) .

فأما المدة والياء ،فلا يقعان لمذكر في حال أبدا .

وأما الهاء فلها ضروب تقع فيها ...)) (1)

ثم يستمر الفراء في بيان أسماء لا مميز فيها ،لكن هويتها كمؤنث تظهر جلية من خلال الوظيفة المسندة الى طبيعة هذه الأسماء، وهي وظيفة تارة تكون منطقية مثل الأوصاف التي لا حظ فيها للمذكر مثل :حائض ،طامث ، شاة حامل ، مرضع ...الخ ،ومرة تكون متصلة بالعادة الكلامية التي توحد الجنس على الرغم من اختلاف الهوية في الآن ذاته ،كعدل ((صابر)) الى ((صبور)) بدون هاء في المذكر

---

1) المذكر والمؤنث ص :57 - 58 الفراء

(ط:1975 مطبعة قاصد خير - القاهرة)

كالمؤنث .

وقد يرد في العربية من التأنيث والتذكير ما لا يعلم ما قصد به ، ((كما أنه تأتيك من الأسماء ما لا يعرف لأي شيء هو ، وان كان المؤنث والمذكر يشتركان فيهما وزن واحد ،تقول : ((عدل)) و ((حمل)) ، فهذا على ((فعل)) ،وهو مذكر ، وتقول : ((فهر)) فهي مؤنثة ،وتصغيرها ((فهيرة)) ...)) (1) .

وأما ما يعرف باسم الجنس الجمعي ، ويسميه الفراء اسم موضوع (2) ، فان العرب اذا أرادت افراده قالوا في واحده : ((شاة)) من الشاء ، للذكر والأنثى معا ،وهي لم ترد ((بالهاء هاهنا ،التأنيث المحض ، انما أرادوا الواحد ... وربما فعلوا عند موضع الحاجة فجعلوا الأنثى مفردة بالهاء ،وجعلوا الذكر مفردا بطرح الهاء ، فيكون الذكر على لفظ الجمع ،من ذلك ((رأيت نعاما أقرع)) ،و ((رأيت حماما ذكرا)) ويقولون : ((رأيت جرادا على جرادة)) و ((حماما على حمامة)) يريدون ذكرا على أنثى ... قال : وسمعت الكسائي يقول :سمعت كل هذا النوع من العرب بطرح الهاء من ذكره الا قولهم: ((رأيت حيه على حية)) فان الهاء لم تطرح من ذكره)) (3) .

---

1) المذكر والمؤنث ص : 112 المبرد (ط: 1970 مطبعة دار الكتب ـ القاهرة)

2) المذكر والمؤنث ص : 68 الفراء

3) م.س.ص : 69 ـ 70

وأما الخليل بن أحمد فقال : ((هـذا شاة بمنزلة قوله تعالى :

((هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي)) (1) .

وأما سيبويه فقد تعرض للجنس في أكثر من موضع وتناوله بعدة أفكار لسانية أكثر منها نحوية ، وهذا هو الأصل في الدراسات اللغوية المبكرة بما فيها الدراسات التي سبقت سيبويه نفسه ، وهذه الرؤية العربية لهذا النوع من التركيب هو عين ما غدت تميل إليه الدراسات اللسانية المعاصرة حيث أضحت تدرس هذا الصنف من اللغة الانسانية ضمن التركيب بشكل لساني واسع لا بشكل نحوي ضيق .

ان سيبويه يرى أن المذكر أخف من المؤنث ((واعلم أن المذكر أخف عليهم من المؤنث لأن المذكر أول ، وهو أشد تمكنا ، وانما يخرج التأنيث من التذكير)) (2) ، وقال في موضع آخر بعد هذا : ((لأن الأشياء كلها أصلها التذكير ثم تختص بعد ، فكل مؤنث شيء ، والشيء يذكر ، فالتذكير أول ، وهو أشد تمكنا)) (3) .

كما أن التبادل قد يحصل بين المذكر والمؤنث ((قد يكون الشيء المذكر يوصف بالمؤنث ، ... ويكون الشيء المؤنث يوصف

---

1) الكتاب : 3/ص : 562 والآية : 98 من الكهف

2) م.س : 1/ص : 22

3) م.س : 3/ ص : 241

بالمذكر ،وقد يكون الشيء المؤنث له الاسم المذكر ،فمن ذلك : هذا رجل ربعة وغلام يفعة ،فهذه الصفات ... ومن ذلك أيضا قولك : هذه امرأة عدل ،ومن الأسماء فرس ،هو للمذكر ،فجعلوه لهما ، وكذلك عدل ...)) (1)

أما الخروج عن مميز الجنس لمعرفة هويته ان كان مذكرا أو مؤنثا من خلال حمله على المعنى ،فان سيبويه قد بلغ الرقم القياسي في هذا المبحث دون اعتبار الشكل الظاهري في كل حال للكلمة ، ومن هذه الأمثلة الغزيرة في مختلف المستويات التي يؤول الكلام فيها على المعنى لا على المبنى فقط قوله المرتبط هنا بموضوعنا : ((وزعم يونس عن رؤبة أنه قال : ثلاث أنفس ،على تأنيث النفس ،كما يقال : ثلاث أعين للعين من الناس ،وكما قالوا : ثلاث أشخص في النساء ،وقال الشاعر وهو رجل من بني كلاب :

وان كلابا هذه عشر أبطن وأنت بريء من قبائلها العشر

وقال القتال الكلابي :

قبائلنا سبع وأنتم ثلاثة وللسبع خير من ثلاث وأكثر

فأنث أبطنا اذ كان معناها القبائل .... وقال عمر بن أبي ربيعة :

---

1) الكتاب : 2/ ص : 212

فكان نصيري دون من كنت أتقي ثلاث شخوص : كاعبان ومعصر

فأنث الشخص اذ كان في معنى أنثى)) (1).

ومن اللغويين المتقدمين من يرفض أن يكون أمر الجنس في العربية قياسا مطردا ، وأن العلامات الثلاث التي تعد في التعليم التقليدي علامات مميزة لهوية الجنس حين يكون مؤنثا على الأقل ليست قياسية في كل حال ((ليس يجري أمر المذكر والمؤنث على قياس مطرد ، ولا لهما باب يحصرهما ، كما يدعي بعض الناس ، لأنهم قالوا : ان علامات المؤنث ثلاث :

ـ الهاء في قائمة وراكبة

ـ والألف الممدودة في حمراء وخنفساء

ـ والألف المقصورة في مثل حبلى وسكرى

وهذه العلامات بعينها موجودة في المذكر : أما الهاء ففي مثل قولك : رجل باقعة ونسابة وعلامة وربعة وراوية لشعر ... وأما الألف الممدودة فمثل : رجل ذو وبزلاء اذا كان جيد الرأي ، وأما الألف المقصورة ففي مثل : رجل خنثى ، وزبعرى للسيء الخلق ... ووصفوا أن المذكر هو الذي ليس فيه شيء من هذه العلامات ، مثل زيد وسعد ، وقد يوجد على هذه الصورة كثير من المؤنث مثل هند ودعد ، وأتان ورخل وعنز ...)) (2)

---

1) الكتاب : 3/ص : 583 ـ 586

2) المذكر والمؤنث ص : 17 ـ 18 ، سعيد بن ابن ابراهيم التستري الكاتب (مطبعة المدني ـ القاهرة)

وما ابن فارس فقال وهو يتحدث في باب أجناس الأسماء: ((قال بعض أهل العلم: الأسماء خمسة: اسم فارق، واسم مفارق، واسم مشتق، واسم مضاف، واسم مقتض)) (1).

ان الفارق مثل: رجل، فرس، والمفارق مثل: طفل يفارقه اذا كبر، والمشتق مثل: كاتب، والمضاف نحو: كمل وبعض، وذلك لاعتقادهما بأن هذين الاسمين الأخيرين مضافان أبدا، وأما المقتضي فمثل: أخ، شريك، خصم، ابن ... الخ.

والملاحظ أن الجنس في هذه الأصناف الخمسة ليس واضحا، لأنها لا تحتوي كلها على مميزات تصحب كل صنف للدلالة على تأنيثه، اذ أقول: طفلة، وكاتبة، وأخت، وشريكة، وابنة، ... ولكن هل باستطاعتي القول أيضا: رجلة، فرسة، خصمة، ... حتى وان كان الفراء قال: ((وقد قالت العرب حروفا، بنت فيها الأنثى على الذكر، وقد كانت الأنثى في ذلك مسماة باسم يؤدي عن تأنيثها، فقالوا: ((غلام)) و ((جارية)) و ((شيخ)) و ((عجوز))، فأدت الجارية عن نفسها، ثم قالوا: ((غلام)) و ((غلامة)) و ((شيخ)) و ((شيخة))، جاء في الحديث: ((كانت عائشة رجلة الرأي))، وقد قالوا: ((ثور)) و ((ثورة))، وقال آخر: ومركضة صريحي أبوها تهان لها الغلامة والغلام

---

1) فقه اللغة ص: 86 ابن فارس

وقال آخر :

وتضحك مني شيخة عشمية كأن لم ترى قبلي يمانيا

فلا تنكرن أن يبنى مؤنث على مذكر)) (1) .

هذا ، وإشكالية تمييز هوية الجنس ليس بدعا في العربية وحدها

بقدر ما نجد هذه الاشكالية متفشية في لغات انسانية أخرى ، ففي الفرنسية

مثلا لا ينتهي المؤنث فيها دائما بعلامة ((E)) مثل :

- (la Souris) (فأر ، فأرة)

- (la Foi) (ايمان ، أو اعتقاد ...)

- (la liberte) (الحرية)

وعلى العكس من ذلك ، فان بعض الأسماء المذكرة تأخذ مميز المؤنث

((E)) في آخرها مثل :

- (le Lycée) (الثانوية)

- (Le musée) (المتحف)

- (Le Foie) (الكبد) (2) .

واذا ما عدنا اليوم الى بعض المعاجم اللسانية المعاصرة ، فاننا

نجدها تنظر الى الجنس في اللغة على أنه نحوي أو شكلي ، لأنهما الشيئان

---

1) المذكر والمؤنث ص : 120 - 121 الفراء .

2) La Grammaire pour tous P177 - Le Bescherelle
Edition HATIER Paris 1984

الوحيدان اللذان يلاحظان في الواقع ، وعليه فهي معرفة بواسطة خصوصيات شكلية وليست دلالية ((غير أن بعض اللغات تميز بين الجنس المتحرك والجنس الجامد (الروسية) ، بينما تصنف الأسماء الى جنسين في الفرنسية والايطالية والاسبانية ، والى ثلاثة أنواع في الروسية والألمانية ..الخ .
وبالنسبة لأندري مارتيني ، فان الجنس لا يعتبر كوحدة دالة (مونيم) ، لأنه لا يشكل بشكل عام موضوع اختيار : اذ ليس بامكاننا أن نختار في قولنا اجاصة دون أن نختار في الوقت نفسه الجنس المؤنث ، ليس فقط لأن الجنس المؤنث والنوع المؤنث هما شيئان مختلفان ، لكن زيادة على هذا فان نفس التعارض للنوع يمكن أن يغطي التعارض في الجنس من ناحية والتعارض اللكسيكي (المعجمي) من ناحية أخرى)) (1) .

ومن جهة أخرى يلاحظ غياب التغيير في الجنس بالنسبة للفرنسية لأنه ((من المستحيل من الناحية الدلالية اثبات العدد الكبير من المؤنث والمذكر ، بينما التطور الصوتي هو الذي قرره بصفة أساسية ، وهذا لا يسهل من مهمة ~~التن~~ المتعلم ، لأن بعضا من الكلمات تغير جنسها خلال التاريخ ، بينما البعض الآخر من الجنس بقي غامضا لدى الكثير من المتكلمين ، وذلك على الرغم من جهود الصفائيين (Puristes) وخاصة عندما تبدأ الكلمة بواسطة حرف علة أو تنتهي بـ ((e)) غير المستقرة)) (2) .

(1 Dictionnaire de la Linguistique p. 154 (G. Mounin) (Edition 1974 Presse Universitaires de France)

(2 Initiation à la problématique structurale T: 2/P: 20

ويظهر أن العرب كانوا أكثر من غيرهم تمييزا لهذا النوع من القول حيث أخضعوه الى ما يقتضيه المنطق الدلالي، والى ما يقبله الذوق والطبع السليمان، من هذا ماروى الأصمعي نقلا عن أبي عمرو أن هذا الأخير سمع رجلا من أهل اليمن يقول : فلان لغوب، جاءته كتابي فاحتقرها، فقلت له (أبي الأصمعي) : أتقول : جاءته كتابي ؟ فقال : نعـــم . أليس بصحيفة ؟ (1)

أما ابن عصفور فقد ذهب مذهب من تبعهم من البصريين أو سواهم من اللغويين الآخرين الذين سبقوه، حيث عد هذه الوحدات من التركيب فيما أسماه بـ ((الضرائر الشعرية)) ، وولأيل على ذلك من عقده بابا طويلا لهذا الموضوع، ومما ذكره أن الاسم قد يكون مذكرا ((فيحكم له بحكم المؤنث بدلا من تذكيره، أو يكون مؤنثا فيحكم لـــه بحكم المذكر بدلا من تأنيثه حملا على المعنى)) (2) مرددا مرة أخرى ما ردده الأولون ((وتذكير المؤنث أحسن من تأنيث المذكر، لأن التذكير أصل التأنيث، فاذا ذكرت المؤنث ألحقته بأصلـــه، واذا أنثت المذكر أخرجته عن أصله)) (3)

---

1) راجع الخصائص : 1/ص : 248 و 2/ص : 416
2) ضرائر الشعر : 271 ابن عصفور (ط:1/1980 دار الاندلس ـ بيروت)
3) م.س.ص : 278

ونلاحظ أن قول ابن عصفور السابق يصب في قول ابن جني :

وتذكير المؤنث واسع جدا ، لأنه رد فرع الى أصل ، لكن تأنيث المذكر أذهب في التناكر والاغراب)) (1) .

والذي يبدو لي أن نص ابن جني هو الأغرب ، اذ من أدرانا أن المذكر أبدا أصل لكل مؤنث ، وهل من الضرورة بمكان أن توجد دائما المداليل المذكرة قبل المداليل المؤنثة ؟ بل ما هو مذكر طاولة ، شجرة ، باب ، ورقة ، .... ؟ وما هو مؤنث قلم ، جبل ، بحر ، جهاز ، .... ؟ بل ما هو مؤنث محمد ، ومصطفى ، .... ومذكر عائشة وهند ... ؟ الا ان مثل هذه النظرية يجب أن تزول من الأذهان بحيث لا يقارن الشيء الا بما يقابله .)) (2)

على أي حال ، ان الجنس في العربية وغيرها من اللغات الانسانية يعد من أوسع وأعقد المباحث اللغوية قديما وحديثا ، ولعل بحثه في اطار اللسانيات التقابلية والمقارنة يكون أكثر فائدة من بحثه مستقلا على مستوى لغة واحدة ، لكن هذا المطلب في عملنا هنا ان لم يتحقق معظمه ، فانا نعتقد بتحقيق بعضه ما دمنا نبحثه على مستوى لغة واحدة قديمة متجسدة في تراكيب لهجية متباينة

---

1) الخصائص : 2/ص : 415

2) العربية بين الطبع والتطبيع ص : 110

أو موزعة على مستوى القبائل أو العشائر والأفخاذ .

ان أفراد قبيلة واحدة قد يختلفون في تأنيث اسم أو تذكيره ، أو يغلب لدى قبيلة التذكير أو التأنيث خلافا لقبيلة أخرى قد تعاكسها في نفس الوحدة ، من ذلك أن أهل الحجاز يقولون : ((هي التمر ، وهي النخل ، وهي الشعير ، ...)) (1) ثم أردف الفراء : ((وكل جمع كان واحدته بالهاء وجمعه بطرح الهاء ، فان أهل الحجاز يؤنثونه وربما ذكروا ، والأغلب عليهم التأنيث ، وأهل نجد يذكرون ذلك ، وربما أنثوا ، والأغلب عليهم التذكير)) (2) . وأما ابن التستري الكاتب فقال : ((وكل جمع في واحده هاء ، فاذا حذفت صار جمعا ، جاز فيه التأنيث والتذكير نحو : حبة وحب ، وتمرة وتمر ، وبقرة وبقر بالتأنيث للحجاز والتذكير لنجد)) (3) .

وأما الكتف والعضد والذراع والكف واليد والشمال واليمين والورك والفخذ والساق والعقب والرجل والقدم ، فكلها مؤنثة ، ومثلها الأصابع الا عند بني أسد فانهم يذكرون كل هذه الأشياء من بدن الانسان (4) ، بينما عقب الفراء : ((والاصابع اناث كلهن ، الا الابهام فان العرب على تأنيثها ، الا بني أسد أو بعضهم فانهم يقولون :

---

1) المذكر والمؤنث ص : 101 للفراء .

2) م.س : ن . ص

3) المذكر والمؤنث ص : 52 ابن التستري الكاتب

4) م.س .ص : 50

هذا ابهام ، والتأنيث أجود وأحب الينا)) (1) . ونفس الشيء أكده فيما بعد ابن التستري الكاتب : ((الابهام : تؤنثها جميع العرب الا بعض بني أسد فانهم يذكرونها ، وجمعها أباهيم)) (2) .

وبالنسبة لجمع التكسير فان ((كل جمع لغير الناس ، مذكرا كان واحده أو مؤنثا كالابل جمع جمل ، والأرجل جمع رجل .... فهو مؤنث ، ... وكل جمع على جمع التكسير للناس وسائر الحيوان الناطق يجوز تذكيره وتأنيثه ...)) (3)

ومن الصعب أن نحصر اختلاف القبائل في الجنس على هذا النحو من الدراسة والمقارنة والتحليل ، ولكننا نحاول هنا أن نلم بأكثر ما في هذا الجنس من اختلافات بين القبائل العربية من خلال قراءة تراثية مستوحاة من كتاب ((المذكر والمؤنث)) لابن التستري الكاتب مصحوبة بقراءة أخرى من كتب متنوعة .

ان ابن التستري الكاتب على الرغم من أنه جاء بعد الفراء والمبرد (4) ، الا أن المنهجية التي اتبعها في كتابه أعلاه تغري القارئ اليوم باتباع قراءته ، لأنه بنى ما سمع من اختلاف في الجنس بين القبائل العربية أو العرب عموما على نسق حروف المعجم .

1) المذكر والمؤنث ص : 78 الفراء
2) المذكر والمؤنث ص : 57 ابن التستري الكاتب
3) م.س.ص : 68
4) توفي الفراء عام : 207 هـ ، وتوفي المبرد عام : 285 هـ ، بينما توفي ابن التستري الكاتب فهي سنة : 361 هـ .

- الابط : الفراء يذكره ويؤنثه ،والأصمعي لا يجيز تأنيثه (1)

- الأسل : يذكر ويؤنث ،والتذكير أجود لدى الفراء (2)

- البسر : يؤنثه الحجازيون ،وسواهم يذكرونه (3)

- التمر : يذكره أهل الحجاز ،ويؤنثه غيرهم (4)

- الحال : مؤنث ،وأهل الحجاز يذكرونها . (5)

- الذراع : مؤنثة تصغيرها ذريّعة ،وجمعها ثلاث أذرع ،بعد أن الفراء حكى أن بعض عكل يذكرها ،وبالتالي يصغرها : ذريّع (6) ،لكن ابن التستري يرى أن لهجة بني عكل في تذكيرها وتصغيرها أمر شاذ غير مختار ولا معمول عليه البتة (7) .

- الذهب : مؤنثة ،وربما ذكرت ،وعزا اللسان تأنيثها الى الحجاز (8) .

---

1) المذكر والمؤنث ص : 57 لابن التستري
2) المذكر والمؤنث ص : 106 للفراء
3) المذكر والمؤنث ص : 64 لابن التستري
4) م.س ،ص : 65
5) م.س.ص : 69
6) المذكر والمؤنث ص : 77 الفراء
7) المذكر والمؤنث ص : 76 لابن التستري
8) لسان العرب : 6/ ص : 62 ابن منظور

(الدار المصرية للتأليف والترجمة)

ـ الزوج : مذكرة ومؤنثة لدى الحجازيين، وهم مختلفون مع غيرهم من العرب ، ((الزوج : عند أهل الحجاز يقع على الذكر والأنثى جميعا ، وعلى واحد منهما . الرجل زوج المرأة ، والمرأة زوج الرجل بغيرهاء ، وهما جميعا زوج ، وذلك أفصح عند العلماء وأصح ، وأهل نجد يقولون : زوجة للأنثى وهو أكثر من زوج ، وزوج أفصح من زوجة)) (1) ، بينما قال الفراء : ((الزوج يقع على المرأة والرجل . هذا قول أهل الحجاز ، قال الله عزوجل : ((أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ))((2) ، وأهل نجد يقولون : زوجة ، وهو أكثر من زوج ، والأول أفصح عند العلماء . قال الشاعر :

وان الذي يمشي يحرش زوجتي كماش الى أسد الشرى يستبيرها

... فمن قال : زوجة ، قال في الجمع : زوجات ، ومن قال : زوج ، قال في الجمع : أزواج ، قال الله عزوجل : ((قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ)) (3) ، قال ، أنشدني أبو الجراح :

يا صاح بلغ ذوي الزوجات كلهم أن ليس وصل اذا انحلت عرى الذنب)) (4

في حين أنه قال في موضع آخر : ((وأهل الحجاز يقولون للمرأة : زوج ، وسائر العرب يقولون : زوجة)) (5)

---

1) المذكر والمؤنث ص : 80 ابن التستري
2) سورة الاحزاب آية : 37
3) سورة الأحزاب آية : 59
4) المذكر والمؤنث ص : 95 الفراء
5) م.س.ص : 108

وبصرف النظر هنا على قول الفراء السابق بأن زوجة أفصح عند العلماء

على أن سائر العرب يقولون : زوجة ، فان القرآن نزل بلهجة أهل الحجاز

في هذا النوع من الجنس ، فعلا وة على الآيتين السابقتين ، جاء فيه :

- ((وَقُلْنَا : يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ)) (1)

- ((وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ)) (2) .

وفي الوقت الذي يجزم فيه الفراء بفصاحة ((زوجة)) ، فان الأصمعي

يعاكسه مصرحا بأن العرب لا تكاد تقول : زوجته ، الا أن علي بن حمزة

البصري على أن فصحاء العرب يقولون : زوج وزوجة ، كقول الفرزدق

السابق (مع اختلاف في الرواية للبيت طبعا) :

وان الذي يسعى ليفسد زوجتي   كساع الى أسد الشرى يستبيلهما

وقال العجاج :

لا تسأل الزوجة ريح العطر

وقال الشماخ :

فمن العفيفات الجميلات الصور   قد أصبحت زوجة شماخ بشر

وقال ذو الرمة :

أذو زوجة بالمصر أم ذو خصومة   أراك لها بالبصرة العام ثاويا ؟

1) سورة البقرة آية : 35
2) سورة النساء آية : 20

وأنشد أبو عمرو :

وزوجة كثيرة السيات

وأنشد الآخر :

تحب زوجات أقوام حلائلـه   اذا الدخان تغشى الأشمط البرمـا

في حين أنشد البعض لأخي المرار بن منقذ :

تحب زوجات أقوام حليلته   اذا الأنوف امترى مكنونها الشبم (1).

ومذهب الأصمعي في عدم الاحتجاج بالشعر الاسلامي كأستاذه أبي عمرو بن العلاء لا يرد قول علي بن حمزة في هذه المسألة، ما دام أن الرجل قد أورد شواهد أخرى لغير الفرزدق وذي الرمة.

واعتقد أن تباين الأصمعي والفراء لا يرجع الى كون الأول بصريا والثاني كوفيا بقدر ما يعود الى المصادر اللغوية التي استقى منها كل واحد منهما، فعلى نسبة تفاوت سماعهما واختلاف المناطق اللغوية بينهما كان حكمهما، والا فان لغة العرب واحدة بدليل أن التنزيل جاء على لغة الحجاز، وأن شعراء ورجازا جاهليين واسلاميين وظفوا الوجه الثاني في أشعارهم.

- السبيل : يذكر ويؤنث، وكلاهما فصيح، ومما ذكره الأخفش: (رأيت

---

1) المنقوص والممدود للفراء والتنبيهات لعلي بن حمزة ص: 204 - 206 (دار المعارف - مصر)

الحجاز يؤنثون الطريق ،والصراط ،والسبيل ،والسوق ، والزقاق ،
والكلاء ،وهو سوق بالبصرة ،وبنو تميم يذكرون هذا كله)) (1)

وجاء في القرآن :

((قُلْ : هَذِهِ سَبِيلِي)) (2)

((وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً)) (3) ،وفي قراءة أبي :

((يتخذوها)) (4) .

وقال الشاعر :

فلا تجزع فكل فتى أناس سيصبح سالكا تلك السبيلا (5)

ـ الشعير : يذكره أهل نجد ، ويؤنثه غيرهم (6) .

ـ الصاع : تؤنثه أهل الحجاز ،وجمعه عندهم : أصوع مثل أشهر،
وفي جمع الكثرة : الصيعان ،في حين أن أسدا وأهل نجد يذكرونه
ويجمعونه على أصواع ،وربما أنثه بعض بني أسد (7) ،وهذا ما أكده
الفراء ((وربما أنثه بعض بني أسد)) (8)

---

1) المزهر :2ص : 225 ،ولاندري أي الأخافشة ،لان المحقق لم يشرالى هذا
2) سورة يوسف آية : 108
3) سورة الاعراف آية : 146
4) المذكر والمؤنث ص : 87 الفراء
5) المذكر والمؤنث ص : 115 المبرد
6) المذكر والمؤنث ص : 36 ابن التستري
7) المذكر والمؤنث ص : 88 ابن التستري
8) المذكر والمؤنث ص : 96 الفراء

- القدر : مؤنث تصغيرها قديرة ، وروى الفراء أن بعض قيس يذكرها (1) .

- القفا : يذكر ويؤنث ، والتذكير أغلب عليه (2) ، وهذا ما حكاه الفراء ،

أما الأصمعي فقال : ((ما سمعت أحدا يذكرها)) (3)

- الهدى : مذكر لدى جميع العرب ما عدا بني أسد ، فانهم يؤنثونه

ويقولون : هذه هدى حسنة (4)

وكما أشرت آنفا ، فانه من الصعب حصر كل الفروق اللهجية

القبلية في الجنس الى جانب الاختلافات العامة بين العرب من جهة ،

وبين العلماء من جهة ثانية في هذا الحقل الشاسع الذي لا نحسب أنه

يدنو من الاكتمال الا ببحثه موضوعا مستقلا عن بقية التراكيب الأخرى ،

ومع ذلك ، فيمكن تلخيص الظواهر اللهجية في الجنس بين القبائل العربية

على النحو التالي :

آ - ما يختلف فيه الحجازيون من تذكير وتأنيث فان الأغلب عليهم التأنيث.

ب - أهل نجد اذا اختلفوا في تذكير اسم ما أو تأنيثها - أحيانا - فالأغلب

عليهم التذكير خلافا لأهل الحجاز .

ج - ما يؤنثه الحجازيون أو يختلفون فيه ما بين تذكير وتأنيث ، يذكره

التميميون مطلقا .

---

1) المذكر والمؤنث ص : 82 الفراء .
2) م.س.ص : 103
3) المذكر والمؤنث ص ، 98 ابن التستري
4) م.س.ص : 109 ، وقارن بالمذكر والمؤنث ص : 87 للفراء .

د ـ أهل نجد يذهبون مذهب تميم في التذكير .

هـ ـ اذا انفردت أو شردت قبيلة غير مشهورة لهجيا ونفوذا طبقيا بظاهرة تذكير مطلقا مثل شرود عكل وحدها في تذكير الذراع ، وانفراد أسد بتذكير الابهام والرياح (1) ، وشذوذ قيس بتذكير القدر ، فان الحجاز وتميما وسائر القبائل العربية الأخرى من حضرية وبدوية تعاكسهم أي تؤنث ، حتى كأن تميما والحجاز لا تكادان تتفقان في التذكير والتأنيث الا حين تختلف قبيلة مع احداهما .

و ـ ان الجنس الذي ميز واحده بهاء يؤنثه الحجازيون ـ غالبا ـ ويذكره التميميون ـ غالبا أيضا ـ ، ومع هذه الأخيرة أهل نجد .

وكان لهذه الاختلافات اللهجية أثرها الواضح على القراءات القرآنية أي في التراكيب التي وردت فيها كلمات من هذا القبيل ، من ذلك أن حمزة والكسائي وأبابكر قرأوا ((وَلِيَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ)) (2) بالياء ، والقراء الباقين بالتاء (3) ، بمعنى أن الثلاثة ذكروا لفظ السبيل على لهجة تميم ، والباقين أنثوا اللفظة ذاتها على لهجة الحجاز ...

---

1) لم أتطرق الى هذه الكلمة (الرياح) في هذا البحث ، لكن الظاهر أن بني أسد يذكرون هذه الكلمة ، اذ قال الفراء : ((الرياح : كلها اناث و أنشدني بعض بني أسد :

كم من جراب عظيم جئت تحمله ودهنة ريحها يغطي على التفل

(يراجع المذكر والمؤنث للفراء ص : 97)

2) سورة الأنعام آية : 55

3) التيسير في القراءات السبع ص : 103 للداني

ط1 - 2 : فعال المعدولة عن فاعلة :

ان المعرب عند النحاة العرب هو ما يتغير آخره بسبب العوامل الداخلة عليه لا ختلاف بين اللغويين العرب لا أريد أن أخوض فيه أهو يدخل لفوائد دلالية أو لوصل الكلام بعضه ببعض أم لعلل أخرى ؟ ويرى النحاة العرب مرة أخرى بأن الأسماء المعربة في العربية هي الأصل والمبنية هي الفرع (1) ، وأما البناء فهو لزوم آخر الكلمة ضربا واحدا من الحركة ولا تحدث العوامل فيه شيئا (2) ، والمبني في هذا التركيب بالنسبة للهجات العربية الباقية يظهر في أربعة أقسام :

آ - ما بني على الكسر

ب - ما بني على الفتح

ج - ما بني على الضم

د - ما بني على السكون

ان المبني على الكسر قسمان : قسم متفق عليه بين جميع اللهجات العربية مثل هؤلاء ، وقسم مختلف فيه ، وهو ، ما كان :

1) قطر الندى ص : 5 ابن هشام (المطبعة العربية - مصر)
2) الخصائص 1/ ص : 57

شرح.

1) على وزن ((فعال)) التي تعدل عليها الأسماء من الأعلام المؤنثة .

2) ((أمس)) المراد به اليوم الذي قبل يومنا ،

وما يعنينا هنا ((فعال)) المعدولة عن فاعلة ، حيث تبنيه الحجاز على الكسر مطلقا ، فتقول :

- جاءتني حذام (اذا كان مرفوعا)

- مررت بحذام (اذا كان مجرورا)

- صافحت قطام (اذا كان منصوبا)

وقال سيبويه فيما جاء معدولا عن حده من المؤنث : ((واعلم أن جميع ما ذكرنا اذا سميت به امرأة فان بني تميم ترفعه وتنصبه وتجريه مجرى اسم لا ينصرف ، وهو القياس ، لأن هذا لم يكن اسما علما ، ... ألا ترى أن بني تميم يقولون : هذه قطام وهذه حذام (1) ، لأن هذه معدولة عن حاذمة ، وقطام معدولة عن قاطمة أو قطمة ، وانما كل واحدة منهما معدولة عن الاسم الذي هو علم ليس عن صفة ، كما أن عمر معدول عن عامر علما لا صفة ... وأما أهل الحجاز فلما رأوه اسما لمؤنث ورأوا ذلك البناء على حاله لم يغيروه ، لأن البناء واحد

---

1) سنند مرفوع طبعا بضمة على الميم .

وهو ههنا اسم للمؤنث ...

فأما ما كان آخره راء فان أهل الحجاز وبني تميم فيه متفقون ، ويختار بنو تميم فيه لغة أهل الحجاز كما اتفقوا في يرى ، والحجازية هي اللغة الأولى القدمى)) (1) .

وفسر السيرافي نص سيبويه بقوله : ((يعني أن بني تميم تركوا لغتهم في قولهم : هذه حضار وسفار ، وتبعوا لغة أهل الحجاز بسبب الراء، وذلك أن بني تميم يختارون الامالة ، واذا ضموا الراء ثقلت عليهم الامالة ، واذا كسروها خفت أكثر من خفتها في غير الراء ... فلذا اختاروا موافقة أهل الحجاز كما وافقوهم في يرى . وبنو تميم من لغتهم تحقيق الهمزة ، وأهل الحجاز يخففون ، فوافقوهم في تخفيف الهمزة من يرى)) (2)

وعلاوة على ما جاء لدن سيبويه وتفسير السيرافي لكلامه ، فاننا نريد أن نوضح بأن أهل الحجاز يبنون ((فعال)) المعدولة من فاعلة على الكسر مطلقا ، كما سبق أن أشرنا ، وذلك حين تكون علما مؤنثا ، أما بنو تميم فانهم قد افترقوا في هذه التراكيب فريقين :

1) فريقا منهم يعرب ذلك كله بالضم رفعا وبالفتح نصبا وجرا ، وفئة قليلة منهم تنحو هذا النحو .

2) وفريقا منهم - وهم الأكثرون - يميزون بين ما كان آخره راء مثل وبار (قبيلة) ، وحضار (كوكب) ، وسفار (ماء) ... فيبنونه على

1) الكتاب ، 3/ ص ، 277- 278

2) م.س.ص ، 278 هـ ، 2

الكسر مطلقا عملا بلغة أهل الحجاز (1) ، وأما ما كان آخره غير راء مثل : حذام ، وقطام ، ورقاش ،،،، فانهم يعربونه اعراب ما لا ينصرف مطلقا .

ويلاحظ أن التميميين قاسوا ((فعال)) المنتهية بغير الراء على الأسماء المعدولة ثم أعربوها اعراب ما لا ينصرف للعلمية والعدل ، فكأنهم تصوروا غلاب ورقاش ونحوهما معدولين من غالبة وراقشة مثلما عدل عمر وجشم من عامر وجاشم .

1 ـ 3 : أمس :

حين نعود الى الكتب القواعدية التي تتحرى المعيارية الصارمة غير آبهة بالتكلمات أو العادات الكلامية والتواصلية جملة ولا تفصيلا ، نجدها تقول لنا ((اعلم أن ((أمس)) في كلام العرب مبني على الكسر أبدا)) (2) ، غير أن هذه الكتب نفسها تصطدم بتراكيب مغايرة للحكم السابق فتتحفظ في قولها ، لأن من العرب من يبنيه على الفتح (3) . أما اذا ما أضيف (أمس) أو أدخل عليه الألف واللام فانه يعرب ، ويمكن أن نقول : كان أمسنا طيبا ...

---

1) شذور الذهب ص : 96 ابن هشام (مطبعة السعادة ـ مصر)
وانظر كذلك : تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ص : 223 ابن مالك (دار الفكر العربي)
2) الجمل ص : 281 الزجاجي (ط : 2/1957 مطبعة كلنسكسيك ـ باريس)
3) م.س : ن.ص

وأما سيبويه فقال في هذا الموضوع : ((واعلم أن بني تميم يقولون فهي موضع الرفع : ذهب أمس (1) بما فيه ، وما رأيته مذ أمس ، فلا يصرفون في الرفع ... ألا ترى أن أهل الحجاز يكسرونه في كل المواضع ، وبنو تميم يكسرونه في أكثر المواضع في النصب والجر)) (2) ويذكر سيبويه أن قوما فتحوا ((أمس)) في مذ (3) .

وجاءت تراكيب متنوعة تبعا رة على لغة الحجاز ، وطورا على لغة تميم ، فعلى لغة الحجاز الشائعة قال راجز قديم :

مازال ذا هزيزها مذ أمس صافحة خدودها للشمس (4)

ومتضمن تعقيب أبي زيد الأنصاري على هذا التركيب أنه قال : ((ومن لغة هذا الراجز أن يبني أمس على الكسر فلذلك قال : مذ أمس)) (5)

ومما سمعه أبو زيد من الرجز نقلا عن العرب قول أحد الرجاز :

لقد رأيت عجبا مذ أمسا عجائزا مثل الأفاعي خمسا

يأكلن ما في رحلهن همسا لا ترك الله لهن ضرسا (6)

ثم عقب على هذا التركيب ((قوله : أمسا ذهب بها الى لغة بني تميم يقولون : ذهب أمس بما فيه فلم يصرفه)) (7) .

---

1) أي مرفوعا بالضمة ، وكذلك التركيب الذي بعده (ما رأيته مذ أمس)
2) الكتاب : 3/ ص : 283
3) م.س. ص : 284
4) النوادر في اللغة ص : 12
5) م.س : ن.ص
6) م.س. ص : 57
7) م.س : ن.ص

وإذا كان الحجازيون قد أجمعوا في تراكيبهم على بنائها على الكسر في كل حال ،فان بني تميم انقسموا في خطاباتهم فيهما ما بين حجازي وتميمي الى فريقين .

1) فريق منهم أعربه بالضمة رفعا ،وبالفتحة مطلقا .

2) فريق ثان أعربه بالضمة رفعا ، وبناه على الكسر نصبا وجرا .

وأما قول الزجاجي بأن من العرب من يبنيه على الفتح كقول الهجاج السابق (1) ،فان ابن هشام لا يوافقه واصفا مذهبه بالوهم (2) ، مؤولا أن ((أمسا)) في البيت فعل وفاعله ضمير مستتر ،والتقدير : مذ أمسى المساء (3) .

ان ابن هشام يقف هذا الموقف السلبي من الزجاجي على الرغم من أن سيبويه المعروف بتشدده قد اعترف بأن قوما يفتحون ((أمس)) ، وعلى الرغم من أن أبا زيد نسبها الى بعض بني تميم ،ونفس الشيء ذكره السيرافي (4) ، ثم ما هذا الوهم ؟ في الواقع اللساني الحي الذي يتكلم به الناس ويتعاطونه أم في التأويل التي قد تكون صحيحة وقد تكون مخطئة ؟ .

---

1) اننا لم نذكر البيت بأنه للعجاج ولكنه موجود في ديوانه فعلا

2) قطر الندى ص : 6

3) م س : ن ص

4) راجع : الكتاب :3/ص : 284 هـ : 3

1 — 4 : في أسماء الاشارة :

من المتفق عليه بين اللهجات العربية الفصحى أن ...
مثنى ((ذا)) للمذكر، و ((ذي)) للمؤنث، هما : ((ذان)) و ((تان))
رفعا، و ((ذين)) و ((تين)) نصبا وجرا، بيد أن الحجازيــــة
والتميميــة اختلفتا في جمعهما، فهو في الحجازية ممدود أي ((أولاء))
وفي التميميــة مقصور أي ((أولى)) (1)، وقال ابن مالك مفضلا الحجازية
على التميميــة :

وبأولى أشر للجمع مطلقـــا   والمد أولى، ولدى البعد انطقـــا (2)

ويظهر أن من بني تميم من كان يستعمل هذا الاسم الدال على
الاشارة لغير العاقل، علاوة على قصره عندهم، كقول شاعرهم جرير :

ذم المنازل بعد منزلة اللـــوى   والعيش بعد أولئـــك الأيام (3)

واذا كان المشار اليه بعيدا زيد في ((ذا)) كاف ولام ليصبح
((ذلك)) وهذه، على ما يظهر، لغة حجازية، باعتبار أن بنــــي
تميم لا يأتون باللام مطلقـــا (4).

---

1) أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك ص : 24 ابن هشام (ط: 1949 دار السعادة ـ مصـــر)
2) شرح ابن عقيل : 1 /ص : 131 (ط: 14/1965 مطبعة السعادة ـ مصر)
3) م.س.ص : 132
4) أوضح المسالك ص : 24

1 ـ 5 : فـــي الموصولات الاسميـــة :

مـن الشائع أن مثنى ((الذي)) و ((التي)) اللذان واللتان رفعا ،واللذين واللتين نصبا وجرا في جميع اللهجات العربية القديمة ، الا عند من ألزم المثنى الألف مطلقا ،وقد تشدد نون اللذان واللتان ، وقرئ بتشديد النون في الآيات الثلاث التالية :

ـ ((وَاللَّذَانِّ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا)) (1)

ـ ((رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِّ أَضَلَّانَا)) (2)

ـ ((فَذَانِّكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ)) (3)

وممن شدد النون في الآية الثانية أعلاه ابن كثير (4) ، ويؤول النحاة كعادتهم أن تشديد نون مثنى اسمي الاشارة والاسمين الموصولين هوعوض عن الألف المحذوفة في ((ذا)) و ((تا)) ، والياء المحذوفة من آخر ((الذي)) و ((التي)) أثناء تثنيته (5) ،وكأن التراكيب اللسانية أواللغة الانسانية بشكل عام صناعة ((تفبرك)) قبل النطق بها في كل حال .

---

1) سورة النساء آية : 16

2) سورة فصلت آية : 29

3) سورة القصص آية : 32

4) التيسير في القراءات السبع ص : 95

5) انظرشرح ابن عقيل : 1/ 141

وبعيدا عن كل تعسف من التأويل ، فان تشديد النون مما مضى ظاهرة لهجية لتميم وقيس (1) ، ولقد ذهب الكوفيون الى تشديد النون على طبيعة العلويين والتميميين ،ولا عجب في هذا ، فالقبيلتان كانتا تقطنان متجاورتين ،وهما متأثرتان ببعضهما بعضا في أكثر من مستوى لهجي واحد ، وما كان يرويه جماع اللغة الكوفيون من احداهما قد يكون بمثابة ما كانوا يروونه من الأخرى في بعض المسائل اللغوية ،زيادة على مناسبة هذا مذهبهم القائم على الشوارد والنوادر الى جانب الكثرة خلافا للبصريين الذين لا يقبلون القياس الا على ما اطرد ، غير أن اللهجة أو اللغة واقع لساني اجتماعي لايرده القياس البصري ولا يعلي من شأنه القياس الكوفي ،لأنه واقع لساني قائم بذاته من حيث كونه نظاما محكما بعناصر تتصل بذات اللغة اتصالا ،وواقع لساني اجتماعي قائم في كل خطاب اكتسب عاداته التواصلية بهذه الصورة وتلك أو بهذه الصورة دون تلك .

وأما حذف النون من آخر مثنى الذي والتي فقد ورد في أشعار الفحول ،وأستبعد استبعادا أن يكون هذا أيضا من الضرورات الشعرية ،اذ قال العديل بن الفرج العجلي :

هما كنا الأرض اللذا لوتزعزعا تزعزع ما بين الجنوب الى الشد (2)

1) أوضح المسالك ص : 25

2) حماسة أبي تمام : 2/ ص : 738 (ط:1/1859 ، القاهرة

وقال الأخطل :

أبني كليب : ان عمي اللذا   قتلا الملوك وفككا الأغلالا (1)

وقال أيضا :

همـــا اللتـــا لو ولدت تميـــم

واذا كان قد ظهر لنا أن تشديد نون مثنى الاسم الموصول لغة لقيس وتميم ، فان حذف النون منهما لغة بلحارث بن كعب وبعض ربيعة (2) .

وبنو الحارث بن كعب بطن من مذحج من القحطانية (3) ، ولهجة مذحج من اللهجات العربية التي وصفها الهمداني حتى نهاية القرن الثالث الهجري بالفصاحة ...

و ((الأولى)) أو ((الألى)) ، جمع العاقل المذكر ، وهي مقصورة وقد تمد ، فالقصر مثل قول العديل بن الفرخ العجلي :

ظللت أساقي الهم اخوتي الأولى   أبوهم أبي عند المزاح وفي الجد (4)

والمد مثل قول خلف بن خليفة :

الى النفر البيض الأولاء كأنهم   صفائح يوم الروع أخلصها الصقل (5)

والأولى أو الأولاء في معنى الذين ، ويمكن نسبة القصر الى تميم ، والمد الى الحجاز ما دامت كل لهجة منهما تتميز باحدى ظاهرتي القصر فقط أو المد فقط (6) .

---

1) الموشح ص : [illegible]
2) أوضح المسالك ص : [illegible]
3) نهاية الأرب ص : 40
4) حماسة أبي تمام : 2 / ص : 731
5) السابق : 4 / ص : 1768
6) راجع البحر المحيط : 1 / ص : 138

وأما الذين ، فان الأشهر فيها أنها بالياء ، غير أنها قد ترفع بالواو ، وعقيل وهذيل هما اللتان تعربان هذا الاسم رفعا بالواو ونصبا وجرا بالياء (1) ، وهؤلاء قد يكونون عاملوها معاملة اعراب جمع المذكر السالم ، وقال شاعرهم هلي مختلف في نسبه :

نحن الذون صبحوا الصباحا   يوم النخيل غارة ملحاحا (2)

الا أن أبا زيد الانصاري قال : ((قال أبو حرب بن الاعلم من بني عقيل وهو جاهلي :

نحن الذين صبحوا الصباحا   يوم النخيل غارة ملحاحا

نحن قتلنا الملك الجحجاحا   ولم ندع لسارح مراحا

الا ديارا أو دما مفاحا   نحن بنو خويلد صراحا

لا كذب اليوم ولا مزاحا (3)

وعلى الرغم من ورود هذا الاسم مرسوما بالياء باللغة الشائعة فان النسبة اللهجية ثابتة فيها لعقيل ، لأن أبا زيد نفسه يقول مرة أخرى في نفس المرجع : ((وسمعت رجلا من بني عقيل يقول : هم اللذون ، قالوا ذاك ، ولم يقبل اللذين)) (4) .

أما ((ذو)) فيستعملها الطائيون استعمال الموصول كاسم للعاقل وغير العاقل ولغاتهم فيها في كل التراكيب أن تكون بلفظ واحد مذكرا

---

1) شرح ابن عقيل : 1/ ص : 144 وقطر الندى ص : 39

2) م.س.ن.ص

3) النوادر في اللغة ص : 47 - 48

4) م.س.ص : 88

ومؤنثا ، مفردا ومثنى وجمعا ، وقال شاعرهم ، وقد أدرك الاسلام :

فان بيت تميم ذو سمعت به   فيه تنمت وأرست عزها مضر (1)

وقال طائي آخر :

فان لم تغير بعض ما قد صنعتم   لأنتحين للعظم ذو أنا عارقه (2)

ومن مظاهر اعرابها قول غسان بن وعلة المري العبادي :

فاما كرام موسرون لقيتهم   فحسبي من ذي عندهم ما كفانيا (3)

ومن مظاهر تذكيرها وتأنيثها قول سنان بن الفحل الطائي :

فان الماء ماء أبي وجدي   وبئري ذو حفرت وذو طويت (4)

وقال حبيب بن أوس الطائي :

أنا ذو عرفت فان عرتك جهالة   فأنا المقيم قيامة العذال (5)

وقال الحسن بن هانيء :

حب المدامة ذو سمعت به   لم يبق فيّ لغيرها فضلا (6)

وقال الحسن بن وهب الحارثي :

أنا ذو ولم يزل يهون على الند   مان ان عمز جانب الندمان (7)

---

1) النوادر في اللغة ص : 61

2) م.س : ن.ص

3) شرح ابن عقيل : 1/ ص : 150

4) م.س : ن.ص (هوامش)

5) الكامل : 3/ ص : 219

6) م.س : ن.ص

7) م.س : ن.ص ، وعلق المبرد على هذه التراكيب : ((ومن ظرفاء المحدثين اليمانية من يعمل هذا اعتدادا لا يشار لغة قومه)) (الكامل : 3/ ص : 219)

1 ـ 6 : في الأسماء الستة :

من الشائع في اللهجات العربية الباقية المعتمدة من المجتمع اللغوي العربي بشكل عام أن الأسماء الستة تعرب بالواو رفعا ،وبالألف نصبا ،وبالياء جرا.

وفي مذهب ابن مالك أن الأسماء الستة تعرب بهذه الحروف الثلاثة (الصوائت الطويلة) نيابة عن الصوائت الثلاثة القصيرة ،ولكن ابن عقيل يخالفه ،والصحيح لديه أنها معربة بحركات مقدرة على الواو والألف والياء (1).

ومن يذهب مذهب هذه التقديرات الخيالية هنا ،فينبغي له أن يعرب كذلك جمع المذكر السالم ،وكذا المثنى بحركات مقدرة لكون الصوائت الثلاثة تنوب عن الحركات الثلاث فيها (الالف والياء في المثنى) (والواو والياء في جمع المذكر السالم).

ومن العرب من ينقص ((أبا ،أخا ، حما)) بحذف الواو والالف والياء منهن،ويعربهن بالحركات الظاهرة على الباء والخاء والميم، وعلى هذه اللغة ،قال العجاج :

بأبه اقتدى علي في الكرم ومن يشابه أبه فما ظلم (2)

1) شرح ابن عقيل : 1/ 44
2) م.س.ص : 49 ـ 50

ومن العرب من يلزم هذه الأسماء الثلاثة (الأب ،الأخ ، الحم)
الألف أبدا أي في جميع أحوال اعرابها ،ومن هذا قول ابن الأنباري
في شرح قول زهير المشهور :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا أبا لك يسأم

((والأب منصوب بلا على التبرئة ،ولك خبر للتبرئة ، وهذه اللغة العالية،
وهي مبنية على لغة الذين يقولون : قام أباك ،واكرمت أباك ، ومررت
بأباك ،ويقال على لغة الذين يقولون : قام أبك ، واكرمت أبك ،ومررت
بأبيك)) (1)

وتوجد هذه التراكيب السانتكسية متفشية في أشعارهم المبثوثة
في مختلف الكتب التراثية القديمة ،ويظهر أنها تراكيب تعود الى تعابير
فصيحة قديمة قدم اللهجات العربية ذاتها ،من ذلك أن أبا زيد الأنصاري
قال : ((وأنشدني المفضل لرجل من بني ضبة هلك منذ أكثر من مائة سنة :

ان لسعدى عندنا ديوانا يخزي فلانا وابنه فلانا
كانت عجوزا عمرت زمانا وهي ترى سيئها احسانا
أعرف منها الأنف والعينانا ومنخران أشبها ظبيانا (2)

وظبيان اسم رجل ،أراد هذا الشاعر الضبي أن يقول : منخري

---

1) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص : 288

2) النوادر ص : 15

ظبيا ن فحذف المضاف اليه،فهذا الشاعر ألزم ((العينانا)) الألف مع أنه منصوب ، لأنه معطوف على ((الانف)) ، (مفعول به منصوب) لأن ((العينانا)) هنا مثنى العين (حاسة الرؤية) ،ولأنه يعدد صفات وجه هذه العجوز ،وكذلك ألزم ((منخران)) الالف مع أنه منصوب .

1 ـ 7 : المثنى :

ليس موضوع التثنية في اللهجات العربية القديمة أمرا غريبا في تعدد تراكيبه السانتكسية على خلافه في العربية العامة أو المشتركة ، لكن غرابته تكمن في ثبوته في هذه اللهجات واختفائه من كثير من اللغات التي سبقت أو عاصرت هذه اللهجات سواء تعلق الأمر بلغات متصاهرة معها أو أجنبية عنها ، ومما هو مؤكد أن ظاهرة التثنية وجدت ((في اللغات السامية ،واللغة اليونانية ، وفي السنسكريتية ، ولها آثار في اللغات الجرمانية ،ولكننا نستطيع أن نقرر أن التثنية ظاهرة سامية أوقل عربية قبل كل شيء)) (1) .

وعلى الرغم من بروزها في الساميات القديمة الا أنها لم تلفت الانتباه بشكل جلي الا في العربية ،فهو مثلا قد زال نهائيا من اللغة السريانية ولم تبق فيها الا خمس كلمات تحمل صيغة المثنى (2) .

1) فقه اللغة المقارن ص : 75

2) م،س،ص : 79

وفي لغة العرب الدائمة أو المشتركة أن المثنى يرفع بالألف وينصب ويجر بالياء ، الا من العرب من يجعله هو والملحق به بالألف مطلقا : رفعا ،ونصبا ،وجرا ،كقول بعض أهل اليمن :

أي قلوص راكب تراهـــا　　طاروا عليهـن فشـل علاهـا

واشدد بمثني حقب حقواها　　ناجيـة وناجيـا أبـاهـا (1)

ويتناقل اللغويون تركيبين مشهورين : أحدهما بيت شعر ،وهو :

ان أباها وأبا أباهـــا　　قد بلغا في المجد غايتاهـا

حيث اختلفوا في نسبته واسمه اختلافا كثيرا ،وثانيهما قوله تعالى :

((إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ)) (2)

ولاستعراض هذه التراكيب السانتكسية غير المتطابقة ،نرى أنه من الفائدة للموضوع أن نورد أوجه القراءة لهذه الآية .

1) قرأ ابن كثير وحفص باسكان نون ((ان)) والباقون قرأوها بتشديدها

2) قرأ ابن كثير بتشديد النون في هذين ،والباقون بفتحها .

3) قرأ أبو عمرو بن العلاء : ((هذين)) بالياء ،والباقون بالألف . (3)

---

1) النوادر في اللغة ص : 58 ،ثم أردف أبو زيد : ((القلوص مؤنثة ، وعلاها أراد عليها ،ولغة بلحارث بن كعب قلب الياء الساكنة اذا انفتح ما قبلها ألفا ،يقولون : أخذت الدرهمان ،واشتريت ثوبان ،والسلام علاكم ، وهذه الابيات على لغتهم ، وأما أباها فيمكن أن يكون أراد : أبوها فجاء به على لغة من قال هذا أباك في وزن هذا قفاك ...)) (السابق ص : 58)

2) سورة طه آية : 63

3) التيسير في القراءات السبع ص : 151

ويتضح من هذه الأوجه الثلاثة أن :

1) من قرأها بإسكان نون ((ان)) لا اشكال في قراءته ما دام أنه قد قرأها على لغة أهل التخفيف والالغاء، وصاحبا هذه القراءة هما ابن كثير وحفص عن عاصم.

2) أبا عمرو قرأ على اللغة المشهورة، اذ نصب بالياء، ورفع بالألف، وأعمل ((ان)) على القاعدة المطردة المألوفة.

3) الباقين، وهم نافع المدني (169 هـ)، وابن عامر الشامي (128 هـ)، وحمزة الكوفي (156 هـ)، والكسائي (189 هـ) تلميذ السابق قرأوا ((هذان)) بالألف مع أنهم شددوا نون ((ان)).

4) ابن كثير المكي (120 هـ) انفرد بتشديد النون في ((هذين)) على لغة قيس وتميم.

وفي الحجة لابن خالويه أن من قرأ ((هذان)) بالألف مع تشديد النون في ((ان)) قرأها على لغة بلحارث بن كعب خاصة، لأن هؤلاء يجعلون التثنية بالالف في كل وجه، ونسب إليهم السبق:

ان أباها وأبا أباها قد بلغا في المجد غايتاها

الى شاعر منهم (بلحارث) لم يسمه (1).

وفي مصدر آخر أنها لبلحارث بن كعب، وخثعم، وزبيد.

---

1) راجع الحجة في القراءات السبع ص: 217 لابن خالويه (ط: 1971 دار الشرق - بيروت)

وكنانة ، ((وقبائل أخرى تستعمل المثنى بالالف مطلقا)) (1) ،ونسبها الكسائي الى بني الحارث بن كعب ،وخثعم ،وزبيد ،وهمدان ، بينما عزاها البعض الآخر لبني العنبر ،وعذرة ،ومراد (2) ،كما نسبت أيضا الى بني الهجيم ،وبطون من ربيعة وبكر بن وائل (3) .

ومما يراه البعض الآخر أن ((ان)) في صدر الآية المختلف في قراءتها كاختلاف البنيات السانتكسية اللهجية نفسها في المثنى تعني معنى ((نعم)) أو أجل (4) ، وهذه التأويل لا حظ لها ،في نظرنا ، أمام التفشي الواسع لهذه البنية والتي تتكلم بها لهجات عربية واسعة (5) .

وقد تفتح نون المثنى أيضا في بعض اللهجات العربية الأخرى ، كقول حميد بن ثور الهلالي :

على أحوذيين استقلت عشية فما هي الا لمحة وتغيب (6) ،

وفي هذا يقول الأستاذ عبد العزيز الميمني : ((وقد استشهد النحاة بهذا البيت على فتح نون المثنى والقياس كسرها ، والفتح هنا ليس ضرورة شعرية ، فان وزن البيت يستقيم من الكسر ، وانما الفتح لغة بني أسد نقلها الفراء عنهم ، كما جاء الضم في بعض اللغات)) (7) .

---

1) شذور الذهب ص : 47
2) الحجة في القراءات السبع ص : 217 هـ : 4 لابن خالويه
3) البحر المحيط : 6 / ص : 255
4) انظر هذه التفاصيل في : ظاهرة الاعراب في النحو العربي ص : 123 ـ 127
5) انظر هذا الموضوع في : العربية بين الطبع والتطبيع ص : 88 ـ 93
6) ديوان حميد بن ثور الهلالي ص : 55
7) م.س.ص : 55 (هامش) .

1 ـ 8 : جمع المذكر السالم :

جمع المذكر السالم من التراكيب السانتكسية المختلفة التي ظلت تغذي الخطاب العربي القديم جاهليا واسلاميا ،وبنيتها الاعرابية فيها ليس على نحو ما هو شائع في العربية المشتركة ،والتي تتجلى بوضوح في اعرابه رفعا بالواو والنون ونصبا وجرا باليا والنون ،بل باظهار الحركات القصيرة على النون وعدم حذف هذه النون حتى في حالة الاضافة .

بعض العرب يقولون في الرفع : هذه سنينك ، ومرت سنينك (1) ومررت بسنينن ، ذاكرين لنا أن هذا الباب مقصور عندهم على السماع . ومن هذه التراكيب التي وردت فيه ((السنون)) مضافة دون حذف نون الجمع فيها قول قطيب بن سنان الهجيمي :

أحين صفحت ثم صفحت عنكم علانية وأفلح مستشيري

سنينني كلها فاشبت حربا أعد مع الصلادمة الذكور (2) .

وقال الصمة بن عبد الله :

ذراني من نجد فان سنينه لعبن بنا شيبا ،وشيبننا مردا (3)

---

1) مجالس ثعلب ق : 1 /ص : 265 ط دار المعارف ـ مصر)
2) النوادر في اللغة ص : 162
3) مجالس ثعلب ق : 1 / ص : 147

بينما قال جرير :

أرى مر السنين أخذن مني   كما أخذ السرار من الهلال (1)

وقال آخر :

ألم نسق الحجيج - سلي معدا -   سنينا ما تعد لنا حسابا

وقال سحيم بن وثيل الرياحي في كسر نون جمع المذكر السالم في الاضافة :

وماذا يبغي الشعراء مني   وقد جاوزت رأس الاربعين ؟ (2)

وقال ذو الاصبع العدواني :

اني أبي أبي ذو محافظة   وابن أبي أبي من أبيين

وقال جرير أيضا :

عرفنا جعفرا وبني أبيه   وأنكرنا زعانف آخرين

وملخص هذا النوع من التراكيب اللهجية أن ((اللغة الفصحى ، وهي لغة الحجاز ، وعليا قيس من مضر ، قولهم : (السنون) رفعا ، و (السنين) في النصب والجر ، وشذ بنو تميم من مضر وبنو عامر من قيس عيلان عن هذه القاعدة فأعربوا : (السنين) بالضمة والفتحة والكسرة ، ونونها بنو عامر)) (3) .

ولا يمكن فهم النص السابق الذي اقتصر على ذكر (السنين) الا كمثال على بقية ما تعامل به بعض اللهجات العربية جمع المذكر السالم بشكل عام .

---

1) شرح ابن عقيل : 1/ ص : 64

2) مجالس ثعلب : 1 / ص : 176

3) دراسة اللهجات العربية القديمة ص : 35

1 ـ ن : فـي الممنـوع مـن الصرف :

سبق أن أشرنا حين تحدثنا عن البناء والمعرب الى أن ما كان على وزن فعال (من العلم) مختوما بالراء ، فان الحجازيين لا خلاف بينهم في بنائه على الكسر ، وذهب في هذا معهم التميميون أيضا ، غير أن الحجازيين يبنون كل ما كان على هذا الوزن سواء كان مختوما بالراء أم بغيرها من الحروف على خلاف التميميين الذين يعاملون ما كان مختوما بغير الراء معاملة الممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث أو للعلمية للعدل .

وخلاصة هذه المسائل كما يلي :

1 ـ ه : 1 : علـم المؤنث على وزن فعـال :

للعرب في هذا الاسم لهجتان :

1) بنو تميم يعربونه اعراب ما لا ينصرف للعلمية والعدل ،فيقولون :

((هذه قطام قد جاءت)) ، (برفع قطـام على أنها خبر) (1) .

2) أما أهل الحجاز فيقولون : ((هذه قطام قد جاءت)) بالكسر في قطام (2) ،وعلى لغتهم جاء التركيب المشهور :

اذا قالت حذام فصدقوها فان القول ما قالت حذام (3)

---

1) ما ينصرف وما لا ينصرف ص : 76 لأبي اسحاق الزجاج (ط : 1971 مطابع الأهرام التجارية ـ القاهرة)

2) م.س .ص : 75

3) ينسب البيت لأكثر من شاعر جاهلي وهو موجود في مختلف المصادر ومنها : الكتاب : 2 / 41 ، ما ينصرف وما لا ينصرف ص : 75 .

3) اذا كان آخر الاسم راء ، فان بني تميم وأهل الحجاز كما أشير مجمعون على كسره (1) ، وهذا ما قطع به الزجاج خلافا لما نعرف عنهم ، اذ بنو تميم في هذه الحالة أن الأكثر منهم يميز ما كان آخره راء فيبنيه على الكسر عملا بلغة أهل الحجاز ، وأما الباقي منهم فقد يعربه اعراب ما لا ينصرف ، كما في بيت الأعشى :

ومر دهر على وبار فهلكت جهرة وبار (2)

حيث منع ((بار)) الموجودة في العروض من الصرف .

1 - 8 - 2 : أمس :

1) يبنيه أهل الحجاز على الكسر

2) بنو تميم يمنعون صرفه مطلقا ، وهو في نظرهم معدول عن الأمس

3) جمهور بني تميم يخصون أمس في حالة الرفع كقول الشاعر :

اعتصم بالرجاء ان عن بأس وتناس الذي تضمن أمس (3)

بينما ذكر ابن هشام أن هذا الجمهور يعربه إعراب ما لا ينصرف في حالة الرفع خاصة ، ويبنيه في حالتي الجر والنصب (4) .

4) ذكر الزجاجي أن من العرب من يبنيه على الفتح ، الا أن ابن مالك ينكر أن يكون بناؤه على الفتح لغة (5) ، وإذا نكر أو كسر أو صغر أو

---

1) ما ينصرف وما لا ينصرف ص : 76
2) م.س.ص : 77
3) أوضح المسالك ص : 207
4) شذور الذهب ص : 100
5) التسهيل : 95
6) م.س.ص : 95

أضيف أو عرف بالالف واللام فيعرب باجماع سائر اللهجات الفصحى (1)

1 - 9 - 3 : الصفة وزيادة الالف والنون :

المشهور في لهجات الجمهور أن فعلان تمنع من الصرف للصفة وزيادة الالف والنون ، على أن مؤنثها فعلى ،ولا يقال : فعلانة. اما اذا كان مؤنثها موجودا على فعلانة فان فعلان تصرف عند ئذ مثل : رجل سيفان (طويل) ،لأن مؤنثها سيفانة أي فعلانة .

لكن بني أسد كانوا يصرفون فعلان وما نا ظره استغناء فيه بفعلانة عن فعلى (2) ،ومن نحو هذا التركيب يظهر أن كل ما كان مؤنثه فعلانة قد يرجع الى اللهجة الأسدية ،وقد يكون بنو أسد نحوا هذا النحو هروبا من منع فعلان في المذكر من الصرف .

1 - 9 - 4 : صيغة منتهى الجموع :

لعل خير من يمثل ابراز هذه التاكيب على حقيقتها القراءات القرآنية ،فقد اختلف القراء في قراءة قوله تعالى :

((إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا)) (3) .

اذ قرأنا فع والكسائي وأبوبكر وهشام ((سلاسلا)) بالتنوين ،وقرأ الباقون بغير تنوين .(4)

كذلك اختلفوا في قراءة قوله تعالى :

---

1) التسهيل ص : 95
2) م.س.ص : 218
3) سورة الانسان آية : 4
4) التيسير ص : 217

((وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ)) (1)

حيث قرأ نافع والكسائي وأبوبكر بالتنوين في قوله ((قواريرا قواريرا))، في حين أن ابن كثير قرأ الأولى منهما منونة والثانية منهما بدون تنوين فيهما (2) .

والملاحظ على هذه القراءات المتعددة المستويات لهذه الصيغة أن الكسائي كان مولى لبني أسد (3) وكذا أبا بكر (شعبة بن عياش) كان مولى لهم (4) ، وأما هشام فهو شامي من مدرسة ابن عامر ، وعليه فالأولان كوفيان ، وكلاهما كان مولى لبني أسد ، والكسائي يعد واحدا ممن جمع اللغة عنهم ، مما يدل على أن اللهجة الأسدية كانت على رأس اللهجات العربية التي تصرف صيغتي (مفاعل ومفاعيل) .

وأما نافع المدني فقرأ الآيتين على اللهجة الأسدية ، ومثله ابن كثير في تنوين ((قواريرا)) الأولى .

ويذهب البعض مذهبا تأويليا تعسفيا غير مقبول عندنا البتة على الاقل من الوجهة الوصفية والوقائع اللسانية التواصلية العادية الموروثة سماعا عن أقوام بأعيانهم ، اذ يذهب هؤلاء الى أن قراءة بعض القراء الذين صرفوا فيهما وفي غيرهما يراد بها التناسب (5) .

---

1) سورة الانسان آيتا : 15 و 16

2) التيسير ص : 217

3) م.س.ص : 7

4) م.س.ص : 6

5) انظر مثلا : شرح ابن عقيل ج2/ ص33 وأوضح المسالك ص : 208

1 ـ 9 ـ 5 : العلم في اللسان الأعجمي الزائد على ثلاثة أحرف :

على الرغم من أن صرف ما لا ينصرف ظاهرة شائعة في جميع اللهجات الفصحى ، الا أن الأشهر بها بنو أسد ، حتى ان صاحب الاتحاف يذكر أن لهجة بني أسد الصرف مطلقا (1) ، ومن هنا نجد اختلاف بني تميم من الحجازيين في صرف بعض ما ذهب الحجازيون الى بنائه لتناسب التميميين في الجوار والبداوة مع بني أسد وسط الجزيرة العربية ، وليس هذا التأثر مقصورا على هذا المظهر اللهجي وحده بل هو موجود في تراكيب أخرى شتى .

وممن قرأ على اللهجة الأسدية الأعمش في قوله تعالى :

((وَلاَ يَغُوثاً وَيَعُوقاً)) (2)

بتنوين كلا العلمين (3) ، ونحن نعلم أن الأعمش ممن أخذ عنه أساتذة حمزة بن حبيب ، وهذا الأخير كان أستاذا للكسائي في القراءة .

1 ـ 10 : في الضمائر :

1 ـ 10 ـ 1 : ياء الاضافة

مما قاله سيبويه في باب اضافة المنقوص الى الياء التي هي علامة المجرور المضمر : ((واعلم أن الياء لا تغير الألف ، وتحركها بالفتحة لئلا يلتقي

1) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص : 82
2) سورة نوح آية : 23
3) أوضح المسالك ص : 208

ساكنان . وذلك قولك : بشراي ،وهداي ،وأشاي .

وناس من العرب يقولون : بشريّ وهديّ ،لأن الألف خفية ،

والياء خفية ،فكأنهم تكلموا بواحدة فأرادوا التبيان ،كما أن بعض

العرب يقول : أفعي لخفاء الألف في الوقف ،فاذا وصل لم يفعل .

ومنهم من يقول : أفعي في الوقف والوصل ،فيجعلها يا ء ثابتة)) (1)

ولوأحب سيبويه أن يعزوها لما تعذر عليه أن يقول : ان هذه

الظاهرة اللهجية لهجة هذلية (2) خاصة وان الأصمعي الذي لبث

السنين بين الهذليين رواها أيضا (3) ، وقال شاعرهم الكبير أبو

ذؤيب مدغما هذه الياء المضافة في الاسم المقصور :

سبقوا هويّ وأعنقوا لهواهم فتخرموا ولكل جنب مصرع (4)

هذا ،وقد تفاوت القراء في قراءة قوله تعالى :

((إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)) (5)

حيث سكن نافع ياء ((محياي)) بعد الألف (6) ،حتى وان جاء

اسكانها نادرا (7) ،وقد تكسر الياء بعد الألف في بعض اللهجات

---

1) الكتاب :3/ ص : 413 - 414

2) شرح ابن عقيل :2 / ص : ... ،والتسهيل لابن مالك ص : 46 ...

3) المفضليات ص : 854 المفضل الضبي (مطبعة المدني - القاهرة)

4) ديوان الهذليين :1 / ص : 2 (ط:1965 الدار القومية القاهرة)

5) سورة الأنعام آية : 162

6) التيسير ص : 106 - 108

7) أوضح المسالك ص : 142

كقراءة الأعمش والحسن : ((قَالَ : هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا)) (1) بكسر الياء في عصاي (2) ،واختلفوا أيضا في قوله جل ثناؤه :

((مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ ،وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ)) (3) .

اذ قرأ حمزة بكسر الياء في جمع المذكر السالم ((بمصرخي)) ،وهذه اللغة حكاها الفراء وقطرب ،وأجازها أبو عمرو ،وأما الباقون فقرأوها بفتح الياء (4) .

أما كسر الياء في الاسم المقصور ،وفي الياء المضاف اليها جمع المذكر السالم ،كقراءتي الأعمش والحسن وكذا حمزة فلغة مطردة في بني يربوع (5) ،وهم بطن من حنظلة من تميم (6) ،

ومن المرجح جدا أن كلا من الفراء وقطرب قد نقل هذه اللهجة عن بني يربوع ،ثم ان أبا عمرو لم يجزها الا لتأكده من فصاحتها .

1 - 10 - 2 : ضمائر متفرقة :

آ- ((أنا)) : تفاوت القراء في حذف الألف من هذا الضمير في حالة الوصل في كل القرآن الا أبا جعفر ونافعا قرآ باثبات الألف في الوصل اذا لقيتها همزة في جميع القرآن ،الا في قوله تعالى :

((إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ)) (7) .

1) سورة طه آية : 18
2) أوضح المسالك ص : 142
3) سورة ابراهيم آية : 22
4) التيسير ص : 134
5) أوضح المسالك ص : 142
6) نهاية الأرب ص : 150
7) سورة الشعراء آية : 115

فا نهما يطرحا نهما ،ولم يختلف القرا ء في اثبا تها في حالة الوقف (1).

ومما لا شك فيه أن التراكيب الوارد ة متباينة في هذا الضمير محالة الى لهجات فصيحة منسوبة لأقوام بأعيانهم ،حتى ان الأشموني صرح أن في هذا الضمير خمس لهجات ، فصحاهن اثبات الألف فيه وقفا ، وحذفها وصلا ، أما اثباتها وصلا ووقفا فهي لهجة تميمية (2) ، وفي مصدر آخر ((أنا محذوف الألف في وصل عند غير بني تميم)) (3) .

والعالمان أعلاه كلاهما متفق مع على أن هذه اللهجة لبني تميم .

وفي بعض المباحث الحديثة أن الحجازيين ينطقون بألف (أنا) وقفا ،ويحذفونها وصلا ،وتوافقهم تميم في الوقف ،وتخالفهم في الوصل ،فان قبيلة تميم تظهر الألف في الحالتين ،ويقلب أهل اليمن ألف (أنا) هاء ،وفي (أنا) لغات مجهولة مثل (آن ،وأن)) (4).

وبالنسبة لضمير الغائب من هو وهي ، كان أبوعمرو والكسائي يسكنان الهاء من هو وهي اذا كان قبلهما واو ولام ،وزاد الكسائي على أبي عمرو أن سكنها مع ثم في قوله تعالى :

((ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ)) (5) .

---

1) اللهجات العربيه في القراءات القرآنيه ص : 160
2) م.س.ص : 161
3) التسهيل ص : 25
4) اللهجات العربية القديمة ص : 36 ـ 37
5) سورة القصص آية : 61

وقرأها معه قالون (1) .

وبينما تخبرنا المصادر المهتمة بهذا النوع من التراكيب أن تسكين الضمير المتصل (الهاء) هي لغة لبني عقيل ومعهم بنو كلاب ،فان أبا الحسن الأخفش (أي الأخفش الصغير) حكى أن تسكين الهاء في هذه الظاهرة لغة لأزد السراة كقول الشاعر :

وأشرب الماء ما بي نحوه عطش الا لأن عيونه سيل واديها (2)

حيث السكون على الهاء في ((عيونه)) . أما أبو حيان الغرناطي فقد ذكر أن تسكين الهاء لهجة لكلاب وعقيل ،وأنهم كانوا يقرأون : ((لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ)) (3) . وعلى هذا ،فان هذه التراكيب والقراءات تنسب الى كل من عقيل وبني كلاب وأزد السراة .

وبعض القبائل أو العرب يكسرون هذا الضمير المتصل اذا ما وقع بعد حرف جر كضمير غائب للمذكر المجموع ،ونعت اللغويون هذا النطق على هذا النحو بالوهم (4) .

وبشأن تسكين الواو من هو والياء من هي قال بعض الشعراء :

غفلت ثم أتت ترقبه فاذا هي بعظام ودما (5)

---

1) التيسير ص : 72

2) الخصائص 1/ ص : 128

3) البحر المحيط :2/ 499 والآية من سورة العاديات رقم : 6

4) المزهر 1 /ص : 222

5) الحجة في علل القراءات السبع : 1/ ص : 100

وذكر أبوعلي الفارسي أن تسكين الهاء هنا ضرورة شعرية (1)،

وقال الآخر في تسكين الواو من هو :

وكنا اذا ماكان يوم كريهة فقد علموا أني وهو فتيان (2)

والواقع أن تسكين الياء من هي والواو من هو هي ظاهرة لهجية

لقيس وأسد (3) وليست ضرورة شعرية في شيء .

وقد تحذف الواو والياء من هذين الضميرين المنفصلين كقول

الشاعر :

فبيناه يشري رحله قال قائل : لمن جمل رخو الملاط نجيب (4)

حيث حذف المتكلم الواو من هو بعد بينا ، كما حذف متكلم آخر الياء من

هي في نحو التركيب : ((اذ هـ من هواكا)) (5) .

وقد تشدد الواو من هو والياء من هي كما جاء على لسان

يزيد بن اياس النهشلي :

ألا هي ألا هيّ فدعها فانما تمنيك ما لا تستطيع غرور (6)

حيث سكن الياء من هي (الأولى) وشدد الياء من هي (الثانية)

بل نونها وكسرها ، لأن الشطر الاول موزون على نحو :

1) الحجة في علل القراءات السبع ص : 100

2) الضرائر ص : 177 الألوسي (ط : 1341 هـ المطبعة السلفية ـ القاهرة)

3) التسهيل ص : 26

4) الحجة في علل القراءات السبع ص : 100

5) م.س : ن .ص

6) النوادر في اللغة ص : 122

فعـــولن مفاعيلن فعولن مفـاعلـــن

مما يدل على تشديد الياء من هي الثانية ، وأن تنوينها بالكسر رواية سليمــة ، وقال الآخر في تشديد الواو من الضمير هو :

وان لساني شهدة يشتفى بها وهوّ على من صبه الله عقيــم (1)

وفي بعض المصادر اللغوية التي وقفت عليها أن تشديد الياء من هي والواو من هو لهجة منسوبة لأهل همدان (2) ، وأما حذف الــواو أحيانا من الضمير اذا ما وقع بعد ألف ساكنة فتنسب الى بني أسد (3)

وفي ضمير الغائب المتصل في حالة اثباته أو حذفه أو اشباعه تراكيب متنوعة وواسعة هي في حد ذاتها يجب أن تكوّن مبحثا مستقـــلا ، وفي هذا الباب يقول سيبويه : ((واذا كانت الواو والياء بعد الميــم التي هي علامة الاضمار كنت بالخيار : ان شئت حذفتها وان شئت أثبتّ، فان حذفت أسكنت الميم .

فالاثبات : عليكمــو ، وأنتمــو ذاهبون ، ولديهمـي مال)) (4)

ثم استطرد قائلا : ((لما كثر استعمالهم هذا في الكلام واجتمعت الضمتان مع الواو ، والكسرتان مع الياء ، والكسرات مع الياء ، نحو بهمي داء ، والواو مع الضمتين والواو نحو أبو هموذاهب ، والضمات مع الواو نحو : ((رُسُلُهُمو بِالْبَيِّنَاتِ)) (5) حذفوا كما حذفوا من الهاء في الباب الأول)) (6) .

1) الضرائر ص : 175 للألوسي . 2) التسهيل ص : 26

3) اللهجات العربية القديمة : 37 . 4) الكتاب : 4/ ص : 191

5) سورة الأعراف آية : 101 6) الكتاب : 4/ ص : 192

راشياً الضمير الغائب وا والغة نسبها سيبويه الى أهل الحجاز ، اذ قال : ((وأهل الحجاز يقولون : مررت بهـو قبل ، ولد يهـو مال ة ويقولون : ((فخسفنا بهـو وبدار هـو الأرض)) (1) .

وأما كسر هذا الضمير المتصل في مثل : منهم ، فنسبها لقوم من ربيعة (2) . بينما كسر ضمير المخاطب (الكاف) في نحو : بكم ، أحلامكم ، فقد عزا هذا لناس من بكر بن وائل ، واعتبر هذه التراكيب من اللغات الرديئة (3) .

وأما أبو زيد الأنصاري فقد قال : ((وقال رجل من بكر بن وائل : أخذت هذا منه يا فتى ومنهما ومنهم فكسر الاسم المضمر في الادراج والوقف ... وسمعت أعرابيا من أهل العالية يقول : هولكه ، وعليكه ، هولك وعليك ، وجعل الله البركهة في داركه هذا في الوقف ، وما أكرم حسبكه في الوقف ويطرحها في الادراج)) (4) .

وتفاوت القراء في ضم الهاء من عليهم ، فقرأ حمزة وحده ((عليهم)) بضم الهاء ، وكذلك : لديهم ، واليهم ، هذه الثلاثة أحرف بالضم واسكان الميم ، وقرأ الباقون : عليهم وأخواتها بكسر الهاء (5) ، وضم الهاء مع الميم - فيما يرون - هي اللغة والقراءة القديمة ، وهي لقريش والحجاز ومن حولهم من فصحاء اليمن (6) .

---

1) الكتاب : 4 / ص : 195
2) م.س.ص : 196
3) راجع المصدر السابق ص : 196 - 197
4) النوادر في اللغة ص : 171 . 5) الحجة للفارسي ص : 42
6) م.س.ص : 42

1 ـ 10 ـ 3 : التركيب اللهجي للضمير المنفصل الدال على الغائب :

على الرغم من حديثنا على ضمائر مختلفة في مختلف التراكيب ، الا أننا لاحظنا أن التراكيب اللهجية لهذا الضمير أعلاه على المستوى الساني تتكسي بين العرب الفصحاء متعددة ومتنوعة بشكل جعلنا نعقد له حيزا مستقلا لا لحصره وبيان كل تراكيبه ولكن لمحاولة تلخيص ما ورد فيه من هذه التراكيب الغزيرة .

مما قرأناه في أكثر من مصدر أن ناسا كثيرين من العرب الفصحاء جعلوا هو وأخواتها فصلا بين كل معرفتين لا تستغني احداهما عن الأخرى ، وبين معرفة ونكرة اذا قاربت هذه الأخيرة المعرفة ، وذلك في باب كان وأخواتها وباب ان وفي الظن والابتداء والخبر (1) .

ومما ذكره سيبويه في هذا الباب أنه أن تكون (هو) فصلا حتى يكون ما بعدها معرفة أو ما أشبه المعرفة ، ولم تدخل عليه الالف واللام (2) ، واذا كانت بين معرفتين فيجوز رفع ونصب ما بعدها نحو : كان محمد هو القائم ، أو نحو : كنت أنت القائم ، وقرئ ((الرقيب)) في قوله تعالى : ((فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ)) (3)

بالرفع والنصب ، وقرئ في نحو هذا بالنصب والرفع (4) .

1) الجمل ص : 153 للزجاجي
2) الكتاب : 2 / ص : 392
3) سورة المائدة آية : 117
4) الجمل ص : ص : 153 ـ 154 للزجاجي

ومما رواه سيبويه أن عيسى بن عمر نقل له أن ناسا كثيرا يقرأون قوله تعالى : ((وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ ، وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمُونَ)) (1) برفع ((الظالمون)) (2) ، ثم قال : بلغنا أن رؤبة كان يقول : ((أظن زيدا هو خير منك)) (3) ، وفي هذا يقول قيس بن ذريح :

تبكي على ليلى وأنت تركتها وكنت عليها بالملأ أنت أقدر (4)

وتكون (هو) وأخواتها بمنزلة اسم مبتدأ ، إذا كان ما قبلها نكرة ، ويلغى كونها فصلا في هذه الحالة نحو الأمثلة التي أوردها سيبويه : ((ما أظن أحدا هو خير منك ... وما أخال رجلا هو أكرم منك)) (5) .

ولكن أهل المدينة ينزلون (هو) ها هنا بمنزلته بين المعرفتين ، ويجعلونها فصلا في مثل هذا الموضع ، حتى وإن كان أبو عمرو ، كما حكى يونس بن حبيب ، كان يرى هذا التركيب لحنا .

والذي ذكره أبو حيان الغرناطي أن الجرمي وأبا عمرو ذكرا أن لهجة بني تميم ترفع ما بعد ضمير الفصل مع جعل هذا الأخير مبتدأ (6) ، وسمعهم أبو زيد يقرأون ((تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا)) (7) بالرفع (8) ، رغم وجود (هو) بين معرفة ونكرة .

---

1) سورة الزخرف آية : 76
2) الكتاب : 2 / ص : 392 - 393
3) م.س.ص : 392
4) م.س : ن.ص 5) م.س.ص : 395 - 396
6) البحر المحيط : 8 / ص : 271 (7) سورة المزمل آية : 20
8) انظر التسهيل ص : 29 هـ : 5

الفصل الثالث : التركيب الفعلي

ان الاشكال المطروح في التركيب الاسمي بين اللهجات العربية القديمة المتخذة كمدونة لهذه الدراسة هو نفس مطروح في التركيب الفعلي ، اذ أندرس هذا التركيب على مستوى البنية الافرادية أو الوحدة الدالة أم على مستوى الجملة ؟ والذي رأيناه وفق منهجيتنا هذه أن ندرس نماذج من هذا التركيب على مستوى بنية الجملة في هذه اللهجات ، لأنه من المستحيل ، كما أشير أكثر من مرة ، أن نلم ونحيط بكل المستويات المتمثلة في التركيب الفعلي للهجات العربية القديمة ، لأننا نؤمن كل الايمان بأن هذه التراكيب ما هي الا صور للتراكيب الكائنة في هذه العربية الفصحى بشكل عام ، ولم لا نقول بأنها التراكيب عينها ؟.

ونفس التضارب الذي شعرنا به في الفصل الماضي الذي خصص للتركيب الاسمي ، والذي تناول نماذج لهجية ، نشعر به الآن في هذا الفصل ، اذ ما هي النماذج اللهجية التي نركز عليها من بين النماذج الغزيرة والعريضة ؟ ثم هل نتناول هذا التركيب من خلال ما يسمى بالعوامل بصرف النظر عن كونه فعلا مباشرا أو اسم فعل أو حرفا يعمل

عمل فعل معين ؟ .

ان ما رأيناه أكثر ارتياحا لهذا العمل في هذا الفصل أن نؤجل التراكيب الحرفية والظرفية الى فرع مستقل عن التراكيب الفعلية المباشرة ، ولا يهمنا أحوال هذه العوامل الا من خلال وظائفها .

1 - تراكيب فعلية لهجية مختلفة :

1 - 1 : الجملة الفعلية من حيث التطابق العددي :

لم نرد أن نتعرض الى العدد من حيث هو تركيب اسمي ، والا أتينا به مباشرة بعد حديثنا عن التركيب في الجنس ، لأننا رأينا أن تلك الاختلافات أكثر اتصالا ببنية العدد على المستوى الافرادي منها ببنية هذا العدد على المستوى الجملي ، أما هنا فان الأمر مختلف تماما ، لأن المسألة تتعلق بتركيب الجملة في الصميم من حيث التطابق العددي مع الجملة الفعلية ، ولا سيما ما يتصل بالتطابق بين الفعل والفاعل .

واننا لا نريد أن نتعرض هنا أيضا لدراسة التركيب العام في الجملة الفعلية المعروفة في العربية المشتركة ، لأن هذا موضوع سانتكسي آخر ، لأننا ملزمون بمدونة مفروضة هي التراكيب اللهجية للقبائل العربية ، ولسنا مخيرين حتى في المجال الوصفي لاستعراض النماذج البنيوية العامة للجملة في اللغة العربية المشتركة .

الكسل يعلم أن الفعل حين يتقدم فاعله يظل ثابتا على بنية واحدة سواء كان فاعله مثنى أم جمعا ،لكن هذا التركيب العادي تتخطاه لغة بعض القبائل العربية التي تلحق علامات التثنية أو الجمع حتى ولو تصدر الفعل هذه الجمل ،وهذا النوع من التراكيب جاء في القرآن والحديث والشعر وكلام العرب ،وكان موقف النحاة منه مختلفا ،ونحن غير معنيين بهذه المواقف هنا الا من حيث الالمام بطبيعة هذه التراكيب كتكلمات وخطابات .

مما ذكره سيبويه في هذا المقام أن من العرب من يقول :
((ضربوني قومك ، وضرباني أخواك ،فشبهوا هذا بالتاء التي يظهرونها في ((قالت فلانة)) وكأنهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامة كما جعلوا للمؤنث ،وهي قليلة)) (1) .

ومن خلال الرجوع الى اللغات السامية نجد أن الظاهرة ذاتها متفشية فيها ((وتدل مقارنة اللغات السامية ،أخوات العربية ، على أنه في تلك اللغات ،يلحق الفعل علامة التثنية والجمع ، للفاعل المثنى والمجموع ،كما تلحقه علامة التأنيث ،عندما يكون الفاعل مؤنثا سواء بسواء ففي اللغة العبرية مثلا :
WAYY Ā MOṮ ŪGAMŠ NÉHEMMAḤLŌNW-KILYŌN

---

1) الكتاب :2 / ص : 40

وترجمته الحرفية : ((فما تا كلا هما محلون وكليون))، ومثل ذلك أيضا :

LŌYĀ KŌNŪRŠĀIN BANNIŠPĀT

وترجمته الحرفية ((لا يقومون الأشرار بالعدل))، ومثل ذلك في الآرامية :

DALNĀ NGŪRŪRN ḪRĀNE BAṬṬĀK

وترجمته الحرفية : ((لئلا يزنوا الآخرون بامرأتك))، وكذلك الحال في الحبشية :

WAHŌRŪ ʾAHZĀB

وترجمته الحرفية : ((فعادوا الشعوب))، ومثل ذلك أيضا :

WABZḪŪ WELŪDŌMU -

وترجمته الحرفية : ((وكثروا أطفالهم)) (1) .

من هذه التراكيب قوله تعالى :

((وَأَسَرُّوا ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا)) (2)

وذكر سيبويه أن هذا التركيب ،كقوله تعالى السابق ،إنما يجيء على البدل وكأنه قال : ((انطلقوا ،فقيل له : من ؟ فقال : بنو فلان . فقوله جل وعز ((وأسروا النجوى الذين ظلموا)) على هذا فيما زعم يونس)) (3) .

وجاء تركيب قرآني آخر على هذا النحو : ((ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ)) (4)

وتفسر كثير هنا على البدل من الواو حسب الاسناد الذي حكاه سيبويه

---

1) المدخل الى علم اللغة ص : 300 - 301 د. رمضان عبد التواب (ط : 2 ط: 1985 مطبعة المدني - القاهرة)

2) سورة الأنبياء آية : 3

3) الكتاب ج: 2/ ص : 41

4) سورة المائدة آية : 71

وفي بعض الأحاديث النبوية : ((يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل ، وملائكة بالنهار)) (1)،واستطرد ابن هشام قائلا : ((وهي عند سيبويه حرف دال على الجماعة كما أن التاء في ((قالت)) ، حرف دال على التأنيث ،وقيل : هي اسم مرفوع على الفاعلية ،ثم قيل : ان ما بعدها بدل منها ،وقيل : مبتدأ والجملة خبر مقدم)) (2) .

ويظهر أن الخليل كان من الأوائل ،ان لم يكن الأول ، الذين سموا مثل هذه التراكيب المخالفة للقاعدة العامة بلغة ((أكلوني البراغيث)) ، لأننا نجد في الكتاب ما نصه : ((وقال الخليل رحمه الله : من قال : أكلوني البراغيث أجرى هذا على أوله فقال : مررت برجل حسنين أبواه ،ومررت بقوم قرشيين آباؤهم. وكذلك أفعل نحو أعور وأحمر ، تقول : مررت برجل أعور أبواه وأحمر أبواه ،فان ثنيت قلت : مررت برجل أحمران أبواه ، تجعله اسما ،ومن قال : أكلوني البراغيث قلت على حد قوله : مررت برجل أعورين أبواه)) (3) .

واذا كان اللغويون المتقدمون قد أطلقوا على هذا النوع من التراكيب اللهجية التي لا تردولا تنكر لبيئة ((أكلوني البراغيث)) ، فان بعض النحاة المتأخرين كابن مالك أصبح يطلق عليها تسمية

---

1) مغني اللبيب : 2 /ص : 365 لابن هشام (مطبعة المدني - القاهرة)
2) م.س.ص : 365 - 366
3) الكتاب : 2/ ص : 41

أخرى قريبة من الأولى ،وهي لغة ((يتعاقبون فيكم ملائكة)) ،وعلق الدكتور عبد الجواد الطيب على هذه التسمية الأخيرة قائلاً: ((وهذه العبارة قد أخذت أخذاً غير موفق من حديث شريف هو قول الرسول الكريم ((ان لله ملائكة يتعاقبون فيكم : ملائكة بالليل ،وملائكة بالنهار)). فالواو في ((يتعاقبون)) لا تتجه الى لا حنس لها بل تعود على سابق عليها ... فابن مالك على غير حق فيما ذهب اليه)) (1).

ومما ذكره صاحب البحر المحيط أن ابن مسعود وأصحابه قرأوا الآية الكريمة : ((قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ)) (2) على نحو الآيتين السابقتين ،هكذا : ((قد أفلحوا المؤمنون)) ((حتى لقد روي أن طلحة بن مصرف حينما اعترض عليه عيسى بن عمر بشأن قراءته هذه قائلاً له : أتلحن ؟ أجابه في ثقة واعتداد : نعم كما لحن أصحابي)) (3) .

ومما يجب الاشارة اليه أن القراء قرأوا الآيتين :

1) ((وأسروا النجوى الذين ظلموا))

2) ((ثم عموا وصموا كثير منهم))

بدون اختلاف بينهم ،ومما يدل على طبيعة هذا المستوى من الخطاب

---

1) لغة هذيل ص : 373 (سبق أن أشرت أن هذا الكتاب معدوم ~~الكتاب وحتى الزمان~~)

2) سورة المؤمنون آية : 1

3) لغة هذيل ص : 374

عند بعض القبائل العربية كخطاب عريس تبناه العرب في عصرهم الجاهلي والاسلامي ،لاسيما وأن البصريين المتشددين هم من رووا هذه اللهجة عن طيء (1) ،بينما رواها غير البصريين عن أزد شنوءة (2) ، ونسبها ابن هشام الى كل من طيء وأزد شنوءة وبلحارث (3) .

ومما جاء به الشعر من تراكيب قول الشاعر :

يلومونني في اشتراء النخيـــل أهلي ،فكلهم يعـــذل (4)

وقال عبيد الله بن قيس الرقيات :

تولى قتال المارقين بنفســه وقد أسلماه مبعد وحميم (5)

ثم قال من نفس القصيدة على نحو التركيب القرآني السابق (وأسروا النجوى الذين ظلموا) :

فان نفس لا يبقوا أولئك بعدنا لذي حرمة في المسلمين حريم (6)

وقال شاعر جاهلي آخر هو عمرو بن ملقط :

يا أوس لونا لتك أرماحنا كنت كمن تهوي به الهاويه

ألفيتا عيناك عند القفا أولى فأولى لك ذا واقيـــه (7)

---

1) أوضح المسالك ص : 71

2) م.س : ن.ص

3) مغني اللبيـــب :2 / ص : 365

4) م.س : ن.ص

5) ديوانه ص : 196 (ط:1980 داربيروت للطباعة والنشر)

6) م.س.ص : 197

7) النوادر في اللغة ص : 62

1 - 2 : تعدية الفعل الماضي :

لا شك أن تعدية الفعل الماضي بالهمزة أوبدونها يدخل في بناء الجملة الفعلية ،واللهجات العربية متضاربة فيما بينها في هذا التركيب ((ويبدو أن اللهجة التميمية قد سلكت طريق التعدية بدون الهمزة ،وميزت نفسها عن اللهجات الأخرى في مجموعة من الأفعال ،وربما في فترة زمنية معينة ،ولكنها تعود الى سلوك الطريق الثاني مخالفة بقية اللهجات في مجموعة أفعال أخرى ،ولعلها في احدى الحالتين تعرضت لضغط لغوي قوي من مجموعة جديدة)) (1) .

وهذه التراكيب نجدها بشكل خاص في المعاجم العربية القديمة موزعة بشكل أمين كالمصباح للفيومي ، والصحاح ،واللسان ، والمزهر ،... الخ .

مما جاء في الجمهرة لابن دريد : ((أهلكه الله اهلاكا ، ويقال : هلكه الله أيضا في معنى أهلكه الله ، قال الراجز العجاج :

ومهمه هالك من تعرجا هائلة أهواله من أدلجا)) (2) .

---

1) اللهجات العربية القديمة ص :22

2) جمهرة اللغة :3 / ص : 17 لابن دريد (ط : 1345 هـ حيدرآباد)

لكن أبا عبيد ذكر أن بني تميم يقولون : هلكه يهلكه هلكا ، بمعنى أهلكه (1) علما بأن العرب يفضلون ما كان متعديا بنفسه ، جاء في الصحاح : ((ومحقه الله ، أي ذهب ببركته ، وأمحقه لغة رديئة)) (2) . حتى وان كنا لم نعرف من أين تأتي هذه الرداءة الا اذا قابلنا كل صوت بما يقابله من وظيفة مورفولوجية أو فونولوجية ، وفي هذه الحالة يصبح هذا التضخم اللغوي لا فائدة من ورائه اذا كان الفعل يدل على نفس الشيء بثلاثة أصوات بدل أربعة .

والفعل ((لات)) ثلاثي في لغة الحجاز ، ورباعي في لهجة تميم ، اذا لحجازيون يقولون : لاته عن وجهه يليته ، بينما تقول تميم : ألاته عن وجهه يليته (3) . والعرب يقولون : (جزى) عني هذا الأمر ، أي قضى ، لكن تميما تتخذ موقفا معاكسا وتقول : (أجزأ) عني هذا الأمر (4) . ومما جاء في المصباح ((حزن حزنا من باب تعب ، والاسم الحزن بالضم فهو حزين ، ويتعدى في لغتهم بالحركة ، ويقال : حزنني الأمر يحزنني من باب قتل ... وفي لغة تميم بالألف)) (5) .

وغالبا ما نجد القبائل البدوية تنحو نحو تميم في هذا التركيب وهي ظاهرة شائعة في معظم التراكيب التي تختلف فيها تميم مع الحجاز ،

1) الصحاح : 4 / ص : 1616
2) م.س.ص : 1553
3) المزهر : 2 / ص : 276
4) الصحاح : 6 / ص : 2302
5) المصباح المنير : 1 / ص : 145 الفيومي (دار المعارف ـ مصر)

من ذلك أن هذيلا سلكت نفس الدرب مع تميم وأهل نجد في بعض من أفعالها ،فقالت هذيل : أسلكه في (سلكه) (1) ،ولما قالت العرب : رجعك الله ، خالفتهم هذيل بقولها : أرجعك الله (2) وأشعار الهذليين لا تخلو من مثل هذه التراكيب ،من ذلك استعمال أبي خراش أفعل في مكان ((فعل)) ، أي في : أسعى بدل ((سعى)) :

أبلغ عليا أطال الله ذلهم أن البكير الذي أسعوا به همل (3) .

وكقوله الآخر في استعماله للفعل الرباعي ((أطاف)) مكان الفعل الثلاثي ((طاف)) :

تطيف عليه الطير وهو ملحب (4)

وبالنسبة للبصريين نجدهم تارة يفضلون هذا التركيب ،ومرة يميلون الى التركيب الآخر ، اذ بينما نجدهم لا يجيزون الا ((أغلقته)) ولم يجيزوا ((غلقته)) البتة ،نراهم ينكرون ((ضب عليه)) ولم يجيزوا الا ((أضب عليه)) (5) .

وهذه التراكيب الفعلية كثيرة ،وتتبعها على مستوى لهجة قبيلة واحدة ربما يكون أكثر حاجة وفائدة ،ولكن كما صرحنا أكثر من مرة أن الهدف هو الوقوف على النماذج الممكنة لا على الاحصاء .

1) الصحاح : 4 / ص : 1591
2) المصباح المنير : 1 / ص : 235
3) راجع ديوان الهذليين : 2/ ص : 167
4) راجع مادة (طوف) في اللسان
5) راجع : جمهرة ابن دريد : 3 / ص : 439

1-3 : في النواسخ :

1-3-1 : ((ليس)) :

ذهب الكوفيون ومعهم المبرد من البصريين الى أنه لا يجوز تقديم خبر ليس عليها ، وأما البصريون - الا المبرد - فقد ذهبوا الى أنه يجوز تقديم خبرها عليها كما جاز ذلك في (كان) (1)

وفي كتب الطبقات واللغة قصة مشهورة عتب فيها عيسى بن عمر على أبي عمرو بن العلاء حين سمعه يرفع (المسك) في الجملة المشهورة ((ليس الطيب الا المسك)) ، فأجاب أبو عمرو : ((نمت يا أبا عمر ، وأدلج الناس . ليس في الأرض حجازي الا وهو ينصب ، وليس في الأرض تميمي الا وهو يرفع)) (2) .

ومن النص أعلاه يتبين لنا بجلاء أن أهل الحجاز ينصبون خبر ليس أو المسند حتى ولو كان محصورا بأداة حصر (الا) ، وواضح أن بني تميم يرفعون أي لا يغيرون المسند اليه والمسند .

1-3-2 : ((ما)) العاملة عمل ((ليس)) :

هذا العامل يجري مجرى ليس في بعض المواضع بلغة أهل الحجاز

---

1) الانصاف في مسائل الخلاف : 1 / ص : 160

2) راجع القصة في : طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص : 43 وكذلك : ذيل الأمالي والنوادر ص : 39 وغيرهما من المصادر .

ثم لا يلبث أن يصير الى أصله ،وهو عدم اجراء مجراها على لغة تميم ،

وفي هذا يقول سيبويه : ((وأما بنو تميم فيجرونها مجرى أما وهل ،

أي لا يعملونها في شيء ،وهو القياس ، لأنه ليس بفعل ،وليس ما

كليس ،ولا يكون فيها اضمار .

وأما أهل الحجاز فيشبهونها بليس اذ كان معناها كمعناها ،

كما شبهوا بها لات في بعض المواضع)) (1) .

وذكر سيبويه أن بني تميم يرفعون قوله تعالى :

((مَا هَذَا بَشَراً)) (2)

الا من درى منهم كيف هي مرسومة في المصحف (3) ،ولكنهم لا يختلفون

في قراءة قوله تعالى الآخر :

((مَا أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا)) (4)

لأن اللغتين في مثل هذا التركيب تستويان ((وتقول :ما زيد الا

منطلق ، تستوي فيه اللغتان)) (5) .

ويروون للفرزدق أنه قال :

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم اذ هم قريش ،واذ ما مثلهم بشر (6)

---

1) الكتاب :1 / ص : 57

2) سورة يوسف آية : 31

3) الكتاب :1 / ص : 59

4) سورة يس آية : 15

5) الكتاب :1 / ص : 59

6) الكتاب : 1 / ص : 60

حيث نصب الشاعر (مثلهم) على أنه خبر مقدم لـ (ما) ، بينما علق سيبويه : ((وهذا لا يكاد يعرف)) (1) ،وقد يكون سيبويه استغرب هذا التركيب لا من حيث كونه تركيبا ،لأنه قال : ((لا يكاد)) ولكنه استغرب غير ذلك أن الفرزدق تميمي من لغة رفع خبر ((ما)) ، والخبر مؤخر ،فكيف ينصبه وهو مقدم ؟ لكننا كنا قد التزمنا أن ننظر الى الشعراء على أساس أنهم متكلمون ،وهذا ما نراه وندركه هنا ،اذ من يدري أن الفرزدق كان يعرف لغة ثالثة لاهي من لغة قومه ولا من لغة أهل الحجاز ، فتكلم بها ،وربما رفع الفرزدق ولم يأبه حتى لا يقع في اقواء ،وهوكثيرا ما أتعب اللغويين في مثل هذه التراكيب العفوية التي كانت تستوعبها الطبقات العربية الفصحة المتكلمة من جهة ،وتتحملها الطاقة اللسانية للغة العربية من جهة ثانية ،ونجد هذه المتاعب برزت بين الشاعر وبين اللغويين منذ بروز القياس والتعليل والتفلسف النحوي .

ولم يوظف اعمال ((ما)) في القرآن توظيفا صريحا الا في ثلاثة مواضع منه (2) ،وهذه التراكيب القرآنية هي :

أ ـ ((فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ)) (3)

ب ـ ((مَا هَذَا بَشَرًا)) (4)

---

1) الكتاب : 1 / ص : 60

2) شذور الذهب ص : 193 ـ 194

3) سورة الحاقة آية : 47

4) سورة يوسف آية : 31

ن : ((ما هن أمهاتهم)) (1) .

وأما القراء السبعة فلم يختلفوا في قراءة الآيات الثلاث السابقة الذكر ،بيد أن ابن مسعود قرأ ((بشرا)) بالرفع - فيما يبدو - على لهجة تميم (2) ، وقرأ البعض الآخر غير السبعة (ما هن أمهاتهم) بالرفع في (أمهاتهم) (3) .

1 - 3 - 3 : ((ان)) و ((لا)) العاملتان عمل (ليس) :

ان توظيف (لا) مثل (ليس) قليل في اللهجات العربية القديمة ،ويشترط أن يكون معمولاها نكرتين ،والأغلب في تراكيبها أن يكون خبرها محذوفا (4) ،أما الحجاز فتوظفها توظيف (ليس)كما وظفت (ما) ،بينما توظفها تميم مطلقا (5) ،وفي رواية أخرى أن أهل الحجاز يعملونها دون طيء (6) .

وقال سيبويه : ((وان جعلتها بمنزلة ليس كانت حالها كحال لا ، في أنها في موضع ابتداء ،وأنها لا تعمل في معرفة ،فمن ذلك قول سعد ابن مالك :

من صد عن نيرانها فأنا ابن قيس لا براح (7)

1) سورة المجادلة آية : 2
2) البحر المحيط : 5/ ص : 304
3) شذور الذهب ص : 196
4) أوضح المسالك ص : 46
5) شرح ابن عقيل : 1 / ص : 312 - 313
6) م.س.ص : 278 ، 7) الكتاب : 2/ ص : 296

وكان قد قال قبل هذا في نفس التركيب :: ((جعلها بمنزلة ليس ،فهي بمنزلة لات في هذا الموضع في الرفع)) (1) وربما استعملها بعضهم حتى ولو كان بعدها معرفة ،كقول النابغة الذبياني :

وحلت سواد القلب ، لا أنا باغيا سواها ،ولا عن حبها متراخيا (2)

وهذا النوع من التراكيب استعمله الشعراء استعمالات شتى ،لكنه لايكاد يخرج عن القاعدة العامة ،فاذا لم يكن معمولاها نكرتين ،فانها غالبا ما تأتي مكررة في التركيب على أن يكون ما بعدها مسندا اليه ومسندا كقول النابغة الذبياني :

أبى الله الا عدله ووفاءه فلا النكر معروف ولا العرف ضائع (3)

أوكقوله الآخر :

فلا العبد بالعبد الذي ليس معتها ولا أنت بالرب الأيد المصمم (4)

وأما ((ان)) فقد اختلف النحاة في اعمال هذا الحرف عمل (ليس) أو اهماله ،ولهذا السبب اعتبرناه من التركيب الفعلي ،لأن العبرة بالدلالة أيضا وليس بالأشكال الصورية أو الرياضية للقواعد .

---

1) الكتاب : 1 / 58

2) انظر شرح ابن عقيل : 1 /ص : 315 ،وهذا البيت ليس موجودا في الديوان الذي بين يدي ،وهومن صنع الامام اللغوي ابن السكيت .

3) ديوان النابغة الذبياني : ص :53 (مطبعة دار الفكر- بيروت)

4) م.س.ص : 195

وبالنسبة للبصريين فان الأكثر منهم أنها لا تعمل شيئا ،لكن الكوفيين ـ ماعدا الفراء ـ أنها تعمل عمل ليس (1) ،بينما البعض الآخر بأن توظيفها توظيف ليس شيء نادر (2) .

ومما ذكره سيبويه قوله : ((وأما ان فتكون للمجازاة وتكون أن يبتدأ ما بعدها في معنى اليمين ،)) (3) ،وهذا بالنسبة لـ((انْ)) المخففة ،كقوله تعالى :

((إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَا عَلَيْهَا حَافِظٌ)) (4)

وحين تكون في معنى النفي مثل ليس ،قال : ((وتكون في معنى ما ، قال الله عز وجل : ((ان الكافرون الا في غرور)) (5) ،أي : ما الكافرون الا في غرور)) (5) .

وذكر ابن جني في بعض المواضع أن سعيد بن جبير قرأ :

((ان الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم)) (6)

ويروون لشاعر أنه قال :

ان المرء ميتا بانقضاء حياته ولكن بأن يبغى عليه فيخذلا (7)

---

1) شرح ابن عقيل : 1/ ص : 317
2) أوضح المسالك ص : 46
3) الكتاب :3 / ص : 152
4) سورة الطارق آية : 4
5) الكتاب :3 / ص : 152
6) أوضح المسالك ص : 46
7) شرح ابن عقيل : 1/ص : 318

وقد ينسب اعمال هذا الحرف الى أهل العالية قاطبة ، لأنه يروى عنهم أنهم يقولون : ((ان أجد خيرا منن أحد الا بالعافية)) (1) ،وكما نعلم أن أهل العالية يحتلون مواقع جغرافية شاسعة من قلب الجزيرة العربية ،على الرغم من أن هذه اللهجة جاء ورودها قليلا في آثارهم .

1-3-4 : عسى :

قال صاحب الأفعال في القرآن الكريم : ((عسى طمع وترج ، وهو من الأفعال الجامدة ، فقد وقع ماضيا وأميت ما سواه من وجوه فعله ،وهو من أفعال الشروع الناسخة ،يرفع الاسم وينصب الخبر ،وخبره مضارع منصوب بأن ،ويجوز تجرده منها ،ويجيء تاما كذلك ،ولا يختص حذف ((أن)) من المضارع في الشعر خلافا لمن ذهب الى ذلك)) (2) .

ومما ذكره سيبويه أنه يمكن أن يقال : عسى أن يفعل ،وعسى أن يفعلا ،وعسى أن يفعلوا ، وأن (عسى) محمولة عليها (أن) كما يقال : دنا أن يفعلوا أو اخلولقت السماء أن تنهمر أو تمطر ،وكل هذه التراكيب ونحوها تكلم بها عامة العرب ،وهي تكون للواحد والجمع والمؤنث (3)

---

1) أوضح المسالك ص : 46

2) الأفعال في القرآن الكريم : 2/ص: 924 - 930 د . عبد الحميد مصطفى السيد (ط : 1986 دار البيان العربي - جدة)

3) انظر الكتاب : 3 /ص : 158

ثم أردف قائلا : ((ومن العرب من يقول : عسى وعسيا وعسوا ، وعست ،وعستا ، وعسين ... واعلم أنهم لم يستعملوا عسى فعلك ، استغنوا بأن تفعل عن ذلك ،كما استغنى أكثر العرب بعسى عن أن يقولوا : عسيا وعسوا ... واعلم أن من العرب من يقول : عسى يفعل ، يشبهها بكاد يفعل ،فيفعل حينئذ في موضع الاسم المنصوب في قوله : ((عسى الغوير أبؤسا))، فهذا مثل من أمثال العرب أجروا فيه عسى مجرى كان)) (1) .

ومن التراكيب التي جاءت فيها (عسى) مجردة من أن بعدها قول هدبة :

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب (2)

حيث خبر (عسى) جملة اسمية ،وقال الآخر جاعلا خبرها جملة فعلية ومجردا إياها من (ان) أيضا :

عسى الله يغني عن بلاد ابن قادر بمنهمر جون الرباب سكوب (3)

وقد يتصل بها الكاف ،وتكون لدى سيبويه في هذه الحالة منصوبة (الكاف) ،كما يقولون : عساني (4) .

---

1) الكتاب ،3/ص : 158
2) م.س.ص : 159
3) م.س : ن.ص
4) الكتاب : 2 / ص : 374 - 375

واختلفت اللهجات العربية كذلك في نطقه ،اذ قرأ نافع

في قوله تعالى :

((فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ)) (1)

((قَالَ : هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا)) (2)

بكسر السين فيهما ، وقرأ الستة الباقون بفتحها (3) ،حتى وان قال ابن

عقيل : الفتح أشهر (4) ،غير أن شهرة الفتح فيها بين العرب لا تمنع

من أن يكون الكسر فيها لهجة مؤكدة ،والا فكيف قرأ أحد القراء السبعة

ممن تعد قراءته متواترة بالكسر في كلا الفعلين في الآيتين السابقتين ؟.

وجملة ((الغائب عسى أن يعود)) أن في (عسى) ضميرا

يعود على الاسم الذي تقدمها ،وجملة (أن يعود) في محل نصب

بعسى ،وهذه اللغة منسوبة لبني تميم الذين يقدرون الضمير في هذه

الحالة ،بينما لا يقدر الحجازيون ذلك ،وعلى هذا فاللهجة التميمية تصرف الفعل

باسناد الفعل (عسى) الى ما يناسبه ،بينما تصرفه الحجازية على حالة واحدة

(محمد عسى أن يعود ، محمدان عسى أن يعودا ،زينب عسى أن تعود ،

زينبان عسى أن تعودا ،...الخ).

---

1) سورة محمد آية : 22

2) سورة البقرة آية : 246

3) التيسير ص : 81

4) شرح ابن عقيل : 1 / ص : 344

1 ـ 3 ـ 5 : نـــواســـخ متفرقـــة :

من هذه النواسخ (ما زال) و (مابرح) ،فبالنسبة للفعل ما زال تسقط (ما) في بعض اللهجات العربية لتستعمل في تراكيب مختلفة بدونها (1) ،ويذكر في الصحاح أن فيها لغة مجهولة قديمة هــي : ((ما زيل)) (2) .

وفي هذه التراكيب أوحولها يقول الدكتور عبد الجواد الطيب :

((ولعل من هذا أيضا ما نراه من استعمال : ما برح ،وما زال ،ومــا انفك (في مضارعها وماضيها) مجردة من النفي السابق عليها ،فقد عد اللغويون ذلك لهجة لهذيل ،وذلك مثل قول الشاعر :

فبرلتم تهربون ولوكرهتــم تسوقون الحزائم بالنقــــاب

وقول أبي خراش :

وأبرح ما أبرتم وملكتم بعيد الدهر مالم تقتلوا بخليــل

وقول معقل بن خويلــد :

اذا أقسموا أقسمت أنفك منهم ولا منهما حتى نفلك السلا سلا

فهذه ظاهرة ماثلة في الشعر الهـــذلي ،وان كانت غير مقصورة على شعراء هذيل ،فهي في شعرهم وشعر من عداهم كامرئ القيس وغيره)) (3)

1) اللهجات العربية القديمــة ص : 43
2) الصحـــاح : 1 / 529 (مادة : كود)
3) لغـــة هذيـــل ص : 368

1 ـ 4 : في أسماء الأفعال :

لقد اختلفت التراكيب اللهجية في أسماء الأفعال هذه سواء دلت على الماضي أم الحاضر أم المستقبل ، ولا نقول ان هذه التراكيب لا ترقى الى الفصاحة باعتبار أنها تكلمات شعبية ، لأن هذه التراكيب منها ما ورد في القرآن الكريم ، ومنها ما جاء على ألسنة الفصحاء من العرب .

1 ـ 4 ـ 1 : هلم :

ورد اختلاف التراكيب اللهجية في اسم هذا الفعل بين تميم والحجاز ، وهذا المورفيم ورد مرتين في القرآن الكريم ، وعقد سيبويه حيزا كبيرا لأسماء الأفعال وتراكيبها المختلفة في أكثر من موضع في كتابه اذ قال فيها : ((واعلم أن هذه الحروف التي هي أسماء للفعل لا تظهر فيها علامة المضمر ، وذلك أنها أسماء ، وليست على الأمثلة التي أخذت من الفعل الحادث فيما مضى وفيما يستقبل وفي يومك ... وأجريت مجرى ما فيه الألف واللام .... ولم تصرف تصرف المصادر ، لأنها ليست بمصادر ...)) (1) .

---

1) الكتاب : 1 / ص : 242 ـ 243

وفي اتصال الكاف أو ((لله)) بأسماء الأفعال هذه ، حسب طبيعة كل واحد منها ،يقول : ((ونظير الكاف في رويد في المعنى لا في اللفظ ((لله)) التي تجيء بعد هلم ،في قولك : هلم لك ،فالكاف ههنا اسم مجرور باللام ، ... كأنه قال : هلم ،ثم قال : ارادتي بهذا لك ... وان شئت قلت : هلم لي ،بمنزلة هات لي ،وهلم ذاك ،بمنزلة أدن ذاك منك)) (1) .

وحسب ما يراه سيبويه أن اسم الفعل هلم اذا لحقتها ((لك)) يكون لنا اختياران في تركيب أو عطف ما بعدها (لك) :

1) أن نحمل ما بعد (لك) على الكاف المجرورة ،فنقول : هلم لكم أجمعين وهلم لكم أنفسكم (بجر السين طبعا) ،وهنا لا يجوز أن نعطف الاسم على الكاف المجرورة ،بل لا يمكن العطف في كل حال مظهرا على مضمر.

2) يمكن أن نحمل الجملة المعطوفة والصفة على المضمر في النية ، فنقول : هلم لك أنت وأخوك ،وهلم لكم أجمعون ،وتكون نية القول أو القصد : تعال أنت وأخوك ،وتعالوا أنتم أجمعون .(2)

غير أن سيبويه استدرك القول ليصرح بأن ((ناسا من العرب يجعلون هلم بمنزلة الأمثلة التي أخذت من الفعل ... هلم،هلمي ، ...هلموا ..)) (3)

1) الكتاب : 1/ ص : 246
2) م.س.ص : 248
3) م.س.ص : 252

وبعد مسافة من البحث طويلة لدى سيبويه يقول : ((وقول بني تميم : هلممن يقوي ذا)) (1) ،ثم يقول في موضع آخر بصريح العبارة : ((وذلك الحروف التي للأمر والنهي وليست بفعل ،وذلك نحو : ايه ،وصه ،ومه وأشباهها . وهلم في لغة أهل الحجاز كذلك . ألا تراهم جعلوها للواحد والاثنين والجمع والذكر والأنثى سواء . وزعم أنها لم ألحقتها هاء للتنبيه في اللغتين .

وقد تدخل الخفيفة والثقيلة (2) في هلم في لغة بني تميم لأنها عندهم بمنزلة : رد ، وردا ،وردي ،واردن ،كما تقول : هلم ،وهلما ،وهلمي ،وهلممن والهاء فضل ، انما هي ها التي للتنبيه ، ولكنهم حذفوا الألف لكثرة استعمالهم هذا في كلامهم)) (3) .

وبناء على ما تقدم ، فان أهل الحجاز يجرون ((هلم)) ما سمي به الفعل ،وألزم طريقا واحدا ،وأما بنو تميم فيصرفونه ويلحقون به جميع ما يلحق أي فعل يقبل التصريف ،ومما يذهب اليه البعض أن أصل هلم هاء التنبيه ،و ((لم)) فعل ،وعلى هذا يثنى ويجمع ،وأما اذا كان اسما للفعل ،فانه لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث ،زاعمين أن هذه اللغة الأخيرة - أي لغة الحجاز - أفصح من الأولى (4) .

1) الكتاب : 3 /ص : 332
2) أي نون التوكيد
3) الكتاب : 3/ص : 529
4) راجع خماسية ابي تمام : 4/ص: 1646 - 1647 و 3/ص: 1278

وحسب النص السابق ،فان تميما تعتقد أن (هلم) فعل لأنه مأخوذ من ((لـم)) ،ولذلك فهي تصرفه الى كامل ضمائر الأمر الستة ، وأما الحجاز ، فانها تحسبه اسم فعل أمر جامد ،ومن أجل ذلك فهي لا تصرفه وتلزمه حالة واحدة .

وأهل الحجاز لا يختلف لفظها عندهم بحسب من هي مسندة اليه ، كقوله تعالى :

((قُـلْ : هَلُـمَّ شُهَدَاءَكُـمْ)) (1)

وكقوله عزوجل أيضا :

((وَالْقَائِلِيـنَ لِإِخْوَانِهِمْ : هَلُـمَّ إِلَيْنَـا)) (2)

ولعل مجيئها مرتين في القرآن وعلى لغة الحجاز جعل البعض يميل الى ان هلم الحجازية افصح من هلم التميميـة ،مع ان القرآن الكريم هـو حجة للعربية التي بها نزل ،وليس حجة عليها ،ثـم انه أسمى من أن يكون مقيدا بتركيب لهجي دون آخـر ،وفضلا عن ذلـك فهو محيط بكل لغات العرب ،والقراءات المتعددة له كالسبع والعشر و... الخ

ومما ذكر أن الأصمعي قال : ((ان الرجل يقال له : هلم ،فيقـول

1) سـورة الأنعـام آيـة : 150
2) سـورة الاحزاب آيـة : 18

لا أهلم)) (1) ،وفي نص آخر له : اذا قيل لك : هلم ، فقل : لا أهلم ،وقال : هلممت بالرجل ،اذا قلت له : هلم ،فاشتقوا منها ،وأصلها : ها لمّ (2) .

وفي الصحاح ((هلم يارجل ،بفتح الميم ،بمعنى تعال ،قال الخليل : أصله لمّ ،من قولهم لم الله شعثه أي جمعه ،كأنه : أراد : لم نفسك الينا ،أي اقرب . وها للتنبيه ، وانما حذفت ألفها لكثرة الاستعمال ، وجعلا اسما واحدا ،يستوي فيه الواحد والجمع والتأنيث ، في لغة أهل الحجاز... وأهل نجد يصرفونها فيقولون للاثنين : هلما ،وللنساء : هلممن ،والأول أفصح ... واذا أدخلت عليه النون الثقيلة قلت : هلمّنّ يا رجل ،وللمرأة هلمّنّ بكسر الميم ،وفي التثنية هلمانّ للمؤنث والمذكر جميعا ، وهلمّنّ يا رجال بضم الميم ،وهلممنانّ يا نسوة. واذا قيل لك : هلم الى كذا وكذا ،قلت : الام أهلم مفتوحة الألف والهاء ، كأنك قلت : الى ما ألمّ ،وتركت الهاء على ما كانت عليه،واذا قال لك : هلم كذا وكذا ،قلت : لا أهلمه ،أي لا أعطيكه)) (3) .

---

1) المفصل في علم العربية ص : 152 الزمخشري (دار الجيل - بيروت)
2) انظر : سر صناعة الاعراب : 1 /ص : 238
3) الصحاح :5 / ص : 2060 - 2061

وهكذا ،فان أهالي نجد يذهبون مذهب تميم في هذه التراكيب اللهجية حيث يجعلون (هلم) فعلا عاديا فيصرفونه مع الضمائر مفردا ومثنى وجمعا ومذكرا ومؤنثا ،ليس فقط في معنى الأمر بل حتى في معنى الماضي والمضارع ،كما جاء على لسان الأصمعي وغيره ،على عكس الحجاز التي تجعله اسم فعل وتلزمه حالة واحدة في جميع تراكيبه ، وتذهب معها قبائل أخرى كثيرة مثل عقيل وقيس من مضر ،وقيس عيلان (1) .

واذا أردنا هنا أن نخرج عن المنهج الوصفي قليلا ،فانه يلاحظ أن الحجازية ثابتة على مذهبها العتيق حيث لم تكن الأفعال قد أسندت بعد الى ضمائرها البارزة ،لأنه يفترض في الاشتقاقات أن تتولد من الأفعال ،وأما التميمية فيبدو في هذه التراكيب أنها قد عرفت تطورا طبيعيا في مسارها اللساني الطبيعي ،ويظهر هذا التطور بشكل جلي في انتقاله الى الماضي والمضارع ،وبذلك اكتملت الدلالات الزمنية أو مستويات الخطاب الثلاثة بالنسبة للزمن بشتى أنواعه ،مما يتيح للمتكلم بها أن ينوع كلامه وابداعه.

---

1) اللهجات العربية القديمة ص: 48

وقد توظف العرب اسم هذا الفعل أو الفعل (حسب التراكيب اللهجية) بعد اسم صوت ينادى به حيوان (البعير مثلا) ، كقول حميد بن ثور الهلالي :

فزيّنته بالعهن حتى لو انه يقال له : هاب ، هلم ، لأقدما (1)

1 - 4 - 2 : أسماء أفعال متفرقة :

لقد حاولنا أن نتوسع في تركيب اسم الفعل السابق حسب التراكيب العربية العامة واللهجية له ، غير أنه من المستحيل أن نتوسع في كل اسم فعل آخر بنفس الحجم ، لأن هذا يقتضي حيزا خاصا بهذه التراكيب ولذلك نريد أن نجمل ما بقي من بعض أسماء الأفعال (2) .

1) ديوانه ص : 14 (ط : 1951 الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة)
2) لمن أراد استقصاء هذا الموضوع الشاسع في تراكيبه ودلالاته نحيله على الكتاب ، كما يلي :

- أفّ : 4/58 ، - آه : 1/242 ، - أيه ، أيها : 1/242 ، 3/302
وكذا : 3/529 ، 4/229
- بله : 4/232
حيّ : 3/300
حيهل : 1/241 ، 244 ، 251 ، 3/300 - 301 ، 4/163
رويد : 1/241 ، 243 - 248 ، 251 ، 377 ، 2/360
شتان : 3/293
صه : 1/242 ، 3/529 ، 4/229
مه : 1/242 ، 3/529 ، 229
هاء : 1/244 ، 251
إليك : 1/249 - 250
أمامك : 1/249 .... الخ .

آ ـ من أسماء هذه الأفعال المتداولة في العربية وغير العربيــة اسم فعل : ((آميـــــن)) ، وهو اسم فعل أمر للدعاء بمعنى : اللهم استجب ، أو اقبل منا دعاءنا أو صلاتنا أو أعمالنا الصالحة التــي نتقرب بها اليك ... الخ ، وهو من أسماء أفعال الأمر التي لم يذكرها ـ فيما يبدو ـ سيبويه ، ولعله اعتبرها لفظة أجنبية ، وقد يكون غير ذلك ، لأن سيبويه كان يعلم حق العلم أن قبائل عربية فصيحة كانت تتداولها في خطاباتها مع اختلاف في التركيب الصوتي أو النطقي أو النبري ...

ان الحجازيين كانوا ينطقونها ((أمين)) بدون مد الألف ، ولا عجب في هذا ، وهم من أصحاب لغة التسهيل ، بل رسم الهمزة على اسم الفعل هذا عندهم يعد عجبا ، لكن نطق صوت واحد من نفس الجنس أهون لديهم من نطق صوتين اثنين مشتركين في مد طويل ، وفي لغة بني عامر بن قيس ينطقونه : ((آمــين)) حسب النطق الذي نعرف في لغتنا العادية لدى الخاصة والعامة الى يومنا هذا (1) ، واعتبر ابن السكيت تشديد الميم في هذا المورفيم من لغة العامة (2) ، والعامة تلتجئ الى هذا من قبيل المبالغة والشعور بالتلذذ في الدعاء .

---

1) راجع اللهجات العربية القديمة ص : 47

2) راجع اصلاح المنطق ص : 178 لابن السكيت (دار المعرف ـ مصر)

ب - ((أف)) ، مما لاحظته في أكثر من تركيب أن ما توسع فيه صاحب الكتاب زاده من بعده من اللغويين توسيعا ، ومن أوجز فيه أو سكت عنه أحيانا لم يلتفتوا إليه إلا نادرا ، ومن هذه الملاحظة هذا المورفيم هنا ، فبالنسبة لسيبويه لم يزد على أن يقول : ((وأففت به ، أي قلت له : أف)) (1) ، ولم يقل هذا إلا عرضا ، وليس الحديث عن هذا المورفيم كما تحدث عن هلم ، والزمخشري في مفصله لم يزد على أن يقول أيضا : ((أف يفتح ويضم ويكسر وينون في أحواله وتلحق به التاء منونا في أحوال)) ، (2) ، وهذا المورفيم عنده اسم مثل : إيه ، وصه ، ومه ، وغاق ، ومثلها : أف ، وتلحق هذه الأسماء علامة التنكير ، فهي تارة : أف (بكسرة واحدة) ومرة : أفٍ (بكسرتين) ، ومثل هذا أسماء الأفعال السابقة ، ومن هذه الأسماء أو أسماء الأفعال ما لا يستعمل إلا معرفة مثل ((آمين)) السابقة وواها وايها وويها ... الخ (3) .

لكن قولنا السابق بالنسبة لبعض اللغويين الذين لم يتوسعوا في بعض الظواهر اللهجية التي لم يتوسع فيها سيبويه ليس إطلاقا عاما ، ثم إن أولئك اللغويين أنفسهم مقيدون بمنهجية الوحدات النحوية والصرفية والصوتية وغيرها من العناصر اللسانية الشاملة ، ولا يمكنهم أن

1) الكتاب : 4/ 58
2) المفصل في علم العربية ص : 163
3) م.س.ص : 164

يتوسعوا في كل حال ،ولذا ،فان كتب القراءات القرآنية تظل في نظرنا أقرب وأنسب الى التراكيب المتعددة في الحقل اللهجي أو الديالكتولوجي .

ونجد صاحب البحر المحيط يخبرنا بأن : (((أُفٍ) اسم فعل بمعنى أتضجر ،ولم يأت اسم فعل مضارع الا قليلا مثل هذا ونحوه في : ((أُوهْ)) وهما بنفس الدلالـــة أي التضجر والتقززأو التكره من الشيء ،ولغاته تعد في نظر البعض بالعشرات لا بالوحدات ،اذ ذكر أن في : أُفٍ مــا يقارب أربعين لغة (1) .

وجاءت ثلاثة تراكيب قرآنية محتوية على اسم الفعل هذا (2) ، ((والمقروء بــين لغات (أُفّ) في السبع : أُفٍّ ، أُفِّ ، أُفَّ ، وفي الشـــواذ : أُفٌّ ، أُفَّ ، أُفْ ، أُفِّــي)) (3) .

وفي مصدر آخر حديث أن اسم الفعل هذا فيه لغات كثيـــرة : ((فلغة الأنصار وقراء أهل المدينة : (أُفٍّ) ،وقراءة أهل الكوفة : (أُفٍّ) وقراءة أهل مكة والشام : (أُفَّ) ،ولغة العامة : (أُفِّــي) ،وفيها لغات عدة مجهولة الأصول وهي : (أُفَّا) ،و(أُفٌّ) ،و (أُفَّة) ،و(أُفَّة) ،و(أُفِّ) (4) .

1) انظر البحر المحيط : 6/ص : 23 ،والافعال في القرآن الكريم : 1/ص : 133

2) انظر هذه الآيات : سورة الاسراء آية : 23 ،وسورة الأنبياء آية : 67 وســورة الأحقاف آيــة : 17

3)الأفعال في القرآن الكريم : 1 / ص : 134

4) اللهجات العربية القديمة ص : 48

ج ـ هيهات :

مما ذكره سيبويه في هذا المورفيم الذي هو كذلك اسم فعل ماضي لا تتعدى دلالته أن تكون بعد : ((وسألته (1) عن هيهاتِ اسم رجل وهيهاةَ ؟ فقال : أما من قال : هيهاةَ ، فهي عنده بمنزلة علقاة ، والدليل على ذلك أنهم يقولون في السكوت : هيهاهْ ، ومن قال : هيهاتِ ، فهي عنده كبيضاتٍ ، ونظير الفتحة في الهاء الكسرة في التاء ، ... ونظير هيهاتِ وهيهاةَ في اختلاف اللغتين ، قول العرب : استأصل الله عرقاتِهم ، واستأصل الله عرقاتَهم ، بعضهم يجعله بمنزلة علقاةٍ ، وبعضهم يجعله بمنزلة عُرْسٍ وعُرُساتٍ ... وكلاً سمعناه من العرب)) (2) .

وصاحب البحر ربما كان محقا حين ذكر أن هذه الكلمة تلاعب بها العرب تلاعبا كبيرا : بالحذف والابدال والتنوين وغيره (3) . واذا كان سيبويه اشار الى اختلاف اللغتين في اسم الفعل هذا ، ولم يذكر ـ فيما يبدو ـ هاتين اللغتين صراحة ، فان الزمخشري بأن : هيهات بفتح التاء لغة حجازية ، وبكسر التاء فيها لغة تميمية وأسدية ، بل ((ومن العرب من يضمها وقرئ بهن جميعا وقد

1) من المرجح في هذه الحالة أنه يقصد الخليل بن أحمد .
2) الكتاب : 3/ص : 291 - 292
3) الأفعال في القرآن الكريم : 3/ ص : 1422 - 1423

تنـــون على اللغات الثلاث ،وقال :

تـذكرت أيا ما مضين من الصبا   فهيهاتَ هيهاتٍ اليـك رجوعهـا

وقـد قرئ قوله :

هيهـاتُ من مُصّبحها هيهاتٍ

بضم الاول وكسر الثاني ،ومنهم من يحذفها ومنهم من يسكنها ومنهم من يجعلها نونا وقد تبدل هاؤها همزة ومنهم من يقول : أيهـاك وأيهان وأيها ،وقالوا : ان المفتوحة مفردة وتاؤها للتأنيث ..)) (1)

وفي بعض المصادر الاخرى أن المشهور في لغاتها : هيهاتَ، وبها قرأ الجمهور ،وهي اللغة الحجازية،كما قرئ : هيهاتاً ، وهيهاتٌ، وهيهاتُ ،وهيهاتٍ ،وهـيهاتِ ،وهي اللهجة المنسوبة لتميم والحجازه كما عرفنا عند الزمخشري ،وهيهاتْ ،وهيهاه ، (بالهاء آخرا وصلا ووقفا) ، أيهاتَ ،وهذه تسـع قراءات (2) .

د ـ ما كان على وزن فعـــال :

مما قاله سيبويه في هذا النوع من أسماء الأفعال : ((واذا كان الاسم على بناء فعالِ نحو : حذامِ ورقاشِ ،لا تدري ما أصله أمعدول

---

1) المفصل ص : 161 - 166

2) الأفعال في القرآن الكريم :3/ ص : 1423

أم غير معدول ، أم مؤنث أم مذكر ، فالقياس فيه أن تصرفه ، لأن الأكثر من هذا البناء مصروف غير معدول ، مثل : الذهاب ، والصلاح ، والفساد والإياب .

واعلم أن فعال جائزة من كل ما كان على بناء فَعَلَ أو فَعُلَ أو فعِل ، ولا يجوز من أفْعَلْتُ ، لأنا لم نسمعه من بنات الأربعة ، إلا أن تسمع شيئا فتجيزه فيما سمعت ولا تجاوزه ، فمن ذلك : قرقارِ وعرعارِ .

واعلم أنك إذا قلت : فعالِ ، وأنت تأمر امرأة أو رجلا أو أكثر من ذلك ، أنه على لفظك إذا كنت تأمر رجلا واحدا ، ولا يمكن ما بعده إلا نصبا ، لأن معناه : إِفْعَلْ ، كما أن ما بعد إفْعَلْ لا يكون إلا نصبا ، وإنما منعهم أن يضمروا في فعالِ الاثنين والجميع والمرأة لأنه ليس بفعل ، وإنما هو اسم في معنى الفعل .

واعلم أن فعال ليس بمطرد في الصفات نحو : حَلاقِ ، ولا في مصدر نحو : فجارِ ، وإنما يطرد هذا الباب في النداء والأمر)) (1) .

وأما أبو اسحاق الزجاج فقد ذكر أن اسم الفعل هذا بني على الكسر ((لأنه مؤنث ، تقول : ((مناعِ زيدا من هذا)) واختير له الكسر ، لأن الكسر من علامات التأنيث)) (2)

1) الكتاب : 3/ ص : 280

2) ما ينصرف وما لا ينصرف ص : 72

وعلى هذه الصيفة جاءت تراكيب مختلفة ،لكنها تكاد تتفق ، الا ما

سمع مخالفا لذلك ،من هذه التراكيب المطردة قوله :

مناعِها مـــن إبلٍ مناعِهـا أما ترى الموت لدى أربـاعهـا (1)

وقال الآخر :

تراكِها من إبل تـراكِهـا قـد نزل الموت لدى أوراكهـا (2)

ويظهر أن التراكيب اللهجية لم تختلف في هذا الموقف ،سوى

أن بني أسد يفتحون لام فعـال (3)

وفي بنات الاربعة قال النابغة الذبياني :

مُتكنّفـي جَنْبَيْ عُكاظَ كِلَيْهما يدعو وليدُهُمُ بها عَرْعَارِ (4)

ولقد سبق أن تكلمنا على فعال حين تكون معدولة عن فاعلة

في الأعلام مثل : حذام ،وقطام ،...،وتكلمنا عن بناء المعدولة في

لغة أهل الحجاز ، واعرابها لدى بني تميم واعرابها من الصرف

الا ما كان آخره راء ،فانهم يوافقون فيه أهل الحجاز ،الا فئة

منهم قليلة ،... وانما نحن اقتصرنا في حديثنا هنا على ((فعال))

التي تكون في معنى الأمر ،باعتبارها اسما من أسماء أفعال الأمر .

---

1) ما ينصرف وما لا ينصرف ص : 72

2) م.س.ن.ص

3) انظر: شذور الذهب ص : 89 وكذا : تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ص 223

4) ديوانه ص : 102

أمـــا مـــا كان من الرباعي المسموع ،فمن المفروض أن يكون على وزن ((فعـــلال)) مثل ((عرعار)) في بيت النابغة الذبياني السابق .

من غيرشك أن صيغ الرباعي صيـغ معدولة أيضا ،على الرغم من أنها غير قياسيـة ،كما ذكر النحاة ، لكن هذه الصيغ صيغ وتراكيب لهجية فصيحـة ،وربما اشتهرت بها جهة متكلمة دون أخرى ،ومما جاء معدولا من الرباعي قول أبي النجم:

قالت له ريح الصبا قـرقـار (1)

فقال سيبويه محللا: ((فانما يريد بذلك قالت له : قـرقـر بالرعد للسحاب. وكذلك عرعار ،وهو بمنزلة قرقار،وهي لعبة ،وانما هي من عرعرت)) (2)

ومما ذكره أبوزيد الأنصاري أن قوما من قيـس اذا سئـل أحدهـم : ((هـل بقي عندك شيء من طعامك ؟)) ،فيقول : ((همهـام)) معناه لم يبق شيء (3) ،وجاء آخر اسم هذا الفعل الأمري مبنيا على السكون في الجمهرة ،ولعل الحركة للسكت أو الوقف وليست للبناء بدليل أن الصيغ الباقية مبنية على الكسر ما عدا الصيغة التي قد ترد موظفة توظيف اسم ،مثل قولهم : ((سمعت عرعار الصبيان)) (4)

---

1) الكتـاب :3 /ص :276

2) م.س :ن.ص

3) جمهـرة اللغة :1/ ص : 166

4) م.س.ص : 145

بفتح الراء من (عرعار)، وتعني اختلاط الأصوات.

وقال أبو حاتم عن أبي زيد: ((سمعت عامريا يقول، اذا قيل له: هل بقي عندك شيء؟ يقول: همهام، يا هذا، أي ما بقي شيء (1)، وقال غيره: همهام، وحمحام، ومحماح، وبحباح، أي لم يبق شيء، وجيء:

أولمت يا خنوت شر ايلام   حتى أتينا هم، فقالوا: همهام (2)

وهذا يعني أن قوما من بني عامر وقيس كانوا يستعملون هذه الصيغ أو التراكيب، ولم يقد رلها الانتشار، لأن (فعلال) أبعد من (فعال)، كما أن (فعل) أكثر ورودا تكلما وأصلا من (فعلل)، وذكر الصغاني أنها سبعة ألفاظ (3).

وفضلا عن تحديد المصدرين السابقين لا ستعمالها، وهما عامر وقيس، فان النابغة الذبياني غطفاني مضري، وأبا النجم عجلي بكري وائلي ربعي، وهكذا يظهر أن هذه الصيغ المبنية على الكسر - مع قلتها - كانت منتشرة بين قبائل شتى: شرقية وغربية، وبنو غطفان في نجد مما يلي وادي القرى وجبلي طيء أجأ وسلمى (4)، وأما بنو عامر بن صعصعة فكانت منازلهم بنجد .... وهذه الصيغ السبع يمكن نسبتها الى قيس، وعامر، وبكر، وغطفان، وقبائل أخرى شرقية وغربية.

1) جمهرة اللغة: 3 / 475
2) م.س. ن.ص
3) المزهر: 2/ 132
4) نهاية الأرب ص: 388

1 ـ 5 : في الاستثناء :

لقد ترددت طويلا في تعيين صنف هذا التركيب أهو من التركيب الاسمي أم الفعلي ام حتى الحرفي ؟ ولم لا ؟، وخاصة فيما يسمى عندهم بالاستثناء المنقطع ، أي حين يكون الآخر (بكسر الخاء) ليس من نوع الاول ، أو بعبارة أخرى حين يكون المستثنى من جنس غير المستثنى منه ، كقوله تعالى :

((مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ)) (1)

فهذا التركيب الاستثنائي أسلوب لا نجد فيه أثرا للفعل أو ما يعمل فيه الفعل من مشتقاته ، لكن هناك تراكيب أخرى لا تحصى في الاستثناء هي تراكيب فعلية ، كالذي يسميه النحاة بالاستثناء الناقص كقوله تعالى :

((مَا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ)) (2)

حيث المستثنى منه موجود ، والكلام منفي ، وفي هذه الحالة يجيز فيه اللغويون النصب والرفع ، خلافا للاستثناء التام الذي يجب فيه النصب لدى النحاة وجوبا ، كما في قوله تعالى :

ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْكُمْ)) (3)

---

1) سورة النساء آية : 157

2) سورة النساء آية : 66

3) سورة البقرة آية : 83

وخلاصة المسألة في هذه التراكيب اللهجية أن المستثنى اذا كان منقطعا ،فانه يتعين النصب عند جمهور العرب ،ولا يجوز عندهم الاتباع ،ولكن بني تميم يجيزونه أي اتباعه حسب ما قبله ،وهم بهذا لايستعملون النصب الا في حالة واحدة من الحالات الثلاث ،ويجيزون هذا سواء أكان بعد نفي أوشبهه .

وتتصارع اللهجتان الحجازية والتميمية فتختلف وتتباين معها التراكيب اللسانية وتتنوع الأساليب ومستويات القول والخطاب ،ولعل انقسام الناس الى قسمين رئيسيين في هذا التركيب اللهجي لا يدل على أن جمهور العرب كلهم كانوا يتبعون لغة الحجاز في نصب الاستثناء المنقطع ، لأن سيبويه ذكر أن الناس يختارون النصب في هذا الاسلوب، كقوله : ((وهولغة أهل الحجاز ،وذلك قولك : ما فيها أحد الا حمارا ، جاؤوا به على معنى ولكنّ حمارا ،وكرهوا أن يبدلوا الآخر من الاول ،فيصير كأنه من نوعه ،فحمل على معنى ولكنّ ،وعمل فيه ما قبله كعمل العشرين في الدرهم .

وأما بنو تميم فيقولون : لا أحد فيها الا حمار ،أرادوا ليس فيها الا حمار ،ولكنه ذكر أحدا توكيدا لأن يعلم أن ليس فيها آدمي ، ثم أبدل ،فكأنه قال : ليس فيها الا حمار .. وعلى هذا أنشدت بنو تميم قول النابغة الذبياني :

يا دارمية بالعلياء فالسند ... أقوت ، وطال عليها سالف الأبد

وقفت فيها أصيلانا أسائلها ... عيت جوابا ، وما بالربع من أحد

الا أواري لأيا ما أبينها ... والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلد

وأهل الحجاز ينصبون)) (1).

وهو يقصد أن بني تميم يرفعون ((أواري)) على لغتهم على أنه استثناء منقطع ، لأن (أحد) ليس من جنس الأواري ، ويقصدون بذلك : ليس فيها الا الأواري .

وروى أبو عبيدة والأصمعي (الأواري) بالضم ، وسأل الأصمعي أبا عمرو : لم رفعت الأواري ؟ فقال : لأنها من بعض الدار . (2)

ورفع أبي عمرو يستند الى أن الدار قد ترفع هنا بعد النداء ، من ذلك ما حكاه الشيخ أبو عبد الله الأزدي : ((يروى ((يا دارمية)) فيرفع ((دارا)) بالنداء المفرد ، ويرفع ((مية)) بالاخبار عنها (3).

ومما يستغرب من قول سيبويه قوله : ((وعمل فيه ما قبله كعمل العشرين في الدرهم)) على الرغم من حمل ((الا)) على معنى ((لكن)) . ذلك أن (العشرين) تعمل في الدرهم ما بعدها لا قبلها ، وهو ما صرح به سيبويه نفسه ، لكن : ما عمل ((الا)) هنا فيما بعدها ؟ هل هي أداة رافعة ؟

1) الكتاب : 2/ ص : 319 - 321

2) انظر شرح الأبيات في ديوان النابغة الذبياني ص : 3

3) راجع المصدر السابق ص : 2 (من الشرح).

ثم ان سيبويه يورد شواهد كثيرة منها تراكيب قرآنية غزيرة حين تكون أداة (الا) على معنى ولكن ، حتى انه ليقول : ((وهذا الضرب في القرآن كثير)) (1) ، وكما أن هذا الضرب من التراكيب في القرآن كثير ، فهو في الشعر كثير (2) ، ومثل ذلك قول بعض بني مازن :

من كان أشرك في تفرُّقِ فالجٍ   فلبُونه جَرِبَتْ معًا وَأَغدَّتِ

إلا كناشرةَ الذي ضيَّعْتُمُ   كالغصن في غُلَوائِه المُتَنَبِّتِ

حيث قال سيبويه : ((كأنه قال : ولكن هذا كناشرة)) (3) .

ويبدو وأن هذه التراكيب هي تراكيب لهجية حين تكون منصوبة لكنها تراكيب واسعة لدى جمهور العرب ، ففي البيتين السابقين لا يمكن استثناء (كناشرة) الذي هو اسم علم من ذوات اللبن من الابل (اللبون) .
وقال النابغة الذبياني أيضا :

طال الثواء على رسوم ديارِ   فقفْ أُسائِلُها وما أستخباري

دارا تعفَّت لا أنيس بجوِّها   إلا بقايا دمنةٍ وَأوارِي ؟ (4)

وبنو تميم يرفعون هذا كله (بقايا) ، ويرفعون كلمة ((اتباع))

---

1) الكتاب : 2/ ص : 325
2) م.س.ص : 327
3) م.س.ص : 328
4) ديوانه ص : 96

في الآية السابقة : ((مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ)) (1) ،

كما يرفعون ((حسن)) في قول النابغة الذبياني :

حلفت يمينا غير ذي مثنوية ولا علم الا حسن ظن بصاحب (2)

بينما ينصب أهل الحجاز هذا كله (3) .

وقال سعد بن مالك (وهو جد طرفة بن العبد البكري) :

والحرب لا يبقى لجا حمها التخيل والمراح

الا الفتى الصبار في النـ ـجدات والفرس الوقاح (4)

حيث وردت كلمة (الفتى) مرفوعة ،بدليل الفرس المعطوف عليها ،

وأهل الحجاز لا يجيزون البدل هنا لكون الفتى ليس من جنس

التخيل والمراح ،ولكن الشاعر رفع على لغة تميم ،وهو ليس

تميميا ،ولكنه من منطقتها ،ولقدم الشاعر فان الرفع هنا يعبر بصدق

مطلق عن تعاطي هذا التركيب اللهجي في هذه المنطقة الشرقية

من الجزيرة العربية .

ويمكن أن نتصور مسحا شاملا لهذه التراكيب اللهجية أو

البنيات السانتكسية أن المسألة تتلخص في أن أهل الحجاز يوجبون

النصب اذا كان الاستثناء منقطعا ،وأما بنو تميم فانهم يجيزون في

---

1) سورة النساء آية : 157

2) ديوانه ص : 55 ،وكلمة ((حسن)) مرفوعة في البيت على لغة تميم .

3) انظر الكتاب : 2/ص : 322 - 323

4) انظر الكتاب : 2/ص : 324 ،وشرح حماسة أبي تمام : 2/ص : 502

هذه البنيات النصب والابدال (1) ،وذكر صاحب الشذور ان بني تميم يختارون النصب (2) ،وهو قول غريب ،لأن الوقائع اللسانية المأثورة في القراءات القرآنية ،والأشعار وكلام العرب تبين بجلاء أن هؤلاء القوم كانوا يميلون بقوة الى الرفع ،ان لم يكونوا يرفعون مطلقا ، ومما يؤيد هذا ،ويستبعد قول ابن هشام ما رواه سيبويه من تراكيب لهجية مختلفة ذكر فيها أن التميميين يرفعونها وأن الحجازيين ينصبونها في باب الاستثناء المنقطع .

وربما لم يتجه التميميون ولا بعض العرب من المنطقة الشرقية برفع هذه البنية السانتكسية من الاستثناء المنقطع وحدهم ،بل ذهبت معهم ذلك طوائف أخرى من كلام العرب ،ومن خلال القراءات القرآنية المتعددة ،ومن خلال بعض الاشعار الحية ،كما نجد لدى بعض الهذليين ،مثل قول ابي خراش :

أمسى سُقَامُ خلاءً لا أنيسَ به ... إلا السباعُ ومَرُّ الريحِ بالغَرَفِ (3)

حيث وردت كلمة (السباع) مرفوعة في الديوان الذي بين يدي ،على الرغم من أن المستثنى ليس من جنس المستثنى منه ،اذ (سقام) اسم موضع ،،وفي الصحاح : ((ويروى الا ((الثمام)) ،قال أبو عبيدة ،عمرو الهذلي يرفع الا الثمام وغيره ينصبه)) (4) .

---

1) انظر : تسهيل الفوائد ص : 102 ،والكتاب : 2 /ص : 310 - 322

2) راجع شذور الذهب ص : 265

3) ديوان الهذليين :ق : 2 / ص : 156

4) الصحاح : 5/ ص : 1950 (مادة : سقم)

بـــــل ، كما قال الدكتور عبد الجواد الطيب : ((هناك مــا هو أكثر من هذا ، هو أن الاستثناء التام الذي يجب فيه النصــــب عند النحاة وجوبا قاطعا في مثل قوله تعالى :

((ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْكُمْ)) (1)

يقرأه ابن مسعـــود ((الا قليل منكم)) بالرفع، وقوله سبحانه :

((فَشَرِبُــوا مِنْــهُ إِلاَّ قَلِيــلاً مِنْــهُمْ)) (2)

نصادف فيــه قراءة الأعمش ((الا قليل منهم)) بالرفع)) (3) .

ومما جاء مرفوعا في الاستثناء التام وحقه النصب حسب قاعدة النحاة، قول أبي ذؤيب الهذلي :

على أطْرِقا باليات الخيـــام إلا الثُّمامُ وإلاَّ العِصِـــــيُّ (4)

ويتباعد الشراح والمحللون في تفسير أبنية السانتكسية في هذا التركيب تباعدا كبيرا، ويذهبون في تأويله مذاهب لا قبل لها بالوقائع اللسانية الواضحة التي تؤكد أو ترجح على الأقل أن الشاعر هنا رفع، لأن النصب يوقع البيت في الاقواء، باعتبار ((العصي)) معطوفة علـــى ((الثمـــام)) ، والاستثناء هنا تام متصل ((لأن المستثنى وهـــو ((الثمام ثم العصي)) هو بعض المستثنى منه ، ومع هذا جاء مرفوعا خلافا لما ذكر النحاة 5

1) سورة البقرة آيـة : 83

2) سورة البقـــرة آيـــــة : 249

3) راجع : لغـــة هذيـــل : 347

4) ديوان الهذليين :ق : 1 / ص : 65

5) راجع لغـــة هذيـــل ص : 347

ولا نريد ،بل من المستحيل ،أن نستعرض هنا كل المباني السانتكسية الفعلية والاسمية التي تمثل التراكيب اللهجية المتعددة من خلال القراءات القرآنية ،ولكنا فقط نريد ان نشير الى أن ابن كثير وابا عمرو قرآ قوله تعالى :

((وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتُكَ)) (1)

بالرفع في (امرأتك) ، بينما قرأها الباقون - أي الخمسة - بالنصب (2) ، وقرأ السبعة :

((مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ)) (3)

بالنصب في ((اتباع)) ،و تميم ترجحه ،وتجيز الاتباع .

وقرئ قوله تعالى :

((مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ)) (4)

بالرفع والنصب ، ((فالرفع على البدل من الواو في (فعلوه) وتقديره ما فعله الا قليل منهم ،والنصب على الأصل في الاستثناء ،والاصل في الاستثناء النصب ،والرفع على البدل أوجه الوجهين)) (5) .

---

1) سورة هود آية : 81
2) التيسير ص : 125
3) سورة النساء آية : 157
4) سورة النساء آية : 66
5) البيان في غريب اعراب القرآن : 1 / ص : 258 لأبي البركات بن الأنباري (ط : 1969 دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - القاهرة)

وإذا كان ابن الأنباري لم يذكر أصحاب هذه القراءات ،فان المعروف فيها ،بالنسبة للسبعة فقط هنا ، أن ابن عامر قرأ :

((الا قليلا منهم)) بالنصب ،بينما قرأها الباقون بالرفع (1) .

وفي قوله تعالى :

((فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ)) (2)

قال ابن الأنباري : ((قوم يونس ،منصوب على وجهين :

أحدهما : لأنه استثناء منقطع ، ليس من الأول .

والثاني : أن يكون منصوبا على الاستثناء غير المنقطع بأن يقدر في الكلام حذف مضاف ،تقديره ، فلولا كان اهل قرية آمنوا الا قوم يونس ،

ومن رفعه حمله على البدل ،كقول الشاعر :

وبلدة ليس بها أنيس الا اليعافير ، والا العيس

والبدل من غير الجنس لغة بني تميم)) (3) .

ويظهر من القراءات القرآنية والتراكيب العربية المبثوثة في كتب القدماء التي وصلتنا أن البنية السانتكسية بين الحجازيين والتميميين لم تكن على حال واحدة ،بل كانت مختلفة اختلاف عبارة كل تركيب في اللهجتين الكبيرتين كاختلافهما في مستويات اخرى كثيرة .

1) التيسير :ص :96

2) سورة يونس آية : 98

3) البيان في غريب اعراب القرآن : 1 / ص : 420

ألفصل الرابع : التركيب الحرفي والظرفي

1 - 1 : في الوحدات الدالة :

لا يحسب المتتبع لهذا العمل أنني أدعي بهذا العنوان أن أجرد التراكيب اللهجية على الوحدات الصوتية وتركيباتها في الكلمة أو حتى على مستوى وظائفها الفونولوجية ،فهذا أمر غير وارد في الحسبان ،لأن ((الهمزة)) وحدها تتطلب مجلدا كاملا وجهدا فريدا مستقلا ، ومثلما تختلف التراكيب الاسمية والفعلية من لغة الى أخرى ، تختلف هنا أيضا التراكيب الحرفية والظرفية فيما بين اللغات ، ولا يمكن أن نتخذ نماذج لهذا التركيب أو ذاك في لغة متباينة طبيعتها ومختلف جذريا أصلها وتاريخها والمتكلمون بها ثم نحاول أن نتعسف بهذا الشكل اللساني أو ذاك تطبيقها على العربية ،واذا كان هذا لا يصدق على اللغة الكلية أو العامة مثل العربية المشتركة حاليا بين متكلميها ،فما بالنا لو حاولنا ذلك مع تراكيب لهجية متباينة داخل لغة واحدة ؟ ،وربما يوفق باحث في هذا العمل على هذا النحو ،ولو بشكل ناقص ،اذا اعتمد سانتغما (Syntagme) حرفيا فقط في هذه التراكيب أو سانتغما اسميا ،أو سانتغما فعليا ،أما أن يعتمد هذه الأصناف الثلاثة في الآن ذاته ،وفي كل التراكيب اللهجية القبلية المتضاربة في جميع

مستوياتها وخطاياتها ،فهذا العمل يحتاج الى فرق بحث في مركز اكاديمي خاص،ولمدة سنوات طويلة ،ولذلك تجنبنا الخوض ، في الفصلين السابقين ، في رسم الجداول وفبركة التشجيراتوا لمعادلات السانتكسية التي تعتمد نماذج معينة دقيقة لتراكيب عامة ومتواضع عليها من المجموعة اللغوية ككل ، وهذا ماسنتجنبه في هذا الفصل ايضا ،لأن تركيبا واحدا ،أحيانا ،لا تختلف فيه قبيلتان اثنتان وحسب بقدر ما يتعداهما الى قبائل شتى ،وهذا يتطلب معادلات وتشجيرات تبعا لهذه التراكيب السانتغمية أوالسانتكسية المتباينة .

غيرأن ما صرح به أعلاه لا يمنعنا من التوضيح بأن هناك وحدات دالة مكتفية بذاتها (Monémes Autonomes) ، مثل الوحدات الظرفية ، لأن هذه الوحدة لها من القدرة الذاتية أوالداخلية ما يجعلها حرة في الترتيب داخل التركيب ،مثل :

1) ذهبت الى البادية أمس

2) أمس ذهبت الى البادية

3) ذهبت أمس الى البادية

لكننا لا نستطيع أن نقول :

4) أذهب الى البادية أمس

5) أمس اذهب الى البادية

6) اذهب أمس الى البادية

بينمـا يمكـن أن نقول :

7) أذهـب الى البادية أحيـانا

8) أذهب أحيانا الى البادية

9) أحيـانا أذهب الى البادية

وبالعكـس ، لا يمكن أن نقول :

10) ذهبت الى البادية أحيانا

11) ذهبت أحيانا الى البادية

12) أحيانا ذهبت الى البادية

والتركيب ((كنـت)) يمكن أن يشكل ، على مضي ، جملة معقدة مع التراكيب : (1، 2، 3) :

13) كنت ذهبت الى البادية أمس

14) كنت ذهبت أمس الى البادية

15) أمس كنت ذهبت الى البادية

ونفس التركيب (كنت) قد يشكل في لغة من لا يحسن التركيب والخطاب في العربية جملة مركبة مع التراكيب (4، 5، 6)

بينما يشكل بشكل عادي ومقبول ـ أعني التركيب : كنت ـ جملة موسعة أو مركبة مع التراكيب (7، 8، 9) :

16) كنت أذهب الى البادية أحيانا

17) كنت أذهب أحيانا الى البادية

18) كنت أحيانا أذهب الى البادية

وهذه التراكيب للظرفين : أمس ، وأحيانا ، وما شابههما من ظروف مماثلة تستبعد في نظرنا ما يراه بعض اللسانيين المعاصرين بأن العلاقة في هذه الحالة تكون ((بين الوحدة الدالة والعبارة محصورة بتمامها في دلالة الوحدة بالذات بغض النظر عن موقعها داخل العبارة مثل : لفظة ((غالبا)) في قولك :

غالبا ما أشاهد التلفزيون ، أشاهد غالبا التلفزيون ، أشاهد التلفزيون غالبا . وهذه القدرة على الانتقال تنجم مباشرة عن اكتفاء الوحدة الدالة بذاتها .)) (1) .

لو سأل صاحب هذه الجمل نفسه ، لقال : أين ذهبت ((ما)) في الجملتين : الثانية والثالثة ؟ أكان بإمكانه أن يقول :

19) ما أشاهد غالبا التلفزيون ؟

20) ما أشاهد التلفزيون غالبا ؟

مثلما حق له أن يقول :

21) غالبا ما أشاهد التلفزيون .

إن الاكتفاء الذاتي للوحدة الدالة في الظروف المشابهة

---

1) مدخل الى اللسانيات ص : 103 - 104 رونالد ايلوار (مطبعة جامعة دمشق)

لما تقدم ،ليس الا اكتفاء داخليا في الوحدة ذاتها كمونيمة او مورفيمة (كما تسميها المدرسة التوزيعية) ،أي ما يسمى بالاكتفاء لهذه الوحدات الدالة ليس الا نسبيا ،لأنه مرتبط بالكل ، أي بتداعي العناصر المؤلفة لبنية الجملة ككل .

وأما التركيب الثاني ،فانه سيدور حول ما أصبح يعرف في اللسانيات الوظيفية بالوحدات الدالة الوظيفية ((وتقتصر مهمتها على ان تدرج في العبارة وحدات دالة غير مكتفية بذاتها وأن تضبط علاقتها بالعبارة ،وهي تشير الى وظيفة وحدة دالة اخرى)) (1) .

وفي بعض الكتب القديمة في علوم العربية يعرف الحرف بانه ما دل على معنى في غيره ،ومن ثم لم ينفك من اسم أوفعل يصحبه .... وهي على ثلاثة أضرب :

1) ضرب لازم للحرفية ،وهي تسعة : من ،الى ،حتى ،في ،الباء ، اللام ،رب ، واو القسم ، تاء القسم .

2) ضرب كائن اسما وحرفا ،وهي خمسة : على ،عن ، الكاف ، مذ ، منذ .

3) ضرب كائن حرفا وفعلا ، وهي ثلاثة : حاشا ،خلا ،عدا (2)

1) مدخل الى اللسانيات ص : 104

2) راجع المفصل في علم العربية ص : 283

وهناك صنف ثالث بارز من هذه الوحدات يدعى الوحدات

الدالة التابعة (   ) سبق الحديث

عنهما في نماذج من مختلف التراكيب اللهجية القبلية ،ورأينا

كيف كان ادراج تلك الوحدات تبعا لكل لهجة من خلال ترتيب معين

مثل التركيب العربي : ((ان هذان لساحران)) حيث لا يمكن تغيير

المسند بالمسند اليه أو العكس ،أو كقولك في التركيب العام :

ضرب عيسى موسى ،فانه يختلف دلاليا بقلب التركيب او

عكسه : ضرب موسى عيسى ،أو تكون هذه الوحدات الدالة

التابعة مدرجة بفضل وحدة دالة وظيفية ،مثل :

1) لا ، رحمك الله

2) لا ،و رحمك الله

فبفضل الوحدة الدالة الوظيفية غير المكتفية بذاتها (الواو هنا) ،

تعاكست الدلالتان الدعائيتان في الجملتين أعلاه (1 ، 2) .

أو يكون ادراج هذه الوحدات الدالة التابعة بفضل

علامات الاعراب كما هو الشأن بالنسبة للتراكيب في اللغة العربية

وغيرها من بعض اللغات الأخرى القديمة أو حتى الحديثة التي

لايزال أثر الاعراب فيها ماثلا ،ونحن لا نريد أن ندخل في

متاهات فلسفية في هذا الموضوع ،لكن ما هومؤكد لدينا أننا حين نحل إشكال ما يسمى بالحركات الاعرابية ، تحل كل الاشكالات الباقية حول الاعراب في العربية ،وأهم قراءة لهذه الحركات ،في اعتقادنا ،هي تلك القراءة التي تتعامل مع هذه الحركات على أنها وحدات صوتية دالة تقوم بدور الوظائف في التراكيب العربية .

1 - 2 : بين الفئات النحوية والفئات المعجمية :

حتى لايكون في عطنا تداخل بين ما مضى في التركيبين : الاسمي والفعلي ،وبين التركيب الفعلي والظرفي في هذا الفصل ،فانني ارتأيت أن أشير هنا باختصار الى الحدود بين الفئات النحوية من جهة والفئات الليكسيكية (المعجمية) هنا ،لأننا تعاملنا عن وعي أوعن غيروعي مع التركيبين السابقين من خلال هذه الفئات المتلازمة ،ولا أدل على ذلك من أداة ((الا)) التي تعاملنا معها على أساس أنها اداة حصر في لغة تميم مثلا في التركيب المشهور بين اللهجتين : الحجازية والتميمية (ليس الطيب الا المسك) ،وفي الآية القرآنية ((ما هذا بشرا)) حيث تعاملنا مع ((ما)) في لهجة تميم على أنها حرف نفي ،وما بعدها مسند اليه (مبتدأ) ومسند (خبر) ، في حين تعاملنا مع نفس الوحدة (ما) على أساس أنها تحمل معنى الفعل

ط ليس) ،وهي لا تخرج عن طبيعة كونها من الفئات النحوية .

وأداة الاستثناء ((الا)) تحمل معنى الاسم مثلما تحمل تحمل معنى الفعل ،ومعنى الحرف ،وهذا في الوقت الذي هي فيه حرف أيضا ((وحرف الاستثناء الا ،وما جاء من الأسماء فيه معنى الا فغير ، وسوى . وما جاء من الأفعال فيه معنى الا فلا يكون ،وليس، وعدا ،وخلا ،وما فيه ذلك المعنى من حروف الاضافة وليس باسم فحاشى (1) وخلا في بعض اللغات)) (2) .

ولذلك ،فاني كنت قد تساءلت عن التركيب في الاستثناء : أيدخل في التركيب الاسمي ام الفعلي أم حتى الحرفي ؟ ولم لا ؟ (3) .

ومما يقوله بعض الدارسين المعاصرين : ((قليلة هي القواعد النحوية التي تقدم تمييزا بين الكلمات النحوية والكلمات المعجمية (اللكسيكية) ، مع أن هذا التمييز غالبا ما يظهر مفيدا جدا ،لأنه يسمح بترتيب كلمات اللغة الفرنسية (4) في مجموعتين كبيرتين ،واللتين لهما ميزات مختلفة جدا .)) (5) .

---

1) هكذا مرسومة ،وذكر المحقق في هـ:3 من ص : 309 أنها في الأصل :فحاشا بالالف.

2) الكتاب :2 / ص : 309

3) راجع : (1 - 5) من الفصل السابق ص : 509

4) لأن الباحث بصدد الحديث عن اللغة الفرنسية .

5) La Grammaire pour tous P13

والفئات النحوية هي في الأغلب الأعم أنها وجيزة أو قليلة ، وهي مكونة من عناصر صغيرة ،لكن هذه القلة ،بالنسبة للفئات النحوية في لغة كالعربية لا تكمن في النوعية الدلالية أو الوظائف المتعددة لعنصر واحد أحيانا ،إن لم نقل غالبا ، بل فقط في الكمية السطحية .

اذا قمنا مثلا بقراءة اعتباطية لكتاب الأشباه والنظائر للثعالبي للاحظنا أن العنصر ((على)) يوظف في القرآن على خمسة وجوه (1) وأن العنصر ((فوق)) يوظف فيه على ثمانية وجوه (2) ،وأن العنصر ((في)) يوظف فيه على عشرة وجوه (3) ، وأن العنصر ((اللام)) توظف فيه ،وهي مفتوحة ، على ثلاثة وجوه ،وتستعمل فيه ،وهي مكسورة ، على اثني عشر وجها (4) ،... وهذا بالنسبة للوحدات الدالة غير المكتفية بذاتها ،إذ أربعة عناصر أنتجت لنا ثمانية وثلاثين استخداما مختلفا ،... ونفس الشيء يصدق على الوحدات النحوية الأخرى .

أما الفئات اللكسيكية فهي ذات تنوعات طويلة ،فهي الأسماء ، وهي الأفعال ، وهي الصفات ، وهي الحال ،...واللغات لا تخلو غالبا

---

1) الأشباه والنظائر ص : 208 الثعالبي (ط: 1/1984 سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة)
2) م.س.ص : 218-219
3) م.س.ص : 220 - 221
4) م.س.ص : 239 - 242

أولا نادرا مصطلحات وكلمات جديدة بالقياس الى ما نخلف في الفئات الليكسيكية ، وفي لغة كالعربية ،فان الكلمات اللكسيكية بمثل ما تخلق دلالاتها من الخارج قد تخلق هذه الدلالات أيضا من الداخل ،وعليه فان الأمر غير مختص فقط بالوحدات الدالة غير المكتفية بذاتها ،بل هو مختص كذلك بالوحدات الدالة التابعة ،فالفعل الناقص (كان) يوظف في القرآن مثلا على ستة وجوه :

1) ((كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ)) (1) بمعنى الماضي .

2) ((وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً)) (2) بمعنى : صلة .

3) ((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَأً)) (3) ،بمعنى ينبغي .

4) وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ)) (4) ،بمعنى صار .

5) ((مَنْ كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيّاً)) (5) ،بمعنى : هو

6) ((وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ)) (6) ،بمعنى : وجد . (7)

---

1) سورة آل عمران آية : 93

2) سورة النساء آية : 96 و 151 وآيات أخرى .

3) سورة النساء آية : 91

4) سورة البقرة آية : 34

5) سورة مريم آية : 29

6) سورة البقرة آية : 280

7) انظر : الأشباه والنظائر ص : 236 ـ 237

وعلى ذكر خلق الكلمات النحوية أو المصطلحات اللغوية دارت معارك لسانية فكرية واسعة وامتدت زمنا طويلا بين اللغويين العرب القدماء، إلى درجة أن بعض الفقلفيين مثل ابن فارس يعتقد اعتقادا جازما بأن هذه الفئات النحوية واللكسيكية أي المصطلحات (من فعل، وفاعل، ومفعول، وجر ونصب، وهمز، وهمس، ...) قد كانت منذ عهد العرب العاربة، ولما كان الخليل وسيبويه لم يزيدا على أن جددا ها وبحثا ها، ... (1).

ويقول صاحب كتاب (النحو والقواعد للجميع) أن ((الكلمات النحوية لا يمكن تعويض واحدة منها بضمير، بينما الكلمات اللكسيكية يمكن فيها ذلك، وأن الكلمات النحوية ليس لها لها إلا وظيفة واحدة، على عكس الكلمات اللكسيكية التي يمكن لها أن تضطلع بأكثر من وظيفة)) (2)

والنص السابق لا يطبق على كل لغة، لأن الفئات النحوية في لغة كالعربية تؤدي أكثر من وظيفة، ولنتذكر ((الا)) أو أداة الاستثناء، وهذا بالنسبة للوظيفة النحوية، أما الوظيفة الدلالية فقد رأينا قبل قليل، كيف أن أربعة عناصر نحوية ولدت ثمانية وثلاثيـــن تركيبا متنوعا، ولذا فنركز على قياس كل لغة بطـــاقتها وخصائصها.

1) لقد ناقشنا هذه الاشكالية بشيء من التفصيل في كتابينا:
الحركة اللسانية الأولى عند العرب ص: 89، والعربية بين الطبع والتطبيع: 7-19

2) La Grammaire pour tous P 73

وإذا اعتبرنا الأسماء والأفعال من نوع الفئات الليكسيكية ، فمعنى هذا أننا قد تناولنا هذه التراكيب اللهجية وفق النماذج التي اعتمدناها مدونة للدراسة في كل من التركيبين : الاسمي والفعلي ، ولم يبق لنا الا النوع الثاني ، وأعني به الفئات النحوية ، وقولنا هذا لا يعني أننا نتفق قلبا وقالبا مع هذه النظرية التي تقسم الفئات أو بالأحرى تنظر الى هذه الفئات نظرة فاصلة ، لأن الأفعال بقدر ما تعبر عن وظيفة نحوية معينة (الماضي ، الحاضر ، المستقبل ، البناء للمعلوم ، البناء للمجهول ، ...) بقدر ما تعبر داخليا عن مدلول يعرف بالتعارض مع المداليل في الأفعال الاخرى المقابلة ، وكذلك الصفات ، والأحوال ، ... الخ .

1 - 3 : التركيب الحرفي ما بين اللهجات

1 - 3 - 1 : من الحروف المشبهة بالفعل :

ان هذه الحروف المشبهة بالفعل خمسة ، وهي : ان (بكسر الهمزة) ، ولكن ، وليت ، ولعل ، وكأن ، ولم يذكر سيبويه (أن) ، حتى وان هناك همزة تحت وفوق الألف مع نون مشددة ، لأنه قال : ((هذا باب الحروف الخمسة التي تعمل فيما بعدها كعمل الفعل ..الخ)) 1

1) الكتاب : 2 / ص : 131

أما الزمخشري فقال : ((ومن أصناف الحرف الحروف المشبهة بالفعل ، وهي : ان (بكسر الهمزة) وأن ، ولكن ، وكأن ، وليت، ولعل))(1)

من الشائع ان بني تميم تقلب وتبدل الهمزة عينا في أن المشددة المفتوحة او أن المصدرية ، وفي هذا يقول ابن فارس : ((أما العنعنة التي تذكر عن تميم فقلبهم الهمزة في بعض كلامهم عينا ، يقولون : سمعت عن فلانا قال كذا ، يريدون أن ، وروي في حديث قيلة : ((تحسب عني نائمة)) . قال ابو عبيد : أرادت تحسب أني ، وهذه لغة تميم ، قال ذو الرمة :

أعن ترسمت من خرقاء منزلة   ماء الصبابة من عينيك مسجوم

أراد أأن فجعل مكان الهمزة عينا)) (2) .

وكذلك يفعلون في أن المشددة في مواضع وتراكيب أخر ، اذ يقولون : أشهد عن محمدا رسول الله (3) ، وكان بعض العرب يقول ((أردت عن تفعل)) (4) ، ومن غير شك أن هؤلاء العرب هم من بني تميم ، أو ممن يتعاطون لهجتهم في هذا الابدال قيس وأسد .

ومما هو مألوف في كلام العرب أن ان واخواتها تنصب المسند اليه

---

1) المفصل في علم العربية ص : 292
2) فقه اللغة ص : 53
3) انظر مغني اللبيب : 1 / ص : 149
4) كتاب الابدال ص : 85

والمسند ،لكن هذا العنصر النحوي قد ينصبهما معا ،وهذا على الرغم من قول الخليل : ((وزعم الخليل أنها عملت عملين : الرفع والنصب ، كما عملت كان الرفع والنصب)) (1) . وفي النصب يقول ابن هشام : ((إن المكسورة المشددة على وجهين : أحدهما أن تكون حرف توكيد ، تنصب الاسم وترفع الخبر ،قيل : وقد تنصبهما في لغة ،كقوله :

اذا اسودّ جنح الليل فلتأت ولتكن

خطاك خفافا ،ان حراسنا أسدا

وفي الحديث ((ان قعر جهنم سبعين خريفا)))) (2) .

وذكر الخليل كذلك ان ناسا من العرب يقولون :ان بك زيد مأخوذ ،مؤولا هذا التركيب على بنية عميقة هي : انه بك زيد مأخوذ (3) ،ووردت في أشعر العرب تراكيب أخرى كثيرة أبطل فيه وظيفة ((ان)) كعنصر نحوي ،ولا سيما احدى أخواتها ، وهي ((كأن)) حيث أبقي فيها على وظيفتها الثانية ،وهو التشبيه، وألغي عملها النحوي ،وهو النصب والرفع ،من ذلك قولهم :

ووجه مشرق النحر كأن ثدياه حقان

لأن هذا التركيب لا يحسن فيه ههنا الاضمار ،على حد تعبير سيبويه (4) .

---

1) الكتاب : 2 / ص : 131
2) مغني اللبيب : 1 / ص : 37
3) الكتاب : 2 / ص : 134
4) م.س.ص : 135

وليس الأمر متعلقا فقط بـ ((كأنْ)) وهي مخففة ،
بل وردت تراكيب أخرى فيها ((لكنّ)) مشددة ، لكن ما بعدها
مرفوع ، كقول الفرزدق :

فلو كنت ضبيا عرفت قرابتي   ولكنّ زنجيّ عظيم المشافر

على الرغم من أن سيبويه قال بعد هذا التركيب ((والنصب أكثر في
كلام العرب ، كأنه قال : ولكن زنجيا عظيم المشافر لا يعرف
قرابتي . ولكنه أضمر هذا كما يضمر ما بني على الابتداء نحو
قوله عز وجل : ((طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ)) (1) ، أي طاعة وقول
معروف أمثل)) (2) .

ونحن ، كما أشرنا في غير هذا الموضع ، لا نعامل هؤلاء إلا
كمتكلمين ، ولذا ، فإنا لا نحفل إلا قليل الفائدة والاطلاع على مثل هذه
التأويلات التي قد تكون صحيحة وقد تكون ضعيفة ، لكننا حين
نعامل هذه التراكيب كتكلمات صدرت على سجيتها وطبيعتها ، فإننا
سنكون في غنى عن مثل هذه التأويلات التي كثيرا ما تخرج عن
وقائعها اللسانية الملموسة والحقيقية .

إن هؤلاء المتكلمين كانوا يعرفون لهجات أخرى فنطقوا بها ،
بدليل أن الخليل يقول : ((وروى الخليل رحمه الله أن ناسا

---

1) سورة محمد آية : 21

2) الكتاب : 2 / ص : 136

يقولون : ((ان بك زيد مأخوذ)) (1) ، ويدليل قول سيبويه السابق في تركيب ((لكن)) : ((والنصب أكثر في كلام العرب)) ، ويدليل قول ابن هشام السابق ايضا، وهو يتحدث عن ((ان)) بأن المبتدأ والخبر قد ينصبان بعدها على بعض اللغات ، ((وقد تنصبهما في لغة)) .

واذا كان النصب يعود الى تراكيب لهجية لا تبرح مجهولة لدينا - لم أقف عليها - الا اذا قسناها على احدى أخواتها ((ليت)) فان النصب في هذه التراكيب قد يرجع الى بني تميم (2) . اما الرفع لهذه التراكيب فقد سبق ان أخذنا عليه صورة ولو بشكل آخر ، حين تحدثنا عن التركيب في المثنى ((ان هذان لساحران)) ، أي بنو الحارث بن كعب ومن ذهب معهم في هذا التركيب هم الذين يرفعون المسند اليه والمسند بعد ((ان)) او بعض اخواتها ، وقد يكون العكس لدى البعض الآخر تماما حيث ينصب المبتدأ والخبر بعدها او بعد احدى اخواتها .

---

1) الكتاب : 2 / ص : 134

2) سنرى كيف ان المسند اليه والمسند قد ينصبان معا بعد ((ليت)) كما في مثلهم المشهور : ((ليت القسي كلها أرجلا)) .

والمعروف في ((ان)) المشددة اذا خففت ، فان ما بعدها في لغة الجمهور لا جدال فيه ، أي تهمل وظيفتها النحوية ، ويرفع المبتدأ والخبر كلاهما ما بعدها ، غير أننا نجد أن هذا التركيب يظل على حاله لدى أهل الحجاز من العالية أي باعمال ((ان)) في نصب المسند اليه ورفع المسند كما لو كانت مشددة (1) .

أما عن ((ليت)) فان المعروف عند الجمهور أنها مثل أخواتها من حيث وظيفتها النحوية ، وهي تستعمل على عدة أوجه ، وقد تحذف النون منها لدى اتصالها بياء المتكلم ، كقول الشاعر :

كمنية جابر اذ قال ليتي أصادفه وأفقد بعض مالي (2)

وفي الكتاب ((قال بعض الشعراء : ((ليتي)) اذا اضطروا ، كأنهم شبهوه بالاسم حيث قالوا : الضاربي والمضمر منصوب ، قال الشاعر ...)) (3) ثم قال : ((وقد جاء في الشعر : قطني وقدي . فأما الكلام فلابد فيه من النون ، وقد اضطر الشاعر فقال : قدي ، شبهه بحسبي)) (4)

---

1) انظر اللهجات العربية القديمة ص : 45 ، وفي الكتاب : 2 / ص : 140 قال سيبويه : ((وحدثنا من نثق به ، أنه سمع من العرب من يقول : ان عمرا لمنطلق)) . وأهل المدينة يقرأون : ((وَإِنْ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ)) (الآية : 111 من سورة هود) ، واختلف القراء في قراءة هذا التركيب القرآني .

2) انظر الموشح ص : 153 - 154 ، والبيت موجود في الكتاب : 2 / ص : 370 وفي النوادر لأبي زيد ص : 68 مع اختلاف الرواية في بعض الألفاظ .

3) الكتاب : 2 / ص : 370

4) م.س.ص : 371

وممارواه محمد بن سلام للعجاج أنه قال :

يا ليت أيام الصبا رواجعا))

ثم قال : ((وهي لغة لهم ، سمعت أبا عون الحرمازي يقول :

((ليت أباك منطلقا ، وليت زيدا قاعدا)) . وأخبرني أبو

يعلى أن منشأه بلاد العجاج ، فأخذها عنهم)) (1) .

ونص ابن سلام واضح ، بأن الحرمازي لما تربى وترعرع تكلم

بلغة قوم العجاج ، وهذا ما تقول به كل النظريات اللسانية ، بأن اللغة

مكتسبة ، والفرد يتكلم لغة منشئه الذي ينشأ فيه بصرف النظر

عن أصله الحقيقي .

أما سيبويه ، فهو كعادته حاول أن يذهب مذاهب بعيدة في

تخريج هذا التركيب اللهجي الواضح تبعا لنص ابن سلام ، اذ يقول

سيبويه : ((فهذا كقوله : ألا ماء باردا ، كأنه قال : ألا ماء لنا باردا ،

وكأنه قال : ياليت لنا أيام الصبا ، وكأنه قال : ياليت أيام الصبا أقبلت

رواجع)) (2) .

---

1) طبقات فحول الشعراء : س : 1 / ص : 78 ـ 79 .
وجاء التركيب في الموشح ص : 340 على النحو : (ياليت أيام رواجعا))
محذوفا منه ((الصبا)) ، ولعلها سقطت من التحقيق أو الطبع ، لكن التركيب
عند سيبويه (الكتاب : 2 / ص : 142) جاء مثلما جاء في الطبقات .

2) الكتاب : 2 / ص : 142 .

واذا علمنا أن العجاج من بني مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم (1) ،فمعنى هذا أن هذه اللغة تميمية ،وأنها تنصب المبتدأ والخبر بعد هذا العنصر النحوي ،ومن المرجح أن كل التراكيب المنصوبة في ان وأخواتها تعود الى هذه القبيلة ،مما جعل بعض أهل الحجاز ينصبون المبتدأ ويرفعون الخبر حتى ولو خففت ((ان)) المشددة .

وفي مجمع الامثال للميداني ((ليت القسي كلها أرجلا)) .
كذا ورد المثل نصبا ،وهي لغة تميم (2) ،يعملون ((ليت)) اعمال ظن ،فيقولون : ليت زيدا شاخصا)) (3) .

أما التراكيب اللهجية في العنصر ((لعل)) فلا تنوعا في تراكيبه المختلفة من الابدال الصوتي الى تعدد وظائفه النحوية ،ومما ينسب الى الأصمعي أنه قال : ((وفي لعل لغات ، يقول بعض العرب : لعلي ، وبعضهم يقول : لعلني ، وبعضهم : علي ، وبعضهم : علني ،وبعضهم : لعني ،وبعضهم : لغني ،قال الفرزدق :

هل أنتم عائجون بنا لعنا نرى العرصات أو أثر الخيام (4)

وقال عيسى بن عمر الثقفي أنه سمع أبا النجم يقول : اغد لعننا

---

1) الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء ص : 374 لابن قتيبة
2) مجمع الأمثال : 2/ص : 178 للميداني (ط:2/1959 مطبعة السعادة مصر)
3) م.س : ن . ص
4) كتاب الابدال ص : 111

نفعل كذا ، يريد : لعلنا ، وبعضهم يقول : لأنني ، ولأنني ،
وبعضهم : لوانني ، وسمع رجل بحنس يقول : ((من يد عوالمرأة
الضالة ؟ فقال أعرابي : لون عليها خمار أسود يريد : لعلها ، فقال
له ، سود الله وجهك ، وأنشد :

فقلت امكثي حتى يسار لوأننا نحج فقالت لي : أعام وقابله ؟

يريد لعلنا)) (1) .

ومما هو معروف في بعض التراكيب اللهجية القبلية أن ((لعل))
قد توظف كحرف جر الى جانب عملها المعهود مع أخواتها ، اذ روى
أبو زيد الأنصاري قال : ((وقال كعب بن سعد بن مالك الغنوي :

وداع دعا : هل من مجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب

فقلت : ادع وارفع الصوت دعوة لعل أبا المغوار منك قريب

ويروى لعل أبي المغوار ، وهي الرواية ، كذا أنشد اللام الثانية
مكسورة وأبي المغوار مجرور)) (2) .

وقال ابن الحاجب ((لعل في لغة عقيل ، نحو : لعل الله
يغفر ذنبي)) (3) ، ويقصد بهذا ان لعل هنا في التركيب الذي مثل
به تجر ما بعدها ، وهكذا يكون لفظ الجلالة (الله) مجرورا بـ(لعل)
حسب لهجة عقيل ، ونجد لفظ الجلالة (الله) مجرورا أيضا في

---

1) انظر هذا النص والنص الذي قبله في كتاب الابدال ص : 111 - 112
2) النوادر في اللغة ص : 37
3) متن الكافية ص : 58 لابن الحاجب (نسخة مصورة عن طبعة بولاق : 1241 هـ)

بعض التراكيب الشعرية الاخرى :

لعل الله فضلكم علينا بشيء أن أمكم شريم (1)

1 ـ 3 ـ 2 : ((لا)) النافية للجنس :

هذا الحرف يعمل عمل ((ان)) وأخواتها ، ولا فرق في عملها (لا) بين المفردة وبين المكررة نحو: ((لا حول ولا قوة الا بالله)) ، وينبغي أن يكون اسمها وخبرها في جميع لغاتهم نكرتين ، وهي لا تعمل في المعرفة ، ولا يفصل بينها وبين اسمها عندهم جميعا ، فان فصل بينهما ألغيت ، ولكونها عندهم وضعت لنفي الجنس ، فلا يجوز أن يقال مثلا : ((لا جندي نائم بل جنديان)) .

وعملها في جمع المؤنث السالم مختلف فيه ، اذ قال قوم هو مبني على ما كان ينصب به ، وهو الكسر النائب عن الفتح ، كقول الشاعر سلامة بن جندل السعدي :

ان الشباب الذي مجد عواقبه فيه نلذ ، ولا لذات للشيب

في حين أن بعضهم أجاز الفتح فيه (2) .

وفي هذا نلخص ما قال به سيبويه في هذا الموضوع ((لا ، تعمل

---

1) شرح ابن عقيل : 2 / ص : 5

2) السابق : 1 / ص : 461

فيما بعدها فتنصبه بغير تنوين ،ونصبها لما بعدها كنصب ان لما بعدها . وترك النون لما تعمل فيه لازم ،... لأنها لا تعمل الا في نكرة ،... واعلم أن لا وما عملت فيه في موضع ابتداء ،... والذي يبنى عليه في زمان او في مكان ، ولكنك تضمره ، وان شئت أظهرته ، وكذلك : لا رجل ولا شيء ،انما تريد : لا رجل في مكان ،ولا شيء في زمان . والدليل على أن لا رجل في موضع اسم مبتدأ ،وما من رجل في موضع اسم مبتدأ في لغة بني تميم ،قول العرب من أهل الحجاز : لا رجل أفضل منك .)) (1) .

وفي مصادر أخرى أن طيئا تنحو نحو تميم في هذا التركيب أي تحذف القبيلتان كلتاهما خبر ((لا)) وجوبا اذا دل عليه دليل ،خلافا للحجازيين الذين كثر حذفه عندهم جوازا فقط (2) .

1 ـ 3 ـ 3 : تراكيب حرفية متفرقة :

ان الحروف الجارة في اللهجات الفصحى عشرون حرفا ، ومن الصعب في مثل هذا البحث المتعدد الجوانب في مستوياته التركيبية أن يلم بكل حرف على حدة ،ولكن نشير الى أن الهذليين يعزى

---

1) الكتاب ، 2/ص : 274 ـ 276 ،(بحذف من النص الكامل) .

2) الى جانب المصدر السابق انظر كلا من :

ـ شرح ابن عقيل : 1/ص : 413

ـ والتسهيل : ص : 67

لهم الجر بالعنصر ((متى)) .

ان ((متى)) كما نعرف في اللغة العامة أنها تستعمل للاستفهام عن الحين ، وتستعمل اداة شرط جازمة لفعلين ، ولكن بني هذيل ، كما أثر عنهم ، أنهم يستخدمونها استخداما آخر كحرف جر ، فيقولون : ((وضعتها متى كمي ، وأخرجتها من كمه)) (1) .

وقال شاعرهم أبو ذؤيب الهذلي : ((حسب رواية الأصمعي)) :

شربن بماء البحر ثم ترفعت متى لجج خضر لهن نئيج (2)

ومما قالوه في معنى متى في هذا البيت الذي وظفت فيه جارة أنها تفيد دلالة ((من)) وكذا دلالة ((وسط)) ، ...

ومهما قالوا وأولوا في هذه التراكيب اللهجية الهذلية ، فان الذي لاريب فيه أن هذا العنصر (متى) كان يوظف في هذه القبيلة الفصيحة توظيف حرف جر ، وليكن ((من)) ، لأن الأصمعي الذي روى البيت المذكور عاشر الهذليين سنوات طوالا في بيئتهم وباديتهم ، وكتب الكثير من أشعارهم ، ومما يزيدنا اكثر أريحية ازاء هذا التركيب أنه من رواية العين للخليل (3) .

---

1) راجع : شرح ابن عقيل : 2 /ص : 6 والتركيب موجود كذلك في ديوان الهذليين (ق : 1 /ص : 52 في الشرح) على نحو : ((يقال : أخرجته من متى كمي))

2) انظر البيت ، وبرواية أخرى أيضا ، في ديوان الهذليين (ق : 1 /ص : 51-52) وانظر كذلك : لغة هذيل ص : 355 وما بعدها .

3) هكذا ذكر في ديوان الهذليين ق : 1 /ص : 52 .

ومن هذه الحروف أيضا ((حتى)) التي تعددت وظيفتها في جر الأسماء ما بعدها حينا كما هو شائع ، أو نصب وجر ما بعدها ، كقولهم : ((وان كلبي ليصيد الأرانب حتى الظباء)) خفضا ونصبا (1) ، وهذا ما أجازه الفراء على الرغم من ان جنس الأرانب مختلف وجنس الظباء ، لكن الفراء على تأويل أن الظباء من الصيد ، لكن البصريين قالوا : ((هذا خطأ وفيه بطلان الباب)) (2) ، لأن مذهب البصريين في هذا الباب انه لا يجوز العطف بـ ((حتى)) حتى يكون الثاني من الأول ، والكوفيون لا يجعلون حتى حرف عطف ، انما يعربون ما بعدها باضمار (3).

وقال سيبويه : ((وبلغنا ان مجاهدا قرأ هذه الآية :

((وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ ٱلرَّسُولُ)) (4)

أي برفع اللام ، وهي كما نجد في كتب القراءات قراءة أهل الحجاز (5) ، أي قرأ مجاهد ((يقول)) برفع اللام ، وممن كان قرأها بالرفع أيضا نافع المدني (169 هـ) ، وهو من يعنيه سيبويه : أهل الحجاز

---

1) فقه اللغة ص : 151 لابن فارس
2) م.س : ن.ص
3) م.س : ن.ص
4) سورة البقرة آية : 214 ، وانظر قول سيبويه في الكتاب : 3/ص : 25
5) انظر كذلك : التيسير ص : 80

2 ـ التراكيب في بعض الظروف :

2 ـ 1 : بم ينجر المضاف اليه ؟

يخبرنا الكتاب في بعض مواضعه أن الجر انما يكون في كل اسم يضاف اليه ، وهو ينجر بثلاثة أشياء :

آ ـ بشيء ليس باسم ولا ظرف مثل : مررت بعبد الله ، وباقي حروف الجر مثل اللام ، والكاف ، وتاء القسم ، ومذ ، ورب ، ... ـ

ب ـ وبشيء يكون ظرفا ، ويسميها سيبويه حروفا ، وهي : خلف ، وأمام ، وقدام ، ووراء ، وفوق ، وتحت ، وعند ، وقبل ، وقبل ، ومع ، وعلى لأنك تقول : من عليك ، كما تقول : من فوقك ، وذهب من معه .

وكذلك : قبالة ، ومكانك ، ودون ، وقبل ، وبعد ، ... وما اشبه هذا من الأمكنة والأزمنة ... وبما أننا نقول : أتيت خلف الحائط ، وأمام دارك ، وقدام أخيك ... فتنجر هذه الأسماء بعدها ، فهي وما يشبهها حروف ...

ويرى سيبويه أيضا أن هذه الظروف أسماء ، ولكنها صارت مواضع للأشياء . (1)

---

1) راجع الكتاب : 1 / ص : 418 ـ 420

ج ـ وباسم لا يكون ظرفا ؛نحو : مثل ،وغير ،وكل ،وبعض ،

ومثل ذلك الأسماء المختصة نحو : حمار زيد ،وجدار جارك ،وهذا كل

مالك ، ... (1) .

وحقل الظروف في اللهجات العربية حقل واسع ومعقد .

ولعل هذا التعقيد يرجع الى العارات الكلامية المحلية والكثيرة من

جهة ،والى جهلنا لكل هذه الأصناف اللهجية القبلية من جهة ثانية .

وأشهر هذه الظروف كما نعرف في اللغة العامة هي المورفيمات :

اذ ،اذا ،أمس ، الآن ، اين ،بينا ،بينما ، حيث ، عل ، لدى ،متى ،

مذ ،ومنذ ، ... الخ .

2 ـ 2 : أمس : سبق ان تناولنا أمس بشيء من التفصيل بين

اللهجتين التميمية والحجازية حين تحدثنا عن المبني والمعرب ،وحين

تحدثنا عن ما ينصرف وعن مما لا ينصرف ،ولكن توجد كذلك في الحقل

الدلالي للظروف ،لكن تركيباتها اللهجية لا تتغير بين تميم والحجاز.

2 ـ 3 : مذ ، منذ :

توظف عادة ((مذ)) لابتداء غاية الأيام أو الأحيان

مثل : ما لقيته مذ يوم الجمعة الى اليوم باعتبارها حرف جر ،ومذ

---

1) الكتاب : 1 / ص : 420

غدوة الى الساعة أي ما لقيته منذ غدوة الى الساعة بناء غدوة على الفتح ، وما لقيته منذ اليوم الى ساعتك هذه بضم ذال ((منذ)) عوض كسرها على الرغم من التقاء الساكنين ، واذا وظفت غاية ، فيقال فيها : ما رأيته منذ يومين ، وهذه التراكيب كلها من أمثلات سيبويه (1) .

وذكر سيبويه في بعض المواضع الاخرى ما يدل على أن ((منذ)) تحرك بالضم عند التقاء الساكنين لأن العرب تكره كسرة بعدها ضمة ، وأرادوا أن يكون العمل من وجه واحد ((كما فعلوا ذلك في : منذ اليوم يا فتى)) (2) أي بضم الذال ورفع الميم في اليوم .

وفي موضع آخر يبين عن رأيه في أصل منذ ولم تؤول الى الرفع لدى التقاء الساكنين وضم ما بعدها ((فلما اضطروا الى التحريك جاؤوا بالحركة التي في أصل الكلام ، وكانت اولى من غيرها حيث اضطررت الى التحريك كما قلت في : منذ اليوم فضممت ولم تكسر ، لأن أصلها أن تكون النون معها وتضم . هكذا جرت في الكلام .

وحذف قوم استخفافا ، فلما اضطروا الى التحريك جاؤوا بالأصل)) (3)

---

1) انظر : الكتاب : 4 /ص : 226

2) م .س. ص : 146

3) م . س . ص : 193 - 194 .

ومما ذكره أبو الحسن (علي بن سليمان الأخفش) في نوادر أبي زيد أن منذ ومذ لابتداء الغاية في الزمان ، ومن لابتداء الغاية في سائر الأشياء والزمان ،...) (1) ، ويرى أبو الحسن (أي السابق وهو الأخفش الصغير: 315 هـ) أن لغة الراجز في التركيب التالي :

ما زال ذا هزيزها مذ أمس صافحة خدودها للشمس

أن يبني ((أمس)) على الكسر ، فلذلك قال : مذ أمس (2) .

ويرى ابن هشام أن ((مذ)) و ((منذ)) حرفا جر :

((بمعنى من إن كان الزمان ماضيا ، وبمعنى في إن كان حاضرا ، وبمعنى من وإلى جميعا إن كان معدودا)) (3) .

ومما ذكره السيوطي أن أهل الحجاز يقولون : منذ يومين ، ومنذ يومان ، وأن بني تميم يقولون : مذ يومين ، ومذ يومان ، ((فيتفق أهل الحجاز وتميم على الإعراب ، ويختلفون في مذ ومنذ فيجعلها أهل الحجاز بالنون وتميم بلا نون)) (4)

---

1) النوادر في اللغة ص : 12

2) م.س : ن . ص

3) مغني اللبيب : 1 / ص : 335

4) المزهر : 2 / ص : 276

وأما الدكتور داود سلوم فقد لخص هذه التراكيب تلخيصا مركزا ورائعا بقوله : ((أما مُنْذُ فهي ظرف للزمان ، وهي في اللغة الفصحى مضمومة الميم ، ساكنة الذال ، ووردت عن عكس مكسورة الميم مضمومة الذال ، أو ساكنة الذال في لغة نسبت اليهم كذلك ، وجاء عن تميم وعبيد من غنى من قيس عيلان : مضمومة الذال والميم (مُنُذُ) ...

اما منذ فقد وردت مضمومة الذال ومضمومة الاول أيضا ، وهي ظرف للزمان ، وفي لغة سليم ، هوازن وردت مِنْذ بكسر الميم ، ... وترفع هوازن وسليم بـ (منذ) فقط ، وتجر بها عامر بن صعصعة)) (1) .

2 ـ 4 : مـــع :

قال سيبويه : ((سألت الخليل عن مَعَكُمْ ومَعَ ، لأي شيء نصبتها ؟ فقال : لأنها استعملت غير مضافة اسما كجميع ، ووقعت نكرة ، وذلك قولك : جاءا معاً ، وذهبا معاً ، وقد ذهب مَعَهُ ، ومن مَعَه ، صارت ظرفا ، فجعلوها بمنزلة : أمام وقدام ، فقال الشاعر ، فجعلها كَهَلْ حين اضطر ، وهو الراعي :

وريشي منكمُ وهوايَ مَعْكُمْ ... وإنْ كانت زيارتكُمْ لِمَاما (2) .

---

1) اللهجات العربية القديمة ص : 50 ـ 51

2) الكتاب : 3 / ص : 286 ـ 287

وحسب سيبويه بما أنها من الظروف ،وبما أننا نستطيع أن نقول في الحروف التي تكون ظرفا : مِنْ عَلَيْك ، ومِنْ فَوْقِك ،فانه لا مانع من القول : ذهب مِنْ مَعِهِ (بجر العين) (1) ،وهي مثلما تجر على أساس أنها معمول ،وتنصب ،كما روى سيبويه عن الخليل فانها كذلك تسكن عينها حسب الشاهد السابق في قول الراعي ، لكن تسكين عينها ليس اضطرارا كما زعم سيبويه بل هي لهجة معروفة عند غنم وربيعة ((وتسكين عينه (يقصد عين مع) لغة غنم وربيعة ، لا ضرورة خلافا لسيبويه)) (2) ،وفي هذا يقول الأستاذ الرافعي : ((في لغة ربيعة وغنم ، يبنون ((مع)) الظرفية على السكون ،فيقولون : ذهبت مَعْه ،وإذا وليها ساكن يكسرونها للتخلص من التقاء الساكنين ،فيقولون : ذهبت مَعِ الرجل ،وغنم حي من تغلب بن وائل)) (3) .

وما ذكره الأستاذ الرافعي وقائع لسانية صحيحة على الرغم من أنه لم يُحِل على المصادر التي استقى منها كعادة البعض من الباحثين الآخرين (4) ،ذلك أن كتب النحو واللغة ذكرت أن تسكين عين ((مع)) قبل حركة ،وكسرها قبل سكون ، لغة رَبَعِيَّة (5) ،

---

1) راجع هذه التراكيب في الكتاب : 1 / ص : 1 /ص : 420

2) مغني اللبيب : 1 /ص : 333

3) تاريخ آداب العرب : 1 / ص : 155

4) من هؤلاء على سبيل المثال الدكتور ابراهيم أنيس الذي وضع بحثا قيما في اللهجات العربية ،لكنه أهمل الاحالات على المصادر .

5) انظر التسهيل ص : 98

وحكى الكسائي أنها «فعلا» لغة لربيعة وغنم في حالة تسكين عينها قبل حركة (1) ، وجاءت مسكنة العين في التراكيب اللهجية الفصيحة ، ولكنها اذا سكنت فالأصح أنها اسم (2) ، واذا لقي الساكنة ساكن جاز كسرها وفتحها (3) ، والفتح لغة عامة العرب ، والكسر ، كما تقدم ، لغة ربيعة (4) ، وقرأ الجمهور قوله تعالى :

((إِنَّا مَعَكُمْ ، إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ)) (5)

بتحريك العين ، بينما قرئ في القراءات الشاذة بتسكينها (6) .

ان طبيعة عملنا لا تسمح لنا بالتحليل والتعليق في كل حال ، ولكننا نريد أن نشير فقط بأن القراءة الأخيرة (بتسكين العين) لا يمكن وصفها بأنها شاذة ، ما دامت هناك لهجة فصيحة تجوز عليها القراءة ، والشاذ الحقيقي هو ، في نظرنا ، ما خرج عن التراكيب اللهجية الفصيحة التي تشكل في كليتها هذه اللغة العربية المشتركة ، ولا يستطيع أحد أن يزعم من القدماء أو المحدثين أن الربعيين لم يكونوا من العرب الفصحاء .

---

1) انظر البحر : 1 /ص : 62 وكذلك نفس المصدر ص : 69

2) راجع المصدر السابق ص : 62

3) انظر : أوضح المسالك ص : 136

4) انظر البحر : 1 /ص : 62

5) سورة البقرة آية : 15

6) انظر البحر : 1 /ص : 69

2 ـ 5 : لـــــدن :

لهذا المورفيـــم تراكيب افرادية وجملية كثيرة ،

وهي قد تكون بمعنى ((عند)) في بعض التراكيب ،كقوله تعالى :

((قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا)) (1)

حيث قرأنا فع المدني (من لدني) بضم الدال وتشديد النون (2) ،

وقال سيبويه : ((جزمت لدن ولم تجعل كعند لأنها لا تمكــــن

في الكلام تمكـن عند ،ولا تقع في جميع مواقعه ... وأما لـد

فهي محذوفة ،كما حذفوا يكن ،الا ترى أنك اذا أضفت الى مضمر

رددته الى الأصل ،تقول : من لَدُنْهُ ، ومن لَدُنِّي ،فانما

لَدُنْ كَعَنْ)) (3) .

وحسب ما وقفت عليه في بعض القراءات أن هذا المورفيـم

مبني في سائر التراكيب اللهجية الاخرى ولغة الجمهور ،الا في سائر

لهجة تيم ، فانه معرب فيها (4) ،وبهذا نفهم أنهم على ضوء

هذه اللهجة قرئ ((من لدنه)) بالكسر ،وجاءت النون محذوفة

منها في شعر لبيد :

((من لد لحييه الى منخوره))

وقد تضاف الى الجمل كقول القطامي :

---

1) سورة الكهف : آية : 76

2) راجع التيسير ص : 145

3) الكتاب : 3 / 286

4) انظر التسهيل :ص : 97

((لدن شيب حتى شاب سود الذوائب)) (1)

وكما تكون معربة بالكسر على لغة قيس في بعض التراكيب ،
فانها قد تكون كذلك معربة بالتنوين فذلك ما رواه أبو
زيد : ((وقال القشيريون : جئت فلانا لداً (2) غُدْوةً ، ففتحوا
الدال ، وقال بعضهم : لَدَا (3) غُدْوَةٍ فأضاف وجزم الألف)) (4)
ويتبين لنا من رواية أبي زيد أن القشيريين يعربون كذلك هذا
الموقع على لهجة قيس ، بل ذهبوا فيها مذهبا بعيدا حيث
أظهروا التنوين فيها تأكيدا لاعرابها .

وهؤلاء العرب هم بنو قشير بن كعب بن عامر بن
صعصعة (5) ، كانوا يسكنون بجهات البصرة ، وليس في تلاقي قشير
بقيس أي عجب في هذه التراكيب اللهجية اذا علمنا أن قيس عيلان
ابن مضر ما هو الا جد لبني قشير (6) ، وليس غريبا أن
يتعاطى الحفيد الجديد لهجة أو بعضا من تراكيب الجد القديم .

---

1) راجع هذه التراكيب في : أوضح المسالك ص : 135
2) أي بتنوين ((لدا)) ومنع غدوة مابعدها من الصرف .
3) أي بعدم التنوين في ((لدا)) واضافتها الى غدوة مع صرف هذه الاخيرة .
4) النوادر في اللغة ص : 171
5) انظر : جمهرة ابن حزم ص : 289
6) راجع : المصدر السابق ص : 468 ـ 469

3 ـ خلاصة البحث

كما أشرت غير ما مرة ،لا يمكن أن نحيط بكل التراكيب اللهجية القبلية ودراستها دراسة سانتكسية بوفق تباناتها التركيبية في مختلف مستوياتها ،ونؤكد في هذه الخلاصة مرة أخرى بأن هذا العمل ممكن لو يقتصر الأمر على لهجة قبلية واحدة أو مستوى واحد من هذه اللهجات القبلية مجتمعة ،كأن يتعلق الأمر بمستوى واحد من المستوى الصوتي ،أو بمستوى آخر هو المستوى الفونولوجي ....

فبالنسبة لبعض اللغات السامية ،فان مدونتها المتقاربة من العربية ولهجاتها أو المتقاطعة معها بين الفينة والأخرى في هذه البنية أو تلك ، تظل مع ذلك غير ثرية ،ويكاد يكون الشيء نفسه بالنسبة للهجات العربية ((البائدة)) ، لكن الأمر مختلف تمام الاختلاف أمام مدونة تكتنز في ذاكرتها الشعبية والرسمية تراكيب لهجية متزاحمة ،ولا يقتصر مستوى منها دون مستوى آخر ،لأن هذه التراكيب اللهجية مهما تدانت أو تباعدت فهي متشكلة في اطار نظام لساني شامل ودقيق ،وهذا النظام لا نتصوره من حيث المبدأ العام لأي لغة

خارج عناصر متماسكة ومتنابة ، ولا يمكن لعنصر منها أن يقوم في غياب أو تصور غياب الآخر ، وهي : العنصر النحوي أو السانتكسي ، والعنصر الصرفي أو المورفولوجي ، والعنصر الفونيتيكي الى جانب العنصر الفونولوجي ، والعنصر المعجمي أو اللكسيكي ، والعنصر الدلالي ، وهذا الترتيب الخطي لا أهمية له ، لأن كل عنصر من هذه العناصر الخمسة قائم بذاته من حيث الكيان ، وقائم بغيره من التأليف والبناء .

ومما تأكدنا منه اذا ، هو أن حقل التركيب اللهجي حقل واسع ، ويكون أكثر فائدة كلما قلصنا عناصر البحث فيه من عنصر الى عنصر ، وليس ببحث العناصر مجتمعة في وقت واحد وفي كل اللهجات والمستويات .

ومما استنتجناه كذلك أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نبحث هذه العناصر اللهجية وفي تركيباتها المختلفة بمعزل كلي أوحتى جزئي عما تقدمها أولا يزال يتقاطع معها خطابا وتاريخا ، وأعني بهذا اللغات السامية ولهجاتها دون أن نغوص في متاهاتها التاريخية بشكل يقضي على الأهم منها

،وأعني بهذا الوقائع اللسانية التي لا تزال حية ومرسومة في بعض المواقع من الشرق الأدنى وشبه الجزيرة العربية وبعض جزر البحر الأبيض المتوسط وشواطئه الطويلة ،كما أنه لا يمكن الوقوف على ما يمس باللهجات العربية البائدة دون الوقوف أولا على ما تقدمها من وقائع لسانية نمت وترعرعت بصرف النظر عن مواقعها واحداث أصحابها التاريخية وزمانهم ومكانهم ،لأنه على كل ميدان أن يتكفل بميدانه ،والشيء نفسه قائم بالنسبة للهجات العربية الباقية ،اذ لا يمكن بحثها بحثا علميا وموضوعيا دون الرجوع أولا الى فضائها الأصلي الشاسع والمتجسد فيما يعرف عادة باللهجات العربية البائدة ،وفي جميع هذه الحالات رأينا في الوقت نفسه أنه لا يمكن المغامرة في مقارنة أو موازنة هذه التراكيب السانتكسية من اللهجات العربية الباقية بما تقدمها من وقائع لسانية سامية بشكل عام الى جانب تلك التراكيب اللسانية الأخرى التي يمكن أن نعتبرها أشد صلة بهذه التراكيب اللهجية المعنية ،ونعني بها الحميرية والسبئية والمعينية الى جانب تراكيب اللهجات الشمالية ((البائدة)) ،فلم نرد أن نغامر هذه المغامرة التي لو دخلناها لما أمكن لنا أن نخرج منها ،لأن عجزنا في تغطية التراكيب اللهجية

الباقية أدل دليل لدينا على مثل هذه المغامرة العلمية الخطيرة ،
وعلى الرغم من هذا ،فاننا غامرنا بالقدر الذي سمح لنا به
علمنا واطلاعنا ،لكننا مع ذلك لم نطرق باب هذه المغامرة العلمية
من باب المقارنة والتوسع ،لا سيما فيما يخص اللغات السامية واللهجات
العربية البائدة من جهة ومقارنة الأصناف التركيبية في هذه اللغات
واللهجات المتقدمة باللهجات العربية الباقية ،وهذا مع شعورنا
بل يقيننا بوجود امكانية علمية رائعة وحية بين هذه التراكيب
اللسانية مجتمعة بصرف النظر عن زمانها ومكانها وطبقات أوصفات
المتكلمين بها .

وفي اعتقادنا أن فضاء هذا البحث لا يزال مفتوحا ،وسيبقى
مفتوحا حتى ولو بحث بأحدث الطرق المتحرية التي أشرنا اليها ،ولذلك
فاننا لا نحس بسلامة النتائج المزعومة في هذا العمل الشاق ،
بقدر ما شعرنا ونشعر بلذة الوقوف على حقائق هي في غاية
الرضى بالنسبة الينا ،انها حقائق النقص المستمر كلما شعرنا بأننا
أنجزنا بحثا علميا خضع لقراءات بعضها متأن وبعضها سريع ،
وبعضها الآخر متردد ترددا كثيرا ومستمرا ،واذا كانت هناك
نتائج أو ما يشبهها ،فان الفضل يعود أولا وأخيرا الى الصنف

الثالث من هذه القراءة المترددة ،وبقدر ما تتحمل هذه القراءة هذه النتائج على علاتها ،تتحمل مسؤوليتها في أحكامها وأخطائها ،
لكنها تفتح صدرها رحبا لكل القراءات التي سبقتها أو التي ستليها لتصحح ما تورطت فيه من أحكام علمية ناقصة أو حتى واهية .
ونحن فضلنا هذه القراءة المترددة التي تعبر بنفسها عن نفسها عما قد يطفو خلال مراحل هذا البحث من نتائج من خلال معارضتها بنتائج من سبقونا في الميدان ،وفضلنا ذا أيضا لأننا واثقون ثقة تامة بأن نقصها الملحوظ سيكمل بقراءات غيرها .

لكن النتيجة التي نطمئن اليها ونشعر بها فعلا هو خروجنا من هذه المسافات الطويلة واثقين بأن التراكيب السانتكسية في اللهجات العربية القديمة بما فيها التراكيب المدخرة في اللغات السامية واللهجات العربية الاركيسة برمتها الى جانب اللهجات العربية الفصيحة التي احتوت الآداب الجاهلية الراقية ثم وسعت خطابات القرآن الكريم وسنة نبيه محمد (ص) ثم ما جاء بعد كل هذا من نصوص وآداب وتآليف جمة من حيث الكم والكيف ، ... ما هي الا تراكيب متشابهة ومتقاطعة في غير قليل من وقائعها اللسانية ،لكن وراثتنا لهذه التراكيب محكية أو شفوية ثم

مكتوبة بواسطة السماع أو عن طريقه جعل من الصعب الحكم أو النفي بشكل قاطع أو حتى مرجح أحيانا بما يربط هذه التراكيب من تشابه حينا وتباين حينا آخر ، لا سيما وأن ما لاحظناه خلال هذا العمل هو ذلك التفريط الذي يكاد يكون مطلقا من العرب وهيئاتها العلمية والثقافية والتاريخية ، ... في الوقوف على آلاف النقوش والنصوص التراثية التي لا تبرح شبه مهملة من الجهات الرسمية في العالم العربي ، حتى صار لا بد من التعريج على مستشرقين ودارسين أجانب ، بارك الله فيهم ، على الرغم مما قد يوجد في أعمالهم من أغراض أو انحرافات ، كلما حاولنا أن نقف وقفة قصيرة أو طويلة لمعرفة أحوال وجوهر تراثنا .

وإذا كان لا بد من احترام التقاليد المعمول بها لإبراز أو محاولة إبراز بعض النتائج المتوصل إليها أو الإشارة إلى الملحوظة بهذا الشكل أو ذاك ، فإننا نعترف بأن النتائج الأكثر أهمية في نظرنا هو ذكر بعض هذه النتائج التي تحققت على يد الآخرين ، لا سيما إذا ظلت بعض هذه النتائج مطموسة أو منفية من فضاء المادة المبحوث فيها ، ومن بعض هذه النتائج التي توصلنا إليها منهجا ومادة وموضوعا هو ما حققه بعض اللسانيين العرب القدماء في ميدان البحث اللسانتكسي قبل الغرب

بعهد طويل .

ان التمهيد الذي قدمناه لهذا العمل سمح لنا بالوقوف مبدئيا على تحديد الموقعين الزماني والمكاني وما كان يتحرك ويتفاعل ضمن هذين الموقعين ،كما سمح لنا من تعيين الأصول والفروع القبلية التي تمثل هذه التراكيب اللهجية من عرب بائدة وعرب باقية .

واعتمدنا في هذا التحديد ،كما لاحظ المتتبع لهذا العمل ،على مراجع ثابتة ويقينية مثل القرآن الكريم ،ومراجع متضاربة أخرى عديدة ، وهذا التحديد سمح لنا بالوقوف على التقاطعات الجغرافية والفضائية العامة لبعض المظاهر اللهجية التي مثلت لنا المدونة اللسانية للدراسات التركيبية التي قمنا بها لاحقا .

وهذا التحديد للموقعين : الزماني والمكاني ،مكننا أيضا من أخذ فكرة لسانية تاريخية وجغرافية على طبيعة التكلمات اللهجية ومستوياتها المختلفة بين بعض المناطق الجغرافية اللسانية ،ورأينا أن تلك الخلافات اللسانية بشكل عام أحدثتها عوامل خارجية مثل العوامل الجغرافية والتاريخية والاجتماعية ... وعوامل أخرى داخلية متعلقة باللغة العربية ذاتها ولذاتها والمتجلية في تلك التطورات الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية ، ورأينا كذلك مبدئيا

أن المناطقة الجغرافية اللسانية قد تتقلص حتى يظهر الخلاف المهجي على مستوى منطقة واحدة، وذلك نتيجة للتداخل القبلي أو العكس.

وشاهدنا أيضا من خلال التقاطعات الفضائية للقبائل العربية في بداية الباب الاول من هذه الرسالة، أن هناك تكلمات أوكلمات نشأت فعلا من هذه التقاطعات التي انعكست عليها بشكل جلي التداخلات الفضائية ذاتها للمجتمع اللغوي العربي منذ حقب بعيدة ترجع الى الشعوب السامية المسقدمة أحيانا، وظهر هذا، فيما بدا لنا، مع بداية التوحيد اللغوي بين المتكلمين العرب هنا وهناك، ولم يكن صعبا، كما رأينا، على العربي ان يوظف نفس الشكل الصواتي، بفضل جبلته، بهذا المعنى أوذاك خلافا للمتأخرين.

وناقشنا مشكل فصاحة قبيلة قريش، فرأينا أن هناك ما يعرف بالفصاحة من جهة، وهو شيء، وبسلامة اللغة، من جهة أخرى، وهو شيء شان، وقريش لئن كانت تملك ناصية الأولى فانها يجري عليها ما يجرى على القبائل العربية الأخرى التي كانت تختلط بالأجانب بشأن سلامة اللغة، ولذلك، فان الرسول محمدا (ص)، يعد من أفصح العرب، لأنه جمع بين فصاحة قومه، وهم القرشيون، وسلامة اللغة، من خلال الاكتساب اللغوي من لدن بني سعد بن بكر بن

هوازن .الى درجة قوله عليه السلام : ((أنا أفصح العرب سيد أني من قريش ،وأني نشأت في بني سعد ابن بكر)) (فقه اللغة ص : 57 لابن فارس) .

ومن نتائج هذا الباب أيضا أننا رأينا كيف أن نص الفارابي بشأن القبائل أخذ منها أولم يؤخذ عنها ،لم يعد نصا مقبولا ،ورأينا الواقع اللساني يستبعد هذه النظريهة الفارابية .

وبشأن الحديث الشريف (أنزل القرآن على سبعة أحرف) حاولنا أن نعطيه تفسيرا ساتنكسيا لا تفسيرا عاما أوحا صا فقط بالقراءات التوقيفية ،أي لاحظنا أن معجزة القرآن تكمن كذلك في التركيب ، وهو حين تحداهم ،وهم العرب الصناديد الأقحاح ،وهم أصحاب الفصاحة ، وهم أرباب البيان ،لم يتحدهم بما فوق عقولهم ليأتوا بمعجزات ماضية أوحاضرة أوغيبية بل تحداهم ،كما تحدى الانس والجن معهم ،ليأتوا بمثل هذا القرآن أوسورة منه أوأدنى شيء من تركيبه .

ولهذا ،فالنتيجة التي تمخضت لدينا بشأن الحديث النبوي الشريف ،أن مفهوم ((السبعة أحرف)) هو مفهوم لساني تركيبي أوساتنكسي ،ولاحظنا من خلال الاطلاع على بعض الخصائص الخطابية أوالتركيبية في لغات انسانية بواسطة قراءات لسانية معاصرة ،أن

اللغات الانسانية الناضجة عموما تكاد تتشابه في أقسام خطاباتها ،
وعليه ،فان مفهوم السبعة أحرف لا يكاد ،فيما رأيناه ، يبتعد عن
هذه القاعدة اللسانية العامة ،ولا تعذر ترجمة معاني القرآن
الكريم الى لغات الشعوب الاسلامية التي لم تتعرب حتى الآن ،
ووقفنا على أن الحديث الشريف يحتوي على معجزة لسانية ،وهذه المعجزة
لها دلالتان : معجزة لسانية عامة تتعلق ببنية أقسام الخطاب ومراتبه ،
والدلالة الثانية خاصة بها للغة العربية باعتبارها اللغة الأولى التي
سجلت كلام الله المنزل على سيدنا محمد (ص) .

ومما وقفنا عليه ايضا بتحديد الرقعة الجغرافية للغة العربية التي أخذ
عنها ممن لم يؤخذ منها ، أن تركيز الأجانب الذين يتصدون لدراسة اللغة
العربية الجاهلية والنموذجية أو المشتركة هم غالبا ما يتصورون
هذه العربية المشتركة على نحو تاريخ وظروف اللغات الأوروبية
بينما هذه اللغة العربية التاريخية البدوية تختلف اختلافا بينا عن لغات
القراءات والمراسيم والمجامع ...

وخلال حديثنا عن العلاقات اللغوية السامية ـ العربية ،
أن الدرس المقارن لم يظهر في القرن التاسع عشر في الغرب على أثر
اكتشاف اللغة السنسكريتية الا بشكل اتخذ منهجية علمية صارمة ،والا فان

اللغويين العرب من بين الطبقات المبكرة الى جانب الفقهاء والمفسرين قد تجادلوا جدا لا حادا حول طبيعة واشكال الفاظ وتراكيب (كلمات) وردت في القرآن الكريم : أهي أجنبية على العربية كليا أم هي قريبة منها أم أنها الفاظ دخيلة عربت وصيغت طبقا للقوانين السائدة في العربية .

ولاحظنا كذلك أن العلاقات التركيبية أو البنى الداخلية للغات السامية تتبلور في بنيات خارجية تتعلق بالتوزع والأحداث التي انعكست على أنظمتها النحوية والصوتية والصرفية والدلالية والمعجمية ، وذلك من خلال :

- البنيـة السانتكسية
- البنيـة المورفولوجيـة
- البنيـة المعجميـة
- البنيـة الدلاليـة
- البنيـة الصوتيـة

ومن خلال اللغات السامية القديمة ، كاللغات الأكادية ، لاحظنا أن ظاهرة الاعراب في العربية ليس بدعا أوحد شا جديدا خاصا باللغة الجاهلية أو اللغة القرآنية ، بل هي ظاهرة ترجع الى أكثر

مـــن خمسـة وأربعين قرنــا .

ووقفنا على حقيقـة أخرى تتعلق بالجذر الأصلي للغات السامية ويتلخص في أن الطابع العام لهذا الجذر هو الجذر الثلاثي ،وأن ما فيها مـن كلمات معجميـة ثنائيـة قد تعود الـى اللغة البدائية الأولى أو الى اللغة الحاميـة التي يعد الأصل فيها ثنائيا .

والحقيقـة الأخرى من بين الحقائق الباقية ،أن اختلاف المختصين في اللغات السامية يرجع الى اختلافهم في قراءة النقوش واستنطاقهما أزيد مما يعود الى اختلاف هذه اللغات التي يفترض فيها أنها تتفـق فـي كـثير مما يعتقـد أنها تتباين فيــه .

وبالنسبـة للتركيب الـسانتكسي في اللهجات العربية البائدة خرجنا عن العادة المألوفة في بعض الدراسات التي تحاول أن تحصر هذه اللهجات في ثلاث فقط ، بينما نحن أضفنا اليها لهجة رابعة واعتبرناها حسب دلائل لسانية واقعية لهجة عربية خالصة ،وأعني بها النبطيـــــة .

وهذه اللهجات الأربع (الثمودية ،والصفوية ،واللحيانية ، والنبطيـة) تتقاطع مع العربية الباقيـة في كـثير من التـراكيب العامة والخاصة ، والى جـانب اللهجتين الثمودية والنجيانية ،فان الصفوية

تمثل الى حد كبير اللهجة العربية الشمالية الفصيحة أو العربية الباقية على الرغم من بعض الظواهر التي تعكس تأثيرا للآرامية فيها مثل بعض أسماء الأعلام، والمفردات الحضارية .

ووقفنا على الآثار المتبادلة بخصوص التأثر والتأثير بين أصحاب هذه اللهجات وعلاقتهم بالآراميين ، بما في ذلك الخط العربي نفسه الذي أخذه العرب عن الأنباط وكيف أن هؤلاء بدورهم طوروه من صورة الخط الآرامي .

ومن قرب اللهجة النبطية من العربية الباقية في احدى الظواهر السانتكسية — الى جانب ظواهر أخرى عديدة — أداة التعريف حيث تعرف بها خلافا لأداة التعريف في اللهجات الثلاث الأخرى (الـ ها ء).

لكن تساءلنا كثيرا عن بعض المعطيات المتوفرة لدينا بشأن التراكيب في اللغات السامية واللهجات العربية البائدة ، لأن هذه المعطيات الأثرية أو اللسانية لا تمثل لنا الا قليلا مما كان يملكه المتكلمون بها على المستوى الشفوي من مناسبة وحركات ونبر وتنغيم وتأكيد واستفهام ... الخ .

لأنه بعد وقوفنا على تراكيب موروثة في اللهجات العربية البائدة تبين لنا أن كتبتها ربما كانوا يجتهدون عن وعي أو عن غير وعي في

محاولة رسمها مثلما كانت تنطق أو على الأقل كانوا على دراية بما يجب رسمه مما يهمل نطقه، ومنها الصوائت، ولكن في الوقت نفسه ثبت لدينا أننا عاجزون اليوم من اعادة النطق نفسه، فالتركيب ((ويلمها)) الذي وظفه امرؤ القيس :

ويلمها في هواء الجو طالبة ولا كهذا الذي في الأرض مطلوب

ومثله التركيب ((علماء)) (على الماء) كلاهما يقوم على الأحادية في عملية التبليغ بين المرسل والمرسل اليه، لكن الرمز بينهما في هذه الحالة يكون ثنائيا بين التقليد في الخطاب الشفوي وبين النظام الكتابي.

ان ما وقفنا عليه وتصورناه بين النظامين : النطقي والكتابي في اللهجات العربية البائدة وفي اللغات السامية من خلال النصوص التي توفرت لدينا أنه لم تكن الكتابة لدى أولئك شيئا والنطق شيئا ثانيا بحيث يكون أحدهما بعيدا كل البعد عن الآخر.

ومن خلال دراستنا للمدونة اتضح لنا أن هذه المدونة مهما كانت قصيرة أو طويلة، قديمة أو حديثة، ومهما كان شكل الطبقات التي تتشارك بوعي آني أو بوعي تاريخي ... فانها ليست في النهاية من أن تكون عينة من هذه اللغة الكلية، بمعنى أن اللهجات المنتمية لمناطق قبلية أو بيئات جغرافية ليست أزيد من عناصر منتمية الى

مجموعة واحدة هي هذه العربية الفصيحة .

وفيما يخص التقاط المدونة ، فانا لاحظنا أن هذه العملية بين جامع اللغة ومنتجها أو المتلفظ بها كانت تتم حسب التصور :

هـــو ←— مصدر السماع ومرسل أول للسماع

أنـــا ←— ملتقط السماع ومرسل ثان للسماع

أنـــت ←— المرسل اليه السماع

والنتيجة التي ارتأيناها تبعا لهذه الضمائر أن الضمير الشخصي (هـــو) يجسد الأعرابي في باديته ، والضمير الشخصي (أنا) يمثل الراوي عن الأعرابي ، والضمير الثالث (أنت) لا يمثل الا المستمـــع الثاني أو المسجل عن الراوي .

ومما استنتجناه كذلك في التقاط المدونة أن السماع يشكل عملية متزاوجة بمحسن كل من المرسل والمرسل اليه ، فهي في سلسلتها الصوتية تمثل شكلا أفقيا ، وتلفظ الباحث بها عبر السلسلة الكلامية يصبح عموديا .

ومما وقفنا عليه أيضا أن مصادر المدونة المسموعة مصدران :

1) الأعراب في بواديهم   2) الأعراب لكن في الحواضر

وبالنسبة للتركيب في اللهجات العربية الباقية ، فاننا طلعنا بعدة نتائج خلال تعرضنا للسانتكس التقليدي عند العرب ومقارنته بما جد في هذا الميدان في اللسانيات المعاصرة .

ومن هذه النتائج التي لم نشك في مصداقيتها منذ البداية شكا كثيرا أن الدراسات السانتكسية العربية القديمة انطلقت من نهاية أوج ما انتهت اليه الصنعة الكلامية لدى العرب ، وحيث ان هذا السانتكس العربي القديم ضارب بجذوره في هذا السانتكس العربي الجديد ، سيبقى مختلفا مع أي انطلاقة لأي سانتكس غير عربي ، لأنه شتان ما بين سانتكس عفوي شفوي قائم على تراث سليقي ناضج ، وبين سانتكس تتدخل أحيانا القوانين والمراسيم في تعديله .

ومن هذه النتائج التي وقفنا عليها كذلك لدى العرب أن هؤلاء (اللسانيين العرب المبكرين) :

1) تعاملوا مع اللغة كما علام لساني خارجي مصوب نحو استقهال داخلي .

2) تعاملوا مع الرسالة الاعلامية الملتقطة كلغة (Comme un langage) وليس كلغة بمفهوم (langue) أو لسان .

3) ظاهرة السانتكس العربي مؤسسة على ظاهرة الكلام ثم على ظاهرة اللغة كمنظومة قواعدية كلية لا تتجزأ .

4) كثيرا ما أرهقوا أنفسهم في البحث والتحري لا يجاد معادلات أو متطابقات سانتكسية لهذا التركيب أو ذاك .

5) لم يتعاملوا مع السانتكس كانتاج كلامي متوقع بل كانتاج من

الأشكال بني وانتهى ، وبعد ادراكهم لتكرار الظاهرة ذاتها من حيث القواعد السانتكسية ،عادوا ينظرون الى السانتكس كجمل متوقعة وغير متوقعة.

6) وعلى ضوء هذه التعاملات المبكرة ،غدا الناس من عرب متأخرين وعجم متقدمين يتعاملون مع السانتكس تعاملا أقرب الى الملاحظة العلمية منها الى كلام سليقي قائم على العفوية والشفوية ، ثم كان التعامل مع المنظومة اللغوية بشكل عام.

واثناء عملية البحث في التركيب الاسمي استنتجنا أن القبلتين اللسانيتين الكبيرتين : تميما والحجاز ،غالبا ما تختلفان في أكثر من مظهر لهجي ، سواء تعلق الأمر ببنية سانتكسية أوغيرها من البنيات الأخرى ،حتى وان كنا أهملنا الحديث عن البنيات الأخرى بالطريقة التي اتبعناها في السميات واللهجات البائدة ،وحين تختلف هاتان القبيلتان فان القبائل البدوية أوالتي تقطن وسطا أوقلب شبه الجزيرة العربية غالبا ما تحذو حذو رئيستهم تميم في البنيات السانتكسية وباقي البنى اللهجية الأخرى .

ومثال ذلك ما لاحظناه في الجنس حيث ذهب أهل نجد مذهب تميم في التذكير ،والنتيجة الأخرى التي لاحظناها في الجنس أيضا

تتعلق بأهل الحجاز ،لكن من الداخل ،أي فيما بينهم وبين أنفسهم ،
ويقتضي الأمر أن ما يختلف فيه الحجازيون من تذكير أو تأنيث ،
فالأغلب عليهم التأنيث ،خلافا لأهل نجد الذين يذهبون الى التذكير
- أي يغلب عليهم التذكير - اذا ما اختلفوا مابين تذكير وتأنيث .

النتيجة الأخرى ،ودائما في الجنس ،اذا ما انفردت أو شردت
قبيلة غير مشهورة لهجيا بظاهرة تذكير مطلقا كشذوذ عكل وحدها
في تذكير الذراع ،وانفراد أسد بتذكير الابهام والرياح ،وشذوذ قيس
بتذكير القدر ،فان القبيلتين الكبيرتين المتصارعتين لهجيا (تميما والحجاز)
ومعهما ،في هذه الحالة ،باقي القبائل العربية ،تعاكسهم أي تؤنث .

والمتتبع لهذا العمل يلاحظ نتائج أخرى تتصل تقريبا
بكل البنى السانتكسية الباقية ،والتي لا يمكن ذكر كل نتائجها مجتمعة ،
وهناك نتيجة هامة أخرى تتعلق ببنية المثنى كظاهرة كلامية واسعة ،
وكيف أنها زالت من مختلف اللغات الانسانية أوكادت تزول نهائيا ،
ولم تبق لافتة الانتباه بشكل قوي الا في اللهجات العربية التي تجسد
هذه العربية المشتركة ،حتى انه ليمكن التقرير بأن المثنى ظاهرة سامية
أو بعبارة أدق ظاهرة سانتكسية عربية ....

وفي التركيب الفعلي ،كذلك استنتجنا أن أهل نجد يذهبون مذهب تميم في غير قليل ،ان لم أقل في أغلب البنيات السانتكسية المتعلقة بالتركيب الفعلي ،مثال ذلك أن أهالي نجد ذهبوا مذهب تميم في الفعل (هلم) الذي يصرف عندهم باسناده الى الضمائر : مفردا ، ومثنى ،وجمعا ،ومذكرا ،ومؤنثا ،ليس فقط في معنى الأمر بل حتى في معنى الماضي والمضارع ،خلافا للحجاز التي تجعله اسم فعل وتلزمه حالة واحدة في جميع تراكيبه ،وتذهب معها قبائل أخرى كثيرة مثل عقيل ،وقيس ، وقيس عيلان .

وهذا الصراع نفسه يلاحظ في التراكيب اللهجية الغزيرة الأخرى كما لمستثنى المنقطع وحتى بعض التراكيب الناقصة أو التامة فيه .

وفي التركيبين : الظرفي والحرفي ، لاحظنا أن العلاقة بين العبارة والوحدة الدالة ليست محصورة دائما في ذاتها الا بشكل نسبي ، لأن اختلال موقعها من مكان الى مكان في الجملة قد يؤدي الى اختلال كلي في هذه البنية .

وفي نفس هذا الفصل الخاص بالتركيب الحرفي والظرفي استنتجنا بمقارنة بسيطة أن التمييز بين الفئات النحوية والفئات اللكسيكية لا يكون بالضرورة هو عينه في كل اللغات ،اذ ما يصدق على هذه اللغة قد لا يصدق على تلك .

ولعل أكبر نتيجة انتهينا اليها بالنسبة للتركيب في اللهجات العربية من بائدة وباقية ،وخاصة هذه الأخيرة ذات النصوص التي لا يتطرق اليها الشك ، أن أعظم نتيجة ليس التحجج فقط بما توصل اليه الدارس بفضل استعمال هذه الأدوات أوتلك ،بل أيضا في الاطلاع على نتائج الغير في هذا الحقل،لأنه من غير الاطلاع على نتائج وأعمال السابقين فلن تكون نتائجنا الا تراكمات علمية لا جدوى من ورائها .

ومما انتهينا اليه أيضا من خلاصة أن أعظم نتيجة تحصد وتؤتي ثمارها بشكل أكثر نضجا هي تلك النتيجة التي ترتكز على القراءة بواسطة الكل ،وترتكز على العمل في البحث العلمي بواسطة الجزء .

ان بحث ظاهرة سانتكسية في اللهجات العربية ،كما لاحظنا ، كان ينبغي أن يؤسس على القراءة الكلية ليعتمد في النهاية ظاهرة لسانية معينة ،ومن ثم يستقصيها ويتحراها دون أن يقلب ظهر المجن لقراءات أخرى تتصل بذات موضوعه اتصالا ،وهنا تكون نتيجته أم النتائج التي يمكن استثمارها لتحقيق نتائج تالية .

فهرس الفهارس :

1 ـ فهـرس الآيـات القـرآنيـة (1)

1) اعتمدنا في توثيق هذه الآيات الكريمة على ((المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم)) من وضع: الاستاذ : محمد فؤاد عبد الباقي . (ط: 1/1987 . دار الحديث . القاهرة).

2) نقصد بالصفحة هنا صفحة هذا البحث تسهيلا على المتتبع لهذا العمل .

الآيـــــــــة	رقمها	سورتها	الصفحة
56) قد بلغت من لدني عذرا	76	الكهف	549
57) هذا رحمة من ربي	98	ـــــ	422
58) من كان في المهد صبيا	29	مريم	527
59) فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا	97	ـــــ	114
60) قال : هي عصاي أتوكأ عليها	18	طه	465
61) ان هذان لساحران	63	ـــــ	454،118
62) وأسروا النجوى الذين ظلموا	3	الأنبياء	476
63) أف لكم ولما تعبدون من دون الله	67	ـــــ	502
64) ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم	29	الحج	188
65) قد أفلح المؤمنون	1	المؤمنون	478
66) حتى حين	54	ـــــ	104
67) وعادا وثمودا وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا	38	الفرقان	20
68) ان أنا الا نذير مبين	115	الشعراء	465
69) فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة ، انه كان عذاب يوم عظيم	189	ـــــ	26
70) بلسان عربي مبين	195	ـــــ	113
71) فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا	8	القصص	188

الآيـــة	رقمها	سورتها	الصفحة
72) فذانك برهانان من ربك الى فرعون و ملئـه	32	القصص	446
73) فخسفنا به وبداره الأرض	81	ــــ	235
74) ثم هو يوم القيامة	61	ــــ	466
75) والى مدين أخاهم شعيبا فقال : ياقوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين	36	العنكبوت	25
76) وعادا وثمود اوقد تبين لكم من مساكنهم	38	ــــ	20
77) والقائلين لاخوانهم: هلم الينا	18	الأحزاب	496
78) أمسك عليك زوجك	37	ــــ	433
79) ترجي من تشاء	51	ــــ	45
80) قل لأزواجك وبناتك	59	ــــ	433
81) ربنا باعد بين أسفارنا	19	سبأ	103
82) قل : ان ضللت فانما أضل على نفسي	50	ــــ	47
83) ما أنتم الا بشر مثلنا	15	يس	484
84) ان كانت الا صيحة	29	ــــ	103
85) وما عملته أيديهم	35	ــــ	104
86) ألم أعهد اليكم	60	ــــ	ــــ
87) قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون	28	الزمر	113

الآيـــــــــة	رقمها	سورتها	الصفحة
105) كذبت ثمود وعاد بالقارعة	4	الحاقة	20
106) فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية	5	ــــ	ــــ
107) وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية	6	ــــ	ــــ
108) سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية	7	ــــ	ــــ
109) فهل ترى لهم من باقية	8	ــــ	ــــ
110) فما منكم من أحد عنه حاجزين	47	ــــ	485
111) ولا يغوث ويعوق	23	نوح	463
112) تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا	20	المزمل	472
113) ولو ألقى معاذيره	15	القيامة	124
114) انا أعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالا وسعيرا	4	الانسان	461
115) وأكواب كانت قواريرا	15	ــــ	462
116) قواريرا من فضة	16	ــــ	ــــ
117) ان كل نفس لما عليها حافظ	4	الطارق	488
118) والليل اذا يسر	4	الفجر	43
119) ألم تر كيف فعل ربك بعاد	6	الفجر	20

2 ـ فهرس الترتيب التسلسلي للسور القرآنية حسب ورودها في البحث :

السورة	رقمها	السورة	رقمها
فصلت	41	الحاقة	69
الزخرف	43	نوح	71
الدخان	44	المزمل	74
الأحقاف	46	القيامة	75
محمد	47	الانسان	76
الفتح	48	الطارق	86
ق	50	الفجر	89
النجم	53	العاديات	100
الواقعة	56		
المجادلة	58		

3 ـ فهرس الأحاديث النبوية الشريفة :

1)) أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ،

وأني نشأت في بني سعد بن بكر .

2) أنزل القرآن على سبعة أحرف

3) خيركم خيركم لأهله ،وأنا خيركم لأهلي

4) يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل ،وملائكة بالنهار

4 ـ فهرس بعض الأمثال التي وظفت شواهد :

1) عسى الغوير أبؤسا

2) ليت القسي كلها أرجلا .

5- فهرس الشواهد الشعرية :

((الباء))

القافية	البحر	الصفحة	العدد
ملحبُ	الطويل	432	1
وجانبُ	———	70	9
تذيبُ	———	456	1
نجيبُ	———	468	1
سكوبُ	———	480	1
مجيبُ	———	537	2
مطلوبُ	البسيط	196	1
قريبُ	الوافر	490	1
حسابا	الوافر	458	1
بصاحبِ	الطويل	513	1
الذوائبِ	الطويل	550	1
تنصبِ	البسيط	43/42	1
الذنبِ	———	433	1
بالنقابِ	الوافر	492	1

((الدال))

القافية	البحر	الصفحة	العدد
الفرقدُ	المتقارب	56	1
مُرْدَا	الطويل	457	1
أُسْدَا	—	531	1
مطردِ	—	61	1
الشدِ	—	447	1
الجدِ	—	448	1
الايدِ	البسيط	511	3

((الراء))

القافية	البحر	الصفحة	العدد
ومعصرُ	الطويل	424	1
يستثيرُها	الطويل	433	1
بهرُ	—	353	1
غرورُ	—	468	1
شبهرُ	—	153	3
مضرُ	البسيط	450	1
بشرُ	—	484	1
وبارُ	مخلع البسيط	460	1

((القاف))

القافية	البحر	الصفحة	العدد
محرزقُ	الطويل	155	1
عارقُهْ	الطويل	450	1
أنطقا	الرجز	445	1

((الكاف))

القافية	البحر	الصفحة	العدد
لمالِك	الطويل	65	2
المعارِك	ــــــ	219	1
أوراكِها	الرجز	506	1

((اللام))

القافية	البحر	الصفحة	العدد
لا مِثْلُ	الطويل	59	8
يستهيلُها	الطويل	434	1
كناهِلُهْ	ــــــ	218	1
وقابلُهْ	ــــــ	537	1
الصقلُ	ــــــ	448	1
به همُلُ	البسيط	482	1
يعذلُ	المتقارب	479	1

القافية	البحر	الصفحة	العدد
فيخذلا	الطويل	468	1
السلاسلا	——	492	1
السبيلا	الوافر	436	1
فضلا	الكامل	450	1
الأغلالا	الكامل	448	1
معولِ	الطويل	238	1
مرجلي	——	301	1
فانزلِ	——	302	2
بغليلِ	——	492	1
مالي	الوافر	188	1
الهلالِ	——	458	1
مالي	——	534	1
العذالِ	الكامل	450	1

((الميم))

القافية	البحر	الصفحة	العدد
عقيمُ	الطويل	469	1
حميمُ	——	479	1

القافية	البحر	الصفحة	العدد
حريمُ	الطويل	473	1
الشبمُ	البسيط	435	1
مسجومُ	———	530/86	1
والغلامُ	الوافر	425	1
شريمُ	———	538	1
تميمُ	الرجز	448	1
لأقدما	الطويل	499	1
البرما	البسيط	435	1
لما	الوافر	546	1
ودما	الرمل	467	1
يسأمِ	الطويل	452	1
المصمِ	———	487	1
الإسمِ	———	219	2
حذامِ	الوافر	459	1
الأعمامِ	الكامل	354	1
تميمِ	الطويل	195	1

6- مراجع البحث ومصادره :

- المراجع العربية :

1) الآداب السامية : محمد عطية الابراشي
ط:2/ 1984 دار الحداثة - بيروت

2) الابانة عن معاني القراءات : لمكي بن أبي طالب
تحقيق : د. عبد الفتاح اسماعيل شلبي ، ط النهضة - 1960

3) الأشباه والنظائر : عبد الملك بن محمد الثعالبي
تحقيق : محمد المصري ط:1/ 1984 سعد الدين للطباعة - القاهرة

3) الاشتقاق : ابن دريد ، تحقيق هارون ط:1958 مطبعة
السنة المحمدية - القاهرة

4) اصلاح المنطق : ابن السكيت ، تحقيق : شاكر وهارون
دار المعارف - مصر

5) الأصمعي اللغوي : د. عبد الحميد الشلقاني ، دار المعارف - مصر

6) أصول التفكير النحوي د. علي أبو المكارم ط: 1973 دار القلم - بيروت

7) أصول النحو العربي . د. محمد خير الحلواني ط: 1979 مط الشرق حلب

8) الاصوات اللغوية : د. ابراهيم أنيس ط: 6/ 1984 دار فوزي للطباعة - مصر

9) الأفعال في القرآن الكريم : د. عبد الحميد مصطفى السيد ط:1/ 1986
مط دار البيان العربي - جدة

10) الاقتضاب في شرح أدب الكاتب : لأبي محمد عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي : تحقيق :مصطفى السقا ،د. حامد عبدالمجيد ط: 1981 الهيئة المصرية العامة للكتاب

11) الألسنية (قراءات تمهيدية) :د.ميشال زكريا ط: 1/1984 ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت

12) الألسنية (المبادئ والاعلام) :د. ميشال زكريا ط:2/ 1983 المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت

13) الألسنية والنقد الادبي :د.موريس أبو ناضر ط: 1979 دار النهار للنشر بيروت

14) الأمالي : لأبي علي القالي دار الفكر العربي للطباعة والنشر

15) الانصاف في مسائل الخلاف : ابن الأنباري تحقيق : عبد الحميد محي الدين ،المكتبة التجارية الكبرى - مصر

16) أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك : ابن هشام تحقيق : عبد الحميد محي الدين ط: 1949 دار السعادة - مصر

17) الايضاح في علل النحو :الزجاجي تحقيق : مازن المبارك ،دار العروبة القاهرة

18) البحث اللغوي عند الهنود :د. أحمد مختار عمر ط: 972 دار الثقافة بيروت

19) البحر المحيط :أثير الدين أبو حيان الاندلسي الغرناطي ط: 1 / 1328 هـ ، مطبعة السعادة - مصر

20) بنية اللغة الشعرية: جان كوهن، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، ط: 1/ 1986 دار توبقال للنشر، الدار البيضاء (المغرب)

21) بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب: عبد الجليل مرتاض
ط: 1/ 1988 مؤسسة الأشرف - بيروت

22) البيان في غريب اعراب القرآن: ابن الانباري
تحقيق: د. طه عبد الحميد طه ط: 1969 الهيئة المصرية العامة - القاهرة

23) البيان والتبيين: الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون
ط: 1950 مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

24) تاريخ الأدب العربي: بلاشير، ترجمة: د. ابراهيم الكيلاني
ط: 1986، طبع مشترك بين الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب (الجزائر)

25) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي): د. شوقي ضيف ط: 3 دار المعارف مصر

26) تاريخ آداب العرب (الجزء الأول): مصطفى صادق الرافعي
ط: 4/ 1974 دار الكتاب العربي - بيروت

27) تاريخ الآداب العربية: كارلو نالينو ط: 2/ 1970 دار المعارف مصر

28) تاريخ النقد العربي: د. محمد زغلول سلام، دار المعارف - مصر

29) تاريخ اليمن القديم: عبد القادر بافقية ط: 1973، مطبعة الحرية - بيروت

30) تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، شرح ونشر: السيد أحمد صقر
ط: 2/ 1973 دار التراث - القاهرة

31) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد : ابن مالك ،تحقيق : محمد كامل بركات

ط : 1967 دار الفكر العربي

32) التضاد في ضوء اللغات السامية : د . ربحي كمال

ط: 1975 دار النهضة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت

33) التنبيهات : علي بن حمزة ،تحقيق :عبد العزيز الميمني ،دار المعارف ـ مصر

34) ثلاثة كتب في الاضداد : للاصمعي وللسجستاني ولابن السكيت . . .

دار الكتب العلمية ـ بيروت

35) الجمل :الزجاجي ،ط: 1957 تحقيق :الاستاذ ابن أبي شنب

مطبعة كلنسيك ـ باريس

36) جمهرة أنساب العرب : ابن حزم : تحقيق : عبد السلام هارون

دار المعارف ـ مصر

37) جمهرة اللغة : ابن دريد ،ط: 1351 هـ مط حيرباد (بالأوفيست)

38) الحجة في علل القراءات السبع : أبو علي الفارسي ،تحقيق : عبد الحليم

النجار،علي النجدي ناصف ،د.عبد الفتاح شلبي ،دار الكتاب العربي ـ القاهرة

39) الحجة في القراءات السبع : ابن خالويه ،تحقيق : د. عبد العال

ط: 1971 دار الشروق ـ بيروت

40) الخصائص : ابن جني ،تحقيق :محمد النجار،دار الهدى بيروت

41) دراسات في اللغة والنحو العربي :د .حسن عون ،ط: 1965 مط الكيلاني

42) دراسات لغوية في ضوء الماركسية، ترجمة : د. ميشال عاصي
ط : 1/ 1979 دار ابن خلدون ـ بيروت

43) دراسة اللهجات العربية القديمة : د. داود سلوم، ط: 1/ 1986
عالم الكتب ـ بيروت

44) ديوان حميد بن ثور الهلالي : صنعة الأستاذ عبد العزيز الميمني
الدار القومية (القاهرة)

45) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، ط: 1980 دار بيروت للطباعة والنشر

46) ديوان النابغة الذبياني ، ط: 1968 تحقيق : د. شكري فيصل، دار الهاشم بيروت

47) ديوان الهذليين ، ط: 1965 الدار القومية ـ القاهرة

48) زبدة الاتقان في علوم القرآن : محمد بن علوي ط: 1/ 1981 دار الانسان القاهرة

49) سر صناعة الاعراب (الجزء الأول) : ابن جني ، تحقيق : لجنة من الاساتذة
ط : 1954 مط مصطفى البابي الحلبي (القاهرة)

50) سيبويه : إمام النحو العربي : د. فوزي مسعود ط: [illegible] الهيئة المصرية للكتاب

51) شذور الذهب، ابن هشام ، تحقيق : عبد الحميد ، مط السعادة ـ مصر

52) شرح ابن عقيل : تحقيق عبد الحميد ، ط: 14/ 1965 مط السعادة مصر

53) شرح ديوان الحماسة لابي تمام، تحقيق الاستاذين : أحمد أمين وعبد السلام
هارون ، ط : 1 / 1951 لجنة التأليف والترجمة ـ القاهرة

54) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات : أبو بكر محمد بن القاسم الانباري
تحقيق : عبد السلام هارون ، ط: 2 ، دار المعارف مصر

55) شرح القصائد العشر : التبريزي ،تحقيق : د .فخر الدين قباوة

ط:4 / 1980 دار الآفاق الجديدة بيروت

56) شرح قطر الندى : ابن هشام ،المطبعة العربية ـ مصر

57) الشعر الجاهلي :د .سيد حنفي ط: 1971 الهيئة المصرية للطباعة

58) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي :د .يوسف خليف

ط:2/ دار المعارف ـ مصر

59) الشعر والشعراء : ابن قتيبة طبعة ليدن 1902

60) الشعرية :تودوروف ،ترجمة: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة

دار توبقال للنشر (الدار البيضاء) ط: 1987

61) الصاحبي في فقه اللغة : ابن فارس ،تحقيق :د . مصطفى الشويمي

ط:1963 مؤسسة بدران للطباعة والنشر ـ بيروت

62) صبح الاعشى : القلقشندي ،المؤسسة المصرية العامة

63) الصحاح : الجوهري ،تحقيق: عطار ،ط:3/ 1984 دار العلم للملايين بيروت

64) ضحى الاسلام :الاستاذ أحمد أمين،ط:10 ، دار الفكر العربي بيروت

65) الضرائر : الآلوسي ، ط: 1341 هـ المطبعة السلفية ـ القاهرة

66) ضرائر الشعر : ابن عصفور ،تحقيق : السيد ابراهيم محمد

ط:1 / 1980 دار الاندلس ـ بيروت

67) طبقات فحول الشعراء : ابن سلام ،تحقيق : محمود محمد شاكر

مطبعة المدني القاهرة

68) طبقات النحويين واللغويين: الزبيدي، تحقيق: أبو الفضل ابراهيم

ط: 1973 دار المعارف - مصر

69) ظاهرة الاعراب في النحو العربي: د. أحمد سليمان ياقوت

ط: 1983 ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر

70) العرب قبل الاسلام: جرجي زيدان، منشورات المكتبة الاهلية - بيروت

71) العرب والحضارة: د. علي حسن الخربوطلي ط: 1966 المطبعة الفنية القاهرة

72) العربية: يوهان فوك، ترجمة عبد الحليم النجار،

ط: 1951 دار الكتاب العربي - القاهرة

73) العربية بين الطبع والتطبيع: عبد الجليل مرتاض

ط: 1993 ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر

74) العربية عبر القرون: د. محمود فهمي حجازي،

ط: 1968 دار الكتاب العربي

75) علم الفصاحة: د. محمد علي الخفاجي، ط: 2/ 1982 دار المعارف مصر

76) علم اللغة: د. محمود جاد الرب، ط: 1/ 1985 دار المعرف - مصر

77) العمدة: ابن رشيق، تحقيق عبد الحميد ط: 3/ 1963 مط السعادة مصر

78) الفاضل: المبرد، تحقيق عبد العزيز الميمني، ط: 1956 دار الكتب العربية

79) فضائل القرآن: ابن كثير، ط: 1966 دار الاندلس، بيروت

80) فقه اللغة: د. صبحي الصالح، ط: 3/ 1968 دار العلم بيروت

81) فقــه اللغــة : د . وافي ، ط: 1972 دار نهضــة مصر

82) فقه اللغة المقارن د . ابراهيم السامرائي ط: 1968 دار العلم للملايين بيروت

83) في الادب الجاهلي : د . طه حسين ط: 1964 ، دار المعارف مصر

84) في علم اللغة التقابلي : د . ياقوت ، ط: 1985 دار المعرفة الجامعية الاسكندرية

85) قصة الكتابة العربية : ابراهيم جمعة ط: 2/ دار المعارف مصر

86) قيام الدولة العربية الاسلامية : محمد جمال الدين ط: 5/ 1969 دار الفكر العربي

87) الكامل : المبرد ، تحقيق : ابو الفضل وشحاتة ، نهضة مصر القاهرة

88) الكامل في التاريخ : ابن الاثير ، ط: 2/ 1980 دار الكتاب العربي بيروت

89) كتاب الابدال : ابن السكيت ، تحقيق : د . حسين محمد شرف ط: 1978 الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ـ القاهرة

90) كتاب التيسير في القراءات السبع : الداني ، اسطانبول ط: 1930

91) كتاب الجمل في النحو : الخليل بن احمد ، تحقيق : د . فخر الدين قباوة ط: 1/ 1985 مؤسسة الرسالة بيروت

☆ كتاب حذف من نسب قريش

92) كتاب العين : الخليل بن أحمد ، تحقيق : د . عبد الله درويش (الجزء الاول) ط: 1967 مطبعة العاني ـ بغداد

93) كتاب الفهرست للنديم : تحقيق رضا تجدد ، طبعة طهران : 1971

94) كتاب الكتاب : ابن درستويه ، تحقيق : د . ابراهيم السامرائي ، والدكتور عبد الحسين الفتلي ، ط: 1 / 1977 مؤسسة دار الكتب الثقافية ـ الكويت

95) كتاب معاني الحروف: الرماني النحوي ، تحقيق : د. عبد الفتاح شلبي
دار نهضة مصر للطبع والنشر — القاهرة

96) كتاب نور القبس: المرزباني واختصار اليغموري ، تحقيق: رودولف زلهايم ط: 1964 ، دار النشر فرانتس شتايز بفيسبادن

97) الكتاب (خمسة أجزاء) : سيبويه ، تحقيق: عبد السلام هارون
الطبعة الأولى ، طبعة الجزء الأول عام : 1966 ، دار القلم ،
طبعة الجزء الثاني عام : 1968 دار الكتاب العربي - القاهرة
طبعة الجزء الثالث عام: 1973 الهيئة المصرية العامة للكتاب -
طبعة الجزء الرابع عام 1975 الهيئة المصرية العامة للكتاب
طبعة الجزء الخامس عام : 1977 الهيئة المصرية العامة للكتاب

98) لامية العرب : الشنفرى ، تحقيق: د. محمد بديع ط: 1964 دار الحياة بيروت

99) لحن العامة : الزبيدي : تحقيق د. عبد العزيز مطر ط: 1981 دار المعارف مصر

100) لسان العرب : ابن منظور ، الدار المصرية للتأليف والترجمة

101) اللسانيات من خلال النصوص: د. المسدي ط: 1984 الدار التونسية للنشر

102) اللغة : فندريس ، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص
ط: 1950 مطبعة البيان - القاهرة

103) اللغة العربية كائن حي : جرجي زيدان ، طبعة دار الهلال

104) اللغة والنحو بين القديم والحديث: عباس حسن ، ط: 1966 دار المعارف مصر

105) اللهجات العربية في القراءات القرآنية : د .عبده الراجحي
ط: 1969 دار المعارف مصر

106) اللهجات العربية في التراث: د .أحمد علم الدين الجندي ،الهيئة المصرية للكتاب

107) ما ينصرف ومالا ينصرف : أبو اسحاق الزجاج ،تحقيق :تحقيق هدى محمود
ط : 1971 مطابع الاهرام التجارية ـ القاهرة

108) مباحث لغوية :د .ابراهيم السامرائي ط: 1971 مطبعة الآداب في النجف الاشرف

109) متن الكافية : ابن الحاجب، ط: 1241 هـ طبعة بولاق

110) مجالس ثعلب : تحقيق عبدالسلام هارون ،دار المعارف مصر

111) مجمع الامثال :الميداني ،تحقيق : عبدالحميد ،ط: 2/ 1959 مط.السعادة مصر

112) محاضرات في الألسنية العامة : ف.دي سوسور ،ترجمة يوسف غازي ومجيد
النصر ط: 1984 دار نعمان للثقافة ـ لبنان

113) مدخل الى اللسانيات : رونالد ايلوار ،ترجمة د .بدر الدين القاسم
ط: 1980 مطبعة جامعة دمشق

114) المدخل الى علم اللغة :د .رمضان عبدالتواب ط: 2/ 1985 مط المدني مصر

115) المذكر والمؤنث:ابن التستري الكاتب ،تحقيق : د .أحمد عبد المجيد هريدي
ط: 1 / 1983 مط المدني مصر.

116) المذكر والمؤنث : الفراء ،تحقيق :د .رمضان عبدالتواب ط: 1975
مط قاصد خير ـ القاهرة

117) المذكر والمؤنث : المبرد ،تحقيق د . رمضان وصلاح الدين الهادي
ط: 1970 مط دار الكتب مصر

118) مراتب النحويين : أبو الطيب اللغوي ، تحقيق : أبو الفضل ابراهيم

دار الفكر العربي

119) المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث : تودوروف وآخرون ترجمة : د

قنيني عبدالقادر ط: 1988 افريقيا الشرق (المغرب)

120) مروج الذهب : المسعودي ، دار الاندلس بيروت

121) المزهر : السيوطي ، تحقيق جاد المولى وآخران مط عيسى البابي الحلبي

122) المسالك والممالك : الاصطخري ، تحقيق : محمد جابر ، ط : 1969

دار القلم - القاهرة

123) مصادر الشعر الجاهلي : د . ناصر الدين الاسد ط: 4/ 1969 دار المعارف مصر

124) معترك الأقران في اعجاز القرآن : السيوطي ، تحقيق البجاوي دار الفكر القاهرة

125) معجم القراءات القرآنية (الجزء الأول) : د . عبدالعال ، د . أحمد مختار

ط: 1/ 1982 مطبوعات جامعة الكويت

126) معجم ما استعجم : البكري ، تحقيق مصطفى السقا مط لجنة التأليف القاهرة

127) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبدالباقي

ط: 1 / 1987 دار الحديث - القاهرة

128) المعرب : ابو منصور الجواليقي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر

ط: 2/ 1969 مط دار الكتب - القاهرة

129) معرفة القراء الكبار : شمس الدين الذهبي ، تحقيق جاد الحق ط: 1969

دار الكتب - القاهرة

130) مغني اللبيب : ابن هشام تحقيق عبد الحميد مط المدني القاهرة

131) المفصل في علم العربية : الزمخشري ط: 2/ دار الجيل بيروت

132) المفضليات : المفضل الضبي ،تحقيق شاكر وهارون مط المدني القاهرة

133) المقدمة : ابن خلدون ،مط مصطفى محمد . القاهرة

134) من أسرار اللغة :د .ابراهيم انيس ط: 3/ 1966 المطبعة الفنية الحديثة القاهرة

135) من تاريخ النحو: سعيد الافغاني ،مط دار الفكر - بيروت

136) مقدمة في علوم اللغة :د.البدراوي زهران ط: 2/ 1986 دار المعارف مصر

137) من الساميين الى العرب: نسيب وهيبة ،دار مكتبة الحياة بيروت

138)من لغات العرب (لغة هذيل) :د .عبد الجواد الطيب الاستاذ بجامعة طرابلس

(مجهول المكان والزمان)

139) المنقوص والممدود : الفراء ،تحقيق : عبد العزيز الميمني ،دار المعارف مصر

140) الموشح : المرزباني ،تحقيق محمد البجاوي ط: 1965 دار نهضة مصر

141) مولد اللغة :احمد رضا ط: 1956 دار مكتبة الحياة - بيروت

142) نزهة الالباء في طبقات الادباء :ابن الانباري تحقيق : د .ابراهيم السامرائي

ط: 2/ 1970 مكتبة الاندلس - بغداد

143) النشر في القراءات العشر :ابن الجزري ،الطبعة التجارية القاهرة

144) نظم الفرائد وحصر الشرائد : ابن بركات المهلبي تحقيق :د .عبد الرحمان

ابن سليمان العثيمين ط: 1/ 1986 ،مط المدني مصر

145) نظرات في اللغة عند ابن حزم :سعيد الافغاني ط: 1969 دار الفكر بيروت

146) نظرية النحو القرآني :د .احمد مكي الانصاري ط: 1/ 1405هـ مطابع ابو الفتوح

147) نكت الاعراب في غريب الاعراب: الزمخشري ،تحقيق : د .محمد ابو الفتوح شريف

ط: 1985 دار المعارف - مصر

148) النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في اللغة والادب : د .محمد مندور

ط: 1969 مطبعة نهضة مصر بالفجالة

149) نهاية الارب في معرفة انساب العرب : القلقشندي تحقيق الابياري

ط: 1/ 1959 مطبعة مصر

150) الوجيز في فقه اللغة: محمد الانطاكي ،ط: 2 دار الشرق (سوريا)

الدوريات :

1) الاستاذ : مجلة كلية التربية في جامعة بغداد العدد (2) السنة: 1978-1979

2) مجلة مجمع اللغة العربية الاردني العدد (2) شعبان 1398 هـ - 1978 م

3) المورد :العدد (1) سنة 1978 دار الحرية للطباعة - بغداد

4) المورد : العدد (3) سنة 1978 دار الحرية للطباعة - بغداد

5) المورد :العدد (2) سنة 1981 دار الحرية للطباعة - بغداد

6) الموقف الادبي (عدد خاص باللسانيات) العددان : 135-136 سنة 1982

7 ـ المراجــع باللغــة الأجنبيــة

01 - Clefs pour la Linguistique Generale (G. Mounin
Edition Seghers, Paris 1968 - 1971

02 - Cours de Linguistique Generale / Saussure
ENAG / Editions 1990.

03 - Comprendre la Linguistique/ Bernard Pottier
Edition Marabout / Verviers 1975

04 - Dictionnaire de la Linguistique / G. Mounin
Edition 1914; presse Universitaire de France

x05 - Essaie de Linguistique Generale : R. JACKOBSON
EDITION de minuit 1963

06 - Grammaire de l'arabe (Gerard Lecomte " Que suis-je"
Presse Universitaire de France 1968.

07 - Guide alphabètique (André Martinet)

08 - Guide pratique de grammaire française
(Charles Gordert Hachette, 1978)

09 - La grammaire pour tous (Bescherelle)
Edition 1984 - Hatier Paris.

10 - Initiation à la problematique structurele,
J.L Chis
J. Fillio et D. Maingneneau.
Hachette, Université de Paris 1978.

11 - Introduction à la Linguistique : Glesson

12 - Langues vivante, Jean Guenôt
Edition Seghers, Paris 1964/1971.

13 - Linguistique appliquée et didactique des langues :
Denis Girard 4eme Edition, Armand Colin
Longman , 1972

14 - La linguistique synchronique (A; Marnet
presse Universitaire , France

15 - pour comprendre la linguistique / Marima
Yaguello, Edition du seuil 1969

16 - Structure syntaxique / Chomsky
Edition du seuil 1969.

17 - Theories syntaxiques et syntaxe du Français,
Nicoles Ruwet
Edition du seuil , Paris 1972

18 - Traite de philologie / Henri, Fleisch
Imprimerie Catholique/ Beyrout 1967.

19 Rivages et déserts (ensemble d'auteurs)
Edition SINDBAD 1983

8) الفهرس المفصل لمحاور البحث

فهرس الفهارس

المحتوى	صفحة
1) فهرس الآيات القرآنية	580 - 572
2) الترتيب التسلسلي للسور القرآنية حسب ورودها في البحث	582 - 581
3) فهرس الأحاديث النبوية الشريفة	583 - 583
4) فهرس بعض الأمثال	583 - 583
5) فهرس الشعر	593 - 584
6) مراجع البحث باللغة العربية	606 - 594
7) مراجع البحث باللغة الأجنبية	608 - 607
8) الفهرس المفصل لمحاور البحث	612 - 609